

هُوسِعَتَا
الْعَلَامَةُ الْبَلَاغِيَّ

المُلَاجَهَةُ

حَيَاةُ الْعَلَامَةِ
الشَّيْخِ مُحَمَّدِ جَوَادِ الْبَلَاغِيِّ
عَصْرُهُ، حَيَاتُهُ، مُخْتَارَاتٌ مِنْ تَرْجُمَتِهِ

مركز العلوم والثقافة الإسلامية
قسم إحياء التراث الإسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



موسوعة
العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي

المدخل

حياة العلامة
الشيخ محمد جواد البلاغي
عصره، حياته، مختارات من ترجمته

تأليف
السيد منذر الحكيم - محمد الحسون

المركز العالي للعلوم والثقافة الإسلامية
مركز إحياء التراث الإسلامي



المركز العالي للعلوم والثقافة الإسلامية

المدخل

موسوعة العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي

السيد منذر الحكيم - محمد الحسون

إشراف: علي أوسط الناطقي

إعداد: مركز إحياء التراث الإسلامي

الطبعة: مطبعة الباقر

الطبعة الثانية: ١٤٣١ ق / ٢٠١٠ م

الكمية: ١٠٠٠ نسخة

حقوق الطبع محفوظة للناسخ

العنوان: قم، ساحة الشهداء، المركز العالي للعلوم والثقافة الإسلامية

الهاتف: ٠٢٥١-٧٨٣٢٨٣٣

الفاكس: ٧٨٣٢٨٣٤

ص.ب: ٣٧١٨٥/٣٨٥٨

وب سايت: www.isca.ac.ir

البريد الإلكتروني: nashr@isca.ac.ir

موسوعة العلامة البلاغي / [تأليف] السيد منذر الحكيم - محمد الحسون؛ [إعداد] المركز العالي للعلوم والثقافة الإسلامية، مركز إحياء التراث الإسلامي. - قم: دفتر تبليغات إسلامي، پژوهشگاه علوم و فرهنگ اسلامی، ١٣٨٦. ج ٩

ISBN: 978-964-2636-30-3

ISBN: 978-964-2636-31-0

ISBN: 978-964-2636-32-7

ISBN: 978-964-2636-33-4

ISBN: 978-964-2636-34-1

ISBN: 978-964-2636-35-8

ISBN: 978-964-2636-36-5

ISBN: 978-964-2636-37-2

ISBN: 978-964-2636-38-9

ISBN: 978-964-2636-39-6

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما.
کتابنامه.

مندرجات: ج صفر. المدخل، حياة العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي. ج ١-٢. آلاء الرحمن في تفسير القرآن. ج ٢-٤. الهدى إلى دين المصطفى. ج ٥. الرحلة المدرسية. ج ٦. الرسائل الكلامية. ج ٧. الرسائل الفقهية. ج ٨. رسائل متفرقة. الفهارس العامة. ١. اسلام - مجموعه ها. ٢. بلاغي، محمد جواد، ١٢٨٣ - ١٣٥٢ ق. ٣. كلام شيعه اماميه - مجموعه ها. الف. حكيم، منذر - حسون، محمد. ب. المركز العالي للعلوم والثقافة الإسلامية، مركز إحياء التراث الإسلامي. ج. عنوان.

دليل موسوعة العلامة البلاغي

المدخل

حياة العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي

الجزء الأول والثاني

١. آلاء الرحمن في تفسير القرآن / ج ١ و ٢

الجزء الثالث والرابع

٢. الهدى إلى دين المصطفى / ج ١ و ٢

الجزء الخامس

٣. الرحلة المدرسية والمدرسة السيّارة

الجزء السادس = الرسائل الكلامية

٤. أنوار الهدى

٥. البلاغ المبين

٦. مسألة في البداء

٧. التوحيد والتثليث

٨. أعاجيب الأكاذيب

٩. دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى

١٠. الردّ على الوهابية

١١. نَسَمَاتُ الْهُدَى وَنَفَحَاتُ الْمَهْدِيِّ

١٢. نصائح الهدى

الجزء السابع = الرسائل الفقهية

١٣ - ١٧ . العقود المفصلة:

- ١ . عقد في قاعدة على اليد ؛
- ٢ . عقد في تنجيس المتنجس ؛
- ٣ . عقد في بعض مسائل العلم الإجمالي ؛
- ٤ . عقد في مسألة الصلاة في اللباس المشكوك فيه ؛
- ٥ . عقد في إلزام غير الإمامي بأحكام نحلته .

١٨ . تعليقة على بيع المكاسب

١٩ . رسالة حرمة حلق اللحية

الجزء الثامن

رسائل متفرقة:

٢٠ . رسالة في شأن التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام

٢١ . مراسلاته

٢٢ . شعره

الفهارس العامة

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأعظم والنبّي الخاتم محمّد وعلى آله الطاهرين.

وبعد؛ لا يخفى على العلماء الأجلّاء والمحقّقين الفضلاء فائدة نشر المؤلّفات الكاملة لكلّ عالم من علمائنا، في الاطّلاع على آرائه العلميّة وتحقيقاته في ميادين العلم والثقافة والاجتماع والسياسة، وعلى ما جدّ في عصره من المسائل التي لم يتبل بها الأسلاف، وعلى تطوّر العلوم الإسلاميّة في ذلك الحين، وفوائد أخرى كثيرة يعرفها العاملون في حقل تراثنا الإسلامي.

وقد شرّع مركز إحياء التراث الإسلامي في مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة قبل خمس سنوات (سنة ١٣٨٠هـ.ش) بافتتاح مشروعه الكبير في تحقيق ونشر الأعمال الكاملة لسلسلة من العلماء والمصلحين من أعلام الشيعة الإماميّة الماضين والمعاصرين، الذين كان لهم دور كبير في مختلف المجالات العلميّة والثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة.

وقد تمّ الانتهاء من نشر موسوعة الإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين محقّقة كاملة في أحد عشر مجلداً كواحدة من حلقات هذا المشروع، وقد لقيت حسن القبول لدى العلماء والمحقّقين في إيران والعالم العربي فلله الحمد وله الشكر.

والآن يتشرّف مركزنا بعرض موسوعة العلامّة المجاهد الشيخ محمّد جواد البلاغي

على أمل أن تتال رضئ علمائنا الأعلام فضلاً عن القراء والباحثين، وهي تتضمن جميع ما عثرنا عليه من مؤلفات ورسائل بعد جهدٍ متواصل دام خمس سنوات، تظافت فيه هم المحققين الأفاضل لإنجاز هذا العمل الكبير.

وتزامناً مع بداية العمل في جمع وتحقيق آثار العلامة البلاغي رحمته، تمّ تكليف فضيلة الشيخ محمد الحسون بكتابة دراسة عن حياة العلامة البلاغي لكي تُطبع مع الموسوعة كمدخلٍ لها، مع العلم بأنّ مهمّة الإشراف على تحقيق الموسوعة كانت قد عُهدت إليه سابقاً.

وقد تفضّل الشيخ الحسون - بعد جهودٍ مشكورة استمرت لمدّة عامين (١٤٢٢ - ١٤٢٤هـ) - بتأليف حياة العلامة البلاغي والذي تضمّن استعراضاً مفصّلاً للجوانب المختلفة من حياة العلامة البلاغي، من خلال ثلاثة أبواب:

الباب الأوّل: يشتمل على ستّة فصول تناولت بصورة واسعة وشاملة السيرة الشخصية والاجتماعية للعلامة البلاغي.

الباب الثاني: يشتمل أيضاً على ستّة فصول خصّصها لدراسة الحياة العلمية للبلاغي باحثاً عن دراسته، أساتذته، تدرّسه، طلابه، موقعه العلمي ومؤلفاته.

الباب الثالث: يشتمل على ثلاثة فصول تختصّ بوفاته وأثرها على الحوزات العلمية والعالم الإسلامي.

وبعد الاطلاع عليه فقد ارتأى السادة أعضاء الهيئة المشرفة على التحقيق في مركز إحياء التراث الإسلامي - وتتميماً للفائدة المتوخّاة - أن يضاف قسمان آخران إلى هذه الدراسة، أحدهما: دراسة سريعة عن الظروف السياسية والثقافية لعصر العلامة البلاغي، وثانيهما: التعريف الكامل بالمصادر والمراجع التي تُعنى بترجمة ودراسة هذه الشخصية الفذة، ومختارات من ترجمته؛ ممّا دعانا للاستعانة بفضيلة حجة الإسلام الأستاذ السيّد منذر الحكيم في كتابة القسم الأوّل من المقترح، وأن يقوم السادة المحققون في المركز بتهيئة القسم الثاني منه.

وقد تمّ وضع القسم الأوّل كمقالة مستقلة في طليعة هذا الكتاب. والقسم الثاني

كخاتمة له يتضمّن التعريف بمصادر ترجمته ومختارات منها .

ومن خلال البحث والتدقيق في المصادر دعتنا الضرورة إلى إعادة النظر في بعض فصول الدراسة التي قام بها فضيلة الشيخ الحسون . وقد كانت مهمة شاقّة تكتنفها صعوبات جمّة ، وقد تمّ بعون الله تعالى إجراء التعديلات وإصلاح ما زاغ عنه البصر ، ورفع بعض النقائص كما ينبغي .

وفي الختام نرى من اللازم أن نتقدّم بالشكر والتقدير إلى جميع السادة الذين ساهموا في تأليف وتنقيح هذا الكتاب ، ونخصّ بالذكر فضيلة حجّة الإسلام الشيخ محمّد الحسون الذي كتب الدراسة عن حياة العلامة البلاغي ، وتقبّل بسعة صدره ما أُجري من تعديلات على أصل الدراسة ، كما نتقدّم بالشكر إلى فضيلة حجّة الإسلام السيّد منذر الحكيم على تقديمه مقالة عصر البلاغي والاستجابة لرغباتنا التي تكرّرت بمناسبةٍ وبدونها .

وكذلك نتقدّم بشكرنا الخالص إلى المحقّق الأستاذ الشيخ رضا المختاري ، وكذلك زميلنا المحقّق الفاضل علي أكبر زمامي نژاد واللذين ساعدا في مراحل التقييم وتعيين المصادر والمراجع وانتخاب التراجم .

علي أوسط الناطقي

المشرف على مركز إحياء التراث الإسلامي

ربيع المولود سنة ١٤٢٨

تمهيد

١ - تحديد عصر البلاغي

ولد العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي في بداية العقد التاسع من القرن الثالث عشر الهجري (١٢٨٢هـ) ووفد إلى ربّه في سنة (١٣٥٢هـ) عن عمرٍ ناهز السبعين . فولادته كانت في العقد السابع من القرن التاسع عشر ١٨٦٥م ، وتوفي في العقد الرابع من القرن العشرين ١٩٣٥م ، أي بعد ثورة العشرين بخمسة عشر عاماً .

٢ - مميزات عصر البلاغي

أ- تراكمت في عصره عوامل انحلال الدولة العثمانية (الإسلامية) .

ب- وشهد التاريخ سقوطها في وقتٍ قصير .

ج- وتلا سقوطها مرحلة استعمارية طويلة نسبياً شهدتها بلاد المسلمين والمنطقة العربية بشكلٍ خاصّ .

د- ورافقت هذه التطورات الكبيرة حروب نفسية وفكرية وثقافية كانت تهدف إلى تحطيم الإسلام كعقيدة ورسالة بعد أن تمّ تدمير آخر رمز للوحدة السياسية للمسلمين والذي كان يتمثل في الخلافة أو الدولة العثمانية .

فالمرحلة التاريخية مرحلة تدهور وتراجع للمسلمين ومدّ استعماري للصليبيين ، كان يستهدف الكيان السياسي للمسلمين كما يستهدف مقومات الأمة المسلمة من عقيدة وثقافة وتراث .

عصر العلامة البلاغي

(١٢٨٢ - ١٣٥٢هـ / ١٨٦٥ - ١٩٣٥م)

السيد منذر الحكيم

هـ- والأمة الإسلامية رغم قوة الصدمة التي واجهتها ضمن انحلال كيائها السياسي لم تستسلم لهذه الصدمة بشكل كامل وهي تحتضن أبطالاً حقيقيين يستشعرون لحظاتها الحرجة ويضطلعون بمهام الأدوار الصعبة التي كانت تنتظرهم .

والأمة التي تملك القدرة على تقديم هؤلاء الأبطال في الوقت المناسب لهي أمة حيّة قادرة على الصمود في حلبات الصراع .

كما ظلّ التراث الإسلامي العظيم وتاريخها العريق يشكّلان حائلاً دون الذوبان أمام تحديات الاستعمار الحديث وأساليبه الماكرة .

لقد كان عصر العلامة البلاغي يمثل أشدّ المراحل صعوبة وأكثرها خطورة لأنّ الأمة كانت تواجه أشكالات من الضعف والانحلال إلى جانب فقدان الكيان السياسي ، في الوقت الذي كان الغرب المستعمر يشهد ذروة تألقه المادّي والسياسي الاستعماري للشعوب الإسلاميّة الضعيفة .

و- وربما تكون أبرز مظاهر الخطورة هي الشعور العامّ بالهزيمة والإحباط تجاه تطوّرات الغرب والانبهار أمام تقدّمه العلمي والتكنولوجي والعسكري والثقافي الممتلئ للاتجاهات العلمانيّة القويّة التي تدعو للخروج من الهزيمة باختيار ثقافة الغرب وطريقة حياته .

ز- إنّ تاريخنا الإسلامي الحديث مدين في نهضته المعاصرة لكثير من العلماء الأفاضال الذين قادوا حركة نهوضه وتطويره أمام الهجمة الغربيّة الشرسة .

والسيد جمال الدين الحسيني الأسديّ المعروف بالأفغاني هو أحد مقارعي هذه الهجمة الغربيّة الاستكباريّة على الشرق الإسلامي ، وبمواقفه التوعويّة البطلة قد ضخّ في العالم الإسلامي روح النهضة ومواجهة الاستعمار .

والمرجع الديني العظيم السيد محمد حسن الشيرازي الكبير قد حارب الاستعمار والاستبداد المستشرقين في العالم الإسلامي في آن واحد، وربّى مجموعة كبيرة من العلماء ليمارسوا دور المقاومة ويقوموا بمهمّة محاربة الاستعمار بكلّ أشكاله ومستوياته وأرصده ومخططاته .

والعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي هو واحد من هؤلاء الأفاضال الذين شاركوا بالسيف والقلم لتدمير مواقع العدو الغاشم وسدّ أبواب النفوذ إلى داخل المجتمع الإسلامي القائم.

٣ - الموقع المتميز للعالم الإسلامي

بلغ العالم الإسلامي ذروة قوّته واتّساعه في عهد الدولة العبّاسيّة. ونظرة سريعة إلى خارطة العالم تؤكّد أنّ العالم الإسلامي بمثابة القلب بالنسبة إلى العالم كلّه.

ويمتلك العالم الإسلامي رقعة واسعة في مختلف القارات الكبرى، كما يمتلك ثروات ضخمة يمكن أن تعطيه الموقع الريادي في العالم كلّه.

غير أنّ القوى الاستعماريّة الأوربيّة والأمريكيّة قد خطّطت لاستلاب ثروات هذا العالم الإسلامي وإحكام السيطرة عليه وعلى مصادر ثروته بأساليب عسكريّة واقتصاديّة وثقافيّة من دون أن تلاحظ مصالح المسلمين ومتطلّبات نموّهم وتطويرهم. ولم تترك الدول الأوربيّة للعالم الإسلامي فرصة النهوض الصناعي رغم توفّر مقومات وعناصر هذه النهضة، ولا زالت حتّى اليوم تستنزف ثروات العالم الإسلامي بكلّ ما أوتيت من حولٍ وقوّة.

وقد ساعد ضعف العالم الإسلامي على تقلّص أطرافه تدريجيّاً، فقد بلغت جموع العرب المسلمين إلى قلب أوربا في أوائل القرن الثامن الميلادي، ودقّت الجيوش التركيّة العثمانيّة أبواب قينا في (١٦٨٣م)، غير أنّ أولى المناطق التي فقدتها العالم الإسلامي هي الأندلس كما بدأت تنفصل مناطق أخرى بالتدريج.

وكان هذا الانفصال نكبة في الأطراف، وقد تلتها النكبة الكبرى بزرع دولة إسرائيل الغاصبة في قلب العالم الإسلامي؛ لأنّ دولة إسرائيل تقوم على أساس ديني يستهدف تقويض الإسلام والدول الإسلاميّة بالصميم.

وممّا يؤسف له أنّ التراجع عن الأرض قد اقترن بتراجع آخر في الفكر الإسلامي إلى جانب تعميق الفوارق بين المسلمين من قبل الأوربيين، الذين تغلغلوا في أعماق

العالم الإسلامي وراحوا يدرسون ما في العالم الإسلامي تحت شعار الاستشراق، الذي كان يمهد في الحقيقة للأوروبيين ليستعمروا العالم الإسلامي في كلّ مجالاته وأبعاده، مستفيدين من اختلاف القوميات والمذاهب والجنسيات وسائر الفوارق المصطنعة، ومنها الحدود الدولية التي اصطنعها المستعمرون أنفسهم لتتعمق الفوارق وتتعمد العلاقات فيما بين المسلمين أنفسهم وبينهم وبين الأقليات التي تقطن داخل بلادهم .

وحيثما اضطرّ المستعمرون للخروج من الأراضي الإسلامية بفضل حركات التحرير والجهاد الإسلامي لم يخرجوا منها إلا بعد أن زرعوا فيها عوامل الفتنة والتفرقة بشكل يمكنهم من إثارتها واستغلالها في كلّ فرصة شاؤوا.

وهذه الحالة التي خطّط لها المستعمرون كانت تستدعي جهوداً كبيرة في مجال بثّ الوعي لردم الهوة التي أوجدها المستعمرون بين شعوب العالم الإسلامي، وأصبحت الوحدة السياسيّة للعالم الإسلامي هدفاً استراتيجياً كبيراً خلال القرن التاسع عشر وعلى عهد السيّد جمال الدين الحسيني الأسديّ والسلطان عبد الحميد الثاني العثماني (١٨٧٦ - ١٩٠٩ م). لكنّها انهارت تحت الضغوط والضربات التالية:

- ١ - انتشار الفكر القومي والإيديولوجيات الحديثة في العالم الإسلامي .
 - ٢ - انتشار التعليم الغربي في العالم الإسلامي .
 - ٣ - نشر الفكر الاستشراقي ونتائج المستشرقين .
 - ٤ - تسلّل الاستعمار في البلاد الإسلاميّة وفرض الانتداب على شعوبها^١.
 - ٥ - تفتيت المسلمين وتمزيق وحدتهم من خلال خلق تيارات فكريّة ومذاهب تقضي على وحدة الكلمة والتقارب في العقيدة والاشترك في المبادئ والسلوك مثل حركة الباطنيّة والبهائيّة، والأحزاب الطائفية، والماسونية والحركات التبشيرية الصريحة والمؤطرة بأطر أدبية وثقافية، تحول بين المسلمين وبين توحدهم .
- وفي هذا الظرف الحرج كان يعيش العلامة البلاغي، وكان يرى ما يؤرق المسلم

١. انظر الدكتور عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ الحديث للشعوب الإسلاميّة: ٢١.

الغيور على دينه ومجتمعه في هذه الحياة المليئة بالانحرافات عن النهج الربّاني للإنسان وللمجتمع الإسلامي .

ولأجل أن نعرف قيمة ما أنتجه العلامة البلاغي وما خلفه من تراث ، وما قام به من نشاط فكري وعلمي واجتماعي ، يحسن بنا أن نقف على تفاصيل الاتجاهات والظواهر الاجتماعية والسياسية والثقافية المنحرفة وكيفية تكونها وأنشطتها في العالم الإسلامي ، ثم نتابع نشاط ونتاج هذا العالم العبقري في كلّ مجال من المجالات التي سوف نقف عندها بشيء من التفصيل .

ومن هنا ستكون فصول بحثنا كما يلي :

الفصل الأول : الاستشراق والتبشير والاستعمار في عصر البلاغي .

الفصل الثاني : الدولة العثمانية والماسونية في عصر البلاغي .

الفصل الثالث : البابية والبهاية في إيران والعراق في عصر البلاغي .

الفصل الرابع : الحركة الدستورية في العراق وثورة العشرين في عصر البلاغي .

الفصل الخامس : الوهابية ، نشوئها واستفحالها . وموقف البلاغي منها .

الفصل الأول الاستشراق والتبشير والاستعمار في عصر البلاغي

إنَّ كلاً من الاستشراق والتبشير والاستعمار تعتبر ثلاث مراحل لحركة سلطوية مترابطة الخطوات والأهداف، فالاستشراق مكّن للتبشير والإرساليات التبشيرية لتخترق العالم الإسلامي، وكلاهما مهّد للاستعمار.

والاستعمار هو البوابة المناسبة ليسيّط من خلالها الأوربيون والصليبيون على الشعوب الإسلامية بعد تمزيق الدولة الإسلامية الكبرى وإمبراطورياتهم العريقة. والاستشراق لم يكن اتّجهاً علمياً لدراسة الشرق وحضارته كما يزعم المستشرقون إذ تبلورت من حركة الاستشراق أغلب التطلّعات الاستعمارية الأوربية في الشرق الإسلامي.

فالتشكيك في عالميّة الإسلام، وخاتميّة الرسالة الإسلاميّة وفتح الباب أمام الدعوات الهدامة للدين كالبهائيّة والقاديانيّة تحت غطاء الدعوة إلى وحدة الأديان وما ترمي إليه الماسونيّة هي أمور يجتمع عليها مخطّطوا الاستشراق والتبشير والاستعمار جميعاً.

وما مارسه المستشرقون في كتاباتهم من تصوير العالم الإسلامي على أنّه عالم بشع في عاداته وأخلاقه لهو خير دليل على ما قلناه من أنّ أهداف الاستشراق والتبشير والاستعمار تلتقي في رافد كبير تمخّض عنه: استعمار العالم الإسلامي بعد تمزيقه في بدايات القرن العشرين.

بل الاستشراق لون من ألوان التبشير قد لاءم نفسه مع ظروف الحياة.

يقول لورانس براون Lawrance Brown:

إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضاً. أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير^١.

ويفصح القس «كالهون سيمون» عن رغبة التبشير القوية في تفريق المسلمين التي عبّر عنها «براون» فيما قبل، بقوله:

إنّ الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السود، وتساعدهم على التملص من السيطرة الأوروبية. ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً في كسر شوكة هذه الحركات. ذلك لأنّ التبشير يعمل على إظهار الأوربيين في نور جديد جذاب، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصر القوة والتمركز فيها^٢.

فوحدة المسلمين إذن في نظر التبشير يجب أن تفتت وأن توهن، ويجب أن يكون هدف التبشير هو التفرقة في توجيه المسلمين واتجاهاتهم. والتبشير إذ يرى هدفه المباشر تفكيك المسلمين، يرى بالتالي أنّ درء خطر وحدتهم يكون من خلال استعمار الشعوب الأوروبية للشعوب الإسلامية واستغلالها واستنزافها لثروات المسلمين.

وفي هذا المعنى يقول لورانس براون:

الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قوته على التوسع والإخضاع وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي^٣.

وتقول مجلة العالم الإسلامي الإنجليزية *The Muslim World*:

إنّ شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي. ولهذا الخوف أسباب منها: أنّ الإسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عددياً، بل دائماً في ازدياد واتساع.

١. في كتابه (الإسلام والإرساليات Islam and Missions): ٤٤ - ٤٨.

٢. عمر فرّوخ، التبشير والاستعمار: ٣٧، الطبعة الرابعة.

٣. في كتاب أصدره خالد مصطفى في عام ١٩٤٤م.

ثم إنَّ الإسلام ليس ديناً فحسب، بل إنَّ من أركانه الجهاد. ولم يتفق قطَّ أنَّ شعباً دخل في الإسلام ثمَّ عاد نصرانياً^١.

وهناك بجانب تفتيت وحدة المسلمين - كهدف للمبشرين - هدف آخر هو التنفيس عن الصليبيَّة وعن الانهزامات التي مني بها الصليبيون طوال قرنين من الزمان أنفقوهما في محاولة الاستيلاء على بيت المقدس وانتزاعه من أيدي المسلمين. يقول اليسوعيون:

ألم نكن نحن ورثة الصليبيين؟ أو لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرّب التبشيري والتمدين المسيحي، ولنعيد في ظلّ العلم الفرنسي وباسم الكنيسة مملكة المسيح؟^٢

وبجانب هذا وذاك يرى المستشرق الألماني كارل بيكر Becker:

أنَّ هناك عداء من النصرانيَّة للإسلام بسبب أنَّ الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سدّاً منيعاً في وجه انتشار النصرانيَّة ثمَّ امتدَّ إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها^٣.

وإذن يتلخّص هدف التبشير في تمكين الأوربي المسيحي من البلاد الإسلاميَّة. والأسباب التي ذكرها هؤلاء المبشرون هنا توصل جميعها إلى هذا الهدف. فسواء أكان التنفيس عن هزيمة الصليبيَّة، أم الرغبة في الانتقام من الإسلام؛ لأنَّه قام في القرون الوسطى في وجه المسيحيَّة، أم توهين المسلمين وتمزيقهم؛ فإنَّ نتيجة هي تمكين الأوربي المسيحي من المسلم الشرقي ومن وطنه. وهنا يبدو واضحاً أنَّ التبشير مقدّمة أساسية للاستعمار الأوربي، كما أنَّه سبب مباشر لتوهين قوَّة المسلمين.

ولقد كانت الدول الأجنبيَّة تبسط الحماية على مبشريها في بلاد الشرق؛ لأنَّها

١. عدد يونية سنة ١٩٣٠م تحت عنوان (الجغرافيا السياسيَّة للعالم الإسلامي

.(The Political Geography of The Mohammadan

٢. التبشير والاستعمار: ١١٥-١١٦.

٣. المصدر: ٣٦.

تعدّهم حملة لتجاريتها وآرائها ولثقافتها إلى تلك البلاد. بل لقد كان ما هو أعظم من هذا: لقد كان المبشرون يعملون بطرق مختلفة كالتعليم مثلاً على تهيئة شخصيات شرقية لاتقاوم التبسط الأجنبي^١.

تصوير المبشرين للإسلام والمسلمين

وطريق التبشير لتوهين المسلمين لم يكن الدعوة إلى المسيحية والعمل على ارتداد المسلمين إلى النصرانية مباشرة. وإنما كانت طريقه تشويه الإسلام، ومحاولة إضعاف قيمته، ثم تصوير المسلمين في وضعهم الحالي بصورة مزرية بعيدة عن المستوى الحضاري في عصرنا الحاضر.

فالمونسنور كولبي في كتابه البحث عن الدين الحقّ يَصوّر الإسلام على هذا النحو: في القرن السابع للميلاد. برز في الشرق عدوّ جديد ذلك هو الإسلام الذي أُسس على القوّة، وقام على أشدّ أنواع التعصّب. لقد وضع محمّد السيف في أيدي الذين اتّبعوه. وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق. ثمّ سمح لأتباعه بالفجور والسلب. ووعد الذين يهلكون (يريد الذين يستشهدون في سبيل الله) في القتال بالاستمتاع الدائم بملذّات (الجنة).

وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وأفريقيا وأسبانيا فريسة له، حتّى إيطاليا هدّدها الخطر، وتناول الاجتياح نصف فرنسا. لقد أُصيبت المدينة^٢.

ويقول و. س. نلسون W. S. Nelson: «وأخضع سيف الإسلام شعوب أفريقيا وآسيا شعباً بعد شعب»^٣.

١. انظر محمّد البيه، الفكر الإسلامي الحديث: ٥٢٥-٥٢٧.

٢. البحث عن الدين الحقّ: ٢٢٠، طبع ١٩٢٨م. وقد نال هذا الكتاب رضا الباب ليون الثالث عشر في سنة ١٨٨٧م وعاش في المدارس المسيحية في الشرق والغرب.

٣. التبشير والاستعمار: ٤١.

وفي وصف المسلمين يقول هنري جيسب Henry Jesups المبشر الأمريكي :
المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها... إنهم لصوص، وقتلة
ومتأخرون، وإن التبشير سيعمل على تمدينهم^١.

كما يقول في وصفهم جو ليمين H. Guillimain في كتابه تاريخ فرنسا:
إن محمداً - مؤسس دين المسلمين - قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم وأن يبدلوا
جميع الأديان بدينه هو. ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين - يريد بهم
المسلمين - وبين النصارى! إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا
للناس: أسلموا أو موتوا، بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم^٢.
ولم يفت المبشرين - بجانب تشويه الإسلام والمسلمين بغية توهينهم وإضعاف
وحدتهم - أن يثيروا للغاية نفسها النزعات الشعبوية، مثل الفرعونية في مصر، والفينيقية
على ساحل فلسطين ولبنان، والآشورية في العراق، والبربرية في شمال أفريقيا.

وسائل الاستعمار لإضعاف المسلمين

وللاستعمار وسائل يستخدمها لإضعاف المسلمين في إسلامهم يمكن تلخيصها في
اتجاهين أساسيين:

الاتجاه الأول: قيام بعض مفكري المسلمين بحركة تقدمية في الإسلام، تبغي تقرير
سلطة المستعمر وتشبيته ولايته على المسلمين من الوجهة الإسلامية بشكل مباشر أو
بإدخال نظم الإصلاح الحديثة بينهم.

الاتجاه الثاني: قيام بعض الغربيين بإبراز الخلافات المذهبية وتأكيد الفجوات والثغرات،
بين طوائف المسلمين وشعوبهم، من الوجهة الشعبوية، أو الجغرافية، أو نظام الحكم... مع شرح
مبادئ الإسلام شرحاً يشوهها وينحرف بها عن أهدافها الأصلية! بالإضافة إلى تمجيد القيم
المسيحية، والحضارة الغربية، والنظام السياسي، والسلوك الفردي للشعوب الغربية!

١. المصدر: ٤٢.

٢. تاريخ فرنسا: ٨٠-٨١.

والاتجاه الفكري الممالئ للاستعمار اتخذ صورتين:

صورة محلية، نشأت وتبلورت داخل الشعوب الإسلامية... أنشأها ونماها مفكرون من المسلمين أنفسهم.

وصورة أخرى تكوّنت في الخارج، قام بها القساوسة الغربيون، وأصحاب الدراسات السامية اللغوية والدينية التي عنيت بدراسة العهدين القديم والجديد - التوراة والإنجيل - وما يتصل بهما من فروع علمية في الجامعات الغربية.

والاتجاه الثاني قد اتخذ الاستعمار الغربي لحماية نفسه، وقام به المستشرقون من الأوربيين خير قيام من خلال ما قدموه من تأليفات حول الإسلام وشرحهم لمبادئه وتاريخه بنحو يبعث الخلافات بين المسلمين ويعمق الهوة فيما بينهم.

وينطوي عمل الدارسين للإسلام من المستشرقين على نزعتين رئيسيتين.

النزعة الأولى: تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، وتمهيد النفوس لقبول النفوذ الأوربي والرضى بولايته.

النزعة الثانية: الروح الصليبية في دراسة الإسلام، تلك النزعة التي لبست ثوب البحث العلمي.

أما مظهر النزعة الأولى فيتجلّى أولاً: في إضعاف القيم الإسلامية.

وثانياً: في تمجيد القيم الغربية المسيحية.

وإضعاف القيم الإسلامية يتم عن طريق شرح تعاليم الإسلام ومبادئه شرحاً يضعف في المسلم تمسكه بالإسلام، ويقوّي في نفسه الشكّ فيه كدين، أو على الأقل كمنهج سلوكي يتفق وطبيعة الحياة القائمة.

وكمثال على ذلك نقرأ في مجلة *The Muslim World*¹ في شرح الآية: ﴿إِلَى اللَّهِ

الْمَصِيرُ﴾، ما ترجمته:

إنّ إله الإسلام متكبر جبار مترفع عن البشرية يطلب أن يسير العابد نحوه، بينما

١. عدد أكتوبر سنة ١٩٥٥م، التي يصدرها الدكتور Crayg مدير مؤسسة Hartford للدراسات الدينية والشرقية بالولايات المتحدة الأمريكية.

إله المسيحية عطوف متواضع يتودّد للناس، فظهر في صورة بشر، وذلك هو الإله الابن! ففقيدة التثليث في المسيحية قرّبت الإنسان من الإله، وأعطته نموذجاً رفيعاً واقعياً في حياته يسعى ليقترّب منه... أما عقيدة التوحيد فباعدت بين الإنسان والإله، وجعلت الإنسان متشائماً من شدة الخوف منه، ومن جبروته وكبريائه!

وهذا مبدأ «الزكاة»... يفسّره المستشرق فيليب فونداسي على النحو الآتي:

إنّ الأموال المادّية - في نظر الإسلام - هي من أصل شيطاني نجس، ويحلّ للمسلم أن يتمتّع بهذه الأموال شريطة أن يطهرها، وذلك بإرجاع هذه الأموال إلى الله!^١

وهذا الفهم الذي ذكره صاحب هذا الكتاب لمعنى الزكاة هنا، وبالتالي لموقف الإسلام من المال على أنّه رجس، يردّده غيره من المسيحيين القائمين على الدراسات الإسلاميّة في الوقت الحاضر. ففي العدد رقم ٨٠ للسنة الثامنة والثمانين لصحيفة «The Montreal Star» بتاريخ ٥ أبريل سنة ١٩٥٦م، تحدّث أب دومينيكاني مقيم في مصر - وكان يقوم بإلقاء محاضرات عن علم الكلام الإسلامي بجامعة مونتريال - عن النظرة الإسلاميّة في الحياة فقال:

إنّ المسلمين يتجنّبون الناس الذين يشتغلون بالمال، ويعتبرونهم أقرب للكلاب منهم للبشر!

ويشرح الاستشراق المبدأ الإسلامي في الزوجيّة - وهو مبدأ «قوامة الرجل على المرأة» - بفكرة التفوق «Superiority» ويجعل منه أمانة على نظرة الإسلام إلى وضع كلّ من الرجل والمرأة في الحياة، فهو يسمو بالرجل إلى ذرى الرفعة بينما يهبط بالمرأة إلى هاوية الضعة!!

أمّا «طاعة» المرأة للرجل فتعرض على أنّها نوع من الإذلال، وسبب لفرض الرقّ والعبوديّة على نصف البشريّة...

ويفترض اللورد كرومر في كتابه مصر الحديثة: أنّ الرجل المسلم يتمسك بالإسلام أشدّ من تمسك المرأة المسلمة بالإسلام! ويعلّل هذا الافتراض - على أنّه ظاهرة في

١. انظر دراسة عن الإسلام في أفريقية السوداء، فيليب فونداسي.

الحياة الإسلامية - بأنه يرجع إلى اختلاف وضعيّة كلّ من الرجل والمرأة في الإسلام، على النحو المشار إليه من قبل.

ويشرح المستشرقون مبدأ الإسلام في «عدم قبول المسلم لولاية الأجنبي» بفكرة عدم التعاون مع الشعوب الأخرى، أو بفكرة النفرة من رياسة غير المسلم ولو كان ذا كفاية وأهليّة للرياسة والتوجيه أكثر من المسلمين أنفسهم!

أما «الجهاد»: فهو عند هؤلاء فكرة الاعتداء نفسها، أعطاهها الإسلام صيغة شرعيّة ودينيّة، كي يدفع بها المسلم لمهاجمة غير المسلم في وقت أمن فيه على نفسه وعرضه وماله! إنّها فكرة الغدر أو تشجيع العدوان. ولهذا الشرح أثر سيّء إلى أقصى حدّ في علاقة الشعوب الغربيّة بالمسلمين، وفي تصوّرهم لحياة المسلم وأهدافه في الحياة.

وهكذا يرى القوم في مبدأ «عدم زواج المسلمة بغير المسلم» فكرة العنصريّة القائمة على تمييز الشعوب بعضها على بعض، بدافع العصبية الكريهة أو بدافع الغرور، دون أن يكون هناك مبرّر واقعي أو منطقي لهذا التمييز!

وفكرة «العودة إلى القرآن الكريم»... شرحوها بأنّ معنى العودة إلى القرآن وإلى عصر الصحابة الأول - رضوان الله عليهم - هو الرجوع إلى الحياة البدائيّة التي كانت للجماعة الإسلاميّة الأولى، فهي عندهم ليست سوى جماعة بدائيّة! ثمّ تراهم ينكرون على من يقول بهذه الفكرة أن يدعو إلى الإصلاح: إذ الإصلاح في نظرهم هو التطوّر، وهو الأخذ بأساليب المدنيّة الحديثة والقوانين المعاصرة وأسلوب الحكم الحديث، فإذا طلب إنسان العودة إلى العهد البدائي والأساليب البدائيّة باسم الإصلاح، فهو إمّا مدّع للإصلاح، أو غير فاهم لمعنى الإصلاح^١.

وإنّ الحديث عن الاستشراق حديث عن خطر نفذ إلى المسلمين، ووجد أعواناً له من أرباب الفكر والقلم والعلم والسياسة في الشعوب الإسلاميّة... ويكاد يكون هو العامل الموجّه لما نسّميه بـ«الفكر الإسلامي الممالي للاستعمار الغربي»^٢.

١. انظر محمّد البهي، الفكر الإسلامي الحديث: ٥٢-٥٩.

٢. المصدر: ٦٦-٦٨.

أساليب التبشير وأدواته

وتنوعت أساليب التبشير في توصيل هذا التصوّر المشوّه للإسلام ورسوله والمسلمين، إلى أجيال المسلمين جيلاً بعد جيل منذ أن استقرّ في الشرق الإسلامي. فكانت:

- المدرسة - الكليّة - الجامعة .

- الندوة - الرياضة .

- الكتاب .

- الصحافة .

- المخيم .

- المستشفى .

- دار النشر والطباعة .

وإنّ من أشهر المؤسسات التعليميّة في الشرق العربي جامعة القديس يوسف في لبنان، وهي جامعة بابويّة كاثوليكيّة «وتعرف الآن بالجامعة اليسوعيّة» .

والجامعة الأمريكيّة ببيروت التي كانت من قبل تسمّى «الكليّة السوريّة الإنجيليّة»، ثمّ كليّة بيروت. وقد أنشئت في عام ١٨٦٥م، وهي جامعة بروتستانتية .

والكليّة الأمريكيّة بالقاهرة التي أصبحت فيما بعد «الجامعة الأمريكيّة» وقد كان القصد من إنشائها، أن تكون قريبة من المركز الإسلامي الكبير وهو

الجامع الأزهر .

وكليّة روبرت في استنبول التي أصبحت تسمّى «الجامعة الأمريكيّة» هناك .

والكليّة الفرنسيّة في لاهور، وأسست في لاهور باعتبار أنّ هذا البلد يكاد يكون

البلد الإسلامي الفريد في تكوينه في شبه القارّة الهنديّة .

ومن المنشور الذي أصدرته الجامعة الأمريكيّة في بيروت في عام ١٩٠٩م -ردّاً

على احتجاج الطلاب المسلمين لإجبارهم على الدخول يومياً إلى الكنيسة - يتّضح

من المادّة الرابعة منه طابع هذه المؤسسة وأمنالها .

كما أعلن مجلس أمناء الكلية في هذه المناسبة:

إنّ الكلية لم تؤسس للتعليم العلماني، ولا لبثّ الأخلاق الحميدة، ولكن من أولى غاياتها أن تعلّم الحقائق الكبرى التي في التوراة، وأن تكون مركزاً للنور المسيحي، وللتأثير المسيحي، وأن تخرج بذلك على الناس وتوصيهم به^١.
وكما يستخدم المبشرون دور التعليم للتبشير - بعد أن يمّوهوا بأسمائها على الرأي العام - يستخدمون كذلك الوسائل الأخرى التي أشرنا إليها، للغاية نفسها، وبالأخصّ الصحافة. فكتاب التبشير والاستعمار يذكر نقلاً عن مصادر التبشير ما يلي:
يعلن المبشرون أنّهم استغلّوا الصحافة المصرية على الأخصّ للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر ممّا استطاعوا في أيّ بلد إسلامي آخر، لقد شهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف المصرية، إمّا أجورة في أكثر الأحيان أو بلا أجر في أحوال نادرة^٢.
والمبشرون يسيرون في تحقيق هدفهم وفق خطط معينة مدروسة يجتمعون من أجلها بين الحين والحين. ولذلك نرى أنّهم عقدوا عدّة مؤتمرات لهذه الغاية.

مؤتمر القاهرة في عام ١٩٠٦ م.

مؤتمر بيروت في عام ١٩١١ م.

مؤتمر القدس في عام ١٩٢٤ م.

مؤتمر القدس في عام ١٩٣٥ م.

وفي كلّ مؤتمر من هذه المؤتمرات تدرس المشروعات وتوضع الخطط ثمّ يجري تنفيذها في سرّيّة تامّة وبهيمّة دائبة.

اهتمامات استشراقية وتبشيرية خطيرة

أ: الدعوة إلى أنّ القرآن كتاب مسيحي يهودي نسخه محمّد.

وأنّ الإسلام دين مادي لا روحية فيه، يدعو إلى الدنيا وليس إلى صفاء النفوس والمحبة.

١. التبشير والاستعمار: ١٠٥-١٠٦.

٢. المصدر: ٢١٣.

وأَنه يميل إلى الاعتداء والاعتيال ويحرض أتباعه على القسوة على غير المسلمين عامّة.

كما أَنه يدعو إلى الحيوانيّة والاستغراق في الملذّات الدنيا.

ب: الدعوة إلى أَن الفلسفة العربيّة فكر يوناني، كُتِب بأحرف عربيّة.

وَأَن اللغة العربيّة الفصحى لم تعد صالحة اليوم، وبدلاً منها يجب أن تستخدم العاميّة واللهجات الدارجة، كما يجب أن تستخدم الحروف اللاتينيّة عوضاً عن الأحرف العربيّة.

ج: الدعوة إلى إحياء الفرعونيّة في مصر؛ والآشوريّة في العراق؛ والبربريّة في شمال أفريقيّة؛ والفينيقيّة على ساحل فلسطين ولبنان.

وإلى تفضيل الفارسيّة - كلغة آريّة - على العربيّة كلغة ساميّة.

وإلى أَن الذي حمل أمارات الحياة الأدبيّة الجديدة في الشرق العربي في نهاية القرن التاسع عشر، وكذا في الشرق الإسلامي - وحمل مظاهر الحضارة عامّة - هم نصارى لبنان الذين تعلّموا واستوحوا من جهود المبشرين الأمريكيين في سوريا.

وإلى أَن البربر وحدهم هم أصحاب المدنيّة في شمال أفريقيّة والأندلس.

د: الدعوة إلى: التنفير من حياة المسلمين الحاضرة؛ لأنّها حياة بدائيّة ذليلة؛ وأنّ السبب في ذلك هو تعاليم الإسلام والتمسك بها.

والتبشير والاستشراق في ذلك سواء، والفرق بينهما هو أنّ الاستشراق أخذ صورة «البحث» وادّعى لنفسه «الطابع العلمي الأكاديمي» بينما بقيت دعوة التبشير في حدود مظاهر «العقليّة العامّة» وهي العقليّة الشعبيّة.

استخدم الاستشراق: الكتاب. والمقال في المجالات العلميّة، وكُرّس التدريس في الجامعة، والمناقشة في المؤتمرات «العلميّة» العامّة.

أمّا التبشير فقد سلك طريق التعليم المدرسي في دور الحضانة ورياض الأطفال والمراحل الابتدائيّة والثانويّة للذكور والإناث على السواء. كما سلك سبيل العمل «الخيري» الظاهري في المستشفيات، ودور الضيافة والملاجئ للكبار،

ودور اليتامى واللقطاء . ولم يقصر التبشير في استخدام «النشر والطباعة» وعمل «الصحافة» في الوصول إلى غايته .

إنّ البلاد العربيّة والإسلاميّة في يقظتها الحاليّة تتعثر في خطاها نحو التماسك الداخلي، ونحو تقوية العلاقات بينها، بسبب الرواسب التي تخلّفت عن التبشير والاستشراق، وبسبب آخر له وزنه وأثره في هذا التعثر وهو ضعف المواجهة التي يلقاها في البلاد الإسلاميّة هذان العاملان القويان في تركيز الاستعمار، واختلاف وتشتّت القوى الوطنيّة في كلّ بلد عربي وإسلامي .

والمؤسسات الإسلاميّة - على تعدّدها وتنوعها - لم تعرف تماماً حتّى الآن وضعيّة التبشير والاستشراق في توجيه الشعوب العربيّة والإسلاميّة، حتّى تحاول أن تلقاها، فضلاً عن أن يكون لقاؤها إيّاها قويّاً أو ضعيفاً^١ .

وبعد هذه الجولة السريعة في حقل الاستشراق والتبشير نقف على جانب من عمق المأساة التي كانت تعيشها أمتنا الإسلاميّة، والتي كان النابهون من العلماء يدركون عمقها ومستواها، ومن هنا بادروا إلى مواجهتها بنحوٍ علميٍّ وثيق . ويأتي نشاط العلامّة البلاغي التاليفي في كتابه الرحلة المدرسيّة، والهدى إلى دين المصطفى^٢ كردّ حاسم ومؤثر لصدّ الهجوم الاستشراقي التبشيري الذي أطلّعنا على شيء من معالمه وأبعاده وأعماقه في بلاد المسلمين .

١. محمّد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: ٥١٩ - ٥٢١.

٢. ولا تغفل عن سائر كتبه ولا سيّما آلاء الرحمن في تفسير القرآن المتضمّن للردّ على كثير من شبهات وأراجيف المستشرقين التبشيريّين .

الفصل الثاني الدولة العثمانية والماسونية في عصر البلاغي

الجذور التاريخية لتسرّب الماسونية إلى البلاد الإسلامية

أصيب البلاط العثماني والدوائر الحاكمة في الدولة بفساد شديد خلال الفترة الواقعة بين وفاة سليمان القانوني وتوليّ سليم الثالث إذ حكم فيها سبعة عشر سلطاناً، منهم صغار قصر العمر، ومنهم من كان معتوهاً. وكم من سلطان عزل بمهانة وتحقير. هذا سوى الإسراف من بعضهم في قتل الأبرياء أو الاشتغال بالقنص والشراب والنساء والسطو على مالية الدولة والارتشاء وبيع المناصب أو استقرار الحكم بيد سيّدات البلاط. وتولّى المناصب العليا من لا تجربة له، وقد أصبح القضاء يسير بالرشوة لا بالعدل.

أضف إلى ذلك الحروب الطويلة المتتالية التي خاضها العثمانيون في البلقان وضدّ إيران حيث كلّفت الدولة الخسائر الكبيرة في الأرواح.

والانكشارية كانت تشكّل قوّة ضاربة في الجيش العثماني لها مكانة كبرى بحيث جعلتها تطالب كلّ سلطان جديد بمبلغ من المال وحين يمتنع عن دفعه تثار ضدّه الفتن. وفقد الانكشاريون معنوياتهم بسبب ضعف التدريب وعتاد الحرب، وبذلك أصبح الانكشارية أشدّ عناصر الفساد في المدن حين أصبحوا عناصر فوضى وابتزاز للأموال. وفي مجال الأرض والضرائب لجأت الدولة إلى نظام عقيم عرف باسم «الالتزام» أي أن يلتزم رأسمالي من رجال الدولة دفع الضريبة السنوية عن مساحة من الأرض

يتولّى هو من بعد ذلك جمع الأموال من أهلها، وبالتالي يعتصر الملتزم الفلاح وأرضه، بل أصبحت الولاية بأسرها تعطى التزاماً للوالي في مقابل مبلغ يدفعه للسلطان، وظهر الدريبات أي أصحاب الوديان الواسعة التي يعاملونها وكأنّها ملك خاصّ لأسرهم. وحيث إنّ الدولة العثمانية كانت قد تركت الخدمات الاقتصادية والاجتماعية لأهل البلاد أنفسهم، وأنّ هؤلاء لم يقوموا بهذه الخدمات، فقد تدهور التعليم والمؤسسات الدينية والثقافية، وطفى العربان على الأراضي الزراعية، وهوى تعداد السكّان في المدن بسبب الأوبئة.

ثمّ إنّ الامبراطورية العثمانية حافظت على تكتلاتها الداخلية العنصرية بينما كانت أوروبا تسير بسرعة نحو الدولة القومية المركزية المتجانسة. ولم يعد هذا التركيب ولا أسلوب الحكم العثماني ولا أسلوب الحياة اليومية قادراً على الوقوف أمام الخصوم الأوربيين.

والذي ساعد على نموّ العصبية الحاكمة في طول البلاد وعرضها سياسة الباب العالي (المليّة) والعصبية التي كانت تضع كلّ ملة أو عصبية تحت حكم زعيم لها يكون هو المسؤول عنها أمام السلطات العثمانية، الأمر الذي حفظ للقوميات قوميتها وطابعها، ولم يتبع الأتراك سياسة «التتريك» أو هضم القوميات، ولهذا ظلّت الأسس القومية سليمة لدى العناصر التي حكمها الأتراك. وعندما تطلّعت هذه القوميات إلى الاستقلال عن الدولة العثمانية وجدت في قوميتها صلابة كافية للصدود أمام القوات العثمانية. وكان أبرز مظاهر هذا الضعف تولّي الأسرات المتنفّذة الحكم في الولايات وظهور حكم العصبية في طول البلاد وعرضها، خاصة في البلاد العربية^١.

١. آل جنبلاط في حلب، آل العظم في دمشق وطرابلس وحلب وصيدا، آل معن وآل شهاب في لبنان، ظاهر العمر في فلسطين، أحمد باشا الجزار في عكا، الأشراف في الحجاز، آل سعود في قلب الجزيرة، الأئمة الزيدية في اليمن، اليعاربة ثمّ أبو سعيد في مسقط وعمان، آل افراسياب في البصرة، الماليك في العراق، الإمارات الكردية المتعدّدة في شمال العراق، الماليك في مصر، الأسرة القرمنلية في طرابلس الغرب، البايات في تونس، الدايات في الجزائر.

فالحكومة العثمانية قد فقدت سيطرتها المباشرة على هذه الولايات، وأصبحت هذه الولايات مصدر متاعب كثيرة للسلطان ولبابه العالي لتوالي تمرداتها من وقت لآخر ضد السلطان بغية الامتناع عن تأدية التزاماتها نحو السلطنة العثمانية، والاكتفاء فقط بالتبعية الاسمية.

وبينما كانت الدول الكبرى تنزل الهزيمة بالدولة العثمانية سنة بعد أخرى، كانت الثورات الداخلية لا تهدأ، وكان الفساد يزداد سوءاً في الداخل.

تسرّب الحضارة الغربية إلى العالم الإسلامي

وقد حاولت الدولة العثمانية تجديد شبابها بالاقتراس من الغرب مما جعل الحضارة الغربية تتسرّب إليها بشكل بطيء.

فالثورة الفرنسية التي أملت على أوروبا اتجاهات جديدة قد أثرت على سليم الثالث بلا ريب، ولكن ضرورات داخلية أقوى من تأثير الثورة الفرنسية كانت تتطلب الإصلاح بلا ريب.

فعلى يد سليم الثالث كثرت البعثات التركبية إلى أوروبا وشجع سليم الثالث التعليم وخاصة العسكري منه، وتحدث عن رغبته في إلغاء نظام الالتزام، ودعا إلى إنشاء (مجلس مشورة) من كبار الموظفين، وفعلاً عقد مجلساً من هذا النوع، وطلب من كبار موظفيه أن يكتبوا آثارهم فيما يجب أن يجري من إصلاحات لإنقاذ الدولة من تخلفها عن ركب الحضارة، وخاصة من حيث إنشاء جيش جديد قادر على دفع العدوان عن الدولة الإسلامية العامة.

كان سليم يدرك أنّ الانكشارية لم يعودوا قادرين على التطور وأنّ النظام الجديد يجب أن ينشأ بعيداً عنهم، ومن هنا شرع في وضع النظام الجديد على أسس أوربية. ولكنّ الانكشارية أدركت أنّ حتفها في تفوق هذا النظام الجديد. فثارت على السلطان وقتلته في (١٨٠٨م)، ونجا محمود الثاني - الذي اعتلى العرش في ١٨٠٨م - من مصير سلفه سليم الثالث؛ لأنّه اختبأ فوق سطح القصر.

كان محمود الثاني يضرر الإصلاح، وكان يبحث عن وسيلة تمكنه من القيام به دون أن يشير أعداء الإصلاح، ولذلك كان يلتمس طريقه ببطء. بل كان يهدف أولاً إلى توطيد سلطته في داخل البلاد لكي يفرض خطته الإصلاحية فرضاً، وحين عزم على تحقيق هذا الهدف واجه أزمات في منتهى التعقيد والخطورة، يمكن أن نحدد الرئيسي منها على النحو التالي:

- ١ - الغزوة الإنجليزية لمصر في ١٨٠٧م والفوضى التي حدثت في مصر خلالها وبعدها حتى عقد الصلح مع بريطانيا في ١٨٠٩م.
- ٢ - انتصارات الموحدين بقيادة آل سعود وسيطرتهم على البلاد من حدود العراق حتى الحجاز.
- ٣ - القلاقل المزمنة في البلقان.
- ٤ - الضغط الروسي الذي كان أشبه بحرب متصلة.
- ٥ - الضغط الإيراني على العراق الذي كان هو الآخر أشبه بحرب متصلة في تلك النواحي.

وفوق هذا وذاك كانت التطورات العالمية الكبرى الناجمة عن سياسات نابليون التوسعية وردود فعلها تثير المتاعب المتواصلة للدولة العثمانية بطريقة أو بأخرى. فخلال الفترة الأخيرة من الحروب النابليونية اشتبكت الدولة العثمانية مع روسيا في حرب طويلة استمرت من ١٨١٠ إلى ١٨١٢م، وبعد سقوط نابليون نشطت روسيا في إثارة القلاقل والثورات في البلقان، وتخللت الثورة اليونانية حرب عثمانية - روسية، انتهت بمعاهدة مذلة في ١٨٢٩م.

وكانت الجبهة الشرقية لا تقل سوءاً عن الجبهة الغربية، فقد كانت إيران تشدد الضغط على العراق حتى وقعت حرب كبيرة بين الدولتين في ١٨٢١م وعقدت معاهدة أرضروم الأولى في ١٨٢٣م.

وكانت حركة الموحدين أقوى من أن يخمدها السلطان وحده ولذلك كلف والي مصر بإخضاعها (١٨١١ - ١٨١٨م) ولن يلبث طويلاً حتى وقع الصدام الكبير بين السلطان

محمود الثاني ومحمد علي - والي مصر - حول مستقبل الشام ١٨٣١ - ١٨٤٠ م.
رغم كل هذه الأخطار سار السلطان محمود الثاني في طريق التغيير الجذري لنظم
الدولة العثمانية على أساس:

— الاقتباس من نظم الغرب Westernization .

— وتقوية قبضة الحكومة المركزية على مختلف أجزاء الولايات .

— مع اجتثاث المفاصد من جذورها إن أمكن .

إن قيمة عهد محمود الثاني وإصلاحاته كانت تكمن في أنه فتح باب الإصلاح
وأصبح من المستحيل أن يغلق بعده .

وبعد السلطان محمود الثاني وقفت الدول الأوروبية إلى جانب السلطان الجديد
عبدالمجيد الأول ووزيره النشيط رشيد باشا الذي كان يرى أن إنقاذ تركيا أصبح في
يد الدول الكبرى، ومن هنا ارتبط ارتباطاً وثيقاً بها، وخاصة بريطانيا التي كانت ترى
في تركيا القوة القادرة على منع أي من روسيا أو مصر من التفوق في الشرق الأوسط،
رغم أن مصر أكدت لبريطانيا أكثر من مرة أنها كفيلاً بروسيا إلا أن بريطانيا كانت تدبر
الانفراد بالمنطقة إن أمكن .

فقد حذر السياسي النمساوي الكبير « مترنخ » العثمانيين من الخطر الكامن وراء
استعارة أساليب الحضارة الأوروبية المتعارضة مع الحضارة الإسلامية العثمانية .

وهناك من الأوروبيين من تحمس جداً للإصلاح الجديد، مثل السفير البريطاني
استراتفورد كاننج S. Caning الذي كان صاحب كلمة مسموعة في الباب العالي .

وكانت وجهة نظر الإنجليز هي أن الإصلاح على الطراز الأوربي هو وسيلة الدولة
العثمانية للصدور أمام الخطر الروسي .

ومن ناحية أخرى كانت حركة الإصلاح الجديدة العثمانية تبدو مرتبطة ببريطانيا
برباط خاص، ورضيت عنها بريطانيا لأنها لم تمس المصالح البريطانية في الدولة .

واستغلت الدول الأوروبية هذه التنظيمات والإصلاحات لجعلها تخدم أغراضها لا
أغراض الدولة منها . فقد سعت فرنسا إلى حماية الكاثوليك في الدولة العثمانية، كما

سعت روسيا إلى حماية الأوثودكس، وسعى مبشرو بريطانيا وأمريكا إلى تحويل مسيحيي الكنائس الشرقية إلى الكنيسة البروتستنتية.

كانت إجراءات الحكومة العثمانية قد أثبتت عجزها عن مواجهة حركات التمرد، وفقدت مكائنها بسبب عجزها عن دفع ديونها، وأسرع عدد من المصلحين - وعلى رأسهم مدحت باشا - إلى التحرك ضد السلطان عبد العزيز - الذي أغرق البلاد في فوضى عارمة من الإسراف والسياسات الخرقاء - وعزلوه ورفعوا السلطان مراد الخامس إلى العرش ليغزل بعد قليل؛ لأنه كان معتوهاً وخلفه السلطان عبد الحميد الثاني، في أغسطس - آب ١٨٧٦م على أساس إصدار دستور للبلاد. وفعلاً صدر أول دستور عثماني في ذلك العام. وبهذا تبدأ أهم فترة من التاريخ العثماني الأخير.

تولّى السلطان عبد الحميد العرش وهو في الرابعة والثلاثين من عمره.

كان ذكياً، وكان كثير العمل، ولكن كانت الفترة السابقة على توليه العرش خليطاً من الحياة التعسة في القصور، والزيارة الرائعة لأوروبا.

وكان شديد الخوف حذراً من كل إنسان. وهو لم يكن محبباً للحكم الدستوري، وإنما كان معادياً له. ومع هذا وجد نفسه يأتي إلى العرش كأول سلطان دستوري في تاريخ الدولة العثمانية، ولهذا كان ينتظر الظروف التي تمكنه من التخلص من هذا الدستور ومن صاحبه مدحت باشا.

وكانت الظروف تعطي الفرصة الكبيرة للسلطان عبد الحميد الثاني ليتخلص من الدستور. وكانت هنالك دعوات صادقة متتالية تهيب بالسلطان العثماني أن يتحرك ويحرك معه الجماهير لإنقاذ الإسلام والمسلمين، كان أحمد عرابي يطالب السلطان بذلك، ولم يكن أحمد عرابي يدري أن السلطان كان يكرهه ويكره ثورته؛ لأنها كانت ثورة دستورية ترفع الشعب المصري إلى مستوى الحكم والإدارة. ومع هذا دعا مصطفى كامل السلطان العثماني إلى العمل الجماعي الإسلامي لإنقاذ نفسه وإنقاذ مصر والمسلمين أجمعين من الاستعمار.

وكان هناك جمال الدين الحسيني المعروف بالأفغاني الفيلسوف الذي لا وطن له إلا

حيث الجهاد ضد الاستبداد والعمل على تجميع الناس تحت لواء الإسلام - في إطار جامعة إسلامية - ضد قوى الشرّ المحليّة والخارجيّة على السواء، ولكن هل كان السلطان عبد الحميد جديراً بالقيام بهذه المهمّة الضخمة؟

لقد استهوتته الجامعة الإسلاميّة التي كانت دعوة السيّد جمال الدين الحسيني إليها، ولكن السيّد جمال الدين كان يدعو إلى الدستور وإلى القضاء على الحكّام المستبدّين أيضاً. فلماذا لا يفيد عبد الحميد من هذه الدعوة دون أن يأخذ بالشطر الدستوري منها؟ وفعلاً سار على هذا الأساس.

طبع عبد الحميد ملايين النسخ من القرآن الكريم، وأخذ يوزّعها، ودعا إلى الزهد، وردّها آلاف من رجال الدين، ودعا إلى نبذ الخلافات، فأصبح في أعين الشعب المنقذ الجديد، وأذاع على العالم الإسلامي مشروعه بمدّ خطّ حديدي إلى مكّة المكرّمة فجاءت التبرّعات الماليّة من كلّ جهة إسلاميّة.

ولكنّ اعتماد السلطان على سياسة استبداديّة قاسية، وعلى ألوف الجواسيس، مع تحفّز الدول الأوربيّة للانقضاض على الدولة من وقت لآخر، جعل عدداً من المفكرين الأتراك - من ذوي التعليم الحديث الغربي - يعملون على إحداث تغيير جوهري في البلاد لإنقاذها من مصير مظلم، وكانت الفكرتان الدستوريّة والقوميّة تؤثّران بشدّة على مثقفي ذلك الوقت من الأتراك.

وبسبب ذلك التطرّف في الاستبداد والتضييق على الحرّيّات تكوّنت الجمعيات السريّة لقلب نظام حكمه. فظهرت جمعيّة «تركيا الفتاة» وجمعيّة «الاتحاد والترقي». وفي فرنسا كان أحمد رضا ينتقد السلطان عبد الحميد بشدّة في صحيفته مشورت التي كانت بعض أعدادها تعرف طريقها إلى داخل العاصمة التركيّة نفسها.

وكانت جمعيّة الاتحاد والترقي قد حدّدت أهدافها بما يلي:

١ - إعادة دستور مدحت باشا.

٢ - تجميع قوى الثورة ضدّ السلطان.

٣ - إثارة السخط ضدّ السلطان في داخل البلاد وخارجها.

رَكَزَ زعماءُ جمعِيَّةِ الاتِّحادِ والترقيِّ على كسبِ قياداتٍ عسكريَّةٍ قويَّةٍ إلى جانبهم، وكان السلطان عبد الحميد يخشى جيشه فعلاً، وجرَّد قطع الأسطول الراسية في المضائق من الذخائر. وكانت الجاسوسية أساس الترقية في الجيش، وهذا كان يسيء ضباط الجيش، خاصَّةً وأنَّ هؤلاء الضباط الذين كانوا يعملون في البلقان كانوا محتكِّين بالجيوش الأجنبيَّة ويقارنون بين أحوالهم وأحوال زملائهم في البلاد الأخرى. وكانت حالة الضابط التركي مزرية إذا قورنت بحالة الضابط الأوربي، وكان الجندي جاهلاً لدرجات وضيعة للغاية، ولكنَّه كان معجباً بسلطانه محبباً له.

واستطاعت جمعِيَّةُ الاتِّحادِ والترقيِّ أن تكسب قواد الجيش الثالث المرابط في مقدونيا إلى جانبها، وبه قام الانقلاب الكبير ضدَّ عبد الحميد الثاني، في وقت كان التذمُّرُ ضدَّ استبداد عبد الحميد قد أصبح منتشرًا والأزمة الاقتصادية قد ألحَّت على الناس أن يعيدوا النظر في أسلوب الحكم الذي يجب أن يعيشوا في ظلِّه.

وعندما نجح الانقلاب قوبل بترحيب كبير في مختلف دوائر المثقِّفين في الدولة العثمانية، وتنادى البلغار واليونان والصرب واليهود والعرب فخوريين بالحرية وبأنَّ عهداً من الأخوة قد بزغ.

ولكنَّ التطوُّرات التي وقعت بعد ذلك أدت إلى نتائج قلبت التوقُّعات رأساً على عقب. فقد تحوَّل رجال جمعِيَّةِ الاتِّحادِ والترقيِّ إلى قوميين أتراك سعوا إلى تتريك البلاد العربية، فأصبحوا وجهاً لوجه مع الحركة العربية الناشئة، وبدأت هذه الحدة في العلاقات العربية التركية بعد فشل عبد الحميد الثاني في انقلابه المضادَّ سنة (١٩٠٩م)؛ إذ اتَّهم الأتراك العرب بأنَّهم هم الذين أيَّدوا السلطان في محاولته هذه. وظهرت جمعيات «طورانية» تواجهها جمعيات عربية صرفة كـ«القحطانية» وعندما حكمت جمعِيَّةُ الاتِّحادِ والترقيِّ أخذ العرب جانب الحزب الجديد المناهض لها وهو حزب الحرية والائتلاف.

وعندما أدركت الحركة التركية القومية أنَّ القوى العربية أقوى من أن يقضى عليها عملت على مهادنتها، وتمثَّل ذلك في قبول الأتراك لقرارات المؤتمر العربي الأوَّل في

باريس ١٩١٣ م. وكان ذلك جزءاً من محاولة تنازل تركية لتصفية المشاكل التي كانت الدولة العثمانية قد عانت منها لمدة طويلة.

أما التسويات الأخرى فهي:

١ - الاتفاق مع الإنجليز والألمان على طريقة مدّ خطّ حديد بغداد بشكل يحفظ للطرفين مصالحهما.

٢ - الاعتراف بالاستعمار الإيطالي لليبيا والإنجليزي في عدن والمحميات والخليج الفارسي.

وحاولت تركيا أن تقف في وجه الخطر البلقاني المتزايد، ولكنها فشلت أمام التحالف البلغاري الصربي اليوناني (١٩١٢ م)، غير أنها استطاعت أن تستردّ أدرنة بعد تحوّل الحلفاء البلقانيين إلى أعداء (١٩١٣ م).

وخلال هذه التحوّلات كان رجال جمعية الاتحاد والترقي يتجهون يوماً بعد يوم إلى التحالف مع ألمانيا ضدّ روسيا وفرنسا وبريطانيا لعلهم يستردّون بهذا التحالف ما سبق أن استولت عليه هذه الدول من الدولة العثمانية.

وفعلاً عقد التحالف التركي الألماني قبيل نشوب الحرب الأوربية ولم تلبث أن اشتركت فيها الدولة العثمانية فكان أن قضي عليها في هذه الحرب لتظهر من بعد ذلك تركيا الحديثة على يد مصطفى كمال أتاتورك، الذي أسّس الجمهورية التركية وألغى الخلافة الإسلامية والكتابة بالحرف العربي وأحلّ محلّه الحرف اللاتيني^١.

تقييم وضع الدولة العثمانية

انتشر الإسلام في الشرق في أقصر عصر، انطلاقاً من شبه الجزيرة العربية إلى الشام والعراق ومصر وفارس والهند وتركيا بدافع ديني يقوم على المساواة والترابط الاجتماعي، وانتشار الآداب واللسان العربي والأخلاق الفاضلة مثل الصدق والوفاء بالعهد والعدل والحرية والمساواة وإغاثة الملهوف والكرم والشجاعة. لذلك سقطت

١. انظر الدكتور عبد العزيز سليمان نوّار، التاريخ الحديث للشعوب الإسلامية: ٢٠٠ - ٢١٠.

العروش، وتحولت مصر الرومانية إلى إسلامية عربية، وكذلك سوريا والعراق. كانت الفضائل وسيلة التعرّب وكذلك الآداب. فقد كان العرب الأوائل، حتّى قبل الإسلام، يقدّرون آداب الغير، ويحلّون بها لسانهم مثل كسرى أنوشروان. وظهر من بينهم الحكيم الطبيب مثل «الحرث بن كلدة» يماثل حكماء الفرس. وكان للشاعر في قبيلته المكان الأوّل. وإذا ما استعمرت أقوام وحافظت على لسانها فإنّ ذلك يكون أحد أسباب تحزّرها.

أما الفتح التركي فقد كان عسكرياً وليس ثقافياً. توغّل الأتراك في كبد أوربا حتّى قيينا، واستولوا على بلغاريا والصرب والجبل الأسود، ولكنهم لم يتركوا آثاراً كما ترك العرب في مصر والشام والعراق والأندلس.

أخذ الأتراك الإسلام الشعائري العقائدي البدوي، ولم يتركوا وراءهم الإسلام الحضاري للناس وللشعوب المفتوحة. وانغمسوا في السفه والترف والبذخ والإسراف. وكلّها عوامل اضمحلال وانقراض وزوال للعرمان. الأتراك مسلمون كالعرب ولكن شكلاً دون مضمون.

ويستشهد الأفغاني بآية «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى»^١ ويفسّر السعي بأنّه ترك الآثار. وهو سبيل النجاح.

لقد أثر العرب في الشعوب بإعطائهم أفضل ما لديهم، اللغة والعلم، وانتشر الإسلام باللغة والحاضرة في كلّ الأرض القديمة بآداب الدين وليس بالجزية، ونشر قيم المساواة وحفظ كيان المجموع بحرّيّة دون إكراه مع الإبقاء على التعدّدية اللسانية والفكرية والاجتماعية. وسبب ذلك أخلاق العرب، واستحسان الأمم أخلاق الوافدين، والإعجاب بلسانهم.

وانتشار اللسان العربي ليس بسبب الفتح بل بسبب الآداب العربية، والحكم والأمثال والمواعظ. وقد ساهم فيها البدو والحضر. ولكنّ العربية وسّعها البدو في البراري والقفار وضيّقها الحضر في المدن والأمصار. وكان التحوّل من البدو إلى الحضر

خسارة للغة وانتقال لها من الطبيعة إلى الصنعة، ومن الحرّية والإبداع إلى التزمّت والتقليد، لا فرق في ذلك بين الأفغاني وروسو. لذلك لزمّت التربية الوطنيّة للشرقيين بعد أن حظر الغرب إدخال الأسلحة والتعليم إليها أي القوّة والعلم لإبقائهم تحت الوصاية وإبعادهم عن الوطن والعمل له.

فحياة الشرقيين بالعلم الصحيح موت لحكم الغرب فيهم، وفكّ الحجر عنهم. وهكذا يدرس الأفغاني المسألة الشرقيّة كفيلسوف سياسة وفيلسوف تاريخ نظراً لارتباط فلسفة السياسة بفلسفة التاريخ: «السياسة محرّك التاريخ، والتاريخ مجال النشاط السياسي».

ويقصد بها الخلافة العثمانيّة وضعفها وتفكّكها وطريقة فتوحاتها للبلقان وشرق أوروبا وحال ولاياتها مثل مصر. وجوهرها الصراع بين الغرب والشرق، واستعمال الدين لصالح كلّ منها.

يتذرّع الغرب بالنصرايّة والشرق بالإسلام، وأهل كلّ دين صامت خامل لا يتحرّك. يسخرّ قادة النصرايّة الدين من أجل الدنيا، ويحسنون أمور حياتهم، ويسخرّ قادة الإسلام الدنيا من أجل الدين ولا يعملون بأحكامه ففسروا الدين والدنيا معاً.

في الغرب الدين وسيلة والدنيا غاية. وفي الشرق الدين غاية والدنيا وسيلة. لقد وُلد فتح محمد الفاتح القسطنطينيّة حقّد الملوك المسيحيّين ضدّ المسلمين، وأخذوا في الكيد لهم، وناصبوا الدولة العثمانيّة العداة والعمل على اضمحلالها وسلب فتوحاتها منها. ويتحمّل العثمانيون جزءاً من المسؤوليّة لأنّ استمرار الحروب والتغلّب والانتصار فيها لا يكون إلّا بالقوّة والعلم وليس بالقوّة وحدها.

ولو أنّ الدولة العثمانيّة راقبت حركات الغرب وجارته في مدنيّته وحضارته وعمرانه، وزاوجت الفتوحات الماديّة بالقوّة العلميّة كما فعلت اليابان لما كانت هناك مسألة شرقيّة، ولما ظهر هذا التباين بين قوّة وجهل عند العثمانيّين، وقوّة وعلم عند الغربيّين، ولما انهزمت حكومة الجهل على يد حكومة العلم. ويهزم الغرب المسلمين بالعلم مصدر القوّة. وينهزم المسلمون أمام الغربيّين بالجهل مصدر الضعف.

إذن ليس الدين وحده سبب المسألة الشرقيّة. فقد فتح آل عثمان الممالك، وبقي أهلها نصارى وأشدّ تمسكاً بالنصرانيّة. فتحوا البلاد ولم ينشروا الإسلام ولا لغته، ولا عملوا بأدابه وتعاليمه.

وقد انتصر الأتراك أولاً على الأوربيين بالعلم الإسلامي، وقد كان الأوربيون أولاً جاهلين به. وجمعوا بين القوّة والعلم كما يفعل الأوربيون الآن.

وجمع السلاطين بين القوّة والعدل. وظلّ النصارى في طاعتهم طالما كانوا يجمعون بين القوّة والعلم في الحكم، والضعف والجهل في المحكوم. ثمّ انعكس الأمر فتحول الحاكم إلى محكوم، والمحكوم إلى حاكم بنفس القانون، «وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوُهَا يَبِينُ النَّاسُ»^١، وهو قانون ثابت، «وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا»^٢، «وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا»^٣.

إنّ الدولة العثمانية لم تكن تحسن الاستعمار. وكانت سدّاً تمنع الشعوب من التقدّم والرفق^٤.

إنّ شعوب البلقان أمم وممالك، لها تاريخ ودين ولسان وعادات وأخلاق، كانت على طرفي نقيض مع العثمانيين. ولم يوحدّها العثمانيون ديناً أو لساناً أو ثقافة كما يفعل المبشرون. وقد بدأوا باللسان التركي لتعميمه دون الدين، فكان لغة المستعمرين. وتحزّرت شعوب البلقان طبقاً لسنة الكون على عكس فتوحات المسلمين الأوائل في مصر والشام. ولو أنّ الأتراك نشروا اللسان العربي والدين الإسلامي لاستمرت البلقان تحت حكم العثمانيين.

وبدلاً من تعريب الترك بدأ العثمانيون في فترة لاحقة بتتريك العرب، فبدأ النفور بين العرب والأتراك. ولم يقبل العثمانيون فكرة السلطان الفاتح والسلطان سليم بتعميم اللسان العربي.

١. آل عمران (٣): ١٤٠.

٢. الأحزاب (٣٣): ٦٢.

٣. فاطر (٣٥): ٤٣.

٤. انظر المسألة الشرقيّة: ٢٢٨-٢٤٣.

وقد توَعَّل العثمانيون في أوروبا والبلقان، وجعلوا القسطنطينية عاصمةً لهم، مع أنَّ المدينة المستعمرة لا تكون عاصمة للملك لأنَّها قابلة للاسترداد.

بينما كانت دمشق وبغداد عواصم وسط المحيط العربي وليست على الأطراف. وأنَّ فتح الأتراك القسطنطينية أمر عظيم بعد أن فشل فيه يزيد وخالد وأبو أيوب الأنصاري والعباسيون واكتفى الرشيد بالجزية.

كان فتح البلقان إذن مظهر ضعف في الدولة العثمانية نظراً للقلقل والفتن وإعداد الجيوش لسفك الدماء. لذلك لم يكن البقاء في البلقان مضموناً، وكان استقلالها متوقَّعاً للعقلاء. كما توقَّعه عالي باشا الصدر الأعظم بعد أن رأى مخاسر تركيا. ولكنَّ الدولة العثمانية لم تأخذ برأيه، وهو جعل الخلافة في بغداد وسط الأمة.

ولو عمَّر الأتراك الأرض، وعدلوا في أهلها لكانوا أكثر بقاءً، غير أنَّهم لم يحسنوا إلاَّ الحرب، ولم يقبلوا اللسان العربي، لسان الدين والأدب، والذي دخل اللسان التركي فأغناه. ولو خلا اللسان التركي من الكلمات العربية والفارسية لكان من أفقر لغات الأرض، ولعجز عن التعبير عن حاجات الأمة البدوية، ولما كان للأتراك شعر ونثر وبيان. فكيف يعقل تترك العرب، وقد تبرَّك العجم بالاستعراب، وأصبح اللسان العربي لغير المسلمين لساناً؟

لقد خاطب السيد جمال الدين الحسيني السلطان عبد الحميد في الأمر ولكنَّ السلطان لم يكن جيِّد الإصغاء. وكان لا يرى فضل اللسان العربي كما كان يرى سليم ذلك أمراً صائباً. وكان لا يريد الاعتراف بأنَّ توَعَّلهم في أوروبا وفتح شبه جزيرة البلقان كان خطأً.

لم يحتلَّ المسلمون العرب مصر وفارس والشام، بل فتحوها في حين احتلَّ الأتراك العثمانيون شبه جزيرة البلقان ولم يفتحوها.

لقد ساءت الأمور، بعد أن كانت الدولة العثمانية في عنفوان قوتها وأوج عزَّتها. أصبح الأمر الآن للقوة وحدها. ينتصر القوي على الضعيف. ولم يعد في إمكان السلطان عبد الحميد ما كان يفعله السلطان الفاتح أو السلطان سليم أو السلطان سليمان.

وقد حادث السيّد جمال الدين الحسيني السلطان عبد الحميد في تصوّراته عن الإصلاح، ورفض تدوينها حتّى يظلّ الأمر سرّاً لا يطلع عليه أحد، وجوهرها كان تحويل الممالك إلى خديويّات وليس إلى مجرّد ولايات يُرسل إليها الولاة من الآستانة - مثل باكير باشا ومحمّد علي باشا - لجمع الأموال من غير حقّ وإرسالها إلى الآستانة، وتوزيعها على رجال الدولة. إنّ نظام الولايات ليس خيراً لها بل هو خير للسلطنة.

أمّا نظام الخديويّات فهو خير للولايات وهو حفاظ على السلطنة كما فعل الإنجليز في الاستيلاء على الولايات باسم السلطنة وحفاظاً عليها.

كان جمال الدين من أنصار اللامركزيّة وإعطاء الاستقلال الذاتي للولايات. ولكنّ السلطان كان يخشى من أن يتحوّل الاستقلال الذاتي إلى استقلال كامل وبالتالي تتفتّت الدولة العثمانيّة، وتضيع الخلافة.

إنّ السلطنة العثمانيّة كانت تتألّف من ثلاثين ولاية، ومساحتها في آسيا فقط ٦٦١,٠٠٠ ميل مرّبع، على حين أنّ مساحة بريطانيا وإيرلندا معاً ١٢٠,٠٠٠ ميل مرّبع. ويمكن أن تتحوّل الولايات إلى خديويّات في بغداد والبصرة والموصل وبيروت وسورية وحلب والقدس والجزائر والحجاز مع تعزيز أساطيل الدولة لحماية الخديويّات اللامركزيّة، كما هو الحال في الولايات المتّحدة الأمريكيّة والاتّحاد السوفيتي قديماً، وكلّ الدول الفيدراليّة مثل ألمانيا. وتتحوّل تركيا ذاتها إلى ثلاث ولايات، لكلّ منها منفذ على البحر. كما تصبح ألبانيا خديويّة، ويكون مجموعها عشر خديويّات أو ممالك كلّ واحدة منها أعظم من اليونان. ولا يعوقها عن التقدّم واللاحق ما خسرت من الانفصال عن الدولة العثمانيّة إلّا شكل الحكم التسلّطي والسلطة المركزيّة البيروقراطيّة القاتلة للمهم والموهنة للعزائم.

كان همّ جمال الدين الحفاظ على الدولة العثمانيّة وحمايتها من التفكّك وتوحيد أجزائها، وفي نفس الوقت إعطاء الولايات قدراً من الحكم الذاتي، تعيين حكّام وطنيين من أهل البلاد وليس من الأتراك بالضرورة، وتعزيز أساطيل الدولة لحماية الولايات من الغزو الأجنبي. هذا هو الحلّ الوحيد لأيّة دولة في حالة اتّساع ملكها.

وقد أتبعه العباسيون قديماً، وهو لا يغيب عن تصوّر الإنجليز حديثاً، وهو النظام الفيدرالي الذي يحافظ على الكيان الوطني القومي في إطار من وحدة الأمة.

كان السلطان عبد الحميد سيء الظنّ، لا يأمن لأحد. وظنّ أنّ جمال الدين بتصوّره عن اللامركزية العثمانية يعمل لحساب إسماعيل كمال الذي عُيّن لولاية طرابلس الغرب، وطلب توسيع صلاحيّاته وعقد قرض لتحسين الولاية وإصلاحه.

والعجيب أن يمدح جمال الدين بعد ذلك السلطان عبد الحميد: لقد ذلّل لملكه الصعاب، وصدّد أمام دول الغرب، وحوّل العدوّ إلى صديق من دول الغرب، واقتنع الجميع بحججه. يعلم دقائق السياسة ومطامع الغرب، ويخرج سالماً من كلّ أزمة. ولكنّ عيبه هو العجز عن اتّخاذ القرار، والجبن من أكبر عيوب الملوك، وعيب الكبير كبير، مع أنّ السلطان قد قبل - بارتياح - أفكار الأفغاني عن اللامركزية ومحاسن الحكم الدستوري، والإسلام أوّل من أقامه، وحسنت نواياه لإقامة الدولة اللامركزية، المناط بها نهضة المسلمين^١.

الحركة الماسونية: النشأة، والخصائص، والتطوّرات

الماسونية تشكيلة بريطانية صليبية تبشيرية تحت شعار شامل (عامّ) يريد السيطرة على العالم بشكل غير مرئي واحتوائي^٢.

كيف بدأت الماسونية؟

الماسونية مأخوذة من لفظة «ماسون» الإنكليزية التي تعني البناء أو المعمار، ويضاف إليها عادة لفظة أخرى هي «فري» أي حرّ، ومن هنا جاء اسم الماسونية في أوساط العامة؛ إذ هم يسمّون الشخص الماسوني «فرموني»، وقد يلفظه بعضهم «فرمولي».

١. انظر حسن حنفي، جمال الدين الأفغاني: ١٤٥-١٤٦.

٢. إذا عرفنا حقيقة الماسونية هذه فسوف نعرف عظمة ودقّة العلامة البلاغي حين توجه بشكل مكثّف للتبشير المسيحي كما استقرأ عن نشاطه العلمي في هذا المضمار.

والماسونية إنما سميت بهذا الاسم؛ لأن جذورها تمتد إلى نقابات البنايين القديمة. ويذهب أكثر الباحثين إلى أن الماسونية يرجع أصلها إلى النقابات التي ظهرت في بريطانيا منذ القرن الثاني عشر على أثر الفتح النورماني. فقد حدثت في بريطانيا آنذاك فورة في تشييد الكنائس والأديرة، حتى قيل: إن خمسمائة كنيسة بنيت فيها خلال عشرين سنة^١.

وقد اعتاد أهل المهن قديماً على كتمان معلوماتهم إذ هم يستونها «سر المهنة» ولا يبوحون بها إلا للمبتدئ الذي يدخل تحت رعايتهم وهو عادة من أبنائهم. وهذا هو ما كانت تفعله نقابات البنايين في بريطانيا أثناء فورة البناء تلك، فقد كان أعضاؤها مسيحيين مخلصين، ولا يقبلون عضواً جديداً إلا بعد أن يحلف بالتوراة على أنه سيكون مخلصاً لإخوانه من أعضاء النقابة، وأن يتقن عمله، وأن يحافظ على الأسرار^٢.

وكان للنقابات القديمة - علاوة على ذلك - رموزاً وإشارات سرية يتعارف الأعضاء بها فيما بينهم. فهم كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر حسب مواقع الأبنية التي يعملون في تشييدها، وهم لذلك كانوا في حاجة إلى ما يتعارفون به لتلا يدخل بينهم غريب يفسد عليهم أمرهم^٣.

يعتبر يوم ٢٤ حزيران من عام ١٧١٧م ذا أهمية كبيرة في تاريخ الماسونية؛ لأنه اليوم الذي انتقلت فيه الماسونية من طورها القديم إلى طور جديد.

كانت الماسونية القديمة تضم في نقاباتها البنايين فقط، أما الماسونية الحديثة فهي تضم في محافلها كل من يريد الانتماء إليها بغض النظر عن مهنته على شرط أن يكون محترماً في مجتمعه وذات تفكير متنور. ويعزوهان كنز هذا التحول في الماسونية إلى سببين: أولهما تضائل بناء الكنائس الضخمة، والثاني نمو الأفكار الإنسانية والديمقراطية الحديثة^٤.

1. Pick and Knight, Pocket History of Freemasonry, London, 1963, p. 16-17.

2. Hankins (Masopry), In The Encyclopedia of Social Sciences, 1967.

3. Knoop And Jones, Introduction to Freemasonry, Manchester, 1937, p. 38.

4. Hankins, op. cit.

وينظر الماسونيون إلى هيكل سليمان نظرة احترام يشبه التقديس باعتباره أوّل بناء فخم أقيم لعبادة الله الذي يسمّونه «مهندس الكون الأعظم». وهم يحترمون كذلك رجلاً من أهل صور القديمة اسمه «حيرام أبي»، فقد كان هذا الرجل يتقن صنعة النحاس وقد استخدمه سليمان في زخرفة هيكله كما ورد في التوراة. ولهذا يطلق الماسونيون على أنفسهم كنية «أبناء الأرملة» إشارة إلى حيرام الذي وصفته التوراة بأنّه كان ابن أرملة¹.

تقوم فلسفة الماسونية على أنّ الأديان كلّها متّفقة على الإيمان بوجود الله وبخلود الروح، ولهذا فالماسونية تكفي من العضو أن يكون مؤمناً بهذين الأمرين، وترك له بعد ذلك حرّيّة العبادة والعقيدة كما يشاء. وقد يصحّ القول إنّ الماسونية كانت بمثابة دعوة للتآخي بين الأديان، ومن هنا جاءت مبادئها الثلاثة المشهورة: «الحرّيّة، والإخاء، والمساواة».

إنّ القساوسة ولا سيّما الكاثوليك منهم اعتبروا الماسونية كأنّها دعوة إلى نبذ المسيحيّة، ومن هنا بدأت الظنون والشبهات تحوم حول الماسونية في كلّ مكان ذهبت إليه. ومما ساعد على انتشار تلك الشبهات حول الماسونية ما كان لها من أسرار وإشارات خاصّة لا تبوح بها لأحد، فصار خصومها يتهمونها بأنّها تعقد اجتماعاتها مع إبليس وتستخدم السحر وتشغل بالكيمياء.

وفي ٢٧ نيسان من عام ١٧٣٨م - أي بعد تأسيس الماسونية الحديثة بواحد وعشرين عاماً - أصدر البابا كلمنت الثاني عشر الكاثوليكي بياناً أعلن فيه تحريمها واعتبر كلّ من ينتمي إليها مرتدّاً عن دينه.

كان هذا البيان البابوي إيذاناً بنشوب الصراع الشديد بين الماسونية والكاثوليكيّة. فقد بدأت الحكومات الكاثوليكيّة وخاصّة في أسبانيا والبرتغال تطارد الماسونيين وتضطهدهم، كما صار الماسونيون من جانبهم يعلنون ثلب البابا ويحاربون المذهب الكاثوليكي بكلّ شدّة.

1. Hawkins, Concise Cyolopedia of Freemasonry, London, 1922, p. 10-11, 225.

وليس للماسونية مركز عالمي عامّ لكن لها محافل رئيسية مستقلة بعضها عن بعض، ولكلّ محفل رئيسي محافل اعتيادية تابعة له، ويسمّى المحفل الرئيسي «المحفل الأكبر» أو «الشرق السامي» أو «المجلس السامي» أو غير ذلك من الأسماء حسب اصطلاح المؤسسين له.

ويمكن تصنيف الماسونية في العالم إلى فئتين متميزتين: محافظة ومجددة. فالماسونية المحافظة هي المنتشرة في بريطانيا واسكندنافيا وألمانيا والولايات المتحدة، وهي تدعو إلى طاعة الحكومة والانسجام مع النظام القائم. أما الماسونية المجددة فهي المنتشرة في فرنسا وأوربا الجنوبية وأمريكا اللاتينية، وهي تدعو إلى محاربة التسلط الديني والاستبداد السياسي.

والملاحظ أنّ الماسونية المحافظة ذات مكانة محترمة في المجتمع الذي تعيش فيه، وهي مكشوفة لا تتكتم إلا في حدود معينة، بينما الماسونية المجددة تميل إلى التكتّم بوجه عامّ وينظر إليها الناس بعين الريبة والاتهام.

إنّ الماسونية ذات أهمية اجتماعية كبيرة في الولايات المتحدة، وعدد الماسونيين فيها يفوق عددهم في أيّ قطر آخر في العالم، ولهم في كلّ ولاية محفل رئيسي خاصّ بها حيث يتبعه عدد كبير من المحافل الاعتيادية.

إنّ الماسونية في أعمالها الخيرية تقصر نفعها على أعضائها وعائلاتهم فقط، ولذا فهي تختلف عن بعض الجمعيات الأخرى التي تحاول بأعمالها الخيرية معونة المعوزين عموماً كجمعية الروتاري مثلاً¹.

والعضو في أيّ محفل ماسوني يستطيع أن يطلب المساعدة من جميع الماسونيين في العالم.

وهناك إشارة سرّية يتعارفون بها في أيّ مكان يتلاقون فيه، وهي على أنواع فمنها ما هو خاصّ بالمصافحة، وآخر للاستغاثه من بعيد، وثالث للتعرف من قريب، والمظنون أنّها تتبدّل بين حين وآخر لكي لا يكتشفها الغريب فيستفيد منها.

1. Roucek, op. cit., p. 302.

وهناك صيغة لليمين يحلف بها العضو عند انتمائه للماسونية، وهذه الصيغة تختلف باختلاف الطرائق المتبعة، نذكر فيما يلي نموذجاً منها هو:

أنا فلان أقسم بالله الرحيم مهندس الكون الأعظم في حضرة هذا المحفل الموقر وأتهدد أمام الحاضرين أنني أصون وأكتم الأسرار الماسونية التي تباح لي ولا أبوح بشيء منها.

وأقسم أيضاً أنني لا أكتب هذه الأسرار ولا أطبعها ولا أدلّ عليها وأن أمنع بكلّ قدرتي من يريد أن يفعل ذلك كي لا تكشف أسرارنا لغير أبناء عشيرتنا. وأقسم بشرفي بلا مواربة أنني أحافظ على قسمي هذا وأتودّد إلى إخواني وأعضاء محفلي وأساعدهم وأعاونهم في احتياجاتهم، وأواظب على الحضور في جلسات المحفل بقدر استطاعتي وأحافظ على طاعة قانون المحفل الأكبر.

وإن حنثت في يميني أكن مستحقاً قطع عنقي واستئصال لساني وإلقاء جسّتي لطيور السماء ولحيتان البحر. وإني راضٍ بأنّ جسّتي تعلق في محفل ماسوني لأضحى عبرة للداخلين من بعدي ثمّ تحرق ويدرّ رمادها في الهواء^١.

إنّ العلاقة بين الماسونية وبريطانيا أقوى ممّا هي بينها وبين أيّة دولة أخرى. إنّ الماسونية نشأت في بريطانيا ومنها انتشرت إلى بقية أقطار العالم، وإنّ الماسونية لم تلق في بريطانيا أيّ منع أو اضطهاد على نحو ما لقيت في الكثير من البلاد الأخرى. وعندما أصدر البرلمان البريطاني في عام ١٧٩٨م قراره بمنع الجمعيات السريّة استثنى منها الجمعية الماسونية^٢.

إنّ بريطانيا أفادت الماسونية كمثّل ما استفادت منها، فقد كان البريطانيون ينشرون الماسونية في كلّ مكان ذهبوا إليه تجاراً أو مستعمرين أو فاتحين، وقد استطاعوا في الوقت نفسه أن يجعلوا لهم بوساطة الماسونية كثيراً من الأصدقاء والأنصار في البلاد التي ذهبوا إليها^٣.

١. لويس شيخو، المصون في شيعه الفرمايون: ٦٧-٦٨، بغداد ١٩٦٦م.

2. Roucek, op. cit., p. 301.

٣. من هنا يمكن فهم ما قلناه في بداية الحديث عن الماسونية في هذا الفصل.

ويعتزّ الماسونيون بالملك إدوارد السابع بوجه خاصّ، ويقدّرونه كلّ التقدير، لأنّه كان شديد الحبّ للماسونية وقد بذل كلّ جهده في سبيل ترقيتها ونشرها في أنحاء الامبراطورية البريطانية التي كانت في عهده لا تغيب الشمس عنها.

إنّ الماسونيين يطلقون على أنفسهم اسم «العشيرة» ويقصدون بذلك أنّهم كأفراد العشيرة في ولائهم لبعضهم لبعض وفي تضامنهم في السراء والضراء. وكلّ واحد منهم يعتبر الآخر أخاً له ويناديه «يا أخي»، وإذا ذهب أحدهم إلى أخ له في الماسونية وأبدى له الإشارة السريّة فالمفروض في هذا الأخ أن ينهض لمساعدته بأقصى جهده. ومن أهمّ المنافع التي يجنيها الماسوني من انتمائه إليها هي مساعدة إخوانه له في السفر والغربة. فالمحافل الماسونية منتشرة في مختلف أنحاء الأرض، ويستطيع الفرد الماسوني - كما يقال - أن يطلب المعونة منهم عند حاجته إليها في أيّ مكان يذهب إليه. فهو إذا كان في بلدة لا يعرف فيها أحداً ذهب إلى الأماكن العامّة التي يرتادها الناس عادةً كالمتنزّهات والملاهي ودور السينما والمسارح والمعابد، وأخذ يدي الإشارة الماسونية، وحين يلمح إشارته أحد الماسونيين يسرع إليه ليسأله عن حاجته ويحاول مساعدته جهدهم إمكانيه. يقول شاهين مكاربوس في كتابه الآداب الماسونية:

فمن جملة المساعدات التي تقدّمها الماسونية لبنيها المغتربين في جهات بعيدة التوصية بهم لمن تعرفه من أعضائها في تلك الجهات، ولذلك وجب على كلّ ماسوني حقيقي - يحافظ على شرف الماسونية ويحفظ عهدها - أن يقابل إخوته مقابلة الصديق الصادق والأخ الأمين، ولا يستترّ على مكاشفتهم إذا راعوا الأصول في التعرّف ولزموا خطّة الآداب والفضائل. وعندنا أنّ العلامة الماسونية لا ينبغي أن تعطى إلّا مع الاحترام اللائق وفي وقت اللزوم، والماسوني الحرّ لا ينبغي أن يسكت عن مجاوبة إخوته إذا كان فيه شرف نفس، ولكنّه يعذر إذا جهل ما يبدو له من الإشارات...^١

١. شاهين مكاربوس، الآداب الماسونية: ٥٨ - ٥٩. انظر الدكتور علي الوردی، لمحات اجتماعية من تاريخ

الماسونية في العراق

كتب الدكتور علي الوردي:

ليس لدينا معلومات مضبوطة عن نشاط الماسونية في العراق في العهد العثماني، وكلّ ما نعرفه في هذا الصدد هو أنّ الشيخ خزعل أمير المحمّرة كان ماسونياً نشيطاً وقد نال من الماسونية أوسمة لقاء خدماته لها^١. وليس من المستبعد أنّه ساعد على تأسيس المحافل الماسونية في العراق وأدخل فيها بعض المتصلين به من أعيان العراق وأدبائه. ولا ننسى أنّ الشيخ خزعل كانت له صلات كثيرة في العراق ولا سيّما في البصرة والفرات الأوسط.

وقد ازدهرت الماسونية في العراق عقب انتهاء الحرب العالميّة الأولى بتشجيع من بعض المسؤولين البريطانيين. عثرت في مصدر ماسوني إنكليزي على هذه العبارة: «أخبرنا الأخ جي. في. كولز أنّ الماسونية ازدهرت في العراق منذ نهاية الحرب العالميّة الأولى حتّى قيام إسرائيل، وعند ذلك تعطلت مؤقتاً، ثمّ انتعشت من جديد حتّى قيام الجمهوريّة العراقيّة»^٢.

ويرجح في ظنّي أنّ البصرة كان لها القدح المعلّى في الماسونية قبل غيرها من المدن العراقيّة، ويمكن أن نعزو سبب ذلك إلى كونها ميناءً لها اتّصال بالأجانب منذ زمان بعيد بالإضافة إلى وقوعها تحت تأثير الشيخ خزعل. نشرت بعض الصحف العراقيّة في ١٢ كانون الأوّل ١٩٢٥م خبراً مفاده: إنّ المحافل الماسونية في البصرة احتفلت بوضع الحجر الأساس لبناء المحفل الماسوني الواقع على طريق النهر، وقد افتتح المحفل المستر مور مبيّناً إنّ المحافل الماسونية في البصرة قد تأسست سنة ١٨٣٩م وهي تضمّ الآن ما يقارب السبعمئة عضو^٣.

١. مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربيّة - القاهرة ١٩٧١م - : ١٠٨.

2. Pick and Knight, op. cit., p. 214.

٣. جريدة البلد البغداديّة في عددها الصادر في ١٢ كانون الأوّل ١٩٦٥م.

مرّت الماسونية العراقية في الثلاثينيات وما بعدها بمرحلة سادها التكتّم الشديد، وأصبح الشخص الماسوني لا يعلن عن ماسونيته أمام الناس وربما أنكرها. ويبدو أنّ السبب في ذلك هو استفحال الدعاية النازية ثمّ الدعاية الشيوعية في العراق آنذاك. والمعروف عن النازية والشيوعية أنّهما متّفقتان على احتقار الماسونية ومحاربتها، فالنازية تعتبر الماسونية صنيعة النفوذ البريطاني والفرنسي بينما الشيوعية تعتبرها منظّمة برجوازية.

الماسونية في مصر

وفي شهر نيسان من عام ١٩٦٤م أصدرت المحكمة المصريّة أمرها بإغلاق جميع المحافل الماسونية في مصر. وفي ١ أيار صدرت مجلة القوّات المسلّحة الاقهرية وهي تحتوي على تحقيق صحفي مثير عن الماسونية بالعناوين التالية: «نصر صحفي - القوّات المسلّحة تدخل الغرفة السوداء في المحفل الماسوني - هياكل عظيمة - توابيت للموتى - أوّل صور تنشر في العالم لطرق الإرهاب الماسوني».

وفي ٣ حزيران نشرت مجلة آخر ساعة القاهريّة تحقيقاً آخر عن الماسونية ذكرت فيه الأسباب التي حدثت بالحكومة المصريّة إلى إغلاق محافلها وقالت ما نصّه:

عندما طلبت الجمعيات الماسونية بالجمهورية العربيّة المتّحدة تسجيل تنظيماتهم بوزارة الشؤون الاجتماعيّة طلب منهم المسؤولون تطبيق قانون الجمعيات عليهم، وهذا القانون يحتمّ خضوع كلّ الجمعيات داخل الجمهورية لإشراف وزارة الشؤون الاجتماعيّة ويكون للمسؤولين في الوزارة حقّ التفتيش على أعمال الجمعية للتأكد من عدم مخالفتها القانون. ورفضت الجمعيات الماسونية ذلك، لأنّه يتعارض مع السريّة التامة التي تعيش فيها، فقرّرت الحكومة إلغاء الجمعيات الماسونية في مصر.

وقد علّقت مجلة آخر ساعة على ذلك قائلة:

ولم يكن هذا هو السبب الوحيد لإلغاء الجمعيات الماسونية، إنّ أمن الدولة

وسلامتها اقتضينا إلغاء هذه الجمعيات أيضاً. فقد قرّرت الصهيونية استغلال المحافل الماسونية في جميع أنحاء العالم لمزاولة نشاطها نظراً لضمان سرّيّة ما يجري في داخل هذه المحافل... يكفي أن تعرف أنّه في أحد الاجتماعات لقيادة الحركة الصهيونية العالميّة الذي عقد في جنيف منذ ثماني سنوات تمّ اتخاذ القرار السريّ أنّه على جميع المنظّمات الصهيونيّة في جميع أنحاء العالم، وفي الدول المعادية لإسرائيل بصفة خاصّة، التسلّل إلى الجمعيات الماسونية ومزاولة نشاطهم والاندماج بهم واستغلال السريّة المفروضة على كلّ طقوسها لمصلحة الأغراض الصهيونيّة العالميّة.

ولكي لا يقع الماسونيون كلّهم في موضع التهمة أعلن أنور أحمد مدير منطقة الأقهرة للشؤون الاجتماعيّة - وهو الرجل الذي أمر بحلّ الجمعيات الماسونية - فقال: إنّ كثيراً من أعضاء هذه الجمعيات مواطنون صالحون شرفاء إلاّ أنّهم لا يدركون الخطورة التي قد تعود على الدولة من جمعياتهم، إذ أنّ السريّة التامة التي تفرضها الجمعيات الماسونية على نشاطها تكون فرصة مواتية لتسلّل العناصر المعادية للدولة.. وكما رأينا فإنّ الصهيونية لم تفتها الفرصة وقرّرت استغلالها.

ومهما كان الحال فقد كان لقرار الحكومة المصريّة في إغلاق المحافل الماسونية صدى قوي في الرأي العامّ في مصر والبلاد العربيّة الأخرى، وأخذ الكثير من الماسونيين يخرجون منها أو يعلنون براءتهم منها.

الماسونية في الأردن

وأصدر المفتي العامّ في الأردن فتوى طويلة جواباً على استفتاء ورد إليه عن الحكم الشرعي في الماسونية. ننقل فيما يلي جزءاً من هذه الفتوى:

إنّ الذي يغلب على الظنّ أنّ الماسونية من بدع اليهود... ومن الدليل على أنّ هذه الجمعيّة من بدع اليهود ما فيها من شارات يهوديّة كمثل نجمة سليمان وإنّ اليهود هم الذين يقومون بها ويتولّونها ويروجونها... وإنّ ممّا يريب في هذه الماسونية شدّة كتمان مبادئها وإخفاء مذاهبها ومداخلها ومخارجها حتّى لا يظهر دعواتها من

أمرها إلا ما يكون بمنزلة الطعم الذي يكون في الفخّ للصيد وهو أنها دعوة إنسانية وفيها للدخل نفع كبير وخير كثير، وإنه إن لم يكن موظفاً فسيوظف، وإن كان موظفاً فسيرفع إلى أعلا المراتب وأكبر المناصب وهلمّ جرّاً... ونحن لا نرى أنه يسوغ لنا ان نفتي في شيء لا نعرف كنهه ولا ندري حقيقته، والذي نفتي به من مبادئ هذه الجمعية ما تقطع به وهو تقديم الأخوة الماسونية على الأخوة الدينية والأخوة القومية، وهذا في حقيقته ومآله هو تقديم للماسونية على الدين، وهذا عند التأمل كفر... وإن مبدأ الماسونية هذا الذي يقوم على تقديم الأخوة الماسونية يضمن الموالاتة للإخوان اليهود، والموالاتة هي النصرة وأن يكون كل واحد من الموالين بمنزلة الأب من الابن، وقد كانت الموالاتة عند العرب تقدّم على القرابة، وقد نهى الله تعالى عن تولّي اليهود الذين هم أعداء... وإذا استفتانا أحد أنه هل يجوز أن يدخل الماسونية فإنّ فتوانا أنه لا يجوز لأنّ مبادئ الماسونية مجهولة وليس ممّا يجوز أن نبيح الدخول فيما يريب ولا تعلم حقيقته وهذا ما يقضي به الحديث الذي يعدّ من قواعد الإسلام وهو (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)، بل هذا ما يقضي به العقل أيضاً لأنّه لو سألك سائل عن طريق لا تعرفه هل يسلكه، فإنّه لا يجوز لك أن تشير عليه بسلوكه لأنّ في ذلك شيئاً من التفرير وهذه فتوانا فيما تقطع به...^١

الماسونية في سوريا

ففي ٩ آب ١٩٦٥م أصدرت الحكومة السوريّة أمرها بإغلاق المحافل الماسونية وأندية الروتاري في بلادها، وأندرت كلّ من يقوم بنشاط فيهما بسوقه إلى المحاكم العسكريّة المختصّة بتهمة الانتماء إلى جمعيات سرّيّة ذات طابع دولي. أمّا في لبنان فقد كان الأثر مختلفاً تبعاً لطبيعة التركيب الاجتماعي والسياسي الذي يميّز به لبنان عن غيره من البلاد العربيّة.

١. مجلة الشريعة، أسرار الحركة الماسونية - عمان ١٩٦٤م - : ٢٣ و ٤٠ - ٥٤.

الماسونيّة في لبنان

والمعروف في لبنان أنّ بعض كبار السياسيين والأثرياء هم ماسونيون، وكان المقرّر أن يعقد في بيروت في العشرة الأخيرة من شهر آب عام ١٩٦٥م مؤتمر ماسوني عالمي يحضره زهاء ألفي ماسوني يمثلون المحافل الكبرى من جميع أنحاء العالم. ولكنّ الحكومة اللبنانيّة أصدرت في اللحظة الأخيرة قراراً بإلغاء عقد المؤتمر، وأعلن أديب الفرزلي نائب رئيس مجلس النواب وهو قطب ماسوني يقول: إنّهُ هو الذي طلب من الحكومة اللبنانيّة إلغاء عقد المؤتمر خوفاً من بعض الماسونيين الصهاينة أن يتسلّلوا إلى لبنان عن طريقه^١.

اضطرّ المحفل الأكبر اللبناني تجاه هذا القرار أن يدعو عدداً من أقطاب الماسونيّة في العالم لزيارة بيروت، وقد وصل هؤلاء إلى بيروت في أواسط آب، فاستقبلهم أديب الفرزلي وذهب بصحبتهم إلى السراي حيث زاروا رئيس الوزراء رشيد كرامي ... يبدو أنّ ضغط الرأي العامّ دفع الحكومة اللبنانيّة أخيراً إلى إغلاق المحافل الماسونيّة على منوال ما فعلت الحكومة السوريّة والحكومة المصريّة قبلها، ولكنّ هذا الإغلاق على أيّ حال لم يكن جدّياً، فقد ظلّت المحافل الماسونيّة في لبنان تعقد اجتماعاتها دون أن تتدخّل السلطة في أمرها. وفي ١٩ كانون الثاني ١٩٧٢م ذكرت وكالة الأنباء الفرنسيّة خبيراً مفاده أنّ صائب سلام وزيراً لبنان أصدر قراراً بإلغاء جميع إجراءات المنع التي اتخذتها الوزارات السابقة ضدّ الماسونيّة، وبنصّ هذا القرار على «أنّ مجلس الموقّرين اللبنانيين من الدرجة الثالثة والثلاثين، واللجنة الماسونيّة العليا للدرجات العليا في لبنان، قد أصبح مصرّحاً لهما اعتباراً من الآن بممارسة نشاطهما طبقاً للمادّة السادسة من قانون المنظّمات»^٢.

١. أبو صادق (المصدر السابق): ١٧٤.

٢. جريدة الثورة البغداديّة في عددها الصادر في ٢٠ كانون الثاني ١٩٧٢م. انظر الدكتور علي الوردي، لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث ٣: ٣٧٤-٣٨٣.

وبالرغم من تخلي الماسونية عن الاتجاهات الدينيّة والمذهبيّة في قوانينها وشعاراتها، ولكنّها في نهاية المطاف تصبّ في رافد القوى العالميّة الإمبرياليّة التي استحدثت أو استغلّت هذه الحركة لمآربها الخاصّة تحت شعار احترام الأديان ومن أجل استقطاب أكبر عدد ممكن من أرباب المذاهب والأديان وتوظيف طاقاتهم وقدراتهم وتوجيهها الوجهة التي تريدها الإمبرياليّة والصهيونيّة في كلّ زمان ومكان. ومن هنا ولدت ردود فعل قويّة تجاهها بالرغم من شعاراتها الأعدائيّة للشعوب والدول الإسلاميّة.

الفصل الثالث

البابية والبهائية في إيران والعراق في عصر البلاغي

لقد ابتلي العالم الإسلامي منذ القرن السادس عشر بالجمود الفكري والتأخر الاقتصادي، وأصيب المجتمع الإيراني بنكبات عنيفة خلال الصراع الذي دار في إيران بين المطالبين بالعرش. كما تدهورت قوة الدولة العثمانية إزاء الدول الأوروبية وخاصة روسيا. وضعفت قوتها في الداخل بسبب استبداد العصبيات بالحكم في معظم ولاياتها وأقفرت أسواق الأدب والعلوم الدينية مثلما أقفرّت أسواق التجارة العالمية في مدن الشرق الكبرى.

وخلال فترات التدهور هذه انتشرت الطرق الصوفية. وبعض هذه الطرق إن كان قد قام على أسس سليمة فإنّ كثيراً منها لم يلبث أن بعد عن الإسلام كلّ البعد وترك الناس الصراط المستقيم إلى الطريق الضالّ.

وهذا الضعف في التكوين الديني للمسلمين كان يفسح المجال لنشاط هذه الطرق وبخاصة المتطرّف منها فلا غرو أن يتمخّض القرن التاسع عشر عن ظهور عدد من يدعي المهدوية التي ترفع شعار الإصلاح الشامل. فقد ظهر «علي محمّد الباب» في العراق وإيران، و«المهدي محمّد السنوسي» في الصحراء الغربية، و«ميرزا غلام أحمد القادياني» في البنجاب، و«محمّد أحمد المهدي» في السودان وكلّهم في القرن التاسع عشر. وجميعهم طرحوا فكرة واحدة، هي تكتيل قوى العالم الإسلامي تحت يد

واحدة وإقالته من عشرته التي تردى فيها، بيد أنهم حين أرادوا تحقيق تلك الأهداف لم يتخذوا الطريق السوي في كثير من الأحيان. حيث إنهم جروا وراء فلسفات تهدم العقيدة الإسلامية من أساسها وهي فلسفات ليست بجديدة على أهل المذاهب والنحل. وقد أثارَت تلك الفلسفات بلبلةً وجدلاً طويلاً في الدوائر الدينية الإسلامية. والذي يهمننا هنا أسباب انتشار هذه الدعوة الجديدة والآثار السياسية التي ظهرت بسبب انتشار الحركة البائية.

العراق وظهور البائية واستفحالها

قبيل ظهور هذه الحركة البائية، سرت في العراق إشاعات عن قرب ظهور المهدي المنتظر. وخرجت هذه الإشاعات أول ما خرجت من النجف وكربلاء.

ولقد كانت الأوضاع السياسية والاجتماعية في العراق من العوامل الرئيسية التي جعلت العراق يلعب الدور الرئيسي في التمهيد لظهور هذه الحركة.

فالعراق يتميز بتعدد المذاهب الدينية. سواء الإسلامية أو المسيحية. وكان مسلمو العراق - ولا يزالون - قسمة بين المذهبين السني والشيوعي.

والعراق - كما هو معروف - كان منذ الفتنة الكبرى التي زرعتها الأمويون قبل عصر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وبعده معقلاً من معاقل الشيعة، وحفظت له العتبات المقدسة - النجف وكربلاء - قداسة جلييلة الشأن لدى الشيعة أينما كانوا، وبوجه خاص في قلوب شيعة إيران وما جاورها.

ولا شك أنّ وجود إيران إلى جوار العراق هو من العوامل القويّة التي حفظت للشيعة قوتهم في العراق. ومع أنّ العراق كان تحت الحكم العثماني السني منذ (١٥٣٤م) إلا أنّ آمال الفرس حكومةً وشعباً كانت دائماً تتطلّع إليه باعتبار العتبات المقدسة التي لا بدّ أن تكون عامرة وآمنة للزائرين لها.

وكانت كربلاء والنجف المراكز الأولى الشيعية التي خرجت عدداً من كبار مجتهدي المذهب الشيعي. وكانت هذه العتبات أمل طلاب العلم من الشيعة، فكثرت بها مجالس

الدرس والوعظ وذاع صيتها وصيت علمائها لا في العراق وإيران فقط، بل كذلك في الهند والباكستان وغيرها من البلاد الإسلامية. ولذلك شعر العلماء الشيعة في العتبات بقيمتهم العظمى وترفعوا عن أن يكونوا تحت الحكم العثماني، خاصة وأن عدداً من سيّدات ورجال الأسرة المالكة القاجارية يعيش في كربلاء ويلبّي مطالب أولئك المجتهدين، ومن هنا عاشت كربلاء بمنأى عن الحكم العثماني المباشر حتّى اقتحمها نجيب باشا والي بغداد (١٨٤٢ - ١٨٤٧ م) بالقوة في (١٨٤٣ م).

ومن بين المجتهدين الذين طار صيتهم في العراق وفي إيران الشيخ أحمد الأحسائي (١١٥٧ - ١٢٤٢ هـ / ١٧٤٣ - ١٨٢٦ م) وهو من بني صخر إحدى العشائر العربية الشهيرة.

اعتقد الشيخ الأحسائي أنّه يسير بهدي خاصّ من الأئمة الاثني عشر وتوجيه من الإمام جعفر الصادق عليه السلام. وردّد الشيخ الأحسائي أنّ الوقت حان لظهور المهدي. لقد كانت آمال عدد كبير من الشيعة بل ومن السنة كذلك متعلّقة بظهور المهدي ليملأ الدنيا عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً. وما ذكره الشيخ أحمد الأحسائي بشأن قرب ظهور المهدي كان له صدى قوي في قلوب الشيعة.

وتابع هذه الدعوة بعد وفاته تلميذه السيّد كاظم الرشتي في كربلاء أيضاً. كان السيّد كاظم الرشتي من علماء العراق ذوي النشاط العلمي والسياسي الكبير. ونظراً لاعتراض علماء الشيعة عليه في بعض ما ذهب إليه من آراء دينية انفصل عنهم وأسس الطريقة التي عرفت بالكشفيّة. وتابع دروسه في كربلاء مبشراً مردييه بقرب ظهور المهدي. وخلال ذلك حضر إلى مجلسه شابّ فارسي يدعى علي محمّد وهو مؤسس الحركة البايّة.

ولد علي محمّد في غزّة محرّم ١٢٣٥ هـ / ١٨١٩ م بشيراز من عائلة معروفة بالسادة الحسينيّة. وتوفّي والده محمّد رضا قبل فطامه فكفله خاله الحاجّ مير سيّد علي التاجر الشيرازي. وكان علي محمّد من الصبية العابدين، وتنقل سعيّاً وراء التجارة بين مدن بوشهر وشيراز. ولكنّه كان ميّلاً إلى الرياضات الذهنيّة الشاقّة، وهي

رياضات تقود المرء إلى مجال الاستشراق الفسيح .

وأرهب علي محمد بسبب ذلك كل الإرهاق حتّى خبا وميض شبابه وأصيب بشيء من الاضطراب الذهني وجعل خاله يخشى عليه فبعث به إلى كربلاء لينال بركة الحسين ﷺ علّها تشفيه ممّا ألمّ به .

وفي كربلاء استمع إلى حديث السيّد كاظم الرشتي عن قرب ظهور المهدي واستمع إلى أوصافه، وكان من أوصاف المهدي التي ردّدها الرشتي ما يرى أنّها تنطبق عليه، فقد قيل: إنّ المهدي أمي شريف النسب ذو فطرة إلهيّة، واعتقد الباب أنّه هو صاحب الزمان الذي طال على الناس انتظاره .

وعاد إلى شیراز وهو يعتقد تماماً أنّه صاحب رسالة كبرى . وبينما عاد علي محمد إلى شیراز كان عدد من مرّيدي كاظم الرشتي قد اعتقدوا أنّ المهدي قد ظهر . فتركوا كربلاء وانتشروا في الأرض بحثاً عنه . وبطريقة غير واضحة التقى الملا حسين - أحد علماء بشروية - بعلي محمد في شیراز ١٨٤٤ م . وأعلن الباب دعوته له وظهر بمقام المهديّة والقائميّة وبأنّه الباب .

ويجدد بنا أن نحدّد معنى هذا اللفظ لما سيصبح عليه من دلالة فيما بعد . فمن الأحاديث الشريفة قوله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» والباب في نظر أتباعه الموصل إلى جنّة الإيمان، وأنّه هادي العباد إلى العقيدة الحقّة، وأنّه صاحب دين جديد . ولكنّ هناك من فسّر هذا اللفظ بمعنى آخر وقال: إنّ الباب ليس إلّا الواسطة بين حجّة الله الموعود وبين الناس . وأنّه المبشّر بظهور المهدي، وليس المهدي نفسه . وأياً كان الأمر فقد دعا الباب الناس إلى ترك معتقداتهم والإيمان به .

بدأ الباب دعوته سرّاً، وادّعى أنّه يوحى إليه بكلمات معجزات، وخرج على الناس بكتاب اسمه البيان أراد به أن يكون قرآناً جديداً، لقد كان أسلوبه ركيكاً، ولحنه لا يمكن أن يحصى لكثرتة، ومعانيه قليلة . ولكن كيف حظيت دعوة كهذه بالقبول لدى عدد ليس بالقليل من الفرس ومن الشيعة في العراق؟!

الواقع أنّ الجوّ حينذاك كان مشحوناً في الأوساط بأنّ المهدي على وشك الظهور . فالرأي

العالم كان مستعداً لقبول الفكرة. ولو بسبب الدعايات التي بثها دعاة الشيخيّة والكشفيّة. وكانت الظروف العامّة للمسلمين تدعو الناس إلى نقد أوضاعهم بقوة وإلى التطلّع إلى حكومة جديدة وإلى التخلّص من رواسب قرون التخلف.

فالقرن الثامن عشر الميلادي، قرن الحركة في المشرق، قرن نمت فيه قوّة النقد الذاتي لدى مسلمي الشرق.

ونمت هذه القوّة بصورة أكبر في القرن التاسع عشر. وكان الناس - لانتعاش بعض قدراتهم الفكرية والاقتصادية ونتيجة للاحتكاك بالدول الأوربيّة - قد أدركوا أنّ الفوارق بين مسلمي الشرق ومسيحيي الغرب قد أضحت كبيراً. وأنّ اللحاق بالركب يتطلّب إعادة النظر في أساليب الحياة التي يتبناها الناس، سواء في حياتهم اليوميّة أو في إدارة أمور الدولة أو في أساليب العبادة.

وهذه الأوضاع كانت تضع إمكانيات كبيرة تحت تصرّف أيّة داعية لإصلاح أمور البلاد لإتقانها ممّا تردّت إليه. ولعلّ هذا هو السرّ في إقبال عدد من الفرس ومن شيعة العراق على «الباب».

ودعا إلى الحركة البايّة في العراق عالم عراقي هو «علي البسطامي» وسيّد فارسيّة لقّب بـ«قرّة العين» واسمها الحقيقي «زّرين تاج».

وهي فارسيّة من أسرة علميّة. وكانت أسرتها موزّعة بين تأييد الشيخيّة وعدائها، ويبدو أنّها كانت تتبادل المكاتبات مع كاظم الرشتي عندما كانت لا تزال في فارس. وقيل إنّها أشار إليها في إحدى مكاتباته بأنّ «فتنة آخر الزمان على وشك الوقوع» فقرّرت أن تغادر وطنها إلى كربلاء.

وبعد وفاة كاظم الرشتي جلست للدرس في تلك المدينة، فحازت إعجاب الطلّاب بذكائها وعمق دراساتها. واستغلّت هذه المكانة في الدعوة إلى البايّة، بينما كان البسطامي يقوم بنفس الدعوة.

وأدى نشاط الملا البسطامي وقرّة العين إلى قلق حكومة بغداد بسبب ما أثاره من فتن في دوائر بغداد العلميّة. فقبضت الحكومة على البسطامي ورحلته إلى الآستانة

ولكنه مات في طريقه إليها فتابعت قرّة العين الدعاية للباب في العراق .

ونظراً لما كانت عليه قرّة العين من فصاحة وعلم استطاعت أن تجمع حولها عدداً من الأتباع . فخشي نجيب باشا - والي بغداد - مغبة الجدل الديني الذي أثارته ، وكان من آرائها ما يثير عليها غضب المسلمين حيث إنها ردّدت القول بانتهاء زمن التكليف وبأنّه يوحى للكامل وحي تعليم لما شرّع من قبل . وهي دعوة تهدم أسس الدين بعكس الدعوات المهدويّة السابقة لها التي كانت تتخذ من الدين الإسلامي قاعدة أساسية لها . كذلك اتّهمت قرّة العين حينذاك بأنّها دعت إلى رفع الحجاب ، وهي فكرة لم تكن مقبولة على الإطلاق في ذلك الوقت .

ومما أهاب بالحكومة أن تسرع إلى التحفّظ عليها وتحديد إقامتها أنّ الحركة البائية في فارس كانت قد اتّخذت شكلاً عنيفاً وطاردت الحكومة أتباع الباب وقبضوا عليه وسجنوه . وكانت العلاقات السياسيّة بين الدولتين الفارسيّة والعثمانيّة تتحسنّ بسرعة بسبب اتّفاق الدولتين على كثير من نقط الخلاف بينهما تمهيداً لعقد معاهدة أرضروم ١٨٤٧ م .

وكان ذلك التفاهم وحسن الجوار بين الدولتين الإسلاميّتين الكبيرتين يتطلّب من والي بغداد وضع حدّ للنشاط البابي حتّى لا يصبح العراق - المجاور لإيران - شوكة تقصّ مضاجع حكومة الشاه .

ومن ناحية أخرى كانت البائية - مثلها مثل أيّة حركة مهدويّة - موجهة كذلك ضدّ الخليفة العثماني . فالمهدي كان يضع نفسه في مرتبة أعلى من مرتبة السلاطين حتّى ولو كان السلطان خليفة المسلمين . والسلطان العثماني كان يسعى في ذلك الوقت إلى القضاء على مثل هذه الحركات التي تضعف من قوّة سيطرته على الولايات التابعة له خاصّة وأنّ سلاطين آل عثمان في القرن التاسع عشر - وفي النصف الثاني منه بصفة خاصّة - كانوا يعملون جاهدين على إعادة قبضتهم قويّة على كلّ الولايات وجمع المسلمين تحت راية السلطان العثماني على اعتبار أنّه خليفة المسلمين .

ومن ثمّ كانت الحركة البائية - من حيث دعوتها إلى مهدويّة الباب أو من حيث

منداتها بتعاليم منافية للدين الإسلامي - تدفع أولي الأمر العثمانيين إلى أن يجتثوها قبل أن تستفحل. ولذلك قرّر نجيب باشا - والي بغداد - أن يضع حداً للنشاط البابي في العراق. فقبض على قرّة العين وحدّد إقامتها في بيت أبي السناء الآلوسي مفتي بغداد.

فأبعدت قرّة العين عن بغداد إلى إيران. وهناك واجهت قرّة العين نقمة الحكومة الإيرانية على الباب وأتباعه وذلك بسبب ارتقاء ناصر الدين شاه العرش في ١٨٤٨م، وكان منذ ولايته للعهد من أشدّ الناس مقاومةً للباب ولحركته، فحاول أولاً أن يعيد إلى الباب رشده، وأن يعيده إلى سواء السبيل ولكن دون جدوى، فصدر ضده حكم بالإعدام، ولقصة إعدام الباب أهمية خاصة من حيث أنها ساعدت على انتشار عقيدته.

ونشطت الدعاية البائية بعد مصرع الباب، وبالتالي نشطت الحكومة الفارسية في إخماد تلك الحركة، فدبّر البايون مؤامرة لاغتيال ناصر الدين شاه في ١٨٥٢م وفشلت المؤامرة ودار قتال بين البابيين وجند الحكومة وتعقبت الحكومة أنصار هذه العقيدة فقتلت وسجنت واعتقلت، ومن بين أولئك الزعماء البابيين الذين قبض عليهم حسين علي النوري. وكان النوري من المشتركين في قتال جند الحكومة.

ونظراً لأنه يمتّ إلى أسرة عريقة حوكم بمحضر عدد من الوزراء وبمحضر السفير الروسي. ولا شك أنّ وقوف السفير الروسي إلى جانب حسين علي نوري ومكانة أسرته كانا من العوامل الرئيسية التي أنقذت رقبتة من المشنقة. إذ اكتفي بنفيه خارج البلاد فاختر العراق منفئاً له ولمن يتبعه.

وإنّه لأمر ذو مغزى أن يدافع السفير الروسي عن حسين النوري، وأن يكون الحاج أحمد، الذي خبّث لديه جثة الباب من المشمولين بالحماية الروسية.

ووصل حسين علي النوري وعدد من البابيين إلى منفاهم في العراق في أوائل الخمسينات من القرن التاسع عشر.

وفي العراق دبّ النزاع بين الزعماء البابيين. وكان حسين علي النوري يأمل في

أن يتولّى هو قيادة هذه الجماعة في منفاها وأن يدير أمورها علّه يستطيع أن يجعل لها شأنًا في العالم. ولكن صادف حسين علي النوري مقاومة شديدة من جانب الزعماء الطامعين في القيادة. بل كادوا يفتكون به ففضل أن يغادر مجتمعهم إلى مكان قضيّ. وذهب إلى مكان يسمّى «سركلو» في كردستان أمضى فيه مده من الزمن وضع خلالها كتابه إيقان.

وبعلّل حسين علي النوري عودته من كردستان إلى بغداد بأنّه لم يفعل ذلك إلا بعد أن «صدر الحكم من مصدر الأمر بالرجوع». وهذا هو الطور الجديد الذي دخلته الحركة البائية.

هبط حسين علي النوري من كردستان وهو يزعم أن ينسخ الدعوة التي نادى بها الباب، وبأن يقول إنّه هو المهدي، وما الباب إلا مبشّر ومنج له من أعدائه. وليست هذه الفكرة حديثة على المسلمين بل هي قديمة. وظهرت في أجلى صورها في المذهب الإسماعيلي إذ ردّد دعاة هذا المذهب أنّ هناك إماماً مستتراً وآخر ظاهراً، فالإمام الظاهر ليس سوى داعية للإمام المستتر الحقيقي. وكانت هذه الفكرة مدار جدل شديد حول مؤسس الدولة الفاطمية، والأخير هو المعرّض للتعذيب والمشاق بل والإعدام حتّى لا يصاب الإمام الحقيقي بأذى.

ادّعى حسين علي النوري أنّ الباب كان يهتّى الطريق أمام شخص أعظم منه وأنّ مؤلّفات الباب وتفسيراته للقرآن إنّما أوحى هو بها إلى الباب الذي كان ينقذ إرادته. وردّد حسين علي النوري أنّ كلّ خطوة خطاها الباب إنّما كانت بوحى منه، وأنّ مصرع الباب كان لكي يظلّ حسين علي النوري بعيداً عن أيدي الناقلين حتّى يتمّ رسالته^١.

وأخذ حسين علي النوري يُعدّ أذهان البائيين في العراق لهذه الفكرة تمهيداً لأنّ

١. أسلمنت، بهاء الله والعصر الجديد: ٢٦ - ٣٢.

E. G. Brown, The Episode of the Bad, Cambridge, 1891.

Brown, Babis of Parsia Royal Geog. Soc. of London, Vol. XXI. p. 931.

يعلن نفسه المهدي الجديد الحقيقي. ولم يتسرع الرجل في إعلان دعوته هذه حتى وقعت الطائفة البائية في العراق في أزمة جديدة.

فخلال السنوات التي قضاها حسين علي النوري وأتباعه من البائيين في العراق كانوا يقومون بدعايات نشطة لمذهبهم سواء في العراق أو في إيران. واشتدّ ضجر حكومة الشاه من هذا النشاط الذي اتخذ من العراق قاعدة له.

وزادت مخاوف الشاه من هذا النشاط عندما وثق البائيون صلاتهم بعدد من أفراد الأسرة المالكة القاجارية في العراق. فخلال القرن التاسع عشر كان الصراع على العرش الفارسي لا يكاد ينقطع، وكان العراق ملاذ كل من يفشل في محاولته لارتقاء العرش. ومن العراق كان هؤلاء الأمراء يدبرون المؤامرات المتتالية ضد ناصر الدين شاه الأمر الذي كان يثير أزمات حادة بين الدولتين الفارسية والعثمانية^١. وكان طبيعياً أن يتدخل بزرگ خان القنصل الفارسي العام في العراق مطالباً بوضع حدّ لنشاط هؤلاء البائيين.

وتعاون بزرگ خان مع عدد من شيوخ الشيعة في العتبات المقدسة للقضاء على نشاط تلك الطائفة. وكان بزرگ خان في معاملته للبائيين يعتبرهم رعية للشاه. ولما كان هذا الوضع يضرّ بمصالح البائيين حيث يضعهم تحت رحمة القنصل الفارسي قرّر حسين علي النوري أن يخلع عن نفسه الرعية الفارسية وأعلن تبعيته للسلطان العثماني^٢.

على أنّ هذا التصرف لم يضع حدّاً لمتاعب البائيين من المعارضة الشيعية. ويرجع ذلك إلى تعارض اتجاهات الطرفين تعارضاً جوهرياً سواء من حيث إنكار الشيعة في العراق أنّ الباب هو المهدي أو من حيث اتباع البائيين تقاليد تتنافى مع التقاليد الشيعية. فقد كان البائيون يحتفلون في أوّل المحرم من كلّ عام بفرح زائد بمولد الباب، والمعروف أنّ الأيام العشرة الأولى من المحرم هي أيام حزن وبكاء. فشقّ على الشيعة

١. انظر الدكتور عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ الحديث للشعوب الإسلامية: ٣٤٢ - ٣٥٢.

٢. مقالة سانح في البائية والبهائية: ١٠٧ - ١١٣ و ١٣٨ - ١٣٩.

ذلك، وعقدوا الخناصر على التخلص من الباييين، وبدت في الأفق نذر شرّ مستطير. والتقت رغبة البلاطين العثماني والقاجاري عند إبعاد هذه الطائفة عن بغداد حتى لا يمتد نشاطها بسهولة إلى إيران. فصدرت الأوامر من الباب العالي إلى والي بغداد بأن يشرف بنفسه على ترحيل حسين النوري وأتباعه إلى الآستانة.

واتهز حسين علي النوري هذه الأزمة الجديدة التي أحاطت بالبايين ليضرب ضربته التالية. فالطائفة في تلك الحالة أصبحت ذات معنويات منهارة وتحتاج إلى دفعة جديدة وقوة فتية تعينها على تحمّل مشاقّ الغربة والارتحال بعيداً عن الأوطان. فلا شك أنّ النفي إلى العراق بالنسبة للفرسي ليس عقاباً شديداً بل على العكس كان العراق أمل الفرسي. أما أن ينفي فرسي إلى أرض تركية مثل الآستانة فهو أمر شاقّ عليه.

وهنا أعلن حسين علي النوري أنّه «البهاء» الذي بشرّ به الباب (١٨٦٣ م) وكان ذلك في حديقة نجيب باشا ببغداد وهي التي عرفت باسم حديقة الرضوان لدى البهائيتين. وتعتبر مبادئ البهاء أوسع نطاقاً من المبادئ التي دعا إليها الباب. وهناك من يؤكّد أنّ المبادئ التي دعا إليها البهاء لم تكن من وضعه هو وإنّما دَبّجها نجله عباس - الشهير بعبد البهاء - ونسبها إلى أبيه ليرفع من شأن مؤسس الطائفة.

وعلى أيّ حال فإنّ اتجاهات البهاء العقائدية لم تتبلور إلّا بعد مغادرته العراق. على أنّ البهاء بدأ منذ أن أعلن دعوته يترسّم خطى أصحاب الرسالات. فطفق يكتب إلى رؤساء الدول الكبرى داعياً إلى الإيمان به. وهو في رسائله إلى كلّ من شاه إيران وإلى السلطان العثماني كان يستخدم أسلوباً قرآنيّاً في مظهره ركيك العبارة في مخبره. وقد تجاوز في بعض عباراته صفة النبوة إذ استخدم تعبيرات شبيهة ببعض تعبيرات الحلاج التي أثار الكثير من الجدل. فبينما يقول الحلاج ما في الجبّة إلّا الله، يقول البهاء إنّّه لا يرى في هيكله إلّا هيكل الله.

وبينما البهاء يبذر البذور الأولى لدعوته في منفاه الجديد في الآستانة تصدّى له أخوه يحيى مخالفاً، إذ أنكر يحيى - الذي عرف باسم صيح أزل - أنّ أخاه هو المهدي وأدعى أنّ البهاء هو الإمام الظاهر وأنّه هو الإمام الباطن الحقيقي، وشنّع على البهاء

بأنه غدر به واستولى على صفات لا حقَّ له فيها. واستمرَّ هذا النزاع بين الأخوين ولكنَّ كفة البهاء كانت هي الأرجح.

وهذا الاضطراب الجديد في تحديد من هو المهدي يؤكِّد لنا مرَّةً أُخرى أنَّ الأُسس التي قامت عليها الدعوة الباطنية والبهائية كانت واهية.

وكسبت الحركة البهائية بعض الأتباع في العراق ولكن كانت أعدادهم قليلة في بغداد والموصل ومعظمهم من اللاجئيين الفرس، وعرضة للضغط السياسي من جانب فارس من وقت لآخر. فعندما قدم ناصر الدين شاه العراق زائراً في ١٨٦٩م قرَّر مدحت باشا -والي بغداد- أن يبعد الباطنيين عن بغداد.

وكان الدعاة الباطنيون والبهائيون غالباً من الفرس وكانت مؤلفاتهم بالفارسية في الغالب، وما صدر عن الباب وعن البهاء باللغة العربية كان قليلاً ركيك العبارة^١.

وبعد هذه الجولة التاريخية عن هذه الحركة المنحرفة، سوف نعرف الأسباب التي دعت العلماء والسياسيين لمواجهتها والوقوف أمام نفوذها في المجتمع الإسلامي. وممن تصدَّى لها هو العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي رحمته الله كما ستعرف ذلك في ما سيأتي من تاريخ حياته.

الفصل الرابع

الحركة الدستورية في العراق وثورة العشرين في عصر البلاغي

العراق والإمبراطورية العثمانية

١ - كان العراق يفتقد السيادة والاستقلال خلال القرون الأربعة (١٥٣٤ - ١٩١٤م)، حيث كان إقليمياً للدولة العثمانية، يتزايد عليه الولاة الأتراك عبر الضرائب الباهضة التي يسدّدون بها تعهّدهم إلى السلطان.

بينما كانت إيران المجاورة للعراق منذ القرن السادس عشر في العهد الصفوي دولة مستقلة لها علاقات خارجية مع الدول الأجنبية.

وكانت تحافظ على سيادتها وكيانها السياسي والثقافي ولها قوانينها وتراثها الحضاري. كما كانت تنافس الإمبراطورية العثمانية من جهة، وروسيا القيصرية من جهة ثانية، وتدخل معهما في صراعات وحروب وتعقد معهما معاهدات وتحالفات.

٢ - لقد تفشّى الظلم والفقر والمرض الذي كان يفتك بالعراقيين بشكل وآخر. كما انعدم الأمان واستمرّت النزاعات المسلّحة بين العشائر خلال فترة طويلة.

٣ - وفي بداية القرن التاسع عشر (١٨١٧ - ١٨٣٢م) أدخل داود باشا إصلاحات كانت تعتبر مهمّة في وقتها.

وتبعه مدحت باشا (١٨٦٩ - ١٨٧٢م) فأدخل الإصلاحات البلدية واستتبّ الأمن وملكّت العشائر الأراضي الزراعية.

كما بنيت في عصره أول مدرسة، وأول مستشفى وأحدثت أول مطبعة وأُسست أول جريدة وأنشئت سكة حديد في وقت كان يغلب على الولاة الارتشاء وسوء الإدارة. واعتبرت هذه الإصلاحات المتواضعة إصلاحات مدهشة للعراقيين مما يشير إلى شدة تردّي الأوضاع الفكرية والثقافية بالنسبة إلى إيران وتركيا.

٤ - كانت اللغة الرسمية في الدوائر والمحاكم والمدارس هي اللغة التركية بدل العربية. وبهذا كانت الثقافة التركية هي الثقافة القومية الغالبة على الأراضي والشعوب التي كانت تحكمها الدولة العثمانية.

٥ - وكانت الحوزات العلمية بما تحتويها من دراسات إسلامية باللغة العربية تحتفظ بالثقافة الإسلامية العامة وتعتبر الملجأ الوحيد الذي بإمكانه أن يصمد أمام سياسة التريك التي انتهجتها الدولة العثمانية آنذاك.

٦ - وقد ساهمت الحوزات العلمية في نشر الوعي السياسي في البلاد الإسلامية عبر تبنيها المبادئ الأساسية السياسية والإصلاحية.

ولعلماء الشيعة دور كبير في ترويج الإصلاح السياسي وتقوية البنية الثقافية التي تقف أمام الاستبداد والاستعمار.

وتمثلت هذه الدعوات الإصلاحية الصادرة من الحوزة العلمية في الدعوة إلى تأسيس مجلس نيابي وسنّ دستور يضمن للشعب دوره في إدارة بلاده.

وقد طالب علماء النجف الأشرف مظفر الدين شاه بتأسيس مجلس لممثلي الشعب. كما تزعم السيد الميرزا محمد حسن الشيرازي ثورة التنباك ضد الاستعمار البريطاني حين أصدر فتواه الشهيرة من سامراء، محل إقامته في العراق في سنة ١٨٩١ م. والشيخ محمد كاظم الخراساني - صاحب الكفاية - والمرجع الديني المقيم في النجف الأشرف مسك زمام المبادرة لقيادة حركة الدستور - المشروطة - بيديه بعد حملة الاعتقال لرموز المشروطة في إيران وبأمر مظفر الدين شاه سنة (١٩٠٩ م).

وحين نفت الحكومة الإنجليزية الشيخ مهدي الخالصي إلى إيران سنة ١٩٢٣ م قرّر كبار المجتهدين في العراق مغادرة العراق إلى إيران احتجاجاً على ذلك الإجراء

التعسفي، ليضغطوا بذلك على مصالح بريطانيا في إيران.

٧ - وظهرت آثار فتاوى العلماء المؤيدين للحركة الدستورية في الشارع العراقي حتى قام الناس - بمختلف قطاعاتهم - بتداولها والنقاش حولها، ولم يقتصر الوعي تجاه الحركة الدستورية على الوسط الحوزوي في النجف بل تعداها إلى سائر المدن الشيعية في العراق.

وهكذا بقي العراق بؤرة الحرّية للإيرانيين الهاربين من ملاحقة حكومة شاه إيران، واستمرّ المحقّق الخراساني في قيادته للتحرك السياسي والشارع الإيراني من العراق. كما كتب آية الله الميرزا حسين النائيني كتابه القيم تنبيه الأمة وتزيه الملة حيث دَوّن فيه آراءه حول شكل الحكم الإسلامي ودافع فيه عن الحكومة الدستورية من وجهة نظر فقهية، وكان للكتاب صدى كبير على مستوى الدراسات الاجتهادية العليا وفي حقل الفقه السياسي الشيعي. وبقي الكتاب فاعلاً حتى عصر متأخر أيضاً. كما تجد ذلك في استشهادات الفقهاء ولا سيّما الإمام الخميني رحمته الله لدى تدريسه لبحوث الحكومة الإسلامية قبيل تفجيره الثورة الإسلامية التي حازت النصر عام (١٩٧٩م).

٨ - وحين لاحت أول فرصة لتأسيس حكومة عراقية كان علماء الشيعة في العراق أول من طالب بتأسيس مجلس تشريعي ودستور يقرّه الشعب للحاكمين. وهكذا كان الفضل لعلماء الشيعة الذين طالبوا بتكوين الدولة العراقية الحديثة المستقلة من برائن الاستعمار والاستبداد معاً.

ولولا ثورة العشرين التي قادها المرجع الديني آية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي لما أصبحت للعراق دولة مستقلة أو كيان سياسي مستقلّ.

حتى أنّ عبد الرحمن الكيلاني حينما كان يطالب ببقاء الحكم البريطاني المباشر للعراق، أصدر الشيخ محمد تقي الشيرازي فتواه التي حسمت الموقف بقوله: «ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطة على المسلمين». وبذلك لم يجرؤ أحد أن يطالب باستمرار بقاء الحكم البريطاني على العراق.

وبهذا اتضح أنّ فقهاء الإمامية بالرغم من كونهم إيرانيين بالجنسية لم يتحرّكوا إلا

على أساس شرعي، ولم ينطلقوا إلا من منطلق إسلامي عام، ولم يعيشوا آية عقدة قومية، ولم يطمعوا في أية سلطة أو منصب حكومي، سوى ضمان استقلال العراق باعتباره أرضاً إسلامية يجب أن لا تخضع لكافر.

وبهذا فاق حرصهم كل الانتماءات القومية والعرقية على مدى الأجيال، حتى قال المرجع الديني الشيخ محمد تقي الشيرازي كلمته القيمة التي ذهبت مثلاً أعلى في هذا المضمار: «إنني فديت استقلال العراق بولدي ومن عزّ عليّ، وأنا مستعدّ أن أفديه بنفسي وهي قصارى ما أملك». حيث كان قد نصح الأمة بعدم الاهتمام بعودة ابنه المنفي بقدر تركيزهم للجهود باتجاه المطالبة باستقلال العراق. وقد خاطبهم قائلاً:

إنّ ابني ومن معه أبعدوا في سبيل القضية العراقية، فلا ينسبكم إعادهم قضيتكم، ولا تشغلوا بطلب عودتهم عن المطالبة بحقوقكم.

وحين حاول البعض إثارة حفيظته الشخصية ضدّ الإنجليز واستدراجه لمواجهتهم بالعرف رفض هذه المواجهة الشخصية بقوله لهم:

إياكم أن تجرّدوا سيفاً ولو رأيتموني بيد الإنجليز إلا أن يسوق الإنجليز جيشاً لمحاربتكم بسبب إصراركم على المطالبة بحقكم المغتصب.

وحين جاءت مرحلة استعمال العنف أصدر الشيرازي فتواه بجواز استعمال العنف ضدّ الإنجليز بكلّ شجاعة بقوله:

ومطالبة الحقوق واجبة على العراقيين. ويجب عليهم في ضمن مطالبهم رعاية السلم والأمن. ويجوز لهم التوسّل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنجليز عن قبول مطالبهم^١.

٩ - واستطاعت المرجعية الدينية بزعامة الميرزا محمد تقي الشيرازي رحمته أن توحد الشعب العراقي ذي التركيبة المذهبية المعقدة.

وهذا هو أحد الأسباب الأساسية التي دفعت بالمستعمرين وأذناهم للتخطيط لتقويض دور المرجعية الشيعية في العراق في ما بعد، وتحجيمها ومحاولة عزلها عن قضايا الأمة الأساسية.

١. انظر جعفر عبد الرزاق، الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي: ١٤٦ - ١٥٠.

الفصل الخامس

الحركة الوهابية واستفحاحها

وموقف البلاغي منها

استفحلت الحركة الوهابية في نجد في عهد سليمان باشا الكبير، وتم لها احتلال الأحساء، وأخذت تهدد العراق تهديداً خطيراً.

سُميت الحركة الوهابية بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الوهاب^١. وُلد هذا الرجل في «العيينة» من قرى نجد في عام ١٧٠٣م، وكان أبوه قاضي القرية فنشأ في بيئة دينية، وأتم دراسته الدينية في مكة والمدينة والبصرة. وقد ظهرت عليه أولى بوادر التجديد الديني عندما كان يدرس في المدينة حيث رأى الناس يستغيثون بقبر النبي ﷺ ويشفقونه في حاجاتهم فأنكر ذلك عليهم واعتبره إشراكاً بالله.

وحين جاء إلى البصرة وشاهد انهماك سكانها في الشفاعة والتوسل بالقبور، أخذ ينتقدهم بعنف مما أثار استياء البعض منهم فأخذوا يضيقونه، ثم طردوه من البصرة، وكاد يموت في الصحراء من العطش.

كان الشيخ محمد يعتبر الأضرحة التي اعتاد المسلمون على تقديسها وزيارتها هي كالأوثان التي كان أهل الجاهلية يعبدونها من دون الله، فالتاس يرجون من المدفونين

١. إن الوهابيين أنفسهم لا يرتضون هذا الاسم له، فهم يسمون أنفسهم بـ«الموحدين». وقد جرينا في هذا المقال على الاسم الشائع لهم وهو الاسم المستعمل في أكثر المصادر التاريخية.

في تلك الأضرحة أن يتشفّعوا لهم عند الله ويقرّبوهم إليه زلفى، وهذا في نظر الشيخ محمد هو نفسه ما كان أهل الجاهليّة يفعلونه تجاه الأوثان.

والواقع أنّه لم يكن أوّل من فكّر بمثل هذه الفكرة. فقد سبقه إليها ابن تيميّة قبل خمسة قرون، ولكنّ الفرق بينهما هو أنّ ابن تيميّة نادى بالفكرة في بيئته حضريّة فلم ينجح، بينما نادى محمد بها في بيئته بدويّة فنجح نجاحاً عظيماً.

وفي عام ١٧٣٠م ذهب الشيخ محمد إلى «حريملة» من قرى نجد وأخذ يعلن دعوته فيها، فتابعه البعض من سكّانها بينما عارضه الآخرون، وبهذا انقسم أهل البلدة إلى فريقين متعادين، وكاد خصومه يقتلونه لولا هروبه من القرية وذهابه إلى قرية «العبيّنة» التي ولد فيها، وهناك آزره أميرها عثمان بن حمد وزوّجه بأخته جوهرة.

بدأ الشيخ محمد يطبّق مبادئه في تلك القرية عملياً فأمر بقطع الأشجار التي كانت مقدّسة لدى العامّة، وذهب بنفسه يحمل معولاً لقطع الشجرة الرئيّسة التي كانت أكثر قدسيّة من غيرها. والتفت بعدئذٍ إلى ضريح مقدّس في نجد غاية التقديس هو قبر زيد بن الخطّاب الذي قُتل هناك أثناء حروب الرّدّة - وهو أخو الخليفة الثاني عمر - فذهب الشيخ بصحبة ستمائة رجل من أتباعه بغية هدم الضريح، فخرج إليه سكّان القرية المجاورة ليحولوا دون مراده فلم يوقّفوا، وأخذ الشيخ المعول بيده فهدمه. وقد توقّع العوام أنّه سيصاب بمصيبة أثناء الليل جزاء انتهاكه حرمة الضريح المقدّس ولكنّهم أبصروه في الصباح التالي وهو يتمتّع بصحّة جيّدة^١.

في عام ١٧٤٥م اختلف محمد بن عبد الوهّاب مع أمير حريملة فخرج منها لاجئاً إلى قرية أخرى هي قرية «الدرعيّة» التي كان يحكمها الأمير محمد بن سعود.

تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهّاب مع الأمير محمد بن سعود وتعاهدا على أن يكونا يداً واحدة في نشر الدعوة الجديدة ومكافحة خصومها، وكان ذلك إيذاناً بتحوّل الدعوة من طورها السلمي إلى طورها الحربي.

^١ عبد الله فيليبي، تاريخ نجد وتاريخ الشيخ محمد بن عبد الوهّاب السلفيّة - ترجمة عمر الديراوي، بيروت:

أدخل الشيخ محمد في عقول أتباعه مبدأ الجهاد المقدس باعتباره أهمّ الفروض الدينيّة، وبذا وضع إصبعه على النقطة الحساسة في المجتمع البدوي وهي الغزو والغنيمّة، فصارت القبائل تتهافت على الانضمام إلى الدعوة الجديدة، وكان كلّ نصر تناله الدعوة في غزواتها يزيد من عدد أتباعها ومن حماسهم لها.

إنّ ما جاءت به الدعوة الجديدة من استنكار لعقيدة الشفاعة وتكفير لأصحابها كان عاملاً مهمّاً في نجاحها، فهو قد أعطى لأتباعه حجّة لغزو المخالفين لهم باعتبارهم مشركين تحلّ دماؤهم وأموالهم ونساؤهم.

إنّ الدعوة الوهابية أشغلت البدو بغزو أوسع نطاقاً وأكثر غنماً ممّا كانوا قد اعتادوا عليه من قبل، إنّها فتحت أمامهم المجال لغزو البلاد المجاورة بدلاً من غزو بعضهم بعضاً، فاثالوا على تلك البلاد يغنون منها ما لم يكن يحلمون به في غزواتهم السابقة.

أثر الدعوة في العراق

مات الأمير محمد بن سعود في عام ١٧٦٥م فخلفه ابنه الأكبر عبد العزيز، وسار على سيرة أبيه في التحالف مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب لنشر الدعوة الجديدة بالسيف، ونال في هذا السبيل انتصارات عديدة جعلته سيّد الصحراء.

ومنذ عام ١٧٩٠م أخذ الخطر الوهابي يهدّد العراق، فقد ظهرت على الحدود من ناحية الصحراء جماعات وهابيّة وسمت إبلها بشارات بارزة وهي تحمل رقاعاً دينيّة غريبة، وصارت تغزو مراعي الظفير والمنتفق والشاميّة. وكذلك أخذ الدعاة الوهابيون يتسلّلون إلى العراق يحاولون نشر الدعوة الجديدة في أوساط العشائر والمدن، فكانوا يرتادون مضائف الشيوخ في الفرات ليخطبوا فيها ويستغلّوا العداة الموجود لدى العشائر ضدّ الحكومة العثمانيّة ووالي بغداد^١.

١. ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث - بغداد ١٩٦٢م -، ٢١١، ترجمة جعفر الخياط.

وفي المدن بدأت الدعاية الوهابية تنتشر هنا وهناك فتوَّثر في بعض الأفراد لا سيَّما في رجال الدين السنيِّين، وأخذ الجدل يظهر بينهم فمنهم من وجدوا في الدعوة الوهابية تنقية للإسلام من البدع المستحدثة وعودة إلى سنَّة السلف الصالح فحبَّذوها، ومنهم من وجدوا فيها إنكاراً لفضل الأولياء وكراماتهم فشجبوها.

يحدِّثنا المؤرِّخ الموصلِي ياسين أفندي العمري عن أحد القضاة في أيامه أنَّه كان مجاهرًا ببعيدته «السلفية» وهو ملا محمد بن ملا أحمد الموصلِي المعروف بابن الكولة، وقد كان هذا الرجل قاضياً في ديار بكر ثم نُقل إلى بغداد في عام ١٧٩٤م، وعند مروره بالموصل في طريقه إلى مقرِّ عمله الجديد أخذ يرتاد ديوان آل الجليلي فيها وكان لا يتكتم في الإنكار على الأولياء كالشيخ عبد القادر الكيلاني، والشيخ محيي الدين بن عربي، وكان يقول: إنَّه لو حصل بيده صندوق الشيخ عبد القادر لأوقده بالنار وغلى عليه قهوة. ويعلِّق ياسين العمري على ذلك قائلاً بأنَّ هذا القاضي إذا ذهب إلى بغداد فسيطرده حاميتها الشيخ عبد القادر، أمَّا إذا سار إلى الروم فسوف يتلقاه الشيخ محيي الدين وربما قتله أو أعاده إلى فقره وضعفه. وقد وقع ما تنبأ به ياسين العمري فعلاً، إذ لم يستقرَّ القاضي في بغداد سوى شهرين، ثمَّ نفاه منها واليها سليمان باشا، فخرج منها خائفاً يترقب... وتوجَّه إلى بلاد الروم وقد وهنت دعوته وضعفت همته^١.

بداية العداء مع الدولة

في عام ١٧٩٦م وردت الأخبار إلى بغداد أنَّ الأمير عبد العزيز بن سعود استولى على منطقة الأحساء التي تتاخم العراق من الناحية الجنوبية، واحتلَّ القطيف والعقير حتَّى وصل ساحل الخليج، وأُشيع عنه أنَّه عند احتلاله تلك المنطقة قتل نحو مائتين من العلماء فيها^٢. ومن الجانب الآخر أخذ ابن سعود يهدِّد طريق الحجِّ

١. ياسين العمري، الدرر المكنون: ٣٥-٣٦.

٢. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين - بغداد ١٩٤٩م - ٦: ١٢١.

مما جعل شريف مكة يكتب إلى السلطان يستغيث به، فأرسل هذا إلى والي بغداد سليمان باشا الكبير يأمره أن يسير بقواته «لتأديب العصاة».

يبدو أن والي سليمان باشا كان يومذاك قد أنهكته الشيخوخة، ويقال: إنه كان قُبل ذلك كتب إلى السلطان يستعفي من الحكم لضعفه عنه فلم يقبل السلطان منه ذلك.

واضطرَّ والي في عام ١٧٩٧م أن يكلف ثويني شيخ المنتفق - بعد أن صالحه واسترضاه - بالمسير إلى حرب الوهابيين، وأمر أن يلتحق به حملة البنادق من جند البصرة وهم «البلوج» مع خمس قطع من المدافع. وسار ثويني نحو الأحساء مع جمع من عشائر المنتفق وعقيل والظفير وبني خالد وغيرهم. ولكنه عند وصوله مع قواته إلى عين الشيبك هجم عليه في خيمته عبد زنجي اسمه «طعيس» فأغمد حربته في صدره وهو يهتف «الله أكبر!».

لم يكذب ينتشر خبر موت ثويني في جموع العشائر التي كانت معه حتى شاع فيها الذعر وتفرقت شذر مذر، وانتهز الوهابيون الفرصة فاثالوا عليها يقتلون وينهبون فغنموا منها المدافع والقنابل كما غنموا شيئاً كثيراً من الإبل والغنم والزاد والمتاع.

وفوجئ والي سليمان باشا بفداحة هذه الضربة التي لم يكن يتوقعها، ولعله كان يظن أن الحركة الوهابية أمرها هين لا يحتاج قمعها إلى كبير عناء، ثم تبين له أنها أعظم مما كان يظن.

ولم تعض على تلك الهزيمة سوى أشهر معدودة حتى أغار سعود بن عبد العزيز على قرية «أم العباس» قرب سوق الشيوخ فقتل من سكانها عدداً كبيراً، ثم أغار بعدئذ على العين المعروفة باسم «الأبيض» قرب السماوة، وكانت قد اجتمعت فيها عشائر عراقية كثيرة كشمّر والظفير وآل بعيح والزقاريط، فدهمهم في بيوتهم وغنم أكثر ما لديهم من إبل ومتاع، كما قتل عدّة رجال من فرسانهم كان منهم مطلق بن محمد الجرباء رئيس شمّر^١.

حملة الأحساء

اهتمّ الوالي بالأمر فأعدّ حملة كبيرة بقيادة الكهية^١ عليّ باشا للزحف على الوهابيين. وقد أمضى علي باشا صيف ١٧٩٨م كلّه في إعداد الحملة فحشد فيها خمسة آلاف انكشاري، ومدافع كثيرة، وقطعات من عشاير عقيل والعبيد وشمرّ والمنفق وقشعم والظفير وغيرهم، كما استأجر خمسة آلاف بندقي من النجادة، وحين وصل الزبير سار معه الكثير من أهاليها.

إنّها كانت حملة ضخمة حتّى قيل إنّها كانت تضمّ ثمانية عشر ألف فرس وعشرة آلاف بعير، ولكنّ ضخامتها هذه لم تنفعها في مسير الصحراء وربما كانت وبالاً عليها. وعندما وصلت الحملة إلى قلعتي «الهفوف» و«المبرز» ظهر الفشل عليها، فقد عجزت المدافع عن هدم أسوار القلعتين، فاستعيض عنها بالمعاول من غير جدوى، وبدأت الأباغر تهزل وينتشر فيها الموت، وضجّ الجنود سأمًا، وصار الكثير منهم ينادون بضرورة العودة وعدم فائدة الاستمرار في القتال^٢.

وفي هذه الحالة الحرجة وصلت إلى عليّ باشا رسالة من سعود يطلب فيها الصلح ونقلها فيما يلي بما هي عليه من أسلوب شبه عامي:

من سعود بن عبد العزيز إلى عليّ، أمّا بعد، ما عرفنا سبب مجيئكم إلى الحسا وعلى أيّ منوال جئتم، أمّا أهل الحسا فهم أرفاض ملاعين ونحن جعلناهم مسلمين بالسيف، وهي قرية الآن وليس داخله في حكم الروم وبعيدة عنكم ولم يحصل منها شيء يسوى تعبكم، ولو أنّ جميع أهل الحسا وما يليها تؤدّي لكم دراهمًا ما تعادل مصروفاتكم التي عملتموها في هذه السفارة، ولا يوجد بيننا

١. الكهية لفظة مختزلة عن «الكتخدا» الفارسيّة وكانت في عهد المماليك تعني معاون الوالي ومنقذ أوامره وقائد قوّاته، وكان هذا منصبًا كبيراً في تلك الأيام يلي منصب الوالي في الأهميّة. وقد تأتي لفظة «الكهية» في اللهجة العراقيّة أحياناً بصورة «الكخية» و«الجخية».

٢. ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ٢١٣.

وبينكم من المضاعنة قبل ذلك إلا تويني فهو كان المعتدي ولقي جزاءه، فالآن
 مأمولنا المصالحة فهي خيرٌ لنا ولكم، والصلح سيد الأحكام.
 وبعد مراسلات ومفاوضات وافق الفريقان على الصلح، وعادت الحملة إلى بغداد
 في شهر تموز من عام ١٧٩٩م. ولم يبق سوى إقامة المراسيم لتصديق شروط الصلح.
 فأرسل ابن سعود رجلاً من عنده إلى بغداد ليمثله في توقيع وثيقة الصلح^١.

عودة النزاع

لم يدم الصلح بين الفريقين طويلاً، إذ لم يمضِ على توقيع وثيقة الصلح سوى مدّة
 قصيرة حتّى حدثت حادثة نسفته نسفاً، وخلاصة الحادثة كما يرويها المؤرّخ ياسين
 العمري هي أنّ قافلة من أعراب نجد جاءت إلى العراق بحراسة فرسان من أتباع
 ابن سعود، وقد وصلت القافلة إلى بغداد فباعت ما لديها واشترت ما تحتاج إليه ثمّ
 عادت، وعند مرور القافلة بالنجف في طريق عودتها إلى ديارها شاهد الوهابيون شيخ
 الخزاعل وهو يقبل عتبة المرقد العلوي فهجموا عليه وقتلوه، وإذ ذاك نشبت معركة
 دامية بين الوهابيين والخزاعل دامت ثلاث ساعات قتل فيها عدد كبير من الفريقين
 ونهبت أباغر الوهابيين وخيلهم^٢.

وعندما علم ابن سعود بحادثة النجف أرسل إلى والي بغداد يطلب منه ديات القتلى
 ويهدّده بنقض العهد الذي بينهما، فأرسل الوالي إليه عبد العزيز بك الشاوي ليفاوضه
 في الأمر ويعلمه بأنّ القتلى كانوا من الجانبيين؛ إذ قتل الوهابيون من الخزاعل
 مثلما قتل الخزاعل من الوهابيين، ولكنّ ابن سعود ضحك عندما كلّمه الشاوي بهذا
 الشأن وقال له: «أما كفى الوزير أنّنا تاركوه يحكم بغداد؟ والله عن قريب ترى
 جميع غربي الفرات لنا وشرقيه له». ويروي ابن سند أنّ عبد العزيز الشاوي أثناء

١. المصدر: ٢١٤.

٢. ياسين العمري، الدرّ المكنون: ٥٣ - ٥٤.

مكوته بين الوهابيين من أجل المفاوضة تأثر بهم ومال إلى مذهبهم^١. كان من نتائج فشل المفاوضة أن صار الوهابيون يظهرن هنا وهناك غرب الفرات فيقطعون الطرق ويغيرون على القرى. وفي شهر أيار من عام ١٨٠٠م نهبوا قافلة كانت قادمة من الشام، بالقرب من بلدة عانة، وقتلوا عدداً من العائتين^٢. وفي رواية ياسين العمري أنهم أغاروا على بلدة عانة نفسها ونهبوا بعض بيوتها وقتلوا أربعين شخصاً من سكانها، ثم أغاروا بعدئذٍ على كبيسة ولكنّ عشيرة العبيد قاتلتهم فولّوا الأدبار^٣.

واقعة كربلاء

كانت واقعة كربلاء قد حدثت في يوم ٢٢ نيسان من سنة ١٨٠٢م، وهو يوافق يوم ١٨ ذي الحجة من سنة ١٢١٦هـ. وهذا اليوم كما هو معروف من أعياد الشيعة ويسمى «عيد الغدير»، وقد دخل الوهابيون بلدة كربلاء يومذاك على حين غرة وهم شاهرون سيوفهم يذبون كلّ من يلقونهم في طريقهم، ولم يستثنوا منهم الشيوخ والنساء والأطفال^٤. واختلف المؤرخون في عدد القتلى في ذلك اليوم فقدّره بعضهم بشمانية آلاف بينما قدّره آخرون بأقلّ من ذلك، وقيل: إنّ الوهابيين قتلوا عند ضريح الحسين خمسين شخصاً، وفي الصحن خمسمائة. ونهبوا كلّ شيء وقع في أيديهم من الدور والحوانيت والمرقد المقدّس. وكان أهمّ ما غنموه هدايا الملوك من النفائس والتحف والأحجار الكريمة التي كانت مخزونة في ضريح الحسين، وحاولوا قلع صفائح الذهب من على الجدران فلم يوقّفوا.

ويذكر السائح الهندي ميرزا أبو طالب خان - وكان قد زار كربلاء بعد الواقعة - أنّ الناس كانوا يتهمون عمر أغا حاكم البلدة بأنّه كان متواطئاً مع الوهابيين وقام

١. عثمان بن سند البصري، مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود: ٧٢. اختصار أمين الحلواني، القاهرة ١٣٧١هـ.

٢. يعقوب سرکيس، مباحث عراقية - بغداد ١٩٤٨م - ١: ٥٠.

٣. ياسين العمري، الدرّ المكنون: ٥٧.

٤. ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ٢١٥.

بمكاتبهم ولم يعمل شيئاً لحماية البلدة، والثابت أنه هرب إلى قرية قريبة من كربلاء أوّل ما علم بالخطر فلم يدافع قط. وقد قتله سليمان باشا أخيراً. ويقول أبو طالب أنه لقي بكربلاء عمته المسماة «كربلاي بگم» ونسوة من حاشيتها وكان الوهابيون قد سلبوهن كلّ ما يملكن فأعانهنّ بما استطاع من المعونة. ثمّ ذكر أبو طالب أنّ الوهابيين قتلوا خمسة آلاف إنسان وجرحوا عشرة آلاف...^١

الغارة على النجف

ترك الوهابيون كربلاء وهم فرحون بنصرهم وغنائمهم، وكانوا يقولون: «لو لم نكن على الحقّ لما انتصرنا»^٢. فتوجّهوا بعدئذٍ نحو النجف بغية أن يفعلوا بها مثلما فعلوا بكربلاء ولكنهم لم يوقفوا في ذلك؛ إذ كان أهل النجف قد استعدّوا لهم ودافعوا عن بلدتهم دفاعاً مستميتاً. وقد وصف الحادثة أحد الذين شهدوها من سكّان النجف فقال: لما جاء سعود إلى النجف وأحاط بها واشتغل الرمي بالرصاص من الطرفين قُتل من أهل النجف خمسة... وكانت شدة عظيمة على أهل النجف لعلمهم بما صنع بأهالي كربلاء من القتل والنهب، وما فعل بمكة والمدينة، ولذا برزت المخدرات من خدورها ومعهن العجائز يشجّعن المقاتلين ويقفن على كلّ فرقة فرقة ويقلن: أما تستحون على نساءكم أن تُهتك وأموالكم أن تُنهب وتذهب غيرتكم. واستغاثوا كلّهم بأمرير المؤمنين ﷺ وعجّوا إلى الله بالبكاء والعيول، واستجاروا بحامي الجار فأجارهم فهزم المنافقين وشتّت شملهم، وشوهدت ضرباته المعلومة^٣.

وبعد أن انسحب الوهابيون من حول النجف أسرع النجفيّون فنقلوا خزانة المرقد الثمين إلى الكاظمية؛ مخافة أن يعود الوهابيون مرّة أخرى فينهبوها كما فعلوا بخزانة

١. أبو طالب خان، رحلات في آسيا وأوروبا وأفريقيا - لندن ١٨١٠م - نقلاً عن ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ٢١٥ (الحاشية).

٢. عثمان بن سند البصري، مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود: ٧٤.

٣. جعفر محبوب، ماضي النجف وحاضرها ١: ٣٢٦.

الحسين في كربلاء. وقد عاد الوهابيون إلى النجف فعلاً - ولكن بعد خمس سنوات - غير أنهم لم يحظوا منها بطائل، فانسحبوا عنها خائنين.

عودة الوهابيين

كان يقيم في بغداد شخص أفغاني الأصل اسمه «ملاً عثمان» قيل إنه نذر نفسه للدفاع عن الإسلام وعزم أن يقتل رئيس الوهابيين^١، وقيل في رواية أخرى: إنه من أهل كربلاء وإنه كان فيها أثناء غزو الوهابيين لها وشهد بأَمِّ عينيه كيف ذبحوا زوجته وأطفاله فأقسم على الانتقام^٢. ومهما يكن الحال فقد ذهب ملاً عثمان إلى الدرعية عاصمة الوهابيين وهو بزّي درويش، فاختلف بهم حتى اطمأنوا إليه ووثقوا به، فكان يصلي في الصف الثالث في صلاة الجماعة وراء الأمير عبد العزيز بن سعود مباشرة. وفي يوم جمعة - في أواخر عام ١٨٠٣م - انتهز الفرصة أثناء الركوع فألقى بنفسه على الأمير وطعنه بمديّة اخترقت بطنه من الخلف، ولم يكتف بذلك بل طعن عبد الله شقيق الأمير وكان يصلي بجانب شقيقه فجرحه جرحاً بليغاً ولكن هذا أسرع بالرغم من إصابته فأهوى على القاتل بسيفه فقتله^٣.

تولّى إمارة الوهابيين بعد عبد العزيز ابنه سعود، وقد ظنّ هذا أنّ القتل جرى بتحريض من والي بغداد فعزم على الانتقام منه. ففي موسم الربيع من السنة التالية حين كانت عشيرة الظفير منتشرة في البادية وراء المراعي أغار عليها ابن سعود فنهباها نهباً، ثمّ توجه نحو البصرة فدهم الجانب الجنوبي منها وقتل فيه الكثيرين، وأغار على جماعة من المنتفق كانوا قرب البصرة برئاسة منصور بن ثامر السعدون فقتل بعضهم وأسر رئيسهم. وذهب إلى قصر الدرهميّة - وهو مشرب أهل الزبير - فهدمه وقتل من كان فيه. ثمّ توجه نحو بلدة الزبير فشرع بحصارها، وأراد بتّ الرعب في سكّان البلدة فأمر

١. رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء - بيروت: ٢٢٧.

٢. عبد الله فيليب، تاريخ نجد - ترجمة عمر الديراوي، بيروت: ١٠٣.

٣. المصدر: ١٠٣.

أتباعه عند غياب الشمس بأن يطلقوا رصاص بنادقهم كلّها دفعة واحدة، ولما سمع أهل الزبير ذلك ارتعبوا وصعدت النساء إلى السطوح ووقع فيهم الضجيج ممّا أدى إلى إجهاض بعض الحوامل، ولكنّهم صمدوا ولم يتخاذلوا، واستمرّ الحصار اثني عشر يوماً حصد فيها الوهابيون المحاصيل الزراعيّة التي كانت ناضجة آنذاك، وهدموا جميع القبور والمشاهد الموجودة خارج السور كمشهد طلحة والحسن البصري^١، ثمّ عادوا من حيث أتوا.

أرسل السلطان إلى علي باشا في بغداد يأمره بالحاح أن يسير لحرب الوهابيين، والظاهر أنّ علي باشا لم يكن يرغب في ذلك أو يشعر بالقدرة عليه، فأخذ يقوم بحركات مظهرية ضدّ الوهابيين لا جدوى فيها.

وكان قد أشيع إذ ذاك أنّ محمّد بك الشاوي وأخاه عبد العزيز يميلان إلى العقيدة الوهابية ولهما مراسلات مع سعود، فأمر عليّ باشا بقتلها ممّا أحنق عشيرتهما العبيد فقاموا بثورة شعواء، وقد استفحل أمر الثورة على إثر تحالف عشيرة العبيد مع عبدالرحمن بابان الذي كان من جانبه متحالفاً مع إيران، فأدّى ذلك إلى توتر العلاقات بين العراق وإيران، ثمّ إلى إعلان الحرب بينهما، وكانت النتيجة أن هُزم جيش عليّ باشا تجاه الجيش الإيراني هزيمة منكرة^٢.

الغارة الأخرى على النجف

وفي أواخر نيسان من عام ١٨٠٦م جاءت الأنباء إلى أهل النجف بأنّ الوهابيين قادمون لغزوها، فأخذ الكثيرون منهم يهربون من البلدة مخافة أن يفعل الوهابيون بها مثلما فعلوا بكربلاء قبل أربعة أعوام. ولم يبقَ في النجف من حملة السلاح القادرين على الدفاع عنها سوى مائتين.

انبرى للدفاع عن النجف الشيخ جعفر الجناحي الذي كان يتولّى الزعامة الدينيّة فيها - وهو صاحب كتاب كشف الغطاء - وساعده بعض زملائه من رجال الدين فصار

١. عباس العزّاوي، تاريخ العراق بين احتلالين - بغداد ١٩٥٤م - ٦: ١٦١.

٢. عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد - القاهرة ١٩٦٨م - ٤٥.

يجمع السلاح ويهتئ وسائل الدفاع. وفي الليلة التي أحاط الوهابيون بالبلدة كان الشيخ جعفر يشرف بنفسه على شؤون الدفاع، فأمر بغلق أبواب السور وجعل خلفها الصخور والأحجار، وعيّن لكلّ باب عدداً من المقاتلين، ولم يكتفِ بالمقاتلين من الأهالي بل جنّد معهم طلبة العلم.

وقد سجّل أحد المجتهدين الذين شهدوا الواقعة ذكرياته عنها - وهو السيّد جواد العاملي صاحب كتاب مفتاح الكرامة - فكتب في آخر الجزء الخامس من كتابه يقول: تمّ هذا المجلّد في أوّل شهر ربيع الأوّل سنة ١٢٢١ مع تشتت الأحوال واشتغال البال بما نابنا من الخارجي الملعون في أرض نجد فإنّه اخترع ما اخترع من الدين وأباح دماء المسلمين وتخريب قبور الأئمّة المعصومين... وفي سنة ١٢٢١ في الليلة التاسعة من شهر صفر قبل الصبح بساعة هجم علينا في النجف الأشرف ونحن في غفلة حتّى أنّ بعض أصحابه سعدوا السور وكادوا يأخذون البلد فظهرت لأمر المؤمنين ﷺ المعجزات الظاهرة والكرامات الباهرة فقتل من جيشه كثيراً ورجع خائباً وله الحمد على كلّ حال...^١.

غارات الوهابيين

بينما كانت بغداد مشغولة بأحداثها الدامية، كان الفرات الأوسط مهدداً بخطر الغزو الوهابي حتّى كان الرعاة هناك لا يستطيعون الخروج إلى البادية لخوفهم على أغنامهم من الوهابيين^٢.

وقد سجّل السيّد جواد العاملي ذكرياته عن تلك الأيام في آخر المجلّد السابع من كتابه مفتاح الكرامة حيث قال ما نصّه:

وقد أحاطت الأعراب من عزيزة - القائلين بمقالة الوهابي الخارجي - بالنجف الأشرف ومشهد الحسين ﷺ وقد قطعوا الطريق ونهبوا زوّار الحسين ﷺ بعد

١. جعفر محبوبه، ماضي النجف وحاضرها ١: ٣٢٧.

٢. يوسف كركوش الحلّي، تاريخ الحلّة - النجف ١٩٦٥م - ١: ١٣٢ - ١٣٣.

منصرفهم من زيارة نصف شعبان وقتلوا منهم جمعاً غفيراً، وأكثر القتل من العجم، وربما قيل: إنهم مائة وخمسون، وقيل أقل، وبقي جملة من زوّار العرب في الحلة ما قدروا على أن يأتوا إلى النجف الأشرف. فبعضهم صام في الحلة وبعضهم مشى إلى الحسكة. ونحن الآن كأننا في حصار، والأعراب إلى الآن ما انصرفوا، وهم من الكوفة إلى مشهد الحسين عليه السلام بفرسخين أو أكثر على ما قيل. والخزاعل متخاذلون مختلفون، كما أن آل بعيج وآل جشم يتقاتلون، كما أن والي بغداد جاءه وال آخر وأنه معزول وهما الآن يتقاتلان. وقد عمت علينا أخبارهما لانتقطاع الطرق. وبذلك طمعت عنيزة في الإقامة في هذه الأطراف ولا قوة إلا بالله^١.

هذه جولة موجزة عن نشأة الوهابيين وتاريخ دخولهم العراق، وما أحدثوه من مآسي ومجازر، كان من الطبيعي أن يقف العلماء والمصلحون أمامهم ليبينوا للناس فساد طريقتهم وعقائدهم ويحذروهم من الانسياق خلفهم. وقد ساهم العلامة البلاغي بشكلٍ جادٍ لدفع هذه المأساة الأليمة عن الأمة الإسلامية، كما سيّضح ذلك من خلال نشاطه العلمي والتأليفي الآتي بيانه.

١. جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها ١: ٣٢٧-٣٢٨.

حياة العلامة البلاغي

محمد الحسون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يعدّ العلامة محمّد جواد البلاغي من أبرز الوجوه العلميّة في النصف الأوّل من القرن الرابع عشر الهجري، إذ امتاز بميزات شخصيّة وخلقّيّة واجتماعيّة وعلميّة قلّما تجتمع في شخصٍ واحدٍ.

فهو ينحدر من أسرة عربيّة عريقة خدمت الشريعة المقدّسة برجالها الأدبيّة والعلميّة. ويتمتع بأخلاق عالية وتواضع كبير وصل إلى حدّ نكران ذاته المباركة، اعترف به كلّ من شاهده عن قرب من رفاقه وتلامذته ومعاصريه حتّى الذين يختلفون معه في العقيدة.

وله مواقف اجتماعيّة وسياسيّة مشهودة خدم بها المجتمع الإسلامي عموماً، وأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام خصوصاً.

ومنزلته العلميّة الرفيعة تتمثّل في عدد مؤلّفاته الكبير الذي تجاوز الأربعين أثراً في سبّتي العلوم الإسلاميّة، ونوعيّة تلامذته الذين أصبحت لهم أدوار فعّالة فيما بعد في أماكن مختلفة من المجتمع الإسلامي، فمنهم مراجع دين كبار، وأساتذة معروفون، وكتاب رقدوا الجامعة الإسلاميّة بآثار علميّة، ومحقّقون مختصّون بإحياء التراث الإسلامي، وشعراء وأدباء.

فالعلامة البلاغي فقيه أصولي، حكيم متكلم، محدّث بارع، فيلسوف، مفسّر، أديب شاعر، ورجل تقويّ، متواضع، عظيم في جميع جوانب سيرته، يُعدّ من مفاخر عصره علماً وعملاً. مجاهد كبير، له مواقف مشرّفة ضدّ القوّات الانكليزيّة. أوقف حياته

المباركة في الذبّ عن الدين ودحض شبه النصارى والمادّيين . له مؤلّفات كلاميّة كثيرة، ولا نغالي إذا قلنا فيه :

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

ومن نعم الله عليّ أن وقّني لخدمة هذا العالم الجليل - الذي أرجو نيل شفاعته يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون - بتحقيق بعض آثاره العلميّة، وكتابة حياة العلامة البلاغي الذي سلّطتُ الضوء فيه على جوانب متعدّدة من حياته المباركة .

وطالعت باقي مؤلّفاته المطبوعة في هذه الموسوعة ؛ للوقوف على حياته العلميّة، ومنهجه في التأليف، ومقوّمات شخصيّته العلميّة .

علماً بأنّ مؤلّفات العلامة البلاغي التي تمّ تحقيقها وطبعها في هذه الموسوعة هي عشرون مؤلّفاً، من ضمنها خمسة من «العقود المفضّلة» .

أمّا باقي مؤلّفاته التي تصل إلى خمسة وعشرين مؤلّفاً فأكثرها مخطوطة، لم نعرث على نسخة لها؛ وذلك لأنّ أكثر مؤلّفاته بقيت في مكتبته الخاصّة التي لا نعلم عن مصيرها شيئاً .

وأرجو من الإخوة الفضلاء والزملاء المحقّقين أن لا يضيّئوا علينا بأيّة ملاحظة أو تصويب، والمرء قليل بنفسه كثير بأخيه، والحمد لله ربّ العالمين .

محمد الحسون

٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٤٢٣

ذكرى مولد الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام

الباب الأوّل

حياته الشخصية والاجتماعية

وفيه فصول:

الفصل الأوّل: اسمه ونسبه وألقابه

الفصل الثاني: ولادته

الفصل الثالث: أسرته

الفصل الرابع: نشأته ومراحل حياته

الفصل الخامس: ملامح شخصيته ومقوماتها

الفصل السادس: حياته الاجتماعية

الفصل الأوّل اسمه ونسبه وألقابه

يُعدّ العلامة البلاغي من أعلامنا البارزين المتأخّرين، إذ مضى على وفاته سبعون عاماً تقريباً من وقت كتابة هذه الأسطر في سنة ١٤٢٣هـ. فمن المفروض أن لا يقع اختلاف في اسمه ونسبه، وكذلك في كافّة الأمور المتعلقة بحياته الشخصية والاجتماعية والعلمية، كما هو بالنسبة لعلمائنا المتقدّمين الذين من الصعب الوقوف على تفاصيل حياتهم بمختلف أدوارها. ومع ذلك فإننا نشاهد اختلاف المترجمين له في شؤون حياته.

اسمه

أصحاب التراجم والسير الذين عاصروا العلامة البلاغي ذكروه باسم «جواد»، كالشيخ محمّد حرز الدين^١، والسيد محسن الأمين^٢، والشيخ جعفر محبوبة^٣. نعم، انفرد بتسميته «محمّد جواد» المحدث الشيخ عباس القمي^٤. وكذلك العلامة الطهراني في ذريته عند ذكره لمؤلفاته. علماً بأنّ البلاغي قد وقّع باسم «محمّد جواد» في بعض مؤلفاته ورسائله، مثل:

١. معارف الرجال ١: ١٩٦.

٢. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٥.

٣. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦١.

٤. الكنى والألقاب ١: ٩٤.

العقود المفصلة، وآء الرحمن في تفسير القرآن، وفي رسائله إلى أعلام معاصريه^١. وهذا لا يُعدّ اختلافاً مهماً في اسمه؛ إذ كثيراً ما يُضيف الآباء لأسماء أبنائهم اسم «محمد» تبركاً وتيمناً.

نسبه

نسبه - كما ذكرته الكثير من كتب التراجم والسير - هو: محمد جواد - أو جواد - ابن الشيخ حسن ابن الشيخ طالب ابن الشيخ عباس ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ حسين ابن الشيخ عباس ابن الشيخ حسن - صاحب تنقيح المقال في الأصول والرجال^٢ - ابن الشيخ عباس ابن الشيخ محمد علي ابن الشيخ محمد البلاغي^٣. وقد أضاف شيخنا آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي رحمته لِنَسَبِهِ بعد ذكر جدّه الأخير الشيخ محمد البلاغي: ابن عبد الله بن محمد الشاعر الربيعي^٤.

ألقابه

للعلامة البلاغي ثلاثة ألقاب:

البلاغي: وهو اللقب الذي عُرفت به أسرته منذ منتصف القرن العاشر الهجري إلى هذه الأيام، وذكره كافة المترجمين له. ولم يتسنّ لي معرفة أصل هذه النسبة، وما وقفت على من تعرّض لها ممن كتب عن البلاغيين.

الربيعي: نسبة إلى «ربيعة»: إحدى القبائل العربية الكبيرة، إذ أفه من أصل عربي صميم^٥.
النجفي: نسبة إلى مسقط رأسه مدينة النجف الأشرف.

١. راجع الجزء الثامن من الموسوعة، مراسلاته.

٢. الذريعة ٤: ٤٦٦ / ٢٠٦٩.

٣. انظر: معارف الرجال ١: ١٩٦؛ أعيان الشيعة ٤: ٢٥٥؛ ريحانة الأدب ١: ٢٧٨؛ ماضي النجف وحاضرها ٢: ٥٨؛

تقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة): الذريعة ٢: ٢٢٠ / ٨٦٦ و ٤٤٧ / ١٧٣٥؛ شعراء الفري ٢: ٤٣٦.

٤. وذلك في ترجمته للمصنّف برسالة سماها «وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ»، طبعت في أوّل ترجمة الرحلة المدرسيّة بالفارسيّة. طبع مؤسسة نصر. وطبعت أيضاً في انتهاء هذا المجلّد في ص ٤١٢.

٥. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٥.

الفصل الثاني

ولادته

ولد العلامة الشيخ محمدجواد البلاغي في محلّة «البراق» في مدينة النجف الأشرف^١؛ ولذلك نُسب إليها.

أمّا تأريخ ولادته فهناك أربعة أقوال:

الأول: سنة ١٢٨٠ هـ، ذهب إليه الشيخ محمد حرز الدين^٢، والميرزا محمد علي المدرّس التبريزي^٣، والشيخ جعفر محبوبه^٤.

الثاني: سنة ١٢٨٢ هـ، ذهب إليه الأديب الشاعر الشيخ محمد السماوي^٥، والمتتبع الخبير الشيخ الطهراني^٦، والأستاذ علي الخاقاني^٧، وخير الدين الزركلي^٨، والنسابة الكبير شيخنا آية الله العظمى السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي^٩، وعليه الكثير

١. انظر: معارف الرجال ١: ١٩٦؛ نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٢٢٣؛ شعراء الغري ٤٣٧: ٢؛ وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٣.

٢. معارف الرجال ١: ١٩٦.

٣. ربحانة الأدب ١: ٢٧٩.

٤. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٢.

٥. الطليعة من شعراء الشيعة ١: ١٩٥.

٦. نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٣؛ وفي موارد كثيرة في الذريعة منها ٤: ٤٨٥ / ٢١٧٢، و ٢٠٢: ٢٦٨ / ٢٧٦ و ٨٨.

٧. شعراء الغري ٢: ٤٣٧.

٨. الأعلام ٦: ٧٤.

٩. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٣.

من المعاصرين الذين تعرّضوا لحياة العلامة البلاغي .

الثالث: سنة ١٢٨٣ هـ، ذهب إليه الشيخ علي كاشف الغطاء^١.

الرابع: سنة ١٢٨٥ هـ، ذهب إليه السيّد محسن الأمين^٢، والسيّد عبد الوهّاب الصافي في ترجمته للعلامة البلاغي المطبوعة في العدد الأوّل من السنة الثانية لمجلّة «الاعتدال»^٣.

وإنّي أرجح القول الثاني منها لدليلين:

الأوّل: أنّ هذا التأريخ سمعه الشيخ الطهراني من العلامة البلاغي مباشرةً، وهو أعرف بتأريخ ولادته من غيره^٤.

الثاني: من المتفق عليه عند جميع المؤرّخين أنّ عمر العلامة البلاغي عند ما توفي كان سبعين سنة، وقد أجمع المترجمون له على أنّ تأريخ وفاته كان سنة ١٣٥٢ هـ^٥.

١. حكاة الأستاذ علي الخاقاني في شعراء الفري ٢: ٤٣٧ عن الحصون المنيعه ٩: ١٨٦.

٢. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٥.

٣. حكاة عنه الأستاذ علي الخاقاني في شعراء الفري ٢: ٤٣٧.

٤. نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٣.

٥. انظر: الكنى والألقاب ٢: ٩٥؛ معارف الرجال ١: ٢٠٠؛ الطليعة من شعراء الشيعة ١: ١٩٥؛ أعيان الشيعة ٤:

٢٥٥؛ ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٢؛ نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٤؛

الأعلام ٦: ٧٤؛ الإجازة الكبيرة: ١٦٠ / ١٩٨؛ شعراء الفري ٢: ٤٣٧.

الفصل الثالث

أسرته

آل البلاغي من الأُسَر القديمة العريقة في العلم، والمشهورة بالتقوى والصلاح والساداد. فقد بزغت شمس هذا البيت وسطع نوره الوضاء في أواسط القرن العاشر الهجري في مدينة النجف الأشرف، وأخذ يزداد إشراقه العلمي يوماً بعد يوم حتّى وصل إلى القمّة في الشرف والمراتب العلميّة السامية، وذاع صيته في دنيا الأدب والثقافة، وأنتج رجالات علميّة كبيرة، كان لها الأثر البالغ في تقدّم النجف العلمي وازدهاره.

قال عنهم السيّد محسن الأمين:

وآل البلاغي: بيتٌ علم وفضل وأدب ونجابة، أخرج بيتهم كثيراً من العلماء والأدباء. وهم عراقيون نجفيّون ينتسبون إلى ربيعة... ومَن ذكرناهم في سلسلة نسب المترجم - الشيخ محمد جواد - جلّهم من أهل العلم والفضل والخدمة في الدين وإن اختلفت مراتبهم^١.

وقال عنهم الشيخ جعفر محبوبه:

آل البلاغي من الأُسَر العلميّة الأدبيّة السابقة في العلم والفضل، والمحلّقة بقوادم المجد والسؤدد، العريقة في العروبة، والمتقدّمة في الهجرة. تقطن النجف من عهدٍ غير قريب، وهي من الأُسَر العربيّة العراقيّة التي عُرفت بمقامها الجليل ومركزها الدينيّ السامي، وترجع بنسبها إلى ربيعة.

عُرفت هذه الأسرة في النجف، واشتهر ذكرها في أواسط القرن العاشر للهجرة، فضمّت

مع سمو النسب شرف الحسب. فلم تتكلم على نسبها الوضاء، بل تقدّمت بحسبها؛ لأنّها قد حازت على العلوم الروحية والكمالات النفسية بجدها واجتهادها، وسبقت بالتقوى والصلاح والإرشاد، وبرزت بالعبادة والزهادة، مع كرم نفسٍ وطيب معشر. وقد نبغ منها رجال تقدّموا في معارفهم ومكارم أخلاقهم الدينية، واشتهروا في عصورهم، فكانوا من الرجال المعدودين الذين يُشار إليهم بالبنان، ويُذكرون بسيرتهم وفضلهم وبتقواهم على كلِّ لسان^١.

وقال عنهم الشيخ الطهراني:

آل البلاغي: من أقدم بيوتات النجف وأعرقها في العلم والفضل والأدب، أنجبت هذه الأسرة عدّة من رجال العلم والدين^٢.

والده

الشيخ حسن ابن الشيخ طالب البلاغي (م حدود ١٣١٠هـ).

لم أعر في المصادر المتوفرة لدينا على شيء يُعتدّ به عن حياة هذا العالم الجليل، سوى ما ذكره الشيخ جعفر محبوبه عنه قائلاً:

كان من أهل الفضل والكمال، حاز الشرف بنفسه، وضمّ إليه سمو أصله - وهو والده الشيخ طالب - وطيب فرعه، وهو الشيخ جواد الذي ملأ ذكره جميع الأصقاع والبقاع وتُرجمت مؤلفاته إلى كثير من اللغات.

توفّي في عصر الشاعر الشهير السيّد إبراهيم آل بحر العلوم (م ١٣١٩هـ) ورثاه بقصيدة مثبته في ديوانه المطبوع، وقد عزّى بها أخاه الشيخ حسين وولده الجواد، فقال من مطلعها:

وَعَيْنِكَ مَا لِلْعَيْنِ بَعْدَكَ مَسْرُحٌ وَلَا لِمَزَارِ الدَّمْعِ بَعْدَكَ مِنْ غَبٍّ
إِذَا خَطَرْتُ لِي مِنْكَ فِي الْقَلْبِ خَطَرَةٌ تَأَوَّهْتُ مِنْ كَرْبِي وَخَنَّ لَهَا قَلْبِي^٣

١. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٥٨.

٢. نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٣.

٣. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٦ - ٦٧.

وذكره شيخنا آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي قائلاً:
كان على جانبٍ عظيم من الفضل والتقى، وهو الذي رثاه بقصيدة رائعة أديب
قريش وشاعر العلويين الكرام السيد إبراهيم الطباطبائي.
ثم ذكر من مؤلفاته: «منظومة فقهية، وتعاليق مفيدة على بعض كتب الفقه والحديث»^١.
وفي رسالة وجهها السيد محسن الأمين من سوريا إلى العلامة البلاغي في السادس
والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١٣٥١ هـ، يسأله فيها عدّة أسئلة، منها: «والدك
الشيخ حسن إن كنتم تعرفون وفاته وشيئاً من أحواله فاكتبوها لنا؟»
فأجابته البلاغي في الثامن والعشرين من شهر محرّم الحرام سنة ١٣٥٢ هـ بقوله:
والذي مرحوم الشيخ حسن لا أعين عام وفاته، وظنّي أنّه مضى لذلك فوق
الأربعين سنة أو أربعون ونحو ذلك. ولا أذكر من أحواله ما له دخل في المقام.
إلا أنّه من أهل العلم والفضل^٢.
علماً بأنّ المحقق السيد أحمد الحسيني - حفظه الله ورعاه - في مقدّمته لكتاب
الرحلة المدرسية سَمّى والد العلامة البلاغي «حسين»^٣.
وهو إمّا خطأ مطبعي، أو سهو من قلمه الشريف.

والدته

لم يذكرها من أصحاب التراجم والسير الذين ترجموا للبلاغي، سوى السيد المرعشي
النجفي إذ قال:

وأُمّه الجلييلة الصالحة التقية، كانت من ذرية العلامة الشيخ محمّد علي البلاغي
صاحب جامع الأقوال^٤.

١. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٦ و٤١٣.

٢. أعيان الشيعة ٤: ٢٦١.

٣. الرحلة المدرسية - المطبوعة في مطبعة النعمان في النجف الأشرف سنة ١٣٨٢ هـ -: ٤.

٤. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٣.

الشيخ طالب ابن الشيخ عباس البلاغي (م ١٢٨٢هـ).

عالم فاضل، فقيه أصولي، من مشاهير علماء عصره، تخرّج على الشيخ محمّد حسن النجفي صاحب الجواهر (م ١٢٦٦هـ)، كان ڤ معروفًا بالتقوى والزهد والإيثار^١.

قال عنه النّسابة آية الله العظمى السيّد المرعشي النجفي:

كان ذا كرامات ومقامات، نقل بعضها لي شيخنا الأستاذ البلاغي عن العلامة الشيخ محمّد طه نجف^٢.

وترجم له ترجمةً وافيةً الشيخ جعفر محبوبه قائلاً:

كان من مشاهير أهل الفضل، معروفًا بالزهد والتقوى، ومن أهل الإيثار والكرامات، نقل له العلامة الشيخ محمّد طه نجف ڤ كرامةً وقعت له بعد وفاته نقلها له الأبرار من أصحاب المترجم له.

وكان من الشعراء المجيدين، وله مراسلات ومطارحات مع أدباء عصره ألفه ثلثة من أعلام الأدب في النجف.

وهو الذي كوّن الندوة الأدبية النجفية التي عُرفت بالندوة البلاغية، وهي أوسع من المعركة الأدبية النجفية المشهورة بمعركة الخميس التي وقعت في عصر السيّد بحر العلوم ڤ.

لقد تجارى في هذه الندوة الأدبية أكثر من عشرة شعراء، وهم من فرسان القريض ورجال الأدب: كالشيخ إبراهيم صادق العاملي، والشيخ إبراهيم قفطان، والشيخ أحمد البلاغي، والشيخ أحمد قفطان، والشيخ باقر ابن الشيخ هادي، والشيخ عباس ابن الملائ علي البغدادي، والشيخ عبد الحسين محيي الدين، والسيّد كاظم ابن السيّد أحمد العاملي، والسيّد محمّد ابن السيّد معصوم، والشيخ موسى شريف من آل محيي الدين، والسيّد صالح ابن السيّد مهدي القزويني النجفي البغدادي، والشيخ صالح حاجي.

١. الكنى والألقاب ٢: ٩٤.

٢. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٦.

لقد دوّن هذه الندوة الأديب البارع الشيخ إبراهيم صادق العاملي، وقد أطرى كلّ شاعر من هؤلاء أمام قصيدته بكلمة موجزة عن حياته، وقد أطرى المترجم بكلمة بليغة أوقفنا على حياته وما له من المكانة السامية والشأن، وما له من المودة والوفاء في قلوب أخلّائه، وأنه المحور والمدار لهذه الجمعية الأدبية الروحية المتكوّنة سنة ١٢٦٦هـ.

خلاصة الندوة أنّ المترجم كان يعتاد السفر إلى بغداد، وفي إحدى سفراته طالت سفرته، فتلهّف عليه أصحابه، وكان أشدهم تلهّفاً عليه السيّد صالح القزويني. ولما عاد المترجم إلى النجف ذهب إلى دار السيّد صالح، فمدحه السيّد بقصيدة موشحة مسطّطة سباعيّة ومدح صحابته المذكورين، وهم كذلك مدحوا السيّد بقصائد وأنثوا على موشحه، ومدحه بعد ذلك الشيخ طالب. فكانت حلبة من أشهر حلبات الأدب النجفي الوافي، وحكموا فيها عبد الباقي العمري الشاعر الشهير، وكانت حكومته أبياتاً...

وله شعر كثير، نشر له الشيخ سليمان الظاهر العاملي عدّة قصائد ومقاطع في مجلّة الغرّي النجفيّة في سنتها الثانية في الصفحة ١٨٤^١.

ومن أسئلة السيّد محسن الأمين:

الشيخ طالب ابن الشيخ عباس البلاغي، ذكروتم أنّ الشيخ محمّد طه كان يحدث بكرامة له، ذكرها استطراداً في أحوال الشيخ حسين نجف الكبير، فإن كانت غير موجودة في رجال الشيخ محمّد طه أرجو كتابة حاصلها.

فأجابه العلامة البلاغي بقوله:

وأما الكرامة التي ذكرها الشيخ محمّد طه للمرحوم الشيخ طالب فهي غير موجودة في رجاله^٢، ولم أظفر برسالته في أحوال الشيخ حسين نجف، ولست على ثقة من حفظي لمؤاذاها لأكتب لحضرتك حاصلها^٣.

١. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٧٢-٧٤.

٢. هي موجودة في رسالته التي ألفها في أحوال جدّه لأئمّه الشيخ حسين نجف الكبير، انظر ماضي النجف وحاضرها ٢: ٧٢، «الهامش ١».

٣. أعيان الشيعة ٤: ٢٦١.

زوجته

هي العلوية الشريفة الجليلة الأصيلة التقيّة، بنت العالم الجليل السيّد موسى الجزائري، الذي كان يسكن في مدينة الكاظميّة المقدّسة^١. تزوّجها عند سفره إلى مدينة الكاظميّة المقدّسة واستقراره هناك سنة ١٣٠٦هـ، وكان عمره آنذاك أربعاً وعشرين سنة^٢.

عقبه

لم تُشر المصادر المتوفّرة لدينا التي ترجمت العلامة البلاغي، إلى أنّه أعقب أولاداً ذكوراً، بل لم تتعرّض أيضاً إلى عدد بناته. والذي عثرتُ عليه خلال تتبّعي لهذه المصادر نقطتان فقط، تؤكّد الأولى على أنّه لم يعقب بنين، وتشير الثانية إلى ذكر بنتٍ له:

الأولى: ورد في القصيدة الثانية للشاعر الكبير السيّد رضا الهندي (م ١٣٦٢هـ) التي رثى بها العلامة البلاغي قوله:

إِنْ كُنْتَ لَمْ تُعَقِّبْ بَنِينَ فَكُلُّ مَنْ يَهْدِيهِ رُشْدُكَ فَهُوَ مِنْكَ تَوَلَّدَا^٣

الثانية: في ديوان الخطيب البارع الشاعر الشيخ محمد عليّ يعقوبي (م ١٣٨٥هـ) وردت قصيدة طويلة تقع في تسعة وستين بيتاً، قالها في حفلةٍ تكريميّة أقامها للأستاذ محمد عليّ البلاغي صاحب مجلّة الاعتدال النجفيّة بمناسبة قرانه بكريمة عمّه العلامة محمد جواد البلاغي، وذلك في اليوم الخامس من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٥٦هـ، أي بعد وفاة العلامة البلاغي بأربع سنين تقريباً، ومطلع القصيدة هو:

١. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٣.

٢. نقيب البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٢٢٣.

٣. ديوان السيّد رضا الهندي: ١٢٥؛ ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٦؛ شعراء الغري ٤: ٩٦.

ذَكَرَ الْمُذَيَّبَ وَعَهَّدَ بَارِقُ صَبُّ مُضْنَى الْقَلْبِ وَامِقُ

العلماء من أسرته

نذكر هنا ترجمة مختصرة لبعض أعلام هذه الأسرة، اقتبسناها مما كتبه عنهم الشيخ جعفر محبوبه في ماضي النجف وحاضرها^١.

١ - الشيخ إبراهيم ابن الشيخ حسين ابن الشيخ عباس ابن الشيخ حسن ابن الشيخ عباس ابن الشيخ محمد علي بن محمد البلاغي.

من رجال العلم والفضل، نجفي المولد والمنشأ، وفي أوائل أيامه جاور الكاظمين عليه السلام. وهو أول من سافر من العراق حاجاً من البلاغيين وسكن الشام، وسكنت ذريته قرية الكوثريّة من قرى جبل عامل وهو من تلاميذ الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء. توفي سنة الطاعون في الكاظميّة سنة ١٢٤٦ هـ.

٢ - الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد علي ابن الشيخ عباس ابن الشيخ حسن ابن الشيخ عباس ابن الشيخ محمد علي ابن الشيخ حسن البلاغي.

كان عالماً كاملاً، أديباً تقياً، من مشاهير أهل الفضل من تلاميذ السيّد عبد الله شبر، ذكره السيّد محمد معصوم في رسالته في أحوال أستاذه السيّد الشبري قال: ومنهم العالم العامل والمحقّق الكامل، صاحب النظر الدقيق، التقى النقيّ الألمي، مولانا الشيخ أحمد.

وذكره السيّد محمد الهندي فقال:

كان رجلاً نورانيّ الوجه وقوراً، أبيض اللحية، كبير الشيبة، كثير المخالطة مع العلماء، ولأبيه مجلّدات في الفقه كثيرة كبيرة لم تخرج إلى البياض.

١. ديوان اليعقوبي: ٢١٤. وبعد كتابتي لهذه الأسطر زار بعض أصدقائنا في سنة ١٤٢٧ هـ العلامة المحقّق آية الله السيّد محمد مهدي الخرسان حفظه الله ورعا في داره في مدينة النجف الأشرف، فأخبرهم بأنّ للعلامة البلاغي بنتاً أخرى تزوّجها السيّد عبد الحسين العاملي من أحفاد السيّد العاملي صاحب مفتاح الكرامة.

٢. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٥٨ - ٧٩.

من آثاره شرح تهذيب الأصول للعلامة الحلبي ١٢٧١ هـ.

توفي يوم الأربعاء سنة ١٢٧١ هـ ودفن في الصحن العلوي الشريف، وراثه جماعة من الشعراء منهم الشيخ إبراهيم صادق العاملي.

٣ - الشيخ حسن البلاغي.

قرأ الدرس بقرية طيردبا مدة من الزمن، ثم انتقل إلى العراق فقرأ في النجف، ولم تطل مدته فتوفي بها.

٤ - الشيخ حسن ابن الشيخ عباس ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ حسن ابن الشيخ عباس ابن الشيخ حسن ابن الشيخ محمد علي بن محمد البلاغي.

هو شقيق الشيخ طالب وشبيهه، قال في التكملة:

كان عالماً فاضلاً، تقياً نقياً ورعاً، سكوتاً قليل الكلام، من عباد الله الصالحين، كان صهر الشيخ أحمد على ابنته الفاضلة الجليلة فضة.

توفي بمدينة الكاظمية حدود سنة ١٢٨٠ هـ.

٥ - الشيخ حسن ابن الشيخ عباس ابن الشيخ محمد علي بن محمد البلاغي.

كان من أكابر العلماء، ومن مشاهير أهل الفضل، مجتهداً محققاً رجائياً، له اطلاع في أكثر العلوم الدينية، طويل الباع في الحديث، واسع الخبرة بالفقه والأصول، من أهل التقوى والورع.

تخرج على والده الشيخ عباس، وعلى الشيخ علي بن زين الدين بن محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني، كتب له شيخه هذا إجازة على ظهر كتاب الاستبصار الذي كتبه سنة ١٠١٧ هـ صالح بن محمد بن عبد الإله بن محمود السلامي. من آثاره: تنقيح المقال، حاشية ذات فوائد رجالية كثيرة على الاستبصار، شرح الصحيفة السجادية.

٦ - الشيخ حسين ابن الشيخ طالب البلاغي.

هو أحد رجال القريض في عصره، قرض الشعر فأبدع فيه، تطفح على شعره السلاسة والمتانة بالرغم من إقلاله لنظم الشعر.

كان فاضلاً كاملاً أديباً، نشأ في حجر العلم والأدب، وعُدِّي بلبان النبوغ والعبقريّة، عاشر الأفاضل من أهل العلم والكمال وحذا حذوهم، وله قصائد متعدّدة في مدح السيّد المجدّد الشيرازي وراثته.

توفي بعد سنة ١٣١٨ هـ.

٧ - الشيخ رشيد ابن الشيخ طالب البلاغي.

كان كاملاً أديباً وشاعراً لبيباً، عالماً بالعربيّة، حسن الخطّ والإنشاء، عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ وسائر العلوم الأدبيّة، كان يقيم في جبل عامل، تشرف بزيارة الأئمة عليهم السلام في حدود سنة ١٢٨٠ هـ، ثمّ رجع إلى بلاده وتوفي بها.

٨ - الشيخ طالب البلاغي.

هو والد الشيخ رشيد، وهو غير الشيخ طالب الآتي، ذكره السيّد في التكملة عند ذكر ولده فقال:

كان من العلماء وأهل الفضل، ومن الأدباء الفصحاء، ومن أهل الجاه والتبجيل في بلاد «بشارة»، حسن المحاضرة، متكلماً، مقدّماً عند الأمراء، من بيت علم وفضل. سمعتُ أهل تلك البلاد يقولون: إنّه كان من وجوه علمائنا في الفصاحة والبلاغة وسائر المحاضرات.

٩ - الشيخ عبّاس ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ حسين ابن الشيخ عبّاس ابن الشيخ حسن ابن الشيخ عبّاس بن محمّد البلاغي.

كان من العلماء الأبرار، وأهل الشأن والاعتبار والوجاهة، ومن أهل الفضل، وكان من تلاميذ الشيخ الكبير، وهو والد الشيخ حسن والشيخ طالب والشيخ عبد الله. توفي سنة الطاعون سنة ١٢٤٦ هـ.

١٠ - الشيخ عبّاس ابن الشيخ حسن ابن الشيخ عبّاس ابن الشيخ محمّد علي بن محمّد البلاغي.

من العلماء الكبار، وأهل النبوغ في الفقه والأصول، وكان مرجعاً يرجع إليه بعض الناس في الفتيا، وهو من تلاميذ المولى أبي الحسن الشريف الفتوني، قال في التكملة:

عالم عامل، فاضل جليل، من بيت علم وفضل، وله أولاد علماء أفاضل، وذريته فيهم العلم إلى اليوم، وهو في طبقة تلاميذ العلامة المجلسي رحمته. من آثاره: رسالة عملية في الطهارة والصلاة، رسالة في ما يتعلق بالنكاح من السنن، شرح على الصحيفة السجادية.

١١ - الشيخ عباس ابن الشيخ محمد علي البلاغي.

قال ولده الشيخ حسن في تنقيح المقال:

والدي وأستاذي، ومنّ عليه في أكثر العلوم الشرعية استنادي، ثقة عين، صحيح الحديث، مستحضر لأكثر العلوم، له في العربية والفقه وأصوله يدٌ طولى، وله على أغلب الكتب التي في تلك العلوم حواشٍ جيّدة حسنة نقيّة، وله حاشية حسنة جيّدة مدوّنة على تهذيب الحديث من أوّله إلى آخر كتاب الحجّ.

١٢ - الشيخ محمد علي ابن الشيخ عباس ابن الشيخ حسن ابن الشيخ عباس ابن

الشيخ محمد علي بن محمد البلاغي.

من مشاهير رجال العلم وفرسان الفقه والأصول، بزغ في سماء العلم بدره، وشعّ في نوادي الدرس والتدريس ضوؤه، فهو مجتهد مسلمّ الفضل، مشهود له بالتقدّم. وكان كاملاً أديباً يجيد صوغ القريض، وهو من العلماء المحققين المصنّفين في الفقه والأصول، وهو جدّ الشيخ طالب لأّمه.

تخرّج على السيّد بحر العلوم والوحيد البهبهاني، وتتلّمذ على الشيخ صاحب كشف الغطاء والسيّد محسن الأعرجي.

من آثاره: شرح تهذيب الوصول إلى علم الأصول، جامع الأقوال في الفقه، كتاب في الفقه على طراز مختلف العلامة الحلّي.

١٣ - الشيخ محمد علي بن محمد البلاغي.

هو مؤسس كيان هذه الأسرة، ورافع علم العلم في ربوع الدرس والتدريس، وأوّل من بزغ هلاله في فضاء العراق، واشتهر ذكره بالفضل في النجف مدينة العلم، ولم يُعلم من أين كانت هجرته ولا سبب تلقّبه بالبلاغي.

كان فقيهاً متبحراً، من علماء القرن العاشر، ذكره حفيده الشيخ حسن ابن الشيخ عباس في كتابه تنقيح المقال فقال:

جَدِّي ﷺ، وجه من وجوه علمائنا المجتهدين المتأخرين وفضلنا المتبحرين، ثقة عين، صحيح الحديث، واضح الطريقة، نقيّ الكلام، جيد التصانيف، له تلاميذ فضلاء أجلاء علماء. وله كتب حسنة جيدة منها: شرح أصول الكافي للكلييني ﷺ، وشرح إرشاد العلامة الحلّي. وله حواشٍ على التهذيب والفقيه، وحواشٍ على أصول المعالم وغيرها.

كان من تلاميذ الفاضل الورع العالم العامل محمد بن الحسن بن زين الدين العاملي، ومن تلاميذ أحمد بن محمد الأردبيلي ﷺ. توفي في كربلاء المقدّسة سنة ١٠٠٠هـ، ودفن في الحضرة الحسينيّة الشريفة.

الفصل الرابع نشأته ومراحل حياته

نشأته

من العوامل المؤثرة في شخصيَّة كلِّ فرد، الفطرة السليمة، وسلامة السلوك الخُلقي والاجتماعي، التي تعتمد بشكل كبير على طبيعة البيئة التي نشأ وتربى فيها.

والمُتدبِّر لحياة العَلامَة البلاغي ﷺ مُنذ رُفعت عنه ثَمائمه، يجده قد نشأ وترعرع في حجر الفضيلة، وفُطم على حبِّ المكارم والشناشِن العربيَّة الأصيلَة، وتربى على أُسس التربيَة الإسلاميَّة الرفيعة، فكان نموذج المسلم القرآني الصحيح الإيمان الصادق العقيدة، ومثال العربي الصميم الصريح.

فقد تتلمذ في أوَّل حياته الدراسيَّة في النجف الأشرف، التي كانت تُعدُّ آنذاك أعظم جامعة لشتى العلوم الإسلاميَّة، ونهل من مدارسها في الفقه والأصول والفلسفة، ومن نواديها في الأدب والثقافة والشعر، ممَّا كان له الأثر الكبير - في ما بعد - في تكوين شخصيَّته العلميَّة والأدبيَّة، فتجلَّى ذلك في عمق بحوثه، وأسلوبه السهل في البيان وحسن العرض، وأدبه الجمِّ، وخُلقة الدمث في المناظرة والججاج.

ولم يكتفِ علَّامتنا البلاغي - رضوان الله تعالى عليه - بالموث في مدينة النجف الأشرف، بل سافر إلى المدن الإسلاميَّة المقدَّسة في العراق التي كانت زاخرة آنذاك بالعلماء الكبار.

ففي سنة ١٣٠٦هـ هاجر إلى مدينة الكاظميَّة المقدَّسة وحضر على بعض علمائها، وتزوَّج فيها من ابنة السيِّد موسى الجزائري الكاظمي.

ثم عاد إلى مدينة النجف الأشرف سنة ١٣١٢ هـ، وحضر دروس أعلامها كالشيخ أقا رضا الهمداني، والشيخ محمد طه نجف، والسيد محمد الهندي، والآخوند محمد كاظم الخراساني.

وفي سنة ١٣٢٦ هـ ترك مدينة النجف الأشرف وهاجر إلى سامراء من أجل الاستفادة من أبحاث زعيم الثورة العراقية الميرزا محمد تقي الشيرازي، فحضر درسه المبارك لمدة عشر سنوات.

وفي سنة ١٣٣٦ هـ غادر مدينة سامراء عند احتلالها من قبل الجيش الإنكليزي، ومكث ثانية في مدينة الكاظمية المقدسة لمدة سنتين مؤازراً للعلماء في دعمهم للثورة العراقية الكبرى، وإثارة العواطف ضد الإنكليز، ومحرضاً على طلب الاستقلال.

وفي سنة ١٣٣٨ هـ عاد إلى مسقط رأسه مدينة النجف الأشرف، وواصل نشاطه الديني في التدريس والتأليف وإمامة الناس في الصلاة ووعظهم وإرشادهم، إلى أن وافاه الأجل المحتوم في ليلة الاثنين الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة ١٣٥٢ هـ.

عصره ومعاصروه

نشأ المترجم له في عصر زاخر بالعلماء، مزدهر بحلقات الدرس المنتشرة آنذاك في المدن المقدسة كالنجف الأشرف والكاظمية وسامراء.

وعند مراجعتنا لقائمة أسماء الأعلام الذين عاصروهم البلاغي أو عاصروه، سواء الذين تتلمذ عليهم وروى عنهم، أو الذين رافقهم وشاركهم في الدرس، أو الذين تتلمذوا عليه ورووا عنه، يتضح لنا جلياً رُقي المستوى العلمي للمجتمع الذي كان يعيش فيه العلامة البلاغي.

فمن مراجع الدين والأساتذة الكبار الذين كانوا يتصدرون حلقات الدرس آنذاك والذين استفاد منهم البلاغي:

(١) المحدث الميرزا حسين النوري الطبرسي (م ١٣٢٠ هـ).

(٢) الشيخ أقا رضا الهمداني (م ١٣٢٢ هـ).

(٣) الشيخ محمد طه نجف (م ١٣٢٣ هـ).

(٤) الشيخ محمد حسن المامقاني (م ١٣٢٣ هـ).

(٥) السيد محمد الهندي (م ١٣٢٣ هـ).

(٦) الميرزا محمد تقي الشيرازي (م ١٣٣٨ هـ).

(٧) السيد حسن الصدر الكاظمي (م ١٣٥٤ هـ).

ومن رفاقه والمشاركين له في الدرس الذين أصبح لهم دور مهم في الحياة العلمية في ما بعد:

(١) الشيخ عبد الله المامقاني (م ١٣٥١ هـ).

(٢) الميرزا محمد حسين الغروي النائيني (م ١٣٥٥ هـ).

(٣) الشيخ محمد حرز الدين (م ١٣٦٥ هـ).

(٤) السيد محسن الأمين (م ١٣٧١ هـ).

ومن تلامذته والراوين عنه الذين أصبحوا بعده من مراجع الدين وكبار الأساتذة والمؤلفين:

(١) الميرزا محمد علي المدرّس التبريزي (م ١٣٧٣ هـ).

(٢) الشيخ جعفر محبوبية (م ١٣٧٧ هـ).

(٣) الشيخ محمد علي الأوردبادي (م ١٣٨٠ هـ).

(٤) السيد محمد هادي الحسيني الميلاني (م ١٣٩٥ هـ).

(٥) الشيخ ذبيح الله المحلّاتي (م ١٤٠٥ هـ).

(٦) الشيخ محمد رضا الطبسي النجفي (م ١٤٠٥ هـ).

(٧) السيد شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي (م ١٤١١ هـ).

(٨) السيد أبو القاسم الخوئي (م ١٤١٣ هـ).

(٩) الشيخ مرتضى المظاهري النجفي (م ١٤١٤ هـ).

وعاصر العلامة البلاغي حوادث سياسية واجتماعية كبيرة، كان له دور كبير وفعال في الثانية والثالثة منها:

الأولى: حركة المشروطة والمستبدة التي بدأت في إيران سنة ١٣٢٤ هـ تقريباً، وقد أيدها بكل قوته الآخوند الشيخ محمد كاظم الخراساني (م ١٣٢٩ هـ)، ووقف ضدها بكل قوته السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (م ١٣٣٧ هـ). وكان الهدف من هذه الحركة هو تحويل نظام الحكم القائم في إيران آنذاك إلى نظام دستوري مبني على أسس انتخابية.

وقد عمت هذه الحركة كافة المدن الشيعية في إيران والمدن المقدسة في العراق، وأدت إلى نتائج وخيمة استغلها بعض السياسيين المنتفعين لأغراضهم الشخصية، وقد أدت إلى سجن وقتل بعض العلماء والأعيان والأمرء والخطباء، وفي مقدمتهم الشيخ فضل الله النوري^١.

وعلى الرغم من عدم حضور العلامة البلاغي درس السيد الطباطبائي اليزدي -زعيم المستبدة- وحضوره درس الآخوند الخراساني -زعيم المشروطة- واختصاصه به وحكاية أقواله في مؤلفاته الفقهية والأصولية كتعليقته على مكاسب الشيخ الأنصاري، ورسالة قاعدة على اليد ما أخذت على الرغم من كل ذلك. فإنني لم أعثر لحد الآن على موقف سجله البلاغي في تأييده أو معارضته لهاتين الحركتين، سواء في مؤلفاته أو تصرفاته العملية اليومية.

الثانية: الثورة العراقية الكبرى التي انفجرت في الثلاثين من حزيران سنة ١٩٢٠ م = ١٥ شعبان سنة ١٣٣٨ هـ، وما سبقها من استعدادات ومحاورات بين رجال الثورة وعلماء الدين، وما صاحبها وأعقبها من أحداث دامية مؤلمة.

تعتبر هذه الثورة -التي تُسمى بثورة العشرين- من أهم أحداث التاريخ العراقي في القرن العشرين، فهي ثورة شعبية مسلحة ضد أعتى وأقوى امبراطورية استعمارية في ذلك الوقت.

قاد هذه الثورة في أول أمرها الميرزا محمد تقي الشيرازي، وأصدر فتواه المعروفة: مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم في ضمن مطالبهم رعاية

السلم والأمن، ويجوز لهم التوسّل بالقوّة الدفاعيّة إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم^١.

وقد استجاب لهذا النداء أبناء الشعب العراقي بكافة طبقاته وفئاته، ودارت معارك ضارية بينهم وبين قوآت الإنكليز أدّت إلى انهزام وتراجع القوآت الإنكليزيّة عن بعض مواقعها.

إلّا أنّ نفوق القوّة العسكريّة الإنكليزيّة على قوّة الثوّار، ووفاة الميرزا الشيرازي فجأةً في الثالث من شهر ذي الحجّة سنة ١٣٣٨ هـ، أي بعد اندلاع الثورة بثلاثة أشهر ونصف تقريباً، ووفاة خليفته - الذي قاد الثورة من بعده - شيخ الشريعة الإصفهاني بعده بشهرين تقريباً، وغيرها من العوامل أدّت إلى تراجع الثوّار وانتكاسهم وتحملهم لخسائر فادحة^٢.

وكان للعلامة البلاغي دور مهمّ وفعال في هذه الثورة، فعند احتلال القوآت الإنكليزيّة لسامراء سنة ١٣٣٦ هـ، غادرها البلاغي إلى مدينة الكاظميّة المقدّسة، واستقرّ فيها إلى زمان حدوث الثورة المباركة سنة ١٣٣٨ هـ، فكان له دور مهمّ في مؤازرة العلماء وتحريضهم على المشاركة في الثورة والمطالبة باستقلال العراق^٣.

الثالثة: الحركة الاجتماعيّة التصحيحية التي قادها السيّد محسن الأمين لتنقية الشعائر الحسينيّة التي يقيمها محبّو أهل البيت عليهم السلام في شهر محرّم الحرام، إذ توجّح حركته هذه بتأليفه رسالة التنزيه في أعمال الشبيه التي اعترض فيها على بعض الممارسات العزائيّة التي تقام في بعض المدن الشيعيّة.

وقد أحدث تأليف هذه الرسالة وانتشارها ردّة فعل كبيرة، بل ثورة عارمة في العالم الإسلامي عموماً، شارك فيها مراجع دين كبار، وفضلاء في الحوزة العلميّة، ومؤلّفون وشعراء وخطباء.

١. الحقائق الناصحة في الثورة العراقيّة: ١٩٥.

٢. ثورة الخامس عشر من شعبان: ٣٥٥.

٣. نباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٣؛ شعراء الغري ٢: ٤٣٧؛ الأعلام ٦: ٧٤.

وعلى الرغم من العلاقة والصدقة الوطيدة التي تربط العلامة البلاغي بالسيد الأمين، إلا أن ذلك لم يمنعه من الوقوف عملياً ضدّ هذه الحركة، فقد كان على الرغم من ضعفه وكبر سنّه - وكان عمره آنذاك خمساً وستين سنة - يخرج أمام مواكب العزاء يضرب على صدره ورأسه، وقد حلّ أزراره وطين جبهته، وكان له مجلس عزاء كبير جداً يقيمه في كربلاء المقدّسة يوم عاشوراء^١.

يقول تلميذه المؤرّخ الشيخ جعفر محبوبه:

وكم كان له أمام المناوئين للحسين عليه السلام من مواقف مشهودة، ولولاه لأمات المعاندون الشعائر الحسينية والمجالس العزائية، ولكنّه تمسك بها والتزم بشعائرها، وقام بها خير قيام^٢.

مراحل حياته

تقسم مراحل حياة العلامة البلاغي إلى ستّ مراحل، حسب الأماكن التي تواجد فيها أثناء مسيرة حياته المباركة، إذ أنه لم يستقرّ في مدينة واحدة، بل كان يتنقل بين المدن المقدّسة في العراق طلباً للمزيد من المعارف الإسلاميّة، وحسبما تقتضيه الظروف السياسيّة التي كان يمرّ بها العراق عموماً.

المرحلة الأولى: في مدينة النجف الأشرف. تبدأ من سنة ولادة العلامة البلاغي

١٢٨٢هـ، وتنتهي في سنة ١٣٠٦هـ التي هاجر فيها إلى مدينة الكاظميّة المقدّسة.

ولا توجد لدينا معلومات كافية عن حياته في هذه المرحلة، التي يفترض أن يكون قد تعلّم فيها أوّلّيات العلوم الإسلاميّة التي يعبر عنها في الحوزة العلميّة بـ«المقدّمات»، وهي تشمل النحو والصرف والبلاغة والمنطق وأوّلّيات الفقه والأصول. ولكن من هم أساتذته في هذه المرحلة؟ وعلى من درس هذه العلوم؟ لم نتوصّل لمعرفة ذلك لحدّ الآن.

١. شعراء النجف ٢: ٤٣٦.

٢. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٢.

المرحلة الثانية: في مدينة الكاظمية المقدّسة. تبدأ من سنة ١٣٠٦ هـ، وتنتهي في سنة ١٣١٢ هـ التي عاد فيها للاستقرار في مسقط رأسه النجف الأشرف. وهنا أيضاً لا توجد لدينا معلومات كافية عن حياته في هذه المرحلة التي استمرّت ستّ سنوات. ماذا درس فيها؟ وعلى من أخذ علومه؟ وهل كان له نشاط علمي أو سياسي؟.

نعم، أوّل سنة من هذه المرحلة - أي في سنة ١٣٠٦ هـ - تزوّج ابنة العالم الجليل السيّد موسى الجزائري، الذي كان يسكن آنذاك مدينة الكاظمية المقدّسة^١. وفي حدود سنة ١٣١٠ هـ توفي والده العالم الجليل الفاضل الشيخ حسن البلاغي^٢. والظاهر أنّه تعلّم اللغة العبرية في هذه المرحلة، إذ يقول المحدث الشيخ عباس القمي: «وكان يجيد اللغة العبرانية لاختلاطه بالطائفة الإسرائيليّة في بغداد»^٣. ومن المستبعد أن يكون تعلّمه لهذه اللغة كان في المرحلة الخامسة من حياته (١٣٣٦ - ١٣٣٨ هـ) التي استقرّ فيها في مدينة الكاظمية المقدّسة أيضاً؛ لأنّه كان في تلك الفترة مشغولاً بالأمر السياسيّة وتأليب الرأي العامّ ضدّ القوّات الإنكليزية التي احتلّت العراق، ولأنّه قبل ذلك ألف بعض الكتب في الردّ على النصارى كالهدى إلى دين المصطفى الذي ألفه سنة ١٣٣٠ هـ، والتوحيد والتثليث الذي ألفه سنة ١٣٣١ هـ، ممّا يدلّ على أنّه كان عارفاً بهذه اللغة قبل هذه المرحلة.

المرحلة الثالثة: في مدينة النجف الأشرف.

استمرّت هذه المرحلة اثنتي عشرة سنة، ابتداءً من سنة ١٣١٢ هـ التي ترك فيها البلاغي مدينة الكاظمية المقدّسة وعاد إلى النجف الأشرف، وانتهاءً بسنة ١٣٢٦ هـ التي هاجر فيها إلى مدينة سامراء المقدّسة.

١. نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٣؛ وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ.

راجع ص ٤١٣.

٢. أعيان الشيعة ٤: ٢٦١.

٣. الكنى والألقاب ١: ٣٢٥.

والظاهر أنّ البلاغي في المرحلة الثانية من حياته التي قضاها في مدينة الكاظمية المقدّسة، قد أكمل دراسة كافة العلوم الإسلامية التي ينبغي لطالب العلم دراستها من أجل حضور الأبحاث العالية في الفقه والأصول، ولذا كان عليه الاستقرار في مدينة النجف الأشرف التي كانت زاخرة آنذاك بكبار مراجع الدين وأساتذة الحوزة العلمية. فقد حضر طيلة تلك الفترة الأبحاث العالية في الفقه والأصول عند الشيخ رضا الهمداني (م ١٣٢٢هـ) والسيد محمّد الهندي (م ١٣٢٣هـ) والشيخ محمّد طه نجف (م ١٣٢٣هـ) والشيخ الآخوند محمّد كاظم الخراساني (م ١٣٢٩هـ). وفي هذه المرحلة أيضاً كتب بعض قصائده:

ففي سنة ١٣١٦هـ كتب عدّة أبيات عن لسان السيد مهدي ابن السيد محسن بحر العلوم يُبشّر فيها العلامة الشيخ عبد الحسين الجواهري بولادة ولده عبد العزيز، مطلعها:

سَرَى الْهَنَا فَصَبَا قَلْبِي لِرَبِّيَاهُ وَحَلَّ فِي كُلِّ قَلْبٍ يَوْمَ مَسْرَاهُ^١

وفي سنة ١٣١٧هـ نظم قصيدته المعروفة في ردّ قصيدة وردت من بغداد نظمها بعض العلماء المنكرين لوجود الإمام الحجّة المنتظر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - مطلعها:

أَطَعْتُ الْهَوَى فِيهِمْ وَعَاصَيْتِي الصَّبْرُ فَهَا أَنَا مَا لِي فِيهِ نَهْيٌ وَلَا أَمْرُ^٢

وفي سنة ١٣١٩هـ نظم قصيدة بعثها للسيد محسن الأمين عند ارتحاله عن النجف الأشرف واستقراره في الشام، مطلعها:

دَعَا عَبْرَتِي لِلنَّوَى تَسْتَهْلُ فَمَا قَدْرُ قَلْبِي وَمَا يَحْتَمِلُ^٣

المرحلة الرابعة: في مدينة سامراء المقدّسة. تبدأ من سنة ١٣٢٦هـ، وتنتهي في سنة ١٣٣٦هـ التي ترك فيها مدينة سامراء بعد احتلالها من قبل القوات الإنكليزية واستقرّ في مدينة الكاظمية المقدّسة.

١. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٥.

٢. شعراء الفري ٢: ٤٤٣.

٣. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٧؛ شعراء الفري ٢: ٤٥٥. وراجع الجزء الثامن من الموسوعة، شعره، ص ١١١.

والهدف الرئيسي من هجرته إلى سامراء هو حضور أبحاث الميرزا محمد تقي الشيرازي (م ١٣٣٨ هـ)، إذ لم يترك درسه طيلة العشر سنوات التي استقرّ فيها في تلك المدينة المقدّسة.

ولم يقتصر البلاغي في هذه المرحلة على الدرس فقط، بل قام بتأليف بعض الكتب والرسائل، مثل الهدى إلى دين المصطفى الذي ألفه سنة ١٣٣٠ هـ، والتوحيد والتثليث الذي ألفه سنة ١٣٣١ هـ، وداعي الإسلام وداعي النصارى والرّد على جرجيس سايل وهاشم العربي إذ يذهب الشيخ جعفر النقدي في كتابه الروض النضير إلى أنّه ألفها في سامراء^١.

وفي هذه المرحلة أيضاً نظم قصيدته الرائعة في رثاء المجاهد السيّد محمد سعيد الحَبّوبي، مطلعها:

شَاكَكَ الرَّكْبُ فَأَسْرَعْتَ سِبَاقًا وَتَرَكْتَ الصَّبَّ يَلْتَأَعُ أَشْتِيَاقًا^٢

المرحلة الخامسة: في مدينة الكاظميّة المقدّسة. تبدأ من سنة ١٣٣٦ هـ التي ترك فيها البلاغي مدينة سامراء بعد احتلالها من قبل القوّات الإنكليزيّة، وتنتهي في سنة ١٣٣٨ هـ التي عاد فيها إلى مسقط رأسه النجف الأشرف.

والمصادر المتوفّرة لدينا لا تحدّثنا عن أيّ نشاط علمي للبلاغي في هذه المرحلة، بل تقتصر على ذكر نشاطه السياسي الذي تمثّل في العمل مع مجموعة من العلماء من أجل تحريض الناس على الثورة ضدّ القوّات الإنكليزيّة التي احتلّت العراق، والذي أدّى إلى حدوث الثورة العراقيّة الكبرى المعروفة بثورة العشرين.

المرحلة السادسة: في مدينة النجف الأشرف.

تعتبر هذه المرحلة - التي استمرّت أربع عشرة سنة تقريباً - من أهمّ مراحل حياة العلامة البلاغي على الصعيد العلمي والاجتماعي، إذ أنّه بعد عودته من سامراء سنة ١٣٣٨ هـ واستقراره في النجف الأشرف، كان قد وصل إلى مرتبة عالية في العلوم

١. حكاة عنه الأستاذ علي الخاقاني في شعراء الغري ٢: ٤٣٧.

٢. شعراء الغري ٢: ٤٥٢.

الإسلامية أهلته للاستقلال في الدرس وعدم حضور أبحاث الأساتذة الموجودين آنذاك، ومكنته من تأليف عدد كبير من كتبه ورسائله، بل نستطيع أن نقول: إنَّ أغلب آثار العلامة البلاغي كانت في هذه المرحلة:

وفي سنة ١٣٣٩ هـ ألّف أنوار الهدى، والبداء، والبلاغ المبين، ونصائح الهدى.

وفي سنة ١٣٤٢ هـ ألّف العقود المفصلة.

وفي سنة ١٣٤٢ - ١٣٤٤ هـ ألّف كتابه المعروف الرحلة المدرسية.

وفي سنة ١٣٤٣ هـ ألّف تعليقة على بيع المكاسب، ورسالة في شأن التفسير

المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام.

وفي سنة ١٣٤٤ هـ ألّف رسالة حرمة حلق اللحية، ودعوة الهدى إلى الورع في

الأفعال والفتوى.

وفي سنة ١٣٤٥ هـ ألّف أعاجيب الأكاذيب، والرد على الوهابية.

وبين سنة ١٣٤٦ و ١٣٤٨ هـ ألّف نسيمات الهدى.

وفي أواخر سنة ١٣٤٩ هـ بدأ بتأليف تفسيره المعروف آلاء الرحمن الذي استمرّ في

تأليفه حتّى وفاته سنة ١٣٥٢ هـ.

وفي هذه المرحلة أيضاً كتب مراسلاته العلمية الخمسة:

الأولى سنة ١٣٤١ هـ، جرت بينه وبين السيّد محسن الأمين.

الثانية سنة ١٣٤٥ هـ، كتبها للشيخ إبراهيم المظفر عند ما أراد تأليف رسالته

نصرة المظلوم.

الثالثة سنة ١٣٤٧ هـ، كتبها جواباً على رسالة تحتوي على بعض الأسئلة العلمية

بعثها إليه من تبريز الحاجّ عبّاس قلي الواعظ الجرندي.

الرابعة سنة ١٣٥١ هـ، كتبها جواباً لرسالة جاءته من السيّد محسن الأمين.

الخامسة سنة ١٣٥٢ هـ، كتبها للسيّد محسن الأمين أيضاً^١.

وفي هذه المرحلة أيضاً نظم قصيدته الرائعة عندما قام الوهابيون سنة ١٣٤٤ هـ بهدم قبور الأئمة عليهم السلام في البقيع في المدينة المنورة، ومطلعها:

دَهَاكَ ثَامِنٌ شَوَّالٍ بِمَا دَهَمَا فَحَقَّ لِلْعَيْنِ إِهْمَالُ الدُّمُوعِ دَمَا^١

أما نشاطه الاجتماعي والسياسي في هذه المرحلة فقد تجسّد في عدّة مواقف، هي:

- (١) موقفه من ثورة العشرين العراقية سنة ١٣٣٨ هـ.
- (٢) موقفه من البايّة سنة ١٣٣٩ هـ.
- (٣) موقفه من الوهابيّة في هدم القبور سنة ١٣٤٤ هـ.
- (٤) موقفه من السيّد محسن الأمين ورسالته التنزيه سنة ١٣٤٦ هـ.

وسوف نتحدّث بشكل مفصّل عن هذه المواقف في الفصل السادس من هذا الباب عند حديثنا عن حياته الاجتماعية.

الفصل الخامس

ملاح شخصيته ومقوماتها

ليس من العجيب أن يتحلّى العلامة البلاغي رحمه الله بصفات شخصيّة راقية، ويتّصف بخُلُق رفيع، ناشئ من البيئة التي تربّى فيها والبيت العلمي الذي نشأ وترعرع فيه . فهو غصن كريم من الدوحة البلاغيّة الباسقة في سماء الفضل والشرف، وعلم أعلامها وشهاب فضلائها وأبدالها، بل كوكب درارها الثاقبة الساطعة في دياجير الأزمان الشديدة الحلكات وظلمات المعضلات المدلهمات . فأسرته من أعرق الأسر العراقيّة، وقبيلته «ربيعة» من خيرة القبائل العربيّة في جاهليّتها وإسلامها، وبيته من أرفع بيوت العلم والدين والأدب . فهو عربيّ أصيل، وفي الذؤابة من تغلب الغلباء، نزاريّ العمومة، هاشميّ الخؤولة، خالص المعدن في نسبه وحسبه .

وقد بيّن الأستاذ توفيق الفكيكي ملاح شخصيته ومقوماتها بشكل موجز قائلاً:
ومن ملامحه ومخائله الدالّة على كماله النفسي هي فطرته السليمة وسلامة سلوكه الخلقي والاجتماعي، وحده ذكائه وقوة فطنته، وعفة نفسه ورفعة تواضعه، وصون لسانه عن الفضول، ولين عريكته، ورقة حاشيته، وخفة روحه وأدبه الجَمّ، وفيض يده على عسره وشطف عيشه .
فهذه السجايا والخصال هي أهمّ صفاته الكمالية، وقد ورثها - بحكم قانون الوراثة - عن آباء آبائه البلاغيّين البهاليل الكرام^١.

ملاحظه الظاهريّة

شاءت حكمة البارئ عزّ وجلّ عدم منح علامتنا البلاغي صفات جسمانيّة ظاهرة تُضاهي صفاته الروحيّة والخلقيّة العظيمة التي تحلّى بها، فقد كان ﷺ مصداقاً لقول القائل: «الرجال مخابئي».

يصفه معاصره المحدث الشيخ عباس القميّ بقوله: «كان ﷺ ضعيفاً ناعل الجسم، تفانت قواه في المجاهدات»^١.

ويقول عنه تلميذه المؤرّخ الشيخ جعفر محبوبية: «كان نحيف البدن، واهي القوى، يتكلّف الكلام وبعجز في أكثر الأحيان عن البيان. فهو بقلمه سبحانه، الكتابة عنده أسهل من الخطابة»^٢.

خُلّقه الرفيع

أجمع المؤرّخون وأصحاب التراجم والسير الذين تعرّضوا لحياة العلامة البلاغي باتّصافه بخُلُق رفيع جعله في درجة الأولياء والصالحين وأصحاب الكرامات الإلهيّة. فقد كان ﷺ حسن الأخلاق، لطيف العشرة، متواضعاً أشدّ التواضع، لم يترفّع على أصدقائه مع مزاياه التي كانت ترفعه عن مصافهم.

كان عظيماً في جميع سيرته، فقد ترفّع عن درن المادّة وتحلّى بالمثل العليا التي أوصلته في الحياة - ولا شكّ بعد الممات - إلى أرفع الدرجات. كان مثال الإمام الحقّ، فهو جدّيّ لأبعد حدّ^٣.

كان لئن العريكة، خفيف الروح، منبسط الكفّ، لا يمزح ولا يحدّث أن يمزح أحد أمامه. تبدو عليه هيبة الأبرار، وتقرأ على أساريره صفات أهل التقى والصلاح^٤.

١. الكنى والألقاب ٢: ٩٥.

٢. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٢.

٣. شعراء الغري ٢: ٤٣٨.

٤. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٢.

تواضعه

من الصفات التي عُرف بها العلامة البلاغي وامتاز بها عن أقرانه، هي تواضعه الكبير الذي وصل إلى حدّ نكران ذاته المباركة، «فَقُلَّ مَنْ كَانَ يَسْتَطِيعُ تَمْيِيزَهُ مَمَّنْ لَا يَعْرِفُهُ فَيَتَصَوَّرُهُ عَظِيمًا أَوْ زَعِيمًا دِينِيًّا حَقًّا»^١.

هذه الصفة قد اعترف بها كلٌّ من شاهده وتحدّث معه، حتّى أعداؤه ومناوؤه من كبار القساوسة والحاخامات، ونحن نشير هنا إلى بعض المصاديق الدالّة على تواضعه:

الأول: ممارسة حاجاته بنفسه، واختلافه إلى الأسواق لتموين عائلته بالغذاء اليومي وحمله إليهم مع ضعفه ومرضه. وكان لا يكلف إنساناً بمساعدته في ذلك، ويعتذر لمن يروم مساعدته بحمله عنه بقوله: «رَبِّ الْعِيَالِ أَوْلَى بِحَمَلِهِ»^٢.

يقول تلميذه الأستاذ علي الخاقاني:

كان يمارس حاجاته بنفسه، ويختلف على السوق بشخصه لا يتبع ما هو مضطرّ إليه، غير مبالٍ بالقشور، ولا محترمٍ للأناثيات والعناوين الفارغة^٣.

الثاني: عدم اهتمامه بالدنيا وزخارفها وعزوبه عنها تماماً، ممّا أدّى إلى عسره وشظف عيشه، مع إباء نفسه وجود يده بالقليل الذي فيها.

كان ﷺ عازفاً عن كلّ مباهج الحياة، عدا حلقات الدرس والتدريس ومجالس البحث والتحقيق، ومنصرفاً كلياً عن طلب الدنيا ورئاستها، فإنّه قد عرف أن لا بقاء إلاّ للعلماء والمجاهدين، ولا خلود إلاّ للذّابّين عن المبدأ والعقيدة، فأوقف نفسه الشريفة لخدمة الدين والدفاع عن شريعة سيّد المرسلين.

١. شعراء الغري ٢: ٤٣٨.

٢. نقيب البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٤، مقدّمة الهدى إلى دين المصطفى لتوفيق الفكيكي: ١٠.

٣. شعراء الغري ٢: ٤٣٨.

يقول أحد تلامذته:

كانت غرفته صغيرة متواضعة، لم يكن فيها من الفرش سوى حصير وبساط يجلس عليه، وليس ما يدفئ الغرفة في الشتاء أو يبردها في الصيف، مع ضعف مزاجه وانحراف صحته، وكان مع ذلك لا يخرج من هذه الغرفة إلا للحوائج الضرورية التي لا بدّ منها^١.

ومع ذلك كلّه كان ﷺ سخيّاً كريماً، يؤثر تحصيل العلم ونشره بين الناس على ما عنده من أثاث بسيط في بيته.

يقول الأستاذ علي الخاقاني:

وكان في كلّ كتاب يكمل عنده لا يستطيع طبعه وإخراجه، حتّى بلغ الحال غير مرّة أن باع أثاث بيته لطبعه وانتفاع الناس به، في حين أنّ غيره كان يطبع دون تكلف أو مضايقة، وهذا ناموس الحياة الناقص!^٢

الثالث: ومن مظاهر تواضعه واحترامه للعلم وإجلاله وإكباره للعلماء، حضوره حلقات الدرس وتلمذه على أساتذته في سنّ متأخّر من عمره المبارك، مع وصوله في ذلك الوقت إلى مراتب عالية من الكمالات، ونيله درجة الاجتهاد التي تؤهّله لترك الدرس واستقلاله بالقاء الدروس العالية. فقد كان ﷺ يحضر أبحاث أستاذه الميرزا محمد تقي الشيرازي في سامراء إلى سنة ١٣٣٦ هـ^٣.

الرابع: ومن أبرز مظاهر تواضعه وخلوص نيّته وإخلاصه في العمل، أنّه كان لا يرضى أن يوضع اسمه على تأليفه عند طبعها، وكان يقول: «إني لا أقصد إلاّ الدفاع عن الحقّ، ولا فرق عندي بين أن يكون باسمي أو اسم غيري»^٤.

١. انظر مقدّمة الرحلة المدرسية - بقلم المحقّق السيّد أحمد الحسيني -: ٦.

٢. شعراء الفري ٢: ٤٤٠.

٣. نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٣.

٤. المصدر: ٣٢٤.

لذلك فقد كانت الطبقات الأولى لكثير من مؤلفاته في حياته بدون اسمه أو بأسماء مستعارة، كرسالة التوحيد والتثليث التي طبعت في صيدا سنة ١٣٣٢ هـ. وسمات الهدى ونفحات المهدي التي أنهاها بتوقيع «ب» إشارة للقبه. والرد على الوهاية طبع باسم عبد الله أحد طلبة العراق. والهدى إلى دين المصطفى طبع باسم أقل خدام الشريعة المقدسة النجفي. وأعاجيب الأكاذيب طبع باسم عبد الله العربي، وترجمته إلى الفارسية طبعت باسم عبد الله الإيراني.

وأنوار الهدى طبع باسم كاتب الهدى النجفي.

والبلاغ المبين طبع باسم عبد الله.

ونصائح الهدى والدين طبع باسم ناشره عبد الأمير البغدادي.

وقد أدى هذا إلى أن يوسف إيلان سركيس في كتابه معجم المطبوعات ذكر كتاب الهدى إلى دين المصطفى في آخر الجزء الثاني ضمن الكتب المجهولة المؤلف^١.

يقول المحقق السيد أحمد الحسيني:

ومن أشد مظاهر تواضعه أنه لم يجعل اسمه الشريف على كتبه المطبوعة، مع أن كل واحدٍ منها يكفي لأن يكون مفخرة يفتخر به العلماء. فكم نرى أناساً يكتبون وريقات لم يأتوا فيها بشيء جديد يستحق الذكر، إلا أنهم يتبجحون بكتابتها، ولا يجيزون بنشرها وطبعها إن لم تحمل الألقاب الرئانة^٢.

الخامس: تنازله للنقد التزيه والأخذ به إن كان صواباً، وردّه بأحسن الردود وألطفها إن كان خطأً.

ولم يكن ﷺ يستنكف عن الاستماع إلى ناقيه والذين يخالفونه في وجهة نظره، بل كان يطلب من الآخرين نقد كتبه ورسائله، حتى أنه كتب في الصفحة الأولى من كتابه

١. معجم المطبوعات العربية والمعربة ٢: ٢٠٢٤.

٢. مقدّمة الرحلة المدرسية: ١٢.

الهدى إلى دين المصطفى - الذي طبع في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٣١ هـ - ما نصّه:
إعلان ورجاء تبعث إليه عواطف الصفاء.

بسم الله تبارك اسمه وله الحمد.

أرجو من كلّ مَنْ له اعتراض وإفادة أو سؤال يتعلّق بهذا الكتاب أو غيره في أمر الدين وحقيقة الإسلام أن يتحفني به مكاتبة؛ لأقدم بعون الله لحضرتة ما لدي من الجواب مقروناً بالاحترام والتشكّر، وما توفيقني إلا بالله. الأقلّ كاتب الهدى. ولتكن الكتابة باللغة العربية مشتملة على التعريف ببلد المكاتب ومحلّه وطريق إيصال الجواب له.

عنوان المراسلة إلى طرفنا: العراق، سامراء، مدرسة حجة الإسلام وقذوة الأنام الميرزا^١. كاتب الهدى النجفي.

وهذا يدلّ على أنّه يطلب هذا الطلب ويتواضع للناقد هذا التواضع، لا لشيء إلاّ لأنّه يحبّ التعاون على العلم وطلب الحقيقة. إنّه يريد التفاهم، ولا يريد فرض آرائه على الآخرين فرضاً بلا دليل ولا برهان.

إنّه يريد إظهار الحقائق العلميّة على أتمّ ما يمكن إظهارها، ولا يريد التمويه والتستّر.

إنّه يكتب حتّى يفهموا ويسألوا ويُجابوا، ولم يكتب حتّى يزيد عدد مؤلفاته وتكثر أرقامها.

وهذه الصفة هي التي جعلته ملاذاً للحائرين، الذين استهوتهم أهواء المنحرفين عن المحجة البيضاء، وخذعتهم ضلالات الدهريّين والمادّيّين. فأصبح الملجأ الأمين لمن رام من المستشرقين الاطمئنان بإزاحة الحجب عن وجه الحقيقة والحقّ والوصول إلى ساحل اليقين، كالمستشرق المستر خالد شردراك وأمثاله من أعلام الغرب، الذين يهّمهم كشف المخبأ من أسرار المعارف المحمّديّة والحكمة المشرقيّة، فأصبحت داره كعبة القصاد ومدرسة النبهاء والفهماء.

السادس: كثيراً ما يحيل العلامة البلاغي في مؤلفاته إلى كتبه ورسائله الأخرى

التي يمكن أن يستفيد منها القارئ في موضوع معين، إلا أن ذلك يحصل منه دون التصريح بأن ذلك الكتاب المُحال إليه من مؤلفاته، على عكس بعض المؤلفين الذين يحيلون إلى مؤلفاتهم مع ذكر الكثير من عبارات المدح والإطراء لها.

ففي كتابه الرحلة المدرسية مثلاً أحال إلى عدد من كتبه ورسائله كالتوحيد والتثليث، وأعاجيب الأكاذيب، والهدى إلى دين المصطفى، وأنوار الهدى، ونصائح الهدى والدين. وفي رسالته نسمة الهدى ونفحات المهدي يذكر كتابه الآخر نصائح الهدى والدين بقوله: «لبعض كتبنا».

وفي رسالته الجوابية التي أجاب فيها عن بعض الأسئلة الواردة عليه، والتي طبعت في مجلة العرفان يذكر كتاباه الهدى والرحلة المدرسية دون ذكر اسمه^١.

١. مجلة العرفان، المجلد ٣٥، الجزء ٨، ص ١٢٤٧ - ١٢٥٠. والمجلد ٣٦، الجزء ٧، ص ٧٦٤ - ٧٦٧.

الفصل السادس حياته الاجتماعية

على الرغم من كون العلامة البلاغي ابتعد كلياً عن المجتمع، ولم تكن تربطه مع أبناء مجتمعه روابط وثيقة تجعله يعيش في وسطهم ويحلّ مشاكلهم اليومية، مثل بعض رجال الدين الذين عاصروهم إذ نذروا أنفسهم لمجتمعهم، فكان جلّ اهتمامهم الوقوف إلى جانب أفراد مجتمعهم وحمل همومهم وآلامهم ومعاناتهم.

فكان ﷺ لا يخرج من بيته، بل من غرفته الصغيرة المتواضعة، إلا للحضور في حلقات الدرس، أو لقيامه بالأمر الضروري التي تتوقف عليها معيشة عياله. على الرغم من ذلك كلّه، فإننا نشاهده في بعض الأوقات يخرج من عزلته هذه ويترك حلقات الدرس، ويصبح اجتماعياً إلى أبعد الدرجات، وذلك عندما تقتضي المصلحة الإسلامية منه ذلك.

فراه تارةً ينزل إلى مجتمعه موضحاً لهم خطورة ما فعله الوهابيون من هدم قبور الأئمة عليهم السلام في البقيع، ووجوب الوقوف أمام هذه الأعمال الشنيعة. وتارةً أخرى يتصل برجال الدولة ويحرضهم على الفرقة الضالّة الباطنية، بل يدخل المحكمة بنفسه - التي لم يكن دخلها يوماً ما لقضايا الشخصية - من أجل منع أفراد هذه الفرقة من أعمالهم الشنيعة.

ومرّةً ثالثة نراه على كبر سنّه وضعف مزاجه، قد حلّ أزراره وطبّين جبهته، يلطم على صدره ورأسه، ويسير وسط الجموع الجماهيرية التي خرجت في موكب عزائيّ منظمّ تندب الإمام الحسين عليه السلام.

ورابعةً نراه قد ترك أستاذه الميرزا محمد تقي الشيرازي (م ١٣٣٨ هـ) في سامراء، بل ترك الدرس والتدريس برمته، وهاجر إلى مدينة الكاظمية للوقوف إلى جانب العلماء ودعم الثورة العراقية الكبرى التي اندلعت سنة ١٩٢٠ م = ١٣٣٨ هـ، وتحريض الناس على مقاتلة الجيوش الانكليزية المعتدية.

موقفه من الوهابية في هدم القبور

في سنة ١٣٤٤ هـ استفتى قاضي القضاة في الحجاز الشيخ عبد الله بن بليهد علماء المدينة المنورة في جواز البناء على القبور، وتقيل الأضرحة، والذبح عند المقامات حيث يتناول الزائرون لها تلك اللحوم. فأجاب العلماء - وكان عددهم خمسة عشر شخصاً - بعدم جواز ذلك، ووجوب منعه ومعاقبة من يفعله.

وقد نُشرت هذه الفتوى في أكثر الصحف الصادرة آنذاك، كجريدة أم القرى الصادرة في مكة المكرمة، وجريدة العراق الصادرة فيه.

وكان الهدف الرئيسي من هذه الفتوى هو تهيئة الرأي العام لهدم المراقد في الحرمين الشريفين، وفعلاً فقد تم في الثامن من شوال من تلك السنة هدم قبور الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في بقيع الغرقد في المدينة المنورة، وفي مقبرة المعلى في الحجون في مكة المكرمة، والمراقد الموجودة في الطائف.

وقد ضم بقيع الغرقد في المدينة المنورة عشرة آلاف مرقد من مراقد الصحابة والشهداء والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، منها: مرقد الإمام الحسن المجتبي عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، ومرقد الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام، وابنه الإمام محمد الباقر عليه السلام، ثم ابنه الإمام جعفر الصادق عليه السلام. وهم عند عمهم العباس بن عبد المطلب تحت قبته التي كانت مشادة. وعلى رواية أن هناك مرقد الصديقة الزهراء عليها السلام، وكذلك مراقد عمات الرسول صلى الله عليه وآله وزوجاته - عدا السيدة خديجة الكبرى والسيدة ميمونة بنت الحارث وعقيل بن أبي طالب، وإبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله، والإمام مالك بن أنس، ونافع شيخ القراء، وحليمة السعدية. كما طال الهدم مرقد عم الرسول صلى الله عليه وآله حمزة بن عبد المطلب، وغيره من شهداء أحد

مثل مصعب بن عمير، وجعفر بن شماس، وعبد الله بن جحش .
وقد امتدّ التدمير إلى مرقد حبر الأمة عبد الله بن عباس في الطائف، وقد كانت عليه قبة مشادة لا تزال صورتها موجودة على صفحات التاريخ .
وعندما امتدّ الزحف العسكري إلى مكة المشرفة عمدوا إلى آثارها فدمروها، وهدموا المراقد الشريفة في مقبرة المعلّى في الحجون، فهدموا قبة عبد المطلب جدّ النبي ﷺ، ومرقد عمّه أبي طالب .

كما دخلوا إلى مدينة جدة فهدموا قبة حواء أمّ البشرية الأولى وخربوا قبرها، كما طال الهدم بيت رسول الله ﷺ، ومنزل فاطمة الزهراء ﷺ، ومنزل حمزة بن عبد المطلب، ودار الأرقم ابن أبي الأرقم، ومكان العريش التاريخي الذي أشرف منه رسول الله ﷺ على معركة أحد .
وعند ذلك وجد العلامة البلاغي أنّ الواجب الإسلامي يحتمّ عليه الوقوف أمام هذه الأعمال الشنيعة، فخرج إلى مجتمعه يبيّن له خطورة هذه التصرفات ووجوب الوقوف أمامها، فكان من نشاطه في هذا المجال :

أولاً: إلقاء محاضرة علمية قيّمة على جمع من تلاميذه، بيّن فيها الأهداف المشؤومة من هذه الفتوى، وفدّد ما ورد فيها من أدلّة استدللّ بها علماء المدينة على تحريم البناء على القبور . وقد دوّن هذه المحاضرة تلميذه الوفي الأديب الشاعر آية الله الشيخ محمد علي الأوردبادي النجفي (م ١٣٨٠هـ)، وطُبعت في مدينة النجف الأشرف في تلك السنة - ١٣٤٤هـ - بعنوان دعوى الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى^٢ .

ثانياً: نظم قصيدة ميمية من البحر البسيط مطلعها :

دَهَاكَ ثَامِنُ سُؤَالٍ بِمَا دَهَمَا فَحَقَّ لِلْعَيْنِ إِهْمَالُ الدَّمُوعِ دَمَا

ومنها قوله :

يَوْمَ البَقِيعِ لَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ وَشَارَكَتْ فِي سَجَاها كَرْبَلَا عِظَمًا^٣

١. انظر مقدّمة «دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى» المطبوعة ١٤٢٠هـ في دار المحجّة البيضاء في بيروت.

٢. الذريعة ٨: ٢٠٦ / ٨٤٣.

٣. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٧.

ثالثاً: تأليفه لرسالة في الردّ على الوهابية التي كتبها ردّاً على مقالين أيدا فتاوى علماء المدينة في هدم القبور:

الأول: نُشر في جريدة أمّ القرى الحجازية في عددها التاسع والستين، الصادر في السابع عشر من شهر شوال سنة ١٣٤٤ هـ.

الثاني: نُشر في جريدة المقطم المصرية في عددها الصادر في الثاني والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٤٤ هـ.

وقد طبعت هذه الرسالة لأول مرّة في مدينة النجف الأشرف سنة ١٣٤٥ هـ، وطبعت بعدها عدّة طبعات في بيروت وإيران^١.

موقفه من الباطنية

مؤسس هذه الفرقة هو السيّد عليّ محمّد، الذي وُلد في شيراز سنة ١٢٣٥ هـ، وبعد تعلّمه القراءة والكتابة فيها وبلوغه العشرين سنة من عمره، توجّه إلى بوشهر لممارسة التجارة؛ وذلك لعدم رغبتّه في الاستمرار في الدرس. ومنها سافر إلى العراق فحضر في مدينة كربلاء المقدّسة درس السيّد كاظم الرشتي (م ١٢٥٩ هـ) مؤسس فرقة الكشفيّة الذي يُعدّ من أبرز تلاميذ الشيخ أحمد الأحسائي (م ١٢٤٣ هـ) زعيم الشيخية.

وبعد وفاة السيّد الرشتي عرض السيّد عليّ محمّد آراءه على بعض مرّيديه والمقرّبين منه والتي تتلخّص «بأنّ الوصول إلى الله ممتنع ومحال؛ لأنّ الطريق مسدود والطلب مردود إلّا عن طريق الرسالة والنبوة والولاية. ولما كان الوصول إلى تلك المراتب صعب ومستصعب أيضاً، ولا يمكن ذلك إلّا بالواسطة، وكما لا يجوز دخول البيت إلّا من الباب، فأنا ذلك الباب»^٢.

فعدنّذ سُمّي نفسه بـ«الباب»، وأتباعه بـ«الباطنية»! فادّعى أولاً أنّه الواسطة

١. الذريعة ١٠/٢٣٦ / ٧٤٠.

٢. انظر الباطنيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم، للسيّد عبد الرزاق الحسيني.

للوصل إلى المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ثم ادعى أنه المهدي، وأن المهدي قد حلّ فيه، وأنه هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. ويقال: إنه ادعى بعد ذلك النبوة، ثم ادعى الربوبية عن طريق حلول روح الإله فيه وإن كان أصحابه وأتباعه ينكرون ذلك.

انتشرت الباطنية في مدن كثيرة من إيران: شيراز، خراسان، إصفهان، كاشان، قم، طهران، وكذلك في العراق في مدينتي كربلاء والنجف المقدستين، وأدى ذلك إلى أحداث دامية في إيران بين مؤيديه ومعارضيه.

وأخيراً أعدم الباب في اليوم السابع والعشرين من شهر شعبان سنة ١٢٦٥هـ، وبذلك كثرت ملاحقة أتباعه، ممّا أدى إلى اشتهاار تعاليمه وكثرة مرديه وظهور فرق ضالة أخرى تشعبت من الباطنية مثل البهائية، وليست في إيران فحسب، بل امتدّت لتشمل العراق أيضاً، ممّا استوجب الوقوف أمامها من قبل جمع من العلماء، وفي مقدّمهم العلامة البلاغي، فكان من نشاطه في معارضتها:

أولاً: تحريض المجتمع والعلماء ورجال الدولة ضدّ هذه الفرقة الضالة، والعمل على غلق مكان تجمّعهم الذي تقام فيه ضلالاتهم. يقول تلميذه الشيخ جعفر محبوبه:

وله اليد الطولى في تحريض رجال الدين على إنقاذ الدار التي اتخذها الباطنيون في كرخ بغداد بمحلّة الشيخ بشّار كعبه لهم، يقدّسونها، وجعلها حسينية تقام بها شعائر أهل البيت عليهم السلام حتّى اليوم^١.

ويقول الأستاذ توفيق الفكيكي:

ومن آثار جهاد الإمام البلاغي إثارة الرأي العام ضدّ البهائية في الكرخ، وإقامة الدعوى في المحاكم لمنع تصرّفهم في الملك الذي استولوا عليه واتخذوه كعبه لهم - وباصطلاحهم «حظيرة» - لإقامة شعائر الطاغوت، وقضت المحاكم بنزعه منهم، وأتخذ مسجداً إسلامياً تقام فيه الصلوات الخمس

والمآتم الحسينية في ذكرى الطفّ والبطولات الرائعة^١.

أما أصل هذا المكان وكيفية إنشائه ومراحل تطوّره إلى أن تمّ إغلاقه فيحدثنا عنه المؤرّخ السيّد عبد الرزّاق الحسيني قائلاً:

لما وصل الميرزا حسين علي «بهاء الله» إلى العراق في ٢٨ جمادى الثانية ١٢٦٩ (٨ نيسان ١٨٥٣ م) نزل داراً صغيرة في الكاظمية، ثم لم يلبث أن انتقل منها إلى دار أخرى في بغداد، ولما لم تتوفّر له سبل الراحة في هذه الدار الثانية انتقل إلى بيت في محلّة الشيخ بشار، فلبث فيه عدّة أعوام.

وكان البيت الأخير يتألّف من بيتين: أحدهما صغير أعدّه البهاء لاستقبال الضيوف والغرباء، والآخر واسع اتخذته مسكناً له ولعائلته. وظلّ فيه إلى قبيل مغادرته بغداد إلى جبال سركلو في السليمانية، وبعد عودته منها إلى حين إخراجها من العراق ونفيه إلى الآستانة في أواخر نيسان ١٨٦٣ م.

كان الميرزا هادي الجواهري من ذوي الجاه العريض والأملّك الواسعة في بغداد وأطرافها، وكانت الدار التي سكنها «البهاء» من جملة أملاكه، وكان له أولاد وورثات أكبرهم الميرزا موسى، فانجذب هذا البهاء ومال إلى تعاليمه وأصبح من أنصاره، حتّى صار يدعو له في قرى والده بلواء ديالى، ويحثّ الناس فيها على اعتناق دينه. ولما انتقل الميرزا هادي إلى دار البقاء، حصل خلاف بين ورثته حول كيفية اقتسام ما تركه من مال وعقار، حتّى انجرّ هذا الخلاف إلى المحاكم.

ونظراً لتشعب القضية واختلاف وجهات نظر المرتزقة إليها؛ تعذّر على القضاء البتّ فيها، فاقترح بعض المحبّين أن تعرض القضية برمتها على الميرزا حسين، عسى أن يجد حلاً لها، وإذا بـ«البهاء» يوعز إلى كبير أنجاله عباس أفندي أن يدرس النزاع، ويبتّ في الخلاف، ويصلح ذات البين.

فصدع العباس بالأمر، وقسم الميراث تقسيماً اطمأنت إليه نفوس الورثة، وانتهت الدعوة بينهم صلحاً.

فأراد الميرزا موسى الجواهري أن يعلن عن ارتضائه لعمل «البهاء» وتقديره

لحسن معروفه، فعرض عليه أن يقبل الدار التي يسكنها هدية دون ثمن. غير أن الميرزا حسين ردّ عليه قائلاً: «إنّ قبول هذه الأشياء ليس من سجايانا، وهو بعيد عن مبادئنا وعقائدنا» ولكنّه وافق تجاه إصرار الميرزا موسى وتوسّلاته على قبول الدار لقاء ثمن معتدل بحجّة أنّها ستكون «محلّاً لطواف ملل العالم». وهكذا دخلت دار الميرزا هادي الجواهري الكائنة في محلّة الشيخ بشّار في الكرخ من مدينة بغداد في حوزة البهائيّين، وأصبحت كعبة مقدّسة يحجّون إليها، ويولون وجوههم شطرها.

غير أنّ ورثة الميرزا موسى الجواهري اعترضوا بعد وفاة مورثهم وادّعوا الغبن، فما كان من الميرزا حسين عليّ إلا أن أمر بإرضاء هؤلاء. وقد تكرّرت هذه الاعتراضات في زمن نجله عباس أفندي الملقّب بعبد البهاء، فأمر بإرضاء الورثة على كلّ حال. وكانت «كعبة البهائيّين» قد تُركت إلى حراسة أصحاب «البهاء» في العراق بعد نفي «البهاء» إلى الآستانة في عام ١٨٦٣م دون أن تسجّل باسمه في القيود الحكوميّة؛ لعدم وجود دوائر للطابو في العراق يومئذٍ، فصار البهائيّون يقدّمون من الديار البعيدة لزيارتها والتبرّك بها، وكان «البهاء» يشرف على رعايتها من منافيه في الآستانة وأدرنة وعكّا. وفي نحو عام ١٩٠٠م - أي في أواخر أيّام حكم العثمانيّين للعراق - ادّعى أحد العراقيّين ملكيته لهذه الكعبة، فأفسد البهائيّون دعواه بطرق مختلفة وشهود كثير. وتعرّضت هذه البنية للخراب في أعقاب الحرب العالميّة الأولى (حرب ١٩١٤م - ١٩١٨م) فأمر عبد البهاء عباس - وهو في مقرّه بعكّا - أن يجدّد بناءها في نفس الهيئة، وبالشكل الذي كانت عليه من قبل. فجمع البهائيّون في العراق الأموال الطائلة لتنفيذ هذا الأمر، وأحضروا المهندسين والفعلّة لهذا الغرض، وأعادوا بناء كعبتهم دون تحوير أو تغيير.

فلمّا شاهد المسلمون هذا التجديد، وشعروا بالأهميّة التي ستكتسبها الحركة البهائيّة في بلاد لا تعترف بهذا المذهب، وحكومة نصّ قانونها الأساسي على جعل الإسلام ديناً لها، قام العلماء الأعلام بمراجعة المقامات العليا في بغداد، وفتوا نظر الحكومة إلى أنّ هذه الدار ليست بملك للبهائيّين، ولا يجوز السماح لهم بإقامة شعائر دينهم فيها. وتقدّم لفيف من وجهاء الكرخ بعريضة إلى القاضي الجعفري في بغداد يطلبون

فيها تعيين من يشرف على الملك الذي خلفه المدعو محمد حسين الكتبي البابي الذي غاب أو مات ولم يعرف له وارث، وكان محمد حسين هذا قد اعتنق المذهب البابي، وعهد إليه خدمة هذا البيت الذي سكن فيه «بهاء الله» وعائلته سنوات عديدة، ثم نفي من بغداد فجعل حاله ومحلّه.

وعلى حسب ما تقتضيه أحكام الشريعة أصدر القاضي حكمه في أوائل شباط ١٩٢١م، وهو يقضي بتعيين وكيل عن الغائب المجهول لإدارة هذا البيت، ومنع البهائيين من التصرف فيه.

وقد نفذ هذا الحكم بواسطة دائرة الإجراء فعلاً، فلم يرتض البهائيون الحكم، فراجعوا محكمة الاستئناف وادّعوا بأن تعيين الوكيل عن الغائب لا يعني الحكم بالتخلية وإخراج البهائيين إجرائياً، فقضت هذه بنقض قرار القاضي، وعلى هذا عاد البهائيون إلى كعبتهم، وأسكنوا فيها محمد حسين الوكيل ليقوم بأودها وحراستها. وظهر بعد مدة أن قد كان لمحمد حسين الكتبي البابي نمة وريثة هي السيدة «ليلي»، فاستعانت هذه بأهل الزهد والورع من الكرخ لإثبات حقها في الدار موضوعة البحث، فاشترط هؤلاء لمساعدتها أن توقف الدار في حالة أخذها إياها. وماتت ليلي فورثها «جواد كاب» وأختها «بي بي» فأدعيا بملكية الدار، وجاء بشهود لإثبات النسب والملكية، فأصدر القاضي حكمه في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢١م فكان في صالح المدّعين.

وكان الملك فيصل الأول قد تبوأ عرش العراق في ٢٣ آب من هذه السنة (أي سنة ١٩٢١م)، وإذا بسيل من برقيات الاحتجاج الواردة من أنحاء أوريطة وأمريكية مختلفة على المندوب السامي البريطاني في بغداد، وهو يومئذ السربرسي كوكس، تطالب فيها بتدخل الحكومة البريطانية لصالح البهائيين، فذهل المليك العربي لهذه المفاجأة، ولم يشأ أن يغيب الشيعة، وهم الذين شيّدوا العرش الهاشمي على جماجم شهدائهم في ثورة ١٩٢٠م، فأمر بتخلية الدار وحفظ مفاتيحها لدى الحكومة حفظاً للأمن^١.

١. حدّثني السيّد هبة الدين الشهرستاني - وكان وزيراً للمعارف في الوزارة النقيبية الثانية عام ١٩٢٢م - إنّه دُعي

ثانياً: تأليفه لرسالة المصايح ردّ فيها على عقائد القاديانيّة والباييّة والبهايّة والأزليّة بما يتضمّن المشابهة والمشاكلّة بين هؤلاء في الدعاية والدعوى! وناقش كتبهم التي ألفها كبارهم كغلام أحمد القادياني اللاهوري صاحب الفرقة القاديانيّة^١.

ثالثاً: تأليفه لرسالة نصائح الهدى والدين إلى من كان مسلماً وصار بايياً، أثبت فيها أنّ البايّة خرجوا عن كونهم شيعة، وأورد فيها مائة وعشرة أحاديث رواها عموم المسلمين تدلّ على أنّ المهدي صاحب العصر والزمان هو ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام. طبعت هذه الرسالة أولاً سنة ١٣٣٩ هـ^٢.

موقفه من السيّد محسن الأمين ورسالته «التنزيه»

في سنة ١٣٤٣ هـ كتب السيّد مهدي البصري (م ١٣٥٨ هـ) مقالات عديدة في الصحف العراقيّة ينتقد فيها بعض الشعائر الحسينيّة التي يقيمها الشيعة في شهر محرّم الحرام من كلّ سنة، خصوصاً ضرب الرؤوس بالسيوف، ثمّ ألف رسالة مستقلّة جمع فيها آراءه حول الشعائر الحسينيّة سمّاها صولة الحقّ على جولة الباطل^٣.

وعلى أثر ذلك وجّه أهالي مدينة البصرة عدّة استفتاءات إلى علماء النجف الأشرف يطلبون منهم بيان الحكم الشرعيّ لهذه الشعائر التي انتقدها السيّد مهدي البصري، فكان

→ إلى مقابلة الملك فيصل الأوّل في داره، فوجد عنده الحاجّ محمد جعفر أبو التّمّن - الزعيم الشعبي المعروف ووزير التجارة لبضعة أشهر في الوزارة المذكورة - ووجد لدى الملك مجموعة من برقيات الاحتجاج الوارد ذكرها في المتن أعلاه وهو يقول: إنّه وعد السربرسي كوكس بتحقيق حسن ظنّ المبرقين في المندوب السامي، والحاجّ محمد جعفر بصّرّ على عدم الالتفات إلى هذه الاحتجاجات، وعلى ضرورة إبقاء الدار المتنازع حولها للمسلمين. فعرض السيّد الشهرستاني اقتراحاً: أن تعوّض الحكومة البهائيّين قطعة أرض جديدة لهم في إحدى الضواحي فينون فيها كعبة أخرى لهم. وللبهائيّين اليوم محفل روحاني واسع في محلّة السعدون ولكنّه ليس بكعبة. «الحسني».

انظر البايّون والبهائيّون في حاضرهم وماضيهم: ٩٦ - ٩٩.

١. الذريعة: ٢١ / ٧٩ / ٤٠٣٨، و٤٠٩٥ / ٩٣ / ٤: أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٢. المصدر: ٢٤ / ١٧٢ / ٨٩٢.

٣. المصدر: ١٥ / ٩٨ / ٦٤٦.

جوابهم بين مؤيد لها ومعارض، فأيدها الميرزا حسين النائيني (م ١٣٥٥ هـ)، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (م ١٣٧٣ هـ)، وعارضها السيد أبو الحسن الإصفهاني (م ١٣٦٥ هـ)^١. وتصدى الشيخ إبراهيم المظفر لرد الانتقادات التي أوردها السيد مهدي البصري في رسالته الصولة، فألف رسالة مستقلة في ذلك سماها نصره المظلوم طُبعت في النجف الأشرف سنة ١٣٤٥ هـ^٢.

وقام السيد محسن الأمين بالدفاع عن آراء الصولة وذلك بكتابة عدّة مقالات في الصحف البيروتية، ثمّ ألف كتابين مهمّين في هذا الموضوع هما: إقناع اللانم على إقامة المآتم^٣ والمجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية^٤، طبعاً معاً سنة ١٣٤٤ هـ. فتصدى الشيخ عبد الحسين صادق العاملي (م ١٣٦١ هـ) - وهو آنذاك أكبر رجال الدين في النبطية - للرد على السيد الأمين، فألف رسالته سيماء الصلحاء التي طبعت سنة ١٣٤٥ هـ^٥. فقام السيد محسن الأمين بالرد على سيماء الصلحاء وعلى كافة المعترضين عليه، فألف رسالته المعروفة المشهورة التنزيه في أعمال الشبيه التي أحدثت ضجة كبيرة، بل ثورة عارمة ليست في الشام فقط، بل في كافة المدن الإسلامية، وانقسم الناس بكافة طبقاتهم إلى معارضين ومؤيدين لها.

فمن مراجع الدين وكبار المجتهدين وأساتذة الحوزة العلمية الذين عارضوه:

- ١ - الميرزا حسين النائيني (م ١٣٥٥ هـ).
- ٢ - الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (م ١٣٧٣ هـ).
- ٣ - الشيخ عبد الحسين صادق العاملي (م ١٣٦١ هـ).
- ٤ - الشيخ عبد الحسين شرف الدين (م ١٣٧٧ هـ).
- ٥ - الشيخ محمد جواد البلاغي (م ١٣٥٢ هـ).

١. هكذا عرفتهم ٣: ٢٢٩.

٢. الذريعة ٢٤: ١٧٨ / ٩٢١.

٣. المصدر ٢: ٢٧٥ / ١١١٥.

٤. المصدر ١٩: ٣٦٠ / ١٦١٠.

٥. المصدر ١٢: ٢٩٢ / ١٩٦٦.

- ٦ - الشيخ إبراهيم المظفر^١.
- ٧ - الشيخ عبد المهدي الحلّي.
- ٨ - الشيخ عبد المهدي المظفر.
- ٩ - السيّد علي نقي اللكهنوي.
- ١٠ - الشيخ محمّد جواد الحجامي.
- ١١ - الشيخ محمّد حسين المظفر.
- ١٢ - الشيخ مرتضى آل ياسين.
- ١٣ - السيّد نور الدين شرف الدين.

أمّا الذين أيّدوه فمنهم:

- ١ - السيّد أبو الحسن الإصفهاني (م ١٣٦٥هـ).
- ٢ - الشيخ عبد الكريم الجزائري (م ١٣٨٣هـ).
- ٣ - السيّد هبة الدين الشهرستاني (م ١٣٨٦هـ).
- ٤ - الشيخ جعفر البديري (م ١٣٦٩هـ).
- ٥ - السيّد حسين الحسيني البعلبكي (م ١٣٩١هـ).
- ٦ - الشيخ عبد المهدي الحجّار (م ١٣٥٨هـ).
- ٧ - الشيخ علي القميّ (م ١٣٧١هـ).
- ٨ - الشيخ محمّد الكنجي.
- ٩ - الشيخ محسن شرارة (م ١٣٦٥هـ).

وقد شارك في هذه الثورة الفكرية الثقافية الشعراء والخطباء وبعض الصحف الصادرة آنذاك.

أمّا عامة الناس، فيحدّثنا الأديب الأستاذ جعفر الخليلي (م ١٤٠٥هـ) عن موقفهم وردود أفعالهم، وملابسات هذه الحركة الاجتماعية، وما أدّت إليه من نتائج سلبية في بعض المجالات فيقول:

١. هو والأعلام الواردة أسماؤهم بعده ألقوا رسائل مستقلة في ردّ رسالة «التنزيه».

وانقسم الناس إلى طائفتين - على ما اصطلاح عليه العوام -: «علويين» و«أمويين». وعُني بالأمويين: أتباع السيد محسن الأمين. وكانوا قلة قليلة لا يعتد بها، وأكثرهم كانوا متسترين خوفاً من الأذى.

واتخذ البعض هذه الدعوة وسيلة لمجرّد مهاجمة أعدائه وأتباعه بالأموية، فكثرت الاعتداء على الأشخاص، وأهين عدد كبير من الناس، وضُرب البعض منهم ضرباً مبرحاً. وكان التيار جارفاً، والقوة كلها كانت في جانب العلويين، وكان هؤلاء العلويون وأتباعهم يتفنونون في التشهير بالذين سمّوهم بالأمويين.

ويبلغ من الاستهتار أن راح حملة القرب وسقاة الماء في مآتم الحسين يوم عاشوراء ينادون مردّدين: «لعن الله الأمين - ماء»، بينما كان نداؤهم من قبل يتلخّص في ترديدهم القول: «لعن الله حرمة - ماء»، فأبدلوا «الأمين» بـ«حرمة» نكايّة وشتماً. ولا تسل عن عدد الذين شتموا وضُربوا وأهينوا بسبب تلك الضجّة التي أحدثتها فتوى السيد الأمين يومذاك، وكان السبب الأكبر في كلّ ذلك هو العالميون - أعني أهل جبل عامل - الذين كانوا يسكنون النجف طلباً للعلم، وكان معظمهم من مخالفي السيد محسن^١.

وقال في مكان آخر من كتابه أيضاً:

لم يكن يمرّ على صدور هذه الرسالة أسبوع أو أكثر وتنتقل من الشام - حيث تمّ طبعها - إلى العراق حتّى رافقها كثير من الدعايات ضدّها، ووجدت هذه الدعايات هوىً في نفوس البعض، فأشعلوها فتنةً شعواء تناولت السيد محسن الأمين وأتباعه بقساوة لا توصف من الهجاء والذمّ والشتم المقدع.

وخاف الذين آمنوا بقدسيّة هذه الرسالة وصحّة فتاوى العلماء، لقد خافوا أن يعلنوا رأيهم في وجوب الذبّ عن موضوع الرسالة والدفاع عن شخص مؤلّفها. ومنّ الذي كان يجرأ أن يخالف للناس رأياً؟! ومن كان يستطيع الظهور بمظهر المخالف في ذلك اليوم؟!^٢

١. هكذا عرفتهم ٢٠٨: ١ - ٢١٠.

٢. المصدر: ١٢٢.

أما العلامة البلاغي، فقد كانت تربطه بالسيّد محسن الأمين علاقة وثيقة جداً تعود إلى أيام الدراسة في مدينة النجف الأشرف، والتي عبّر عنها السيّد الأمين بقوله:

صاحبناه في النجف الأشرف أيام إقامتنا فيها، ورغب في صحبة العاملين، فصاحبناه وخالطناه حضراً وسفراً عدّة سنين إلى وقت هجرتنا من النجف، فلم نر منه إلا كلّ خلق حسن وتقوى وعبادة، وكلّ صفة تُحمد. وجرت بيننا وبينه بعد خروجنا من النجف مراسلات ومحاورات شعريّة ومكاتبات في مسائل علميّة^١.

إلا أنّ ذلك لم يمنعه من التعبير عن رأيه والوقوف عملياً أمام الحركة التي قادها السيّد الأمين في تنزيه الشعائر الحسينيّة.

يقول تلميذه الشيخ جعفر محبوبه:

له في الحسين عليه السلام عقيدة راسخة، وحبّ ثابت، وكم له أمام المناوئين للحسين عليه السلام من مواقف مشهودة، ولولاه لأمات المعاندون الشعائر الحسينيّة والمجالس الغزائيّة، ولكنّه تمسك بها والتزم بشعائرها وقام بها خير قيام^٢.

وقال الشيخ محمد هادي الأميني بعد أن حكى قول الشيخ محبوبه:

فحين أفتى بعض العلويين في الشام - وتبعه علويّ آخر في البصرة - بحرمة الشعائر الحسينيّة، وزمّ وطبّل على هذه الفتوى كثير من المغرضين المعاندين، شوه هذا الشيخ الكبير على ضعفه وعجزه أمام الحشد المتجمهر للغزاء يمشي وهو يضرب على صدره وقد حلّ أزراره، وخلفه اللطم والأعلام، وأمامه الضرب بالطبل. ومن آثاره إقامة المآتم في يوم عاشوراء في كربلاء، فهو أوّل من أقامه هناك، وعنه أخذ حتى توسّع فيه ووصل إلى حدّه اليوم^٣.

وحيثما أراد الشيخ إبراهيم المظفر تأليف رسالة في ردّ آراء السيّد مهدي البصري

١. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٥.

٢. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٢.

٣. معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ١: ٣٥٣.

(م ١٣٥٨ هـ) ورسالته الصولة، بعث رسالةً للعلامة البلاغي يستفسر منه عن شؤون المواكب العزائبة وكيفيتها في سامراء، فأجابه البلاغي برسالة واضحة لا تشوبها أي شائبة، إليك نصّها الكامل:

١. كان الشبيه يترتب يوم العاشر في دار الميرزا^١، ثم يخرج للملا مرتباً. وكذلك موكب السيوف، كان أهله يضيرون رؤوسهم في داره ثم يخرجون. وكانت أثمان أكفانهم تؤخذ منه وما كان أفراد الشبيه سوى الفضلاء من أهل العلم؛ لعدم معرفة غيرهم بنظمه في قول وفعل.

وأما المواكب اللاطمة في الطرقات تتألف من أهل العلم وغيرهم. وكان السيد مهدي^٢ صاحب الصولة يؤمّن أحد الطلبة اللاطمين جزء المواكب متجرداً من ثيابه إلى وسطه، وهو من دون اللاطمين مؤتزر فوق ثيابه بإزار أحمر.

ودام هذا كلّه بجميع ما فيه إلى آخر أيام خلفه الصالح الورع الميرزا محمد تقي

١. السيد الميرزا محمد حسن ابن السيد محمود الشيرازي، ولد في شيراز في النصف من جمادى الأولى سنة ١٢٣٠ هـ، هاجر إلى إصفهان ودرس فيها مقدّمات العلوم الإسلامية والحكمة والفلسفة والنجوم وبعض العلوم العقلية، ثم هاجر إلى مدينة النجف الأشرف وتلمذ على الشيخ الأعظم الأنصاري (م ١٢٨١ هـ).

استقلّ بالتدريس بعد وفاة أستاذه، وأصبح مرجعاً مطلقاً للشيعة في كافة البلدان الإسلامية، هاجر إلى سامراء سنة ١٢٩٣ هـ واستقرّ فيها، وتبعه جمّ غفير من تلامذته وفضلاء الحوزة العلمية، ووفد عليه الطلاب من كافة العواصم العلمية للاستفادة من علومه النيرة.

تخرّج من عالي درسه عدد كبير من العلماء أصبح لهم في ما بعد دور مهمّ في الحياة العلمية والسياسية كالسيد إسماعيل الصدر، والميرزا محمد تقي الشيرازي، والسيد محمد الإصفهاني، والشيخ محمد باقر الاصطهباناتي، والآخوند الخراساني، وغيرهم. ومن مواقفه السياسية المعروفة هي تحريمه لاستعمال الدخان في إيران في زمن ناصر الدين شاه، بعد أن أعطى امتيازها الكامل لزعماء الإنكليز.

توفّي في سامراء ليلة الرابع والعشرين من شهر شعبان سنة ١٣١٢ هـ، ودفن في جوار جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مدينة النجف الأشرف. انظر معارف الرجال ٢: ٢٣٣-٢٣٨.

٢. السيد مهدي ابن السيد صالح الموسوي القزويني الكاظمي البصري (١٢٧٢ - ١٣٨٥ هـ)، صاحب كتاب «صولة الحق على جولة الباطل» الذي انتقد فيه الشعائر الحسينية، وتبعه في ذلك السيد محسن الأمين (م ١٣٧١ هـ) بتأليف رسالة «التنزيه» التي أحدثت ضجة كبيرة آنذاك. انظر الذريعة ١٥: ١٥٨/٦٤٦.

الشيرازي^١، وكان الشبيه أيضاً يترتب في داره، ومنه تخرج المواكب وإليه تعود. بيد أن موكب السيوف لم يتألف غير مرة؛ لأن القائمين به - وهم الأتراك لا غيرهم - كانوا يومئذ قليلين، ولقنتهم استحقوا موكبهم فتركوه من تلقاء أنفسهم^٢.

موقفه من ثورة العشرين العراقية

كان بوذي أن أفرد فصلاً خاصاً للحياة السياسيّة للعلامة البلاغي، إلا أن عدم توفر معلومات كافية عن هذا الموضوع جعلني أوردته في هذا المكان؛ لارتباطه بشكل من الأشكال بالحياة الاجتماعيّة للبلاغي، فأذكر أولاً توضيحاً مختصراً عن الثورة العراقيّة الكبرى، ثم أشير إلى موقف البلاغي منها.

تعدّ الثورة العراقيّة الكبرى التي اندلعت في الثلاثين من حزيران سنة ١٩٢٠ م = ١٥ شعبان سنة ١٣٣٨ هـ من أهم أحداث التاريخ العراقي في القرن العشرين، فقد جاءت بكيان العراق الحديث إلى الوجود، وفتحت أمامه آفاقاً جديدة في التقدّم

١. الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي الحائري، ولد في شيراز ونشأ بها، وهاجر إلى العراق شاباً، فأقام في مدينة كربلاء المقدّسة يقرأ فيها مقدّمات العلوم الإسلاميّة، ثم هاجر إلى سامراء لحضور بحث السيّد محمد حسن الشيرازي. وبعد وفاة أستاذه سنة ١٣١٢ هـ هاجر إلى كربلاء وأسس فيها حوزة علميّة، ورجع إليه الشيعة في التقليد. من أساتذته: الشيخ محمد حسين الأردكاني، والسيّد علي تقي الطباطبائي الحائري، إضافة للسيّد المجدّد محمد حسن الشيرازي.

له مؤلّفات كثيرة منها: «حاشية على المكاسب»، «رسالة في أحكام الخلل»، «رسالة في صلاة الجمعة»، «شرح منظومة السيّد صدر الدين العامل في الرضاع».

تزعّم^٣ الثورة العراقيّة الكبرى، فأصبح قائدها الروحي والمرشد لها، وأصدر فتواه المعروفة «مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم في ضمن مطالباتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسّل بالقوّة الدفاعيّة إذا امتنع الإنكليز من قبول مطالبهم».

توفي في الثالث من شهر ذي الحجّة سنة ١٣٣٨ هـ، ودفن في الصحن العلوي الشريف في مدينة النجف الأشرف. انظر معارف الرجال ٢: ٢١٥-٢١٨.

والتطور، بعد أن كان مجموعة ولايات عانت من ويلات الحكم العثماني ما عانت، حتى خرجت منه بعد قرون طويلة أربعة وهي مثقلة بأفات تخلف المجتمع الثلاث: الجهل، والفقر، والمرض.

هذه الثورة التي فجرها الشعب العراقي بكل فئاته وطبقاته بقيادة علماء الدين، لازالت - على الرغم من مرور أكثر من ثمانين عاماً - حية نابضة في ضمير الشعب العراقي ووجدانه، تتجلى روحها في كل ثورة أو انتفاضة شعبية يقوم بها الشعب ضد الاستبداد والاستعمار.

وقد اعتمد القائد الروحي لهذه الثورة الإمام محمد تقي الشيرازي (م ١٣٣٨ هـ) على قاعدة الشورى فيها، وعليه فقد شكّل في البداية مجلس شورى للعلماء، كما شكّل في ما بعد - وعلى أثر فتواه بجواز حمل السلاح ضد الإنكليز - مجلساً لإدارة الحرب يتشكّل من رؤساء العشائر النائرة والوجهاء وكبار زعماء الثورة، وفي مقدّمهم الحاج عبد الواحد سكر.

وقد نصّ الإمام الشيرازي في فتواه التي أجازت للثائرين حمل السلاح بقوله: مطالبته الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم في ضمن مطالباتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسّل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم^١.

وقد استجاب الشعب العراقي بكل طبقاته وشرائحه - بدءاً بعشائر الفرات الأوسط - لهذه الفتوى، وخاضوا معارك ضارية ضدّ قوّات الإنكليز أدت إلى تراجعهم في بعض الجبهات، وكان المجاهدون قد تحمّلوا خسائر كبيرة في الأرواح والأموال.

ولم يكن من المستغرب أن تُقمع تلك الثورة بعد عدّة شهور من اندلاعها؛ لأنّ الفريقين المتقابلين لم يكن بينهما تكافؤ، لا في السلاح ولا في المال ولا في

١. الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ونتائجها: ١٩٥.

المواد الأخرى، وإنما كان وقوف الثوار بإمكانياتهم المحدودة في وجه الدولة العظمى طوال عدّة شهور يعدُّ في حدّ ذاته ضرباً من المعجزات. لكنّها برغم قمعها وانتهائها بالشكل المعروف، استطاعت أن تحقّق الكثير من الأهداف التي وضعها قادتها.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ وفاة قائد هذه الثورة وملهمها الروحي الميرزا محمد تقي الشيرازي بشكل مفاجئ مشكوك فيه في الثالث من ذي الحجّة سنة ١٣٣٨هـ، ووفاته خليفته شيخ الشريعة الإصفهاني بعد شهرين فقط من استلامه للمرجعيّة الدينيّة وقيادته الفعلية للثورة، كان لهما أثر كبير في تراجع معنويّات الثوار^١.

أمّا موقف العلامة البلاغي من هذه الثورة، فإنّ المصادر المتوفّرة لدينا لم تسلّط الضوء عليه بشكل كافٍ، كما أنّ تواضع البلاغي وابتعاده عن الأضواء ونكران ذاته ساعدت على عدم إظهار مواقفه الشجاعة في هذه الثورة المباركة.

فإنّ كافّة المصادر التي ترجمت له وذكرته أكّدت على حضوره المتميّز والفعال إلى جانب العلماء في تحريض الثوار ومساعدتهم في الثورة، حتّى أنّه اضطرّ إلى مغادرة سامراء وترك حلقات الدرس والمكوث في مدينة الكاظميّة لمدّة سنتين من ١٣٣٦هـ إلى ١٣٣٨هـ مؤازراً للعلماء في الدعاية للثورة ومحرضاً لهم على طلب الاستقلال^٢.

وهناك مؤشّر آخر يدلّ على دور العلامة البلاغي في هذه الثورة، وهو حضوره في الاجتماع التحضيري لها الذي عقد في المسجد الهندي في مدينة النجف الأشرف في اليوم الثامن عشر من شهر رمضان سنة ١٣٣٨هـ، والذي حضره كبار العلماء ورؤساء عشائر الفرات الأوسط، إذ تمّ في هذا الاجتماع التاريخي دراسة الأوضاع السائدة آنذاك، وإصدار مذكرة سياسية مهمّة تطالب باستقلال العراق، وقد وقّع عليها ثمانية

١. ثورة الخامس عشر من شعبان: ٢٨٣.

٢. نقيب البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٢٢٣/٦٦٣، شعراء الفري ٢: ٤٣٧، الأعلام ٦: ٧٤.

وسبعون شخصاً من كبار الحاضرين في ذلك الاجتماع، وكان من ضمنهم علامتنا البلاغي، والنص الكامل لهذه المذكرة هو:

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن عموم أهالي النجف الأشرف، علماؤها وأشرافها وأعيانها، وممثلو الرأي العام فيها، وكافة أهل الشامية - سادتها وزعماء قبائلها وممثلها - قد انتدبنا بعض علمائنا وأشرافنا ووجهائنا وهم حضرات: الشيخ جواد جواهري والشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ عبد الرضا آل الشيخ راضي، والسيد نور آل السيد عزيز، والسيد علوان الياسري، والحاج عبد المحسن شلاش، لأن يمثلونا تمثيلاً صحيحاً قانونياً أمام حكومة الاحتلال في العراق، وأمام عدالة الدول الديمقراطية التي جعلت من مبادئها تحرير الشعوب. وقد خولناهم أن يدافعوا عن حقوق الأمة، ويجهروا في طلب استقلال البلاد العراقية بحدودها الطبيعية العاري عن كل تدخل أجنبي، في ظل دولة عربية وطنية يرأسها ملك عربي مسلم، مقيد بمجلس تشريعي وطني. هذه هي رغائبنا، لا نرضى بغيرها، ولا نفتر عن طلبها، ومنه نستمد الفوز والنجاح، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

في ١٨ رمضان سنة ١٣٣٨ هـ

الموقعون

- ١ - شيخ الشريعة الاصبهاني؛ ٢ - السيد أبو الحسن الاصبهاني؛ ٣ - الشيخ علي آل الشيخ جعفر كاشف الغطاء؛ ٤ - السيد صالح كمال الدين؛ ٥ - الشيخ مشكور الحولوي؛ ٦ - الشيخ موسى نقي زايد دهام؛ ٧ - الشيخ إسحاق الرشتي؛ ٨ - الشيخ مهدي الخراساني؛ ٩ - السيد علي نجل الإمام السيد حسن الشيرازي؛ ١٠ - الشيخ محمد جواد البلاغي؛ ١١ - الشيخ جواد الشبيبي؛ ١٢ - الشيخ علي

- المانع؛ ١٣ - السيد محمدرضا الصافي؛ ١٤ - الشيخ محمد جواد الجزائري؛
 ١٥ - السيد سعيد كمال الدين؛ ١٦ - السيد صالح البغدادي؛ ١٧ - السيد أحمد
 الجبوبي؛ ١٨ - السيد عباس الكلدار؛ ١٩ - السيد علي بحر العلوم؛ ٢٠ - السيد
 محسن القزويني؛ ٢١ - الشيخ جعفر الجواهري؛ ٢٢ - الشيخ علي الأعمس؛
 ٢٣ - محمد جعفر السيد باقي؛ ٢٤ - الشيخ عبد الحسين الحياوي؛ ٢٥ - السيد
 محمد حسين السيد كاظم القزويني؛ ٢٦ - السيد هادي الخراسان؛ ٢٧ - السيد
 هادي النقيب الرفيعي؛ ٢٨ - السيد محمد الحسيني؛ ٢٩ - الشيخ محمد حسين
 الجواهري؛ ٣٠ - عبد الغني مسعود؛ ٣١ - الحاج محمد سعيد شمس ٣٢ - محمد
 رضا الصراف؛ ٣٣ - السيد مهدي السيد سليمان؛ ٤٣ - الحاج حسون شربة؛
 ٣٥ - السيد حسن كمونة؛ ٣٦ - محمد الحاج محسن النجم؛ ٣٧ - غيدان عدوة؛
 ٣٨ - الحاج حسين الظاهر؛ ٣٩ - محمد رؤوف شلاش؛ ٤٠ - السيد علي جريو؛
 ٤١ - عبدالمهدي الدجيلي؛ ٤٢ - عيسى الخلف؛ ٤٣ - هادي الحاج علوان؛
 ٤٤ - صالح نعمة؛ ٤٥ - الحاج سعد الدعيمي؛ ٤٦ - السيد محمد رضا الحلو؛
 ٤٧ - الحاج جواد شعبان؛ ٤٨ - مجيد الحاج محمد شريف؛ ٤٩ - مجيد الحاج
 محمد شريف؛ ٥٠ - محمد سعيد ناجي؛ ٥١ - يوسف عجينة؛ ٥٢ - نعمة السيد
 محمد الصافي؛ ٥٣ - كاظم الشيخ محمد علي بييج؛ ٥٤ - الحاج هادي فخر
 الدين؛ ٥٥ - سلمان فخر الدين؛ ٥٦ - ملا عزيز آل سلمان حسين النجم؛
 ٥٧ - سلمان الظاهر رئيس الخزاغل؛ ٥٨ - السيد هادي مگوطر؛ ٥٩ - حاج
 جاسم آل چياد؛ ٦٠ - مرزوك العواد؛ ٦١ - عبد الواحد الحاج سكر؛
 ٦٢ - علوان الحاج سعدون؛ ٦٣ - سلمان العبطان؛ ٦٤ - السيد عبد زيد؛
 ٦٥ - السيد محسن أبو طبيخ؛ ٦٦ - السيد هادي زوين؛ ٦٧ - صدام الفنيخ؛
 ٦٨ - جرى المريع؛ ٦٩ - لفته الشمخي؛ ٧٠ - عبادي آل حسين؛ ٧١ - مهدي
 آل غسل؛ ٧٢ - مجبل آل فرعون؛ ٧٣ - السيد عبد الله العذاري ٧٤ - الشيخ
 عبداللطيف شعبان؛ ٧٥ - الحاج عبد الله شعبان.

سيرة حياته

مزمع من اهالي النجف الأشرف طائفاً واستأينوا وبنوا في بلادهم ما كان لهم
 ونظراً في استنباط بعض جوانبها واستأينوا وبنوا في بلادهم ما كان لهم
 آل الشيخ أبي واليروز الـ... واليروز الـ... واليروز الـ...
 امام... واليروز الـ... واليروز الـ... واليروز الـ...
 به اعراس عترة الـ... واليروز الـ... واليروز الـ...
 في ظل دولة عربية وطبقة براسها... واليروز الـ... واليروز الـ...
 حفرة في ظل دولة عربية وطبقة براسها... واليروز الـ... واليروز الـ...

182

183

184

185

186

187

188

189

190

191

192

193

194

195

196

197

198

199

200

201

202

203

204

205

206

207

208

209

210

211

212

213

214

215

216

217

218

219

220

221

222

223

224

225

226

227

228

229

230

231

232

233

234

235

236

237

238

239

240

241

242

243

244

245

246

247

248

249

250

251

252

253

254

255

256

257

258

259

260

261

262

263

264

265

266

267

268

269

270

271

272

273

274

275

276

277

278

279

280

281

282

283

284

285

286

287

288

289

290

291

292

293

294

295

296

297

298

299

300

301

302

303

304

305

306

307

308

309

310

311

312

313

314

315

316

317

318

319

320

321

322

323

324

325

326

327

328

329

330

331

332

333

334

335

336

337

338

339

340

341

342

343

344

345

346

347

348

349

350

351

352

353

354

355

356

357

358

359

360

361

362

363

364

365

366

367

368

369

370

371

372

373

374

375

376

377

378

379

380

381

382

383

384

385

386

387

388

389

390

391

392

393

394

395

396

397

398

399

400

401

402

403

404

405

406

407

408

409

410

411

412

413

414

415

416

417

418

419

420

421

422

423

424

425

426

427

428

429

430

431

432

433

434

435

436

437

438

439

440

441

442

443

444

445

446

447

448

449

450

451

452

453

454

455

456

457

458

459

460

461

462

463

464

465

466

467

468

469

470

471

472

473

474

475

476

477

478

479

480

481

482

483

484

485

486

487

488

489

490

491

492

493

494

495

496

497

498

499

500

للعلامة البلاغي مجموعة مشاهدات تتعلق بخلق الإنسان والحيوان، وبعض الآثار الطبيعية، والمسائل التاريخية، وغيرها، سجّلها بأمانة كاملة في كتبه ورسائله. وتعميماً للفائدة فقد قمنا بجمعها وترتيبها وطبعها في هذا الكتاب، وهي ستّ مشاهدات: الأولى: نقل لنا فيها ما شاهدته من الرسوبات الطينية التي أحدثتها الفيضانات في العراق، وما شاهدته عند جفاف بحيرة النجف من عمى الأسماك الكبيرة وفقد حواسها ثم موتها بعد ذلك.

الثانية: نقل لنا فيها ما شاهدته من تأثير العوامل البيئية والغذاء والتربية في طبائع الإنسان وصفاته الظاهرية.

الثالثة: حكى فيها ما شاهدته في سوق سامراء من قطع كبيرة من ملح الطعام على أشكال هندسية مختلفة.

الرابعة: حكى فيها ما شاهدته عند ولادة شاةٍ لجنينها، وما عملته الشاة به، وكيفية سعي الجنين لمعرفة أمّه.

الخامسة: حكى فيها ما شاهدته من اختلاق الفأر من الطين، وكون الدجاج بيض ويفرّخ من غير فحل.

ونورد هنا النصوص الكاملة لهذه المشاهدات:

الأولى:

قال:

وهذه عوامل السيول والظوفان والفلاحة، كم جرفت أرضاً؟ وكم أكسبت أرضاً عدّة من الطبقات في زمان يسير؟! فقد شاهدنا أرضاً ذات بساتين عامرة وحيوانات أهلية وحيوانات وحشية وجارية، قد توجه إليها طغيان بعض الأنهار بقتة، وأكسبها في مدة شهر من الطبقات الطينية والرملية والمختلطة - كما هو المشاهد - ما يبلغ عدّة أمتار، بحيث خرجت بعلوّها عن الصلاحية للغرس.

فما ظنك بالحافر إذا لم يعلم بنكبة هذه الأرض، ووجد بعد عشرين طبقة منها عظماً هي من بقية فقرات ظهر الشاة وذناب الكلب ورقبة الدجاج، وجمجمة الحمار، وفك النعلب، مع شيء من الريش أو رسمه وكانت متقاربة؟ وقد شاهدنا أرضاً مسطحة حفرها للفلاحة فوجدوا فيها - بحفر ذراع أو نصفه أو أكثر - خوابي خزفية مسدودة الفوهة بقطعة خزف أيضاً، قد أضعفت فيها أجساد الموتى بكثرة تكشف عن أن تلك الأرض كانت مقبرة قديمة جداً. ومن المستبعد جداً أن تكون عادة الدافنين لموتاهم جعلهم تحت ذراع أو شبر من التراب، فإن ذلك لا يمنع من ظهور الرائحة، ولا يحفظ الموتى من عبث الوحوش.

وإن كثيراً من مزارع الأرز الأبيض في العراق فيما بين الدرجة الثلاثين والثالثة والثلاثين من العرض، كانت أرضاً قفراء غورية، فصارت بتوجه الماء مستنقعات، ثم اعتنت بها الفلاحة بأن وجهت إليها الماء العكر من طغيان الأنهار بنحو يقتضي أن يرسب طين الماء فيها، فتكتسب طبقات عديدة مختلفة في يسير من السنين، وربما يبلغ المكتسب عدة أمتار، وفي كل سنة من السنين في الزراعة تزيد الطبقات فيها؛ لأن الأرز تزيد جودته ونموه بزيادة الطين الجديد؛ لتبريد حرارة الأرض من موقعها الجغرافي، كما تدمل أرض مصر من طين فيضان النيل.

وقد علا بعض الأراضي المذكورة حتى كاد أن يخرج عن الصلاحية لزراعة الأرز، التي هي أنفع للزراع من زراعة غيره، فصار الفلاحون يوجهون الماء العكر إليها بمقدار يكون راسبه بنحو ما يستوفيه في النمو نبات الأرز من الأرض، وقد قاسوه بنحو الشبر من الأرض.

وقد جرب هذه الأمور في البساتين التي تُسقى سيبحاً، فإنها تكتسب من الطين في أيام طغيان الأنهار ما يبلغ أن يكون معدله على مساحتها نحو أربعة أصابع أو خمسة أو أكثر من ذلك في كل سنة، وتزيد على ذلك بأنها تدمل بالسماد في كل ثلاث سنين أو أكثر بمقدار يبلغ معدله على مساحتها أيضاً نحو ما ذكرنا.

ومع ذلك ترى بعد الخمسين والمائة سنة ولم تملأ أرضها شيئاً يدرك. ويُعرف ذلك

بميزان الماء، ويشهد لذلك أرض وادي مصر، فإنَّ الأطيان التي تكسبها من فيضان النيل في كلِّ سنة لو لم تستوفها الزراعة والنبات بالنموِّ لصارت على مرِّ الدهور جبلاً، لكنَّ مقياس النيل يبيِّن أنَّها لا تعلق.

ولمَّا انقطع عن بحيرة النجف مادّتها من الماء العذب صارت كلِّما نقصت اشتدَّت ملوحتها، حتَّى عمِيَ بعض السمك الكبار، وبعض فقدَ حسَّه قبل موته، فصارت السلاحف الكبار والصغار تهرب إلى البرِّ تابعة نسيم الماء، فماتت في عوالي الأرض عن البحيرة بنحو ميلين أو ثلاثة أو أربعة، وانتشرت عظامها وأجزاؤها الصلبة تحت الرمال.

وقد شاهدنا الصبيان يجمعون من حوالي البحيرة المذكورة كتلات من الأصداف، يصعدونها إلى البرِّ، ويبعثونها في ملاعبهم خلال الرمال في مدى بعيد عن البحيرة يعلو عليها بنحو مائتي قدم.

وقد شوهد في بعض الأراضي المشتملة على طبقات متحجرة في أثناء طبقات رملية سائلة، أنَّ المستحجرة إذا كسرت لدفن الموتى مثلاً ودفنت بالرمل تعود إلى استحجارها الأوَّل قبل مضيِّ قرن^١.

الثانية:

قال في كتاب الرحلة المدرسية:

إنَّ الذي تساعد عليه التجربة والمشاهدة، هو أنَّ الأنواع لها بحسب العوامل العرضية سنَّة التحسُّن والانحطاط المحدودين بأن لا تخرج أفراد النوع عن صفته. ومن جملة العوامل تأثيرات الصقع والغذاء والتربية وغير ذلك، ومنها ما هو سريع التأثير، ومنها ما يبطئ لأجل منازعته مع تأثير العامل الأوَّل.

فإنَّ النسل الزنجي إذا تحوَّل إلى بلاد القوقاس يبطئ تحسُّنه بمقتضى طبع الصقع إلى أجيال عديدة يتدرَّج فيها بالتحسُّن شيئاً فشيئاً، وقد يكون أسرع من ذلك بواسطة الزواج.

وكذا النسل القوقاسي إذا انتقل إلى بلاد الزنج، فإنه يبطن انحطاطه التدريجي، وقد يكون أسرع بواسطة التزاوج.

وربما تكون تأثيرات بعض البلاد تبدل في البلاد الأخرى إلى تأثيراتها في نحو جيلين، فقد شاهدنا رجالاً مع نساءهم من بلاد سنتها علو مقدم الرأس على الجبهة وتثليث الرأس، وهم على تلك السنة قد انتقلوا إلى بلاد سنتها استدارة الرأس واعتدال وضع مقدمه على الجبهة، فأخذ نسلهم في هذه البلاد يتحسن بحيث يزيد الولد الثاني على الولد الأول في التحسن، حتى صار الجيل الثاني على سنة هذه البلاد، وشاهدنا العكس أيضاً.

ومن المعلوم أن للأقاليم تأثيراً تمتاز به في الألوان، فإنه لا يوجد في خيل بلاد العرب ما نصفه أبيض خالص البياض والباقي أحمر أو أشقر أو أسود، كما يوجد بكثرة في بلاد الترك^١.

الثالثة:

قال:

وأيضاً قد وجدت في الحفريات في طبقات الأرض قطع كثيرة من الصخور، تشبه في الوضع والهيئة بعض الآلات الحديدية، كالفؤوس والمناشير والسكاكين وأسننة الرماح ورؤوس السهام. فجزم الناس بلا ريب بأنها آلات من صنع البشر، قد صنعوها لأجل غايات مقصودة لهم في أعمالهم، ونسبها لعصر خاص كانت هي آلاته قبل إيجاد الآلات الحديدية، وسمّوه «العصر الصواني».

مع أن هذه القطع التي وجدوها لم يرها أحد مستعملة في غاياتها، فلماذا لا يقول الناس: إن هذه القطع هيئاتها الخاصة إنما هي من أعمال التواميس الطبيعية، بسبب تأثيرات عوامل الاستحجار المقرونة بأوضاع معدّاتها التي تنتج هذه الهيئات الخاصة، كما هو في صغار الصخور والصوان التي يكثر فيها أن تكون على أشكال هندسية: كالمسطح والمستدير، وما يكون مثل نصف الدائرة، أو

قطعة منها، وكالمخروطي بقاعدة هلالية، أو كنصف دائرة مع التناسب في سمكه،
وكالكرة، والشكل البيضي، والاسطوانة بقاعدة هي كنصف كرة أو قطعة منها، إلى
غير ذلك من الأوضاع والهيئات؟

وقد شاهدنا في سوق سامراء ملح طعام مؤلف من قطع صغار، هي كأظرف ما
يكون من أوضاع الأواني الزجاجية بأشكال هندسية متناسبة، المقعر والمحدّب
في السمك والوضع، تكون ممتنة ومسدسة وغيرها، وربما يتدرج تغيرها
وتحديدها بدرجات متناسبة محفوظة الوضع.

إذاً فمن أين علم الناس أنّ هذه القطع التي وجدت في الحفريات هي آلات
صنعها الإنسان لأجل غايات مقصودة له؟ هل رأى أحد ذلك بعينه؟ هل رآها
بخصوصها مستعملة في تلك الهيئات؟ أو ليست هذه الدعوى مثل دعوى تحوّل
الأنواع، لا حجة لها إلا التخمين؟!^١

الرابعة:

قال:

أين أنت عن التعليل بواجب الوجود العليم الحكيم؟ ماذا يصدك عنه؟
إذا صدقت النظر في شأن مولود الحيوان رأيت العجب، وعرفت أنّ له مدرّساً
رؤوفاً عالماً، يعرفه كيف يسلك في طريق الحياة الجديدة الذي لم يره قبل
ذلك ولم يعرفه. فترى المولود حين خروجه من بطن أمه كأنه تلميذ أكمل
دروسه وتلقّى علمه وأدّى امتحانه، وصارت له نوبة العمل في أعمال معيشتة
ولوازم حياته.

قد كان في الرحم ولم يألف في حياته هناك إلا ظلمات وأحشاء، ومشيمة
تبعت إليه من الحبل السريّ غذاءه، وتأخذ فضوله من دون طلب منه ولا سعي
في أمره. لم يعرف تغذياً بفم، ولا غذاءً من ندي، ولا طلباً للمعيشة،
ولا سعيّاً للرزق، ولم يعرف أمّاً ولم يألف لها حناناً، فتراه في أوّل ولادته ينادي

بطلب غذائه ويسعى جهد قدرته في معيشته.

فترى طفل الإنسان إذا وضعته أمه على الثدي أول مرة يحاول الامتصاص، ويدير فمه على الثدي باستعجال يطلب طريق رزقه، فكأنه قد ألفه دهرأ، وقضى في لذته وطراً، وأنس به زماناً حتى إذا التقم الحلمة سكن بكاؤه، وقّر قراره، وصار يمتص اللبن بإقبال والتذاذ وسكون واستعجال، كأن له في هذه الأمور سابق تدرّيس وعلم وامتحان وتجربة ومحبة وألفة.

ولقد شاهدت شاة حين ولادتها، فرأيت جنينها زار الأرض مخرجاً رأسه من كيسه، طالباً للفرار منه، كأنه يعرف أنّ هذا الكيس قد صار في دورة الولادة سجن الضيق والضرر والفقر، بعد أن كان بيت الراحة والحماية والكفاية.

فصار ذلك القادم الجديد الغريب يرغو بلجاجة ويتحرّك باستعجال، متوجّهاً إلى ناحية رأس أمه الذي لم يره قط. يزحف مرتعشاً ويتحرّك مستعجلاً متكلفاً، حتى إذا وصل إلى رأس أمه وتمكّنت من لحس ما عليه من الرطوبات، سكنت حركته واطمأن في مريضه، فكأنه يقدم أعضاءه إلى أمه لكي تلحس رطوباتها.

أيها القادم الجديد هذه الرطوبات كانت توبك المألوف في دور الجنينية، فلماذا تساعد على نزعها؟ متى عرفت أنه يكون قذارة مضرة في دور الولادة؟

وحتى إذا سكن عن أمه ألم الولادة وقامت عن مريضها، تحامل للقيام على تكلف، كأنه يطلب أليفاً أنس به زماناً ففقدته، أو طريقاً اعتاد السلوك فيه فضل عنه، أو رزقاً سعى في تحصيله مدة فضاع منه. وصار يضع فمه على مواضع من بطن أمه، يحوله من موضع إلى موضع، حتى إذا التقم الثدي أقبل عليه بنشاط وابتهاج، كأنه وجد ضالته وحظى بأنيسه القديم.

وإنك إذا تتبعت مواليد الحيوانات كلها على هذا المبدأ في الشعور الابتدائي، كأنها متخرّجة من مدرسة قد درست فيها هذه التعاليم على معلّم عالم رؤوف بها^١.

الخامسة:

قال:

إنَّ قَدَحَ اليهود وغيرهم في نسب المسيح في غير محلِّه؛ لأنَّ الذي يدَّعونه أمر غيبي وإن كانت العادة تعضده، إلا أنَّ اليهود معترفون بأنَّ الله قادر على خلق الولد في رحم أمِّه من غير فحل، وقد ظهرت قدرة الله في شأن آدم وحواء، بأعظم من ذلك.

وأنَّ الطبيعة التي سخَّرها الله بقدرته صالحة لمثل هذا، فقد وجدنا في الحيوانات المعتاد تخلُّقها بآلات التناسل قد تتخلَّق بغيرها، كما هو المشاهد في الفأر إذ يتخلَّق من الطين، والدجاج قد يبيض ويفرِّخ من غير فحل. فإنَّ أخير نبيِّ بتولِّد إنسان من غير فحل وجب تصديقه؛ لإخبار الصادق بأمر ممكن في قدرة الله جلَّ شأنه، مع صلاحية الطبيعة لمثله، خصوصاً مع وقوع ما هو من هذا القبيل^١.

١. راجع الموسوعة ج ٣، الهدى إلى دين المصطفى ١: ٢٢٩.

الباب الثاني

حياته العلميّة

وفيه فصول:

الفصل الأوّل: دراسته وأساتذته ومشايخه

الفصل الثاني: تدريسه وتلامذته والراوون عنه

الفصل الثالث: مقومات شخصيّته العلميّة

الفصل الرابع: منهجه في البحث العلمي

الفصل الخامس: مؤلّفاته

الفصل السادس: مدحه وإطراؤه

الفصل الأوّل دراسته وأساتذته ومشايخه

خلال تتبّعي لكثير من المصادر التي تعرّضت لحياة العلامة البلاغي، حاولت الوقوف بشكل مفصّل على مراحل دراسته والكتب التي درسها، والأساتذة الذين حضر عندهم ابتداءً من المقدمات ومروراً بالسطح وانتهاءً بالبحث الخارج.

إلا أنّني لم أعثر على شيء مفصّل يمكن الاعتماد عليه، وجعله بُنية أساسية في البحث عن سير دراسته وتطوّرها والوصول إلى نتائج ملموسة فيها.

والسبب الرئيسي في ذلك يعود إلى إهمال هذا الجانب من قبل العلامة البلاغي، فلشدة تواضعه الذي وصل إلى حدّ نكران الذات، لم يتحدّث البلاغي عن نفسه، ولا عن دراسته، ولا عن الكتب التي درسها والأساتذة الذين حضر عندهم. فجاءت هذه الدراسة مبتورة، فيها معلومات جزئية عن بعض مراحل دراسته، وهي الدراسات العالية في الفقه والأصول فقط.

دراسته

من أجل الوقوف بشكل دقيق على حياة العلامة البلاغي، وحصر المعلومات التي حصلنا عليها عنه، قسّمتُ حياته حسب الأماكن التي تواجد فيها إلى ستّ مراحل:

(١) في النجف الأشرف ١٢٨٢ - ١٣٠٦ هـ.

(٢) في الكاظمية المقدّسة ١٣٠٦ - ١٣١٢ هـ.

(٣) في النجف الأشرف ١٣١٢ - ١٣٢٦ هـ.

(٤) في سامراء المقدّسة ١٣٢٦ - ١٣٣٦ هـ.

(٥) في الكاظميّة المقدّسة ١٣٣٦ - ١٣٣٨ هـ.

(٦) في النجف الأشرف ١٣٣٨ - ١٣٥٢ هـ.

وقد تقدّم الكلام بشكل مفصّل عن هذه المراحل في الباب الأوّل من هذه الدراسة عند بحثنا عن حياته الشخصية والاجتماعية.

وما يتعلّق بدراسته في هذه المراحل، فإنّ المصادر لم تُشر إلاّ إلى دراسته في مرحلتين فقط، هما:

المرحلة الثالثة من حياته ١٣١٢ - ١٣٢٦ هـ في مدينة النجف الأشرف، إذ حضر على كبار أساتذتها في الفقه والأصول.

والمرحلة الرابعة من حياته ١٣٢٦ - ١٣٣٦ هـ في مدينة سامراء، إذ حضر أبحاث الميرزا محمد تقي الشيرازي (م ١٣٣٨ هـ) في الفقه والأصول أيضاً.

أمّا دراسته مقدّمات العلوم الإسلامية في اللغة والمنطق والبلاغة وغيرها، والتي من المفروض أن تكون في المرحلتين الأوليين من حياته: في النجف الأشرف ١٢٨٢ - ١٣٠٦ هـ، وفي الكاظميّة المقدّسة ١٣٠٦ - ١٣١٢ هـ، فلم أجد من يتعرّض لها، بل ولا من يشير إليها ولو إشارة عابرة.

وعلى هذا فإنّ أساتذة البلاغي - الذين يأتي ذكرهم قريباً - هم أساتذته في الأبحاث العالية في الفقه والأصول، الذين كان يحضر بحثهم الفطاحل والمجتهدون، أمّا العلوم الفلسفية والكلامية وغيرها التي يظهر تبخّره فيها عند مراجعة مؤلفاته، فعند من درسها؟ ومن كان أستاذه في هذه الفنون؟ فهذا شيء بقي في ذمّة التاريخ، ولم يحدثنا مترجموه عن هذه الخصوصيات.

علماً بأنّ البلاغي لم يحضر أيّ درسٍ عند استقراره في مدينة الكاظميّة المقدّسة لمدة سنتين ١٣٣٦ - ١٣٣٨ هـ، إذ أنّه كان مشغولاً مع جماعة من العلماء بتحريض الجماهير على الثورة ضدّ القوّات الإنكليزية التي احتلّت العراق.

وكذلك لم يحضر أيّ درسٍ عند استقراره في مدينة النجف الأشرف من سنة ١٣٣٨ هـ وحتى وفاته سنة ١٣٥٢ هـ، إذ أنه كان مشغولاً بالتدريس والتأليف.

أساتذته ومشايخه

نذكرهم مرتبين حسب أسمائهم، لا حسب مراتبهم العلميّة، ولا حسب مقدار استفادة البلاغي منهم:

الأول: السيّد حسن الصدر الموسوي الكاظمي (١٢٧٢ - ١٣٥٤ هـ).

كان ذا فضل واسع وعلم غزير، صاحب تأليف وتصانيف كثيرة نافعة، له باع طويل في علم الرجال وآثار العلماء. من أشهر آثاره: تأسيس الشيعة الكرام لفنون الإسلام، والشيعة وفنون الإسلام، وبغية الوعاة في طبقات مشايخ الإجازات.

يعتبر من مشايخ العلامة البلاغي في الرواية، ذكر ذلك شيخنا المرحوم المغفور له السيّد المرعشي النجفي في مقدّمته للترجمة الفارسيّة للرحلة المدرسيّة، فهو الأساس في هذه المعلومة، وعنه أخذ كلّ من ذكرها من المعاصرين عند ترجمتهم للعلامة البلاغي^١.

الثاني: الميرزا حسين النوري الطبرسي النجفي (١٢٥٤ - ١٣٢٠ هـ).

كان عالماً فاضلاً، ثقة، جليل القدر، محدّثاً، جامعاً للمعقول والمنقول. من آثاره: مستدرك وسائل الشيعة، ونفس الرحمن في أحوال سلمان، ودار السلام في الرّؤيا والمنام^٢. يعتبر من مشايخ العلامة البلاغي، إذ أجازته رواية كافّة مروياته ومسموعاته.

يقول شيخنا آية الله السيّد المرعشي النجفي عند ذكر المجازين من البلاغي: ومنهم العبد الحقير، فإنّه [أي البلاغي] أجاز لي جميع مروياته ومسموعاته عن شيخه العلامة ثقة الإسلام النوري بطرقه التي أودعها في كتابه المستدرك^٣.

١. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٧. وراجع ترجمته في بغية الراغبين ضمن موسوعة

الإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين ج ٧، ص ٣٥٢٢.

٢. معارف الرجال ١: ٢٧١ - ٢٧٤.

٣. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٨.

الثالث: الشيخ أفا رضا ابن الشيخ محمد هادي الهمداني (١٢٥٠ - ١٣٢٢ هـ).
أحد أعلام النجف المشاهير، ومن أجل تلاميذ السيد المجدد محمد حسن
الشيرازي، فقيه أصولي كلامي ثبت، من أهم مصنفاته: مصباح الفقيه، وحاشية على
الرسائل لأستاذه الشيخ الأنصاري، وكذلك حاشية على مكاسبه^١.
حضر البلاغي أبحاثه العالية في الفقه والأصول في مدينة النجف الأشرف من سنة
١٣١٢ هـ إلى ١٣٢٦ هـ^٢.

الرابع: الميرزا محمد تقي الشيرازي الحائري (م ١٣٣٨ هـ).
زعيم الثورة العراقية الكبرى وقائدها وملهمها الروحي، كان عالماً فاضلاً فقيهاً
أصولياً، من أبرز تلاميذ المجدد السيد محمد حسن الشيرازي (م ١٣١٢ هـ)، استلم
المرجعية العامة للشيعة بعد وفاة أستاذه، ومن أشهر مؤلفاته: حاشية على المكاسب،
وشرح منظومة السيد صدر الدين العاملي في الرضاع، ورسالة في صلاة الجمعة^٣.
حضر عليه العلامة البلاغي في أبحاثه العالية في الفقه والأصول في سامراء لمدة
عشر سنوات من ١٣٢٦ هـ إلى ١٣٣٦ هـ.

الخامس: الشيخ محمد حسن ابن الشيخ عبدالله المامقاني النجفي (١٢٣٨ - ١٣٢٣ هـ).
كان عالماً فاضلاً، فقيهاً أصولياً، مدرّساً قديراً، له الباع الطويل في تدريس علم
الأصول، من أهم آثاره: بشرى الوصول إلى أسرار علم الأصول، وذرائع الأعلام في
شرح شرائع الإسلام، وأصالة البراءة^٤.
بعد من مشايخ علامتنا البلاغي، إذ أجازته برواية جميع مروياته ومسموعاته. ذكر
ذلك شيخنا السيد المرعشي النجفي في مقدمته لترجمة الرحلة المدرسية بالفارسية^٥.

١. معارف الرجال ١: ٣٢٣-٣٢٤.

٢. الكنى والألقاب ٢: ٩٤؛ أعيان الشيعة ٤: ٢٥٥؛ ريحانة الأدب ١: ٢٧٨.

٣. معارف الرجال ٢: ٢١٥-٢١٨.

٤. المصدر ١: ٢٤٣-٢٤٥.

٥. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ. راجع ص ٤١٧.

السادس: الشيخ محمد طه ابن الشيخ مهدي نجف (١٢٤١ - ١٣٢٣ هـ).
فقيه أصولي رجالي، تقي ورع زاهد عابد، يعدّ من مراجع الإمامية الكبار، من أشهر مؤلفاته: إتيان المقال في أحوال الرجال، والإنصاف في مسائل الخلاف، وحاشية على كتاب المعالم في الأصول^١.

حضر عليه العلامة البلاغي أبحاثه العالية في الفقه والأصول في مدينة النجف الأشرف من سنة ١٣١٢ هـ إلى ١٣٢٦ هـ^٢.

السابع: المولى محمد كاظم ابن المولى حسين الخراساني النجفي، المعروف بالآخوند (١٢٥٥ - ١٣٢٩ هـ).

كان عالماً فاضلاً فقيهاً أصولياً، متخصصاً بعلم الأصول، تخرّج عليه عدد كبير من العلماء وأهل التحقيق. ومن أشهر مؤلفاته: كفاية الأصول، وحاشية على الرسائل لأستاذه الشيخ الأنصاري، وحاشية على مكاسبه أيضاً^٣.

حضر العلامة البلاغي دروسه العالية في الفقه والأصول في مدينة النجف الأشرف من سنة ١٣١٢ هـ إلى ١٣٢٦ هـ^٤.

الثامن: السيّد محمد ابن السيّد هاشم الرضوي الهندي (١٢٤٢ - ١٣٢٣ هـ).
عالم فقيه، أصولي رجالي، محيط بكثير من العلوم، صنّف في العلوم العقلية والنقلية، من أشهر مؤلفاته: شوارح الأعلام في شرح شرائع الإسلام وحاشية على الرسائل لأستاذه الشيخ الأنصاري، والأضواء المزیلة للشبهة الجلية^٥.

حضر عليه العلامة البلاغي بعض دروسه العالية في الفقه والأصول في مدينة النجف الأشرف بعد عودته إليها من مدينة الكاظمية المقدّسة سنة ١٣١٢ هـ^٦.

١. معارف الرجال ٢: ٣٠٠-٣٠٤.

٢. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٥؛ ريحانة الأدب ١: ٢٧٨.

٣. معارف الرجال ٢: ٢٢٣-٢٢٥.

٤. الكنى والألقاب ٢: ٩٤؛ معارف الرجال ١: ١٩٧؛ أعيان الشيعة ٤: ٢٥٥.

٥. معارف الرجال ٢: ٣٧٦-٣٧٩.

٦. تقية البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٦٦٣/٣٢٣.

الفصل الثاني تدريسه وتلامذته والراون عنه

تتلمذ على الشيخ البلاغي ونهل من معين علمه الصافي العديد من أعيان الطائفة الحقّة وعلمائها المشهورين، الذين كانت لهم أدوار كبيرة مشرّفة في خدمة مجتمعاتهم الإسلاميّة وقضاياها الحسّاسة، سواء في المدن التي سكنوها ودرسوا فيها في العراق، أو التي هاجروا إليها لأداء واجباتهم الدينيّة. فقد كان يحضر درسه عدد غفير من طلاب المعرفة بمستويات علميّة مختلفة وتخصّصات متنوّعة.

منهم: فقهاء وأصوليون كبار أصبحوا مراجع للتقليد، وأشرفوا على الحوزات العلميّة في مختلف العواصم الإسلاميّة كالنجف الأشرف وقم ومشهد المقدّستين. ومنهم: كتاب كبار رقدوا المكتبة الإسلاميّة بالكثير من المؤلّفات النافعة الباقية إلى يومنا هذا، في مختلف العلوم الإسلاميّة، كال تفسير والكلام والفقه والأصول والأدب العربي والفارسي.

ومنهم: شعراء بارعون وخطباء قديرون، لهم قصائد شعريّة رائعة، بل دواوين معروفة. ومنهم: مختصّون بإحياء التراث الإسلامي، خدموا الأمتة الإسلاميّة بتحقيق الكثير من الكتب والرسائل المخطوطة التي كانت عرضة للتلف والضياع. ومنهم: من سار على نهجه في المناظرة والردود، فدخل في مناقشات علميّة مع الكثير من النصارى وأتباع الفرق الضالّة، وألّف في ذلك رسائل عديدة. ومن الملاحظ في حياة العلّامة البلاغي اهتمامه الكبير بحلقات التدريس

وبالتلاميذ، إذ أنه لم يترك التدريس حتّى بعد ضعف مزاجه وكبر سنّه وابتلائه بالأمراض المزمنة، فقد كان ﷺ يدرّس تفسير آلاء الرحمن حتّى أواخر عمره المبارك.

تدريسه

لم يتعرّض العلّامة البلاغي في مؤلّفاته لشؤون حياته الشخصيّة والاجتماعيّة والعلميّة، كما فعل بعض علمائنا رحمهم الله تعالى، ممّا جعل دراسة حياتهم سهلة نوعاً ما على الباحثين.

فعلى الرغم من قراءتي لمعظم مؤلّفات البلاغي المطبوعة، ومراجعة أكثر المصادر التي ذكرت سيرته المباركة، لم أقف بشكل مفصّل ودقيق على العلوم التي كان يدرّسها، ولا أسماء الكتب التي كان يعتمد عليها في التدريس، اللهمّ إلّا كلمات عديدة ذُكرت في تراجم تلامذته التقطتها من هنا وهناك، تشير إلى نوع العلوم التي درسوها على أستاذهم، والتي منها: التفسير، والكلام، والدراية.

تلامذته والراوون عنه

نذكرهم مرتّبين حسب أسمائهم، لا حسب مراتبهم العلميّة، مع توضيح مختصر لدرجاتهم العلميّة، وما استفادوه من العلّامة البلاغي:

١ - الشيخ إبراهيم بن الشيخ مهدي القرشي، المعروف بـ«اطيمش» (١٢٩٢ - ١٣٦٠هـ).

عالم فاضل، أديب شاعر مبدع، له شعر كثير، من أفاضل تلاميذ الشيخ عبد الكريم الجزائري والسيد محمّد حسين القزويني^١.

درس مقدّمات العلوم الإسلاميّة على العلّامة البلاغي^٢.

١. نقيب البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٢٤ / ٦٠؛ مستدركات أعيان الشيعة ٣: ٨.

٢. شعراء القرني ١: ١٣٢.

٢ - السيّد أبو القاسم الخوئي (١٣١٧ - ١٤١٣ هـ).

زعيم الحوزة العلميّة، والمرجع الكبير للطائفة الحقّة في أواخر القرن الرابع عشر والعقد الأوّل من القرن الخامس عشر، أستاذ الفقهاء والمجتهدين. انفرد بتدريس الأبحاث العالية في الفقه والأصول لمُدّة أربعين سنة تقريباً في مدينة النجف الأشرف. له باع طويل في علوم أخرى غير الفقه والأصول كال تفسير والدراية، خَلَف مؤلّفات علميّة كثيرة، منها: أجود التقريرات، والفقه الاستدلالي، وحاشية على العروة الوثقى، والبيان في تفسير القرآن، ومعجم رجال الحديث^١.

حضر على البلاغي في التفسير والكلام والمناظرة، واستفاد منه كثيراً في تأليف تفسيره للقرآن الكريم البيان ورسالة نفحات الإعجاز، إذ يذكره في عدّة موارد من البيان بقوله: «بطل العلم المجاهد»، و«شيخنا»، و«آية الله الحجّة»^٢.

وذكر مراراً في نفحات الإعجاز كتب البلاغي كـالرحلة المدرسيّة والهدى إلى دين المصطفى.

كما أنّ العلامة البلاغي أثنى عليه في كتابه الرحلة المدرسيّة عند ذكره لرسالة نفحات الإعجاز بقوله: «للعالم الكبير والمتحلّي في شبابه بفضيلة المشايخ سيّدنا السيّد أبي القاسم الخوئي النجفي دام فضله»^٣.

٣ - الشيخ جعفر بن باقر محبوبية النجفي (١٣١٤ - ١٣٧٧ هـ).

عالم فاضل، متتبع، له معرفة كبيرة بالتأريخ والآثار والأدب العربي^٤. من مؤلّفاته: ماضي النجف وحاضرها^٥، والمختار من لآلئ الأخبار^٦.

١. نقاء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٧١/١٦٤.

٢. البيان: ٢٨، ٦٨، ٧١، ٢١٩.

٣. الموسوعة، ج ٥، الرحلة المدرسيّة: ٢٣١.

٤. نقاء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٢٨٠/٥٩٢.

٥. الذريعة ١٩: ٢٢/١٠٩.

٦. المصدر ٢٠: ١٦٩/٢٤٣٢.

قال: « حضرت بعض دروس البلاغي واستفدتُ منه مدّة »^١.

٤ - الشيخ نجم الدين جعفر ابن الميرزا محمّد العسكري الطهراني (١٣١٣ - ١٣٩٧هـ).

عالم فاضل، مؤلف، له آثار كثيرة في مختلف العلوم الإسلاميّة، ذكرها العالم المتتبّع الشيخ الطهراني في الذريعة^٢ منها: حواشي الطرائف^٣، وحواشي غاية المرام^٤، والخلفاء عند الجمهور^٥، والدرّة البيضاء في تأريخ سيّدة النساء^٦.

٥ - الشيخ ذبيح الله بن محمّد علي المحلّاتي (١٣١٠ - ١٤٠٥هـ).

عالم متتبّع، وخطيب بارع، من رجال المنبر الأفاضل والخطباء اللامعين^٧، مؤلف له آثار كثيرة ذكرها الشيخ الطهراني في الذريعة^٨، منها: تأريخ سامراء^٩، وخير الكلام في ردّ عدوّ الإسلام^{١٠}، ورياحين الشريعة^{١١}.

٦ - السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي (١٣١٨ - ١٤١١هـ).

أحد مراجع التقليد في إيران في أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر، أستاذ بارز في الأبحاث العالية في الفقه والأصول، فقيه أصولي رجالي نسابة، شيخنا في رواية الحديث. من أشهر مؤلفاته: تعليقات على إحقاق الحق^{١٢}.

١. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٢.

٢. انظر معجم مؤلّفي الشيعة: ٢٨٧.

٣. الذريعة ٧: ١٠٠ / ٥٢٠.

٤. المصدر ٧: ١٠١ / ٥٢٤.

٥. المصدر: ٢٤٢ / ١١٧٤.

٦. المصدر ٨: ٩٣ / ٣٤٣.

٧. نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٧١٥ / ١١٦٣.

٨. انظر معجم مؤلّفي الشيعة: ٣٨٥.

٩. الذريعة ٣: ٢٥٥ / ٩٥٠.

١٠. المصدر ٧: ١٨٥ / ١٣٩٨.

١١. المصدر ١١: ٣١٣ / ١٨٩٩.

١٢. نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٨٤٧ / ١٣٦٢.

حضر عنده طيلة إقامته في النجف الأشرف بعد ما هاجر إليها من سامراء، قال في رسالته وسيلة المعاد:

ومنهم الحقير محرّر هذه الأسطر وناسق هاتيك الدرر واللاكي، حضرت عنده طيلة إقامته في النجف الأشرف بعد ما هاجر إليها من سامراء، وألقى عصا السير به، فكم له من حقّ عليّ في الإحاطة بمسائل الكلام والمناظرة مع أرباب الملل والنحل، والوقوف على مقالاتهم، جزاه البارئ خير ما يجزئ به المحسنين وحشره الله تحت لواء جدّي أمير المؤمنين سلام الله عليه^١.

وقال أيضاً:

يروى عنه جماعة منهم: العبد الحقير، فإنّه ﷺ أجاز لي جميع مروياته ومسموعاته عن شيخه العلامة ثقة الإسلام النوري بطرقه التي أودعها في كتابه المستدرک^٢.

وقد ذكره في إجازته الكبيرة بقوله: «ممن أروي عنه علامة المناظر، العالم بأرباب الأهواء، آية الله الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي»^٣.

٧ - السيّد صدر الدين الجزائري (م ١٣٩٤ هـ).

٨ - الأستاذ علي الخاقاني.

أديب شاعر، مثقّف، مؤلّف، له اهتمامات كبيرة بالتراث والتراجم، أصدر مجلّة البيان في مدينة النجف الأشرف، من آثاره: دليل الآثار المخطوطة في العراق^٤، وشعراء الغري، وشعراء الحلة أو البابليات^٥، وشعراء الحسين أو أدب الطف^٦.

كان أحد الملازمين للعلامة البلاغي لفترة من الزمن ومن الحاضرين درسه في التفسير، ذكره في شعراء الغري قائلاً:

كنتُ أختلف عليه مع من يختلف من أصدقائه وتلامذته والمقتدين بآرائه

١ و٢. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٨.

٣. الإجازة الكبيرة: ١٦٠/١٩٨.

٤. الذريعة ٨: ٢٥٦/١٠٦٨.

٥. المصدر ١٤: ١٩٣/٢١٥٢.

٦. المصدر: ١٩٣/٢١٥٣.

الدينيّة... كان يصلي جماعة في الجامع المقابل القريب من داره يأتّم به أفاضل الناس وخيارهم، وبعد الفراغ من الصلاة كان يدرّس كتابه آلاء الرحمن في تفسير القرآن، وقد حضرتُ مع مَنْ حضر برهة من الزمن. فإذا به بحر خضمّ لا ساحل له، يستوعب الخاطرة ويحوم حول الهدف ويصوّر الموضوع تصويراً قوياً^١.

٩ - الشيخ علي محمّد البروجردي (م ١٣٩٥ هـ).

١٠ - الشيخ مجتبي النكراني (م ١٤٠٦ هـ).

١١ - الشيخ محمّد رضا ابن الشيخ طاهر فرج الله (١٣١٩ - ١٣٨٦ هـ).

عالم فاضل، صاحب كتاب الغدير في الإسلام^٢.

حضر على العلامة البلاغي في الحكمة والكلام وعلمي الدراية والرواية^٣.

١٢ - الشيخ محمّد رضا بن عبّاس الطبسي النجفي (١٣٢٤ - ١٤٠٥ هـ).

عالم متتبع، مؤلف، من أفاضل تلاميذ الشيخ عبد الكريم الحائري، ومن خواصّ السيّد أبي الحسن الإصفهاني وأعضاء مجلس فتياه، من آثاره: إثبات الرجعة^٤، ودرر الأخبار في ما يتعلق بحال الاحتضار^٥، والذرائع والبيان في عوارض اللسان^٦.

حضر على الشيخ البلاغي في المناظرة وعلم الكلام^٧.

١٣ - السيّد محمّد صادق ابن السيّد حسن بحر العلوم (١٣١٥ - ١٣٩٠ هـ).

عالم فاضل، مؤلف، أديب شاعر، له اهتمامات واسعة بالتراث الإسلامي إذ حقّق الكثير من المخطوطات، عيّن قاضياً شرعياً في العراق، من آثاره: حاشية على الرسائل

١. شعراء الغري ٢: ٤٣٨-٤٣٩.

٢. الذريعة ١٦: ٢٦/٩٦.

٣. شعراء الغري ٨: ٤٣٩.

٤. الذريعة ١: ٩٢/٤٤٣.

٥. المصدر ٨: ١١٧/٤٣٣.

٦. المصدر ١٠: ٢٤/١١٩.

٧. مستدركات أعيان الشيعة ٣: ٢٣٠.

للشيخ الأنصاري، وحاشية على المكاسب له أيضاً، والدرر البهية في تراجم علماء الإمامية، ودليل القضاء الشرعي^١.

حضر على البلاغي في التفسير^٢.

١٤ - الميرزا محمد علي أديب الطهراني.

ذكره شيخنا آية الله السيد شهاب الدين المرعشي النجفي ضمن الراوين عن العلامة البلاغي قائلاً: «منهم: العالم الفاضل الميرزا محمد علي الطهراني»^٣.

١٥ - الميرزا محمد علي ابن الشيخ أبي القاسم الأوردبادي الغروي (١٣١٢ - ١٣٨٠ هـ).

عالم فاضل، فقيه أصولي، أديب، شاعر بارع، مؤلف، له اطلاع واسع في التأريخ والسير وأيام العرب ووقائعها، من آثاره: علي وليد الكعبة، والأنوار الساطعة، ومنظومة في واقعة الطف^٤.

حضر على البلاغي في الكلام والتفسير^٥، وكتب له ترجمة مفصلة طبعت في مجلة الرضوان، والهدى العمارة.

وهو الذي دون المحاضرة العلمية التي ألقاها العلامة البلاغي على بعض تلامذته في مدينة النجف الأشرف في أوائل سنة ١٣٤٤ هـ، إثر الاستفتاء الذي وجهه قاضي القضاة في الحجاز الشيخ عبد الله بن بليهد لعلماء المدينة المنورة يسألهم عن حكم البناء على القبور وتقبيل الأضرحة والذبح عند المقامات.

وقد طبعت هذه المحاضرة في رسالة صغيرة بعنوان دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى.

١٦ - الميرزا محمد علي المدرّس التبريزي (١٢٩٦ - ١٣٧٣ هـ).

١. المصدر: ١: ١٥٣ و ٦: ٢٧٧.

٢. شعراء الغري ٩: ٢٠٦.

٣. وسيلة المعادي مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٨.

٤. أعيان الشيعة ٩: ٤٣٨؛ شعراء الغري ١٠: ٩٥.

٥. مستدركات أعيان الشيعة ١: ١٨٢.

عالم متتبع، مؤلف، من آثاره: ربحانة الأدب، وحياض النزلاء في شرح رياض المسائل، وقاموس المعارف^١.

له إجازة رواية من العلامة البلاغي، ذكره شيخنا آية الله السيد شهاب الدين المرعشي النجفي قائلاً: «يروى عنه جماعة... ومنهم: العالم الثقة الجليل الميرزا محمد علي صاحب الربحانة»^٢.

١٧ - الشيخ محمد مهدي اللاهيجي (م ١٤٠٣ هـ).

١٨ - السيد محمد هادي الحسيني الميلاني (١٣١٣ - ١٣٩٥ هـ).

فقيه أصولي، أديب، له اطلاع واسع في التفسير والدراية^٣، أحد مراجع التقليد في أواخر القرن الرابع عشر الهجري، سكن مدينة مشهد المقدسة وتصدى لزعامتها العلمية، من آثاره: محاضرات في فقه الإمامية، حياة الأئمة.

يعدّ من أفاضل تلاميذ العلامة البلاغي في التفسير والكلام، كانت عنده نسخة خطية من رسالة إلزام المخالفين بأحكام نحلتهم وتوجيهه ودعمه صححها الأستاذ علي أكبر غفاري وطبعت سنة ١٣٧٨ هـ.

١٩ - الشيخ مرتضى بن محمد حسن المظاهري الإصفهاني النجفي (م ١٤١٤ هـ).

عالم فاضل، مؤلف، من آثاره: قلع الغيبة^٤، مقبس الياقوت في فضل السكوت^٥. كان من تلاميذ البلاغي في التفسير، وقد استنسخ عدّة رسائل لأستاذه، منها: رسالة في شأن التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، استنسخها في مدينة النجف الأشرف سنة ١٣٤٣ هـ، واستنسخها ثانية في إصفهان سنة ١٣٩٨ هـ، وعلى هذه النسخة اعتمد سماحة آية الله الشيخ رضا الأستادي في تحقيقه لهذه الرسالة.

١. مستدركات أعيان الشيعة ١: ١٨٨.

٢. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٨.

٣. مستدركات أعيان الشيعة ٣: ٢٥٣.

٤. الذريعة ١٧: ١٦٧ / ١٦٩.

٥. المصدر ٢٢: ١٨ / ٥٨١٢.

٢٠ - الشيخ مهدي - أو عبد المهدي - بن داود الحجّار (١٣١٥ - ١٣٥٨ هـ).

عالم فاضل، أديب شاعر، مؤلف، ذكر آثاره العلامة الطهراني في الذريعة^١ والتي منها: فوز الدارين في نقض العهدين القديم والجديد^٢، البلاغ المبين^٣ وهو عبارة عن قصيدة طويلة سمّاها باسم إحدى رسائل أستاذه البلاغي، وذكر فيها بعض مصنفاته كالرحلة المدرسية والهدى إلى دين المصطفى وأنوار الهدى ونصائح الهدى والدين، وكافة الفوائد العلميّة الواردة في هذه القصيدة^٤ استفادها من أستاذه البلاغي الذي درس عنده العقائد فترة طويلة.

وقد أثّرت حول هذه القصيدة الطويلة شبهة نسبتها للعلامة البلاغي، يحدّثنا عنها الأستاذ علي الخاقاني قائلاً:

في عام ١٣٤٤ هـ طبع له [أي للشيخ مهدي الحجّار] في النجف وبيروت قصيدة طويلة سمّاها «البلاغ المبين» في العقائد، وقد نالت إعجاب القراء. كما نارت حولها عجاجة بسبب ملاحظات الأستاذ صالح الجعفري في مجلّة العرفان، فقد أخذ ينسبها عن طريق غير مباشر إلى أستاذه الشيخ محمد جواد البلاغي الذي عرف بعظمته الروحيّة والجدليّة، وراح خصوم الحجّار يتشدّدون بهذه الملاحظات.

والحق أنّ الحجّار أشار في صدرها إلى أنّه عرضها على علم كبير في النجف، وطبيعي أنّ الحجّة البلاغي ربما أضاف إليها بعض الخواطر العلميّة التي لم يتصوّرنا ناظمها^٥.

١. انظر معجم مؤلفي الشيعة: ٤١٢.

٢. الذريعة ١٦: ٣٦٩/١٧١٩.

٣. المصدر ٣: ١٤١/٤٨٤.

٤. شعراء الفري ١٢: ٢٠٦ و ٢٠٨ و ٢٢٨.

٥. المصدر: ٢١٠.

الفصل الثالث

مقومات شخصيته العلميّة

لم يصل العلامة البلاغي إلى ما وصل إليه من سموّ في النفس وعلوّ في الدرجات الروحيّة، ولم يستطع أن يخلف هذا العدد الكبير من الآثار العلميّة، ولا أن يرثي ذلك العدد الغفير من العلماء، إلا بعد جهود مضيئة ومجاهدات روحيّة كبيرة، وتحمل لمصاعب جمّة، أدّت جميعها إلى خلق شخصيّة هذا العالم الجليل من خلال مقوماتها العلميّة التي سعى لتكوينها بكلّ ما أوتي من قوّة وحول، ونحن نورد هنا بعض تلك المقومات التي أشارت إليها مصادر ترجمته، وهي:

الأولى: تعلّمه اللغات الأجنبيّة

أجمعت المصادر التي ترجمت للعلامة البلاغي على إتقانه للغة الفارسيّة والإنكليزيّة والعبريّة، إضافة للغته الأمّ العربيّة.

يقول شيخنا السيّد المرعشي النجفي وهو أحد المجازين من البلاغي:

رأيتُه مراراً يتلو العهد القديم التوراة العبري في نهاية السلاسة وذلاقة اللسان،

بحيث أقرّ حاخام اليهود بفضلُه وإحاطته بدقائق اللسان العبري^١.

ويقول الأستاذ الشيخ محسن مظفر في ترجمته:

ألوى العنان برهته نحو بعض اللغات الأجنبيّة ففهمها من دول تعسّف ولا كد

١. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٣.

خاطر. هذه العبرانية وكان يجيدها أيما إجادة، أتاحتها له اختلاط بسيط بالطائفة الإسرائيلىة في بغداد، أثناء ارتياده يتهم وتوراتهم لاستطلاع دفائن الأسرار والإشراف على مواطن الضعف في الكتب المقدسة، ويحسن اللغة الفارسية بصورة فائقة؛ وحدثت في التالي بأنه كان ملماً بالإنجليزية^١.

وقد كان البلاغي يمتلك عدداً من نسخ الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وباللغات العبرية والإنكليزية والفارسية، يعتمد عليها في حكايته لنصوص الكتاب المقدس، وقد أشار إلى مواصفات كل نسخة ولغتها ومكان وتاريخ طبعها في الصفحات الأولى لكتابه الهدى إلى دين المصطفى والرحلة المدرسية. علماً بأن تعلمه للغة الفارسية يعدّ آنذاك أمراً سهلاً؛ لكثرة تواجد الإيرانيين في العراق، خصوصاً في المدن المقدسة.

أما تعلمه اللغة الإنكليزية والعبرية فيعدّ من الأمور الصعبة جداً، بل يعتبر من المجاهدات الكبيرة آنذاك؛ إذ أنّ أجواء الحوزة العلمية لا تسمح بذلك أبداً، بل كانت تحارب من يحاول تعلم تلك اللغات باعتبارها لغات الكفار.

والعلامة البلاغي لم يوضح كيفية تعلمه تلك اللغات، ولم تتعرض المصادر التي بين أيدينا لذلك أيضاً، إلا ما أشار إليه المحدث الشيخ عباس القمي بقوله: «وكان يجيد اللغة العبرانية لاختلاطه بالطائفة الإسرائيلىة ببغداد»^٢.

ويقول الأستاذ المحقق السيد أحمد الحسيني - حفظه الله ورعاه -:

فمن أين تعلم هاتين اللغتين - الإنكليزية والعبرية - مع تسر وجود من يجيدهما في ذلك الوقت؟ وكيف توصل إلى إتقانها بحيث يمكنه فهمها والكتابة بهما ومعرفة جزئياتهما؟

أما اللغة الإنكليزية فلم نهتد إلى كيفية تعلم الشيخ إياها.

١. راجع ص ٤٠٥-٤٠٦.

٢. الكنى والألقاب ١: ٣٢٥.

وأما اللغة العبرية، فكان جماعة من اليهود آنذاك يتجولون في مدن العراق ويحملون معهم بعض أنواع الأقمشة والأمتعة على ظهورهم فيبيعونها في الأزقة والشوارع. وكان الحجّة البلاغي ينتهز فرصة وجود هؤلاء فيسألهم عن مفردات اللغة العبرية أو الجمل التي يصعب عليه فهمها، وكان يضطرّ بعض الأوقات إلى شراء جميع أمتعة يهودي لكي يجيبه عن كلمة أو جملة، ذلك لأنّ اليهود من أشدّ الناس بُخلاً في إفهام غيرهم ما يتعلّق بلغتهم.

وكان يبتاع الحلويات حتّى إذا رأى طفلاً من اليهود أعطاه شيئاً منها وسأله عن بعض ما يريد الوقوف عليه من اللغة^١.

الثانية: دراسته للعلوم الحديثة

تقتصر الدراسة في الحوزة العلميّة عند الشيعة الإماميّة عموماً وفي مدينة النجف الأشرف خصوصاً على العلوم الإسلاميّة ومقدّماتها كالعربية، والمنطق، والفقه، والأصول، وقليل من التفسير.

أما العلوم الحديثة كالرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، وغيرها، فلا يتعرّض لها الطالب ولو بشكل إجمالي؛ ممّا أدّى ذلك إلى ابتعاد رجل الدين عن المعارف الحديثة، وعدم مواكبته لتطوّرات الحياة اليوميّة التي يعيشها أفراد المجتمع آنذاك.

والعلامة البلاغي لم يقتصر على دراسته العلوم الإسلاميّة فحسب، بل اطّلع على العلوم الحديثة كالرياضيات، وبعض النظريّات الفيزيائية والكيميائية، وما يتعلّق بالنجوم وعلم الهيئة عموماً، ووظائف أعضاء جسم الإنسان، فلمكّن ذلك من الاستشهاد بنظريّات هذه العلوم في كتبه الكلاميّة ومباحثاته مع الشباب المثقّف ثقافة عصريّة.

ودرس البلاغي أيضاً النظريّات الإلحادية لدارون وشبلي شمّيل وغيرهما التي شاعت في البلدان الإسلاميّة في أوائل القرن العشرين، واطّلع على الكتب التي ألفوها

كأصل الأنواع ومجموعة شبلي شمیل وآرائه. ثم قام بردها ردّاً علمياً، وتفنيده هذه الشبهات الباطلة في كتبه ورسائله التي ناقش فيها الطبيعيين والماديين .
 ودرس أيضاً كتب الفرق الضالّة التي لم تكن متوفرة آنذاك، وقد حصل عليها بعد بذل جهودٍ كبيرة، ككتب البائية والبهائية والقاديائية، واستطاع أيضاً ردها في رسائل مستقلة ألقاها في هذا المجال.

الثالثة : ملازمته لكبار العلماء

ومن مقومات شخصيته العلمية وملكته الفلسفية والأدبية، كثرة ملازمته لأساطين فنون العربية وأئمة الفقه الإسلامي وجهابذة الفلسفة والكلام، هؤلاء الفحول الذين كانت تحتضنهم مدينة النجف الأشرف آنذاك، أمثال :

المحدث الميرزا حسين النوري الطبرسي (م ١٣٢٠هـ).

والشيخ آقا رضا الهمداني (م ١٣٢٢هـ).

والشيخ محمد حسن المامقاني (م ١٣٢٣هـ).

والشيخ محمد طه نجف (م ١٣٢٣هـ).

والسيد محمد ابن السيد هاشم الرضوي الهندي (م ١٣٢٣هـ).

والمولى محمد كاظم الآخوند الخراساني (م ١٣٢٩هـ).

والسيد حسن الصدر الموسوي الكاظمي (م ١٣٥٤هـ).

ولم يكتفِ العلامة البلاغي في الحضور على علماء النجف الأشرف الكبار، بل شدّ الرحال إلى مدينة سامراء المقدّسة واستقرّ فيها لمدة عشر سنوات (١٣٢٦ - ١٣٣٦هـ) من أجل حضور أبحاث الميرزا محمد تقي الشيرازي (م ١٣٣٨هـ).
 وهذا يعني أنّه استمرّ في حضور أبحاث أستاذه على الرغم من الدرجة العلمية الراقية التي وصل إليها آنذاك، والتي تؤهّله للاستقلال بالتدريس^١.

١. نباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٢٢٣/٦٦٣.

الرابعة: استغلاله للوقت

كان ﷺ يستغلّ وقته بأقصى حدّ ممكن، فلا يدع ساعة واحدة تضيع منه دون أن يستغلّها بما يقربّه إلى الله تعالى بالدرس أو التدريس أو التأليف وغيرها، ونحن نقل هنا عبارات بعض معاصريه في ذلك:

(١) قال الشيخ محمّد حرز الدين:

تعب جداً في مراجعة اليهود والنصارى أنفسهم في بغداد للفحص منهم عن بعض أسفار التوراة وفصول الأناجيل ممّا فيه دلالة للردّ عليهم في نفي نبوة محمّد ﷺ. وأفنى شطراً من عمره في هذا السبيل^١.

(٢) قال الأستاذ توفيق الفكيكي:

لا يغادر غرفته ومكتبته، اللهمّ إلّا في أوقات الصلاة، وزيارة الحرم المقدّس، وفي خروجه للسوق لتموين عائلته بالغذاء اليومي... أمّا سوى ذلك فلا تجده يبرح غرفته، تحيط به كتبه التي يرجع إليها في تحقیقاته الفقهيّة والأصوليّة والكلاميّة، أو في تعقيبه وتعليقه على كتاب أو على رأي من الآراء العلميّة والفلسفيّة الحديثة، فتراه دائماً مكتباً معنّاً نظره في تحرير الأجوبة على المسائل العويصة والمشاكل المعضلة التي ترده من أنحاء العراق والأقطار البعيدة، أو تراه منهمكاً في التأليف أو في شرح الأبحاث العقائديّة أو في تفسير آي من القرآن الكريم^٢.

(٣) وقال أحد تلامذته:

وكان مجدّاً في المطالعة والكتابة، الكتب مفتوحة أمامه دائماً، والقلم في يده، والقرطاس إلى جنبه، وهو بين مطالع أو كاتب. فلم أدخل عليه في وقت ما إلّا ورأيتّه منصرفاً إلى التأليف والتصنيف، أو فاحصاً في الكتب عن موضوع هامّ يريد البحث حوله^٣.

١. معارف الرجال ١: ٩٦.

٢. مقدّمة الهدى إلى دين المصطفى: ١١.

٣. انظر مقدّمة الرحلة المدرسيّة (بقلم المحقّق السيّد أحمد الحسيني): ٦.

٤) قال الأستاذ علي الخاقاني:

فقد كنت أختلف عليه مع مَنْ يختلف من أصدقائه وتلامذته والمقتدين بآرائه الدينية، فلم أجده إلا وهو يجيب عن سؤال، أو يحرر رسالة يكشف فيها ما التبس على المراسل من شك، أو يكتب في أحد مؤلفاته^١.

٥) قال السيد حسن اللواساني:

أنهى أواخر هذا التفسير [آلاء الرحمن] بإلقائه على التلاميذ والكتبة المحتفين به، على ما هو عليه من شدة المرض وغاية الضعف مطروحاً في فراش الموت^٢.

الخامسة: عدم المجاملة في المسائل العلمية

كان ﷺ لا يجامل أحداً في المسائل العلمية، ولا تأخذه في الله لومة لائم، يعارض الخطأ ويقف أمامه وإن صدر من أهل نحلته ومذهبه، ويؤيد الحق ويقف إلى جانبه وإن صدر من مخالفه.

فعلى الرغم من كون المحدث الميرزا حسين النوري الطبرسي من كبار مشايخه ومن مشاهير علمائنا، إلا أننا نشاهده يعارضه معارضةً شديدة عند تأليفه لكتاب فصل الخطاب في تحريف كلام رب الأرباب، بل يجعل جلّ المقدمة العلمية التي كتبها لتفسيره آلاء الرحمن في الرد على آرائه وتفنيد أدلته، وإثبات أنّ الشيعة الإمامية قائلون بعدم تحريف القرآن الكريم.

وعلى الرغم من كون السيد محسن الأمين من خُصّ أصدقائه وزملائه في الدرس، وتربطه به علاقة وطيدة وحميدة حتى بعد سفر السيد الأمين من النجف الأشرف واستقراره في سوريا، إذ جرت بينهما مراسلات علمية وإخوانية مع ذلك كله فقد عارضه معارضة فعلية عندما انتقد بعض الشعائر الحسينية وألّف في ذلك رسالة مستقلة سماها التنزيه في أعمال الشبيه، وقد تقدّمت الإشارة إلى هذا الموضوع في حديثنا عن حياته الاجتماعية.

١. شعراء الغري ٢: ٤٣٨.

٢. قاله في تأييده له المطبوع في آخر الجزء الثاني من تفسيره «آلاء الرحمن»، راجع ص ٤٢٩.

وفي مقابل ذلك كلّه نشاهد البلاغي ينظم قصيدة رائعة في مدح كتاب العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل للسيد محمد بن عقيل العلوي الحضرمي (م ١٣٥٠ هـ) مؤلف كتاب النصائح الكافية لمن تولى معاوية، مطلعها:

يا قارئ العتب الجميل قل هل لئذ من سبيل^١

السادسة: أدبه الرفيع في المباحثة

اشتهر العلامة البلاغي بأدبه الرفيع في المباحثات والمناقشات مع المخالفين له من معتنقي الديانة المسيحية والفرق الضالّة، فكان لا يتهجم على أحد ولا يسب ولا يشتم. وهذا هو الذي أدى إلى انتشار كتبه في العالم وتأثير أفكاره على الكثير من الشباب، بل ورجوع بعض المضللين إلى جادة الحق.

يقول الأستاذ توفيق الفكيكي:

أضحت داره كعبة القضاة ومدرسة النبهاء والفهماء؛ إذ امتازت بطابعها الخاص وهو فنّ المناظرة والجدل، ودراسة قواعد الدفاع وطرق النضال العلمية والفلسفية والأدبية في حومات المعارك الفكرية، كما كانت مدارس الاعتزال في العصر العباسي إزاء أصحاب الأديان والمعتقدات المتطرّفة وأهل الآراء والمذاهب المخالفة لمذهب الاعتزال^٢.

١. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦؛ شعراء الفري ٢: ٤٥٦.

٢. مقدّمة الهدى إلى دين المصطفى: ٩.

الفصل الرابع منهجه في البحث العلمي

المنهج العام

قبل البدء ببيان منهج العلامة البلاغي في التفسير والكلام والفقه، لابدّ من إلقاء نظرة سريعة على منهجه العلمي العام الذي اتّبعه في آثاره العلميّة الموجودة بأيدينا.

فقد اتّبع البلاغي المناهج العامّة التي يتّبعها العلماء في كتبهم من عرض شامل للمسائل العلميّة، وإقامة الأدلّة القاطعة والبراهين الواضحة على آرائهم، وأضاف لذلك كلّ تأكيد في استدلاله على المسائل العلميّة على عدّة محاور، نوضحها بعدة نقاط:

الأولى: في استدلاله بالسنة الشريفة: لم يكتفِ البلاغي بذكر الروايات الواردة من طرق أهل البيت عليهم السلام، بل ذكر أحاديث كثيرة واردة من طرق أهل السنة في صحاحهم السنة وغيرها من أمّهات كتبهم الحديثيّة وموسوعاتهم المهمّة؛ وذلك لكي تكون الحجّة أقوى عليهم والدليل أوضح لديهم بحسب رأيهم.

ففي رسالته نسّمات الهدى ونفحات المهدي ذكر ثمانية عشر حديثاً تعرّضت لحوادث آخر الزمان، وعلامات ظهور الحجّة - عجل الله تعالى فرجه الشريف - واسمه ونسبه. وذكر فيها أيضاً خمسة عشر حديثاً تصرّح بنزول المسيح عيسى بن مريم عليها السلام وصلاته خلف المهدي عليه السلام ومؤازرته له.

وفي رسالة حرمة حلق اللحية ذكر ثلاثة وثلاثين حديثاً دالّة على الحرمة، مع ذكر المصادر الرئيسيّة الواردة فيها، وبيان الاختلافات بين ألفاظ الحديث الواحد.

وفي رسالة نصائح الهدى ذكر مجموعة كبيرة من الأحاديث المتعلقة بالمهدي عليه السلام، وبيان اسمه واسم أبيه وأمه، وصفاته وعلائم ظهوره، وأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

الثانية: لم يكتفِ بمناقشة مدلول الأحاديث التي يستدلُّ بها، بل تعرّض لوضع سندها أيضاً:

ففي عقده الخامس من العقود المفصلة «عقد في إلزام غير الإمامي بأحكام نحلته» ذكر صفة الأحاديث التي أوردتها، فحكّم عليها بالصحة أو الضعف؛ اعتماداً على رجال سندها.

وأيضاً وضح أسماء الرواة المبهمة أو المشتركة، ففي الحديث الثالث - مثلاً - ورد عليّ بن أبي حمزة فقال عنه: «الظاهر أنه البطائني الواقفي الضعيف». وفيه أيضاً قال عند ذكر عليّ بن عبد الله:

هو ابن عبد الله بن الحسين بن زين العابدين عليه السلام، وهو مختصّ بالرضا عليه السلام، وله مقام عظيم في الزهد والعبادة، فهو ثقة.

وفي الحديث السادس قال عند ذكر جعفر بن محمد:

وأما أبوه: فإن كان محمد بن عيسى الأشعري - كما يقول الميرزا في المنهج^١ - فهو شيخ القميين ووجه الأشعريين^٢.

وفي تعليقه على بيع المكاسب للششيخ الأنصاري، عند شرح قوله: «وقد استدلوا أيضاً بخبر حمزة بن حرمان عن الباقر عليه السلام»^٣ قال:

وفي سنده عبد العزيز العبدي وقد ضُفِّف^٤، لكن الراوي عنه الحسن بن محبوب.

١. منهج المقال: ٨٤.

٢. راجع الجزء السابع من الموسوعة، ص ٢٤٦.

٣. المكاسب ٣: ٢٧٦؛ الكافي ٧: ١٩٨ باب حدّ الغلام والجارية اللذين... يجب عليهما الحدّ تماماً، ح ١.

٤. ضعفه النجاشي في رجاله: ٢٤٤ رقم ٦٤١ قائلاً: كوفي، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، له كتاب يرويه جماعة.

وذكره الشيخ الطوسي في رجاله: ٢٦٥ رقم ٢٨٠٩ في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام دون توثيق أو تضعيف.

وهو ممن أجمع على تصحيح ما يصح عنه، فالخبر معتبر بروايته، فضلاً عن انجباره بالشهرة^١.

وفي الرسالة التي كتبها عن التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام تعرّض لسنده في

موردين:

الأول: ناقش في حال الخطيب المفسر الاسترآبادي، المتفرد بروايته لهذا التفسير،

فحكّم بضعفه، وردّ القائلين بمدحه إذ قال:

قال في الخلاصة في ترجمته: ضعيف كذاب، يروي عنه ابن بابويه تفسيراً يرويه عن رجلين مجهولين: أحدهما يُعرف بيوسف بن محمّد بن زياد، والآخر عليّ بن محمّد بن سيّار، عن أبيهما، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام، والتفسير موضوع عن سهل الديباجي بأحاديث من هذه المناكير^٢.

واقصر على هذا في منهج المقال^٣.

وعن النقد عن ابن الغضائري ما مرّ في الخلاصة^٤.

والطبرسي مع اعتماده في الاحتجاج على التفسير المذكور، اعترف في أوّل كتابه بأنّ ما أخذه من التفسير ليس في الاشتهار على حدّ ما سواه^٥.

وفي الوجيزة: مدحه الصدوق، وضعفه ابن الغضائري^٦.

قلت: ولم نجد من مدح الصدوق له إلاّ الترضي عنه عند الرواية عنه.

وقال الآقا البهبهاني في حاشيته على المنهج: ضعف تضعيف ابن الغضائري مرّ مراراً، واستظهر أنّ منشأه رواية التفسير عن رجلين مجهولين، ونقل عن جدّه^٧

١. راجع الموسوعة ج ٧، تعليقة على بيع المكاسب: ٣٥١-٣٥٢.

٢. خلاصة الأقوال: ٤٠٤-٤٠٥ / ١٦٣٤.

٣. منهج المقال: ٣١٥.

٤. نقد الرجال: ٣٢٨.

٥. الاحتجاج ١: ١٤.

٦. الوجيزة: ٢٤٦.

٧. هو المجلسي الأوّل المولى محمد تقي (م ١٠٧٠هـ).

أن من كان مرتبطاً بكلام الأئمة يعلم أنه - أي التفسير - من كلامهم^١.
... ثم قال^٢: إن اعتماد التلميذ - الذي هو مثل الصدوق - يكفي^٣.

أقول: أما ابن الغضائري، فتكفيه شهادة الشيخ في باب «من لم يرو عن واحد من الأئمة عليهم السلام» بأنه عارف بالرجال^٤.

وكذا شهادة العلامة في الخلاصة^٥. ويكفي في جلالته كونه من مشايخ إجازة الشيخ والنجاشي وإن لم ينص على توثيقه^٦. والاعتبار يقضي باطلاعنا على أحوال الرجال؛ لقرب عصره منهم، فإن وفاته كانت سنة إحدى عشرة وأربعمائة، ويبعد في حقه أن يتجهّم بوصفه بأنه ضعيف كذاب بمجرد النظر في روايته^٧.

الثاني: ناقش في حال من يروي هذا التفسير عن الاسترآبادي، وهما: أبو يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، وأبو الحسن علي بن محمد بن سيار، وأوضح أنهما مجهولان^٨.

الثالثة: من الصفات البارزة في منهج البلاغي هي بيان المصادر التي يعتمد عليها، وذكر أسماء مؤلفيها ومكان وزمان طبعها:

ففي نصائح الهدى عند نقله عن كتاب إيقان لحسين علي الملقّب بالبهاء قال:

ومن فظائع هذه الفتنة قول البهاء حسين علي في الصفحة المائة والثامنة والثمانين من كتابه المسمّى إيقان في شأن الملائحة حسين البشروني: ولولاه ما استوى الله على عرش رحمانيته، وما استقرّ على كرسي صمدانيتها.
وعندنا نسخة خطية في ثمانين ورقة، تكون هذه الفقرات فيها قبل الآخر بنحو ثمان أوراق^٩.

١. تعليقة الوحيد البهبهاني على منهج المقال: ٣١٦.

٢. أي المجلسي الأول.

٣. تعليقة الوحيد البهبهاني على منهج المقال: ٣١٦.

٤. رجال الشيخ الطوسي: ٤٢٥ / ٦١١٧.

٥. خلاصة الأقوال: ١١٦ / ٢٨٥.

٦. انظر: الفهرست: ٢؛ رجال النجاشي: ٦٩ / ١٦٦.

٧. راجع الموسوعة ج ٨، ص ١٧ - ٢٢.

٨. راجع الموسوعة ج ٦، ص ٤١٠ - ٤١١.

وفي أعاجيب الأكاذيب عند ذكره لرسالة عبد المسيح الكندي قال:
 المطبوعة مع رسالة عبد الله الهاشمي في إحدى طبعاتها سنة ١٩١٢م في المطبعة
 الإنكليزية الأمريكية بالقاهرة^١.
 وفي الرحلة المدرسية عند ذكره لكتاب ثمرة الأمانى قال عنه: المطبوع بالمطبعة
 الإنكليزية الأمريكية ببولاق مصر سنة ١٩١١م... وهو رواية لبعض المبشرين في
 اهتداء كامل العيتاني، وقد قالوا عن هذا الكتاب: هو قصة حقيقية، وكتبوا على ظهره:
 الحق أغرب من رواية^٢.
 وكرّر هذا الكلام أيضاً في أعاجيب الأكاذيب^٣.
 وفي الرحلة المدرسية يذكر مواصفات تراجم الكتاب المقدس المتوفرة لديه عند
 تأليفه له، وهي:

- ١ - عربية، طبع وليم واطس في لندن سنة ١٨٥٧م على النسخة المطبوعة في
 رومية سنة ١٦٧١م.
- ٢ - أخرى توافقت في الترجمة، سقطت ورقتها الأولى، أظنّها طبع بيروت.
- ٣ - عربية، فرغ من اصطناع صفائحها في بيروت في تموز سنة ١٨٧٠م.
- ٤ - الطبعة الثامنة في المطبعة الأمريكية في بيروت سنة ١٨٩٧م.
- ٥ - الطبعة الثانية عشرة سنة ١٩٠٥م.
- ٦ - طبع دي سارا هوجسون سنة ١٨١١م.
- ٧ - فارسية، طبع رچارد واطس في لندن سنة ١٨٣٩م.
- ٨ - طبع وليم واطس في لندن سنة ١٨٥٦م.
- ٩ - طبع تومس كنستيل في أدن برغ سنة ١٨٤٥م.
- ١٠ - ترجمة بروس، طبع لندن سنة ١٩٠١م^٤.

١. راجع الموسوعة ج ٦، ص ٢٥٦، الهامش.

٢. راجع الموسوعة ج ٥، ص ٤٦.

٣. راجع الموسوعة ج ٦، ص ٢٤٥.

٤. راجع الموسوعة ج ٥، ص ٣٣.

الرابعة: بما أن العلامة البلاغي يعدّ في طليعة الشعراء في النصف الأول من القرن الرابع عشر، لذلك نراه في مصنفاته يستشهد كثيراً بأبيات شعرية، مع ذكر أسماء الشعراء في بعضها:

ففي التوحيد والتثليث استشهد بالبيت التالي:

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ وَإِنْ كُنْتَ تَدْرِي فَالْمُصِيبَةُ أَعْظَمُ^١

وفي نسيمات الهدى استشهد بالبيت التالي:

عُيُونُ الْمَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجِسْرِ جَلْبَنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَذْرِي وَلَا أَذْرِي^٢

وفي أنوار الهدى استشهد بالبيت التالي:

إِذَا انْتَبَجَسَتْ دُمُوعٌ مِنْ عُيُونٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى^٣

أما كتبه الكبيرة كآلاء الرحمن في تفسير القرآن، والرحلة المدرسية، والهدى إلى دين المصطفى، فهي مليئة بالأبيات الشعرية، وسوف نُفرد لها فهرساً خاصاً بها في آخر هذه الموسوعة ضمن الفهارس العامة لها.

الخامسة: عند قراءة آثار العلامة البلاغي يتّضح لنا أن له علاقة خاصة بالأمثال، وذلك لكثرة استعماله لها، وبمختلف المستويات الأدبية، وفي أكثر من لغة واحدة: أمثال عربية، أمثال فارسية، أمثال عامية. حتى أنه في كتاب الرحلة المدرسية تحدّث عنها وعن أسباب استعمالها قائلاً:

إن القاعدة الأدبية في ضرب المثل عند العوام والخواص، أن يراعي مناسبة المثل لمورد التمثيل والتشبيه، ويعيرون المثل الذي لا يناسب، ويعدّونه من سوء الفهم وبساطة المغفلين القاصرين^٤.

١. راجع الموسوعة ج ٦، ص ٢٢٢. والبيت لصفي الدين الحلّي (م ٧٥٢هـ)، انظر ديوانه: ٦٥.

٢. راجع الموسوعة ج ٦، ص ٣٥٤. والبيت من شعر علي بن الجهم، انظر معجم البلدان ٣: ٥٣ / ٥٥٠٣: تاج العروس ١٢: ٢٣٠، «ر ص ف».

٣. راجع الموسوعة ج ٦، ص ٩٣. وانظر الحماسة البصرية ٢: ١١٩.

٤. راجع الموسوعة ج ٥، ص ١٦٠.

- ونحن نورد هنا بعض الأمثال التي استعملها في مؤلفاته:
- الأمثال العربية: نذكر منها اثني عشر مثلاً، مع ذكر مواقعها في آثار البلاغي ومصادرها:
- ١ - «هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ»^١.
 - ٢ - «سِنِينَ أُعْرِفُهَا مِنْ أُخْرَمٍ»^٢.
 - ٣ - «لا عطر بعد عروس»^٣.
 - ٤ - «ما هكذا تورّد يا سعد الإبل»^٤.
 - ٥ - «على قدر أهل العزم تأتي العزائم»^٥.
 - ٦ - «حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا»^٦.
 - ٧ - «ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر»^٧.
 - ٨ - «ما أشبه الليلة بالبارحة»^٨.
 - ٩ - «فما كلّ بيضاء شحمة»^٩.
 - ١٠ - «رَبِّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ»^{١٠}.
 - ١١ - «يسرّ حسواً بارتغاء»^{١١}.
 - ١٢ - «لسان العاقل وراء قلبه»^{١٢}.

-
١. راجع الموسوعة ج ٦، ص ١٢١.
 ٢. الموسوعة ج ١، ٣، آلاء الرحمن ١: ٥٩، الهدى إلى دين المصطفى ١: ٣١٧.
 ٣. الموسوعة ج ١، آلاء الرحمن ١: ٣١.
 ٤. جمهرة الأمثال ١: ٩٣؛ الموسوعة ج ٦، أنوار الهدى: ٥٨.
 ٥. ديوان المتنبّي: ٣٠٦؛ الموسوعة ج ٦، أنوار الهدى: ٩٠.
 ٦. جمهرة الأمثال ١: ٢٩٩؛ مجمع الأمثال ١: ٣٤١؛ الموسوعة ج ١ و٦، آلاء الرحمن ١: ٨٦، أنوار الهدى: ٩٣.
 ٧. الموسوعة ج ٥٣، الهدى إلى دين المصطفى ١: ١٣٩، الرحلة المدرسيّة: ١٣٧.
 ٨. المستقصى من أمثال العرب ٢: ٣١٢؛ الموسوعة ج ٦، أنوار الهدى: ٥٧، التوحيد والتثليث: ٢٠٣.
 ٩. مجمع الأمثال ٣: ٢٧٥؛ شرح حماسة أبي تمام ١: ٢٤٥؛ الموسوعة ج ٦، نصائح الهدى: ٣٩٥.
 ١٠. مجمع الأمثال ٢: ٤٥؛ الموسوعة ج ٦، نصائح الهدى: ٥٠٤.
 ١١. مجمع الأمثال ٣: ٥٢٥؛ الموسوعة ج ٤، الهدى إلى دين المصطفى ٢: ٤٣٦.
 ١٢. غرر الحكم ودرر الكلم ٢: ١٤٧؛ الموسوعة ج ٦، نصائح الهدى: ٤٧١.

الأمثال الفارسيّة:

١ - «دروغگو حافظه ندارد»^١.

أي إنَّ الكذّاب لا حافظه له.

٢ - «عَفْتُ بي بي از بي چادری است»^٢.

أي إنَّ صلاح وعفاف وعدم تبرّج المرأة وهي جليسة الدار لا عبرة به، فإنَّ ذلك ليس لتدبّتها، وإنّما لعدم امتلاكها للحجاب، وإلّا لخرجت من دارها وفعلت ما شاءت. ويضرب هذا المثل لمن يودّ ركوب أمرٍ ما ولكن لا حيلة له على ذلك. علماً بأنّه يذكر في مؤلفاته عبارات فارسيّة كثيرة، سنفرد لها فهرساً خاصّاً بها إن شاء الله تعالى.

الأمثال العاميّة:

١ - «إنَّ الرمح لا يخبأ في العدل»^٣.

مثل عامّي عراقي.

٢ - «زَمَرُ آبَنج يا عجوز»^٤.

مثل شعبي باللغة الدارجة العراقيّة، يضرب لمن يُهَيئ أسباب قضاء حاجته وتماّم أمره. وأصل قصّته على ما يحكى: أن أناساً قرويين أرسلوا أحدهم إلى المدينة ليشتري لهم حوائجهم ولم يعطوه أثمانها، إلّا عجوزاً فقد طلبت منه أن يشتري لابنها مزماراً ونقدته ثمنه مقدّماً، فقال لها ذلك.

السادسة: يبيّن معاني الكلمات اللغويّة الغامضة، فتارةً يذكر المصادر اللغويّة التي اعتمد عليها، وأخرى لا يذكر تلك المصادر.

ففي رسالة حرمة حلق اللحية - مثلاً - عند تعليقه على قول النبي ﷺ: «أحفوا

١. الموسوعة ج ٤، الهدى إلى دين المصطفى ٢: ٤٤٣.

٢. الموسوعة ج ٦، نصائح الهدى: ٤٧٨.

٣. الموسوعة ج ٦، التوحيد والتثليث: ٢٣٣.

٤. الموسوعة ج ٦، نصائح الهدى: ٤٧٠.

الشوارب وأعفوا اللحى»^١ قال: في الصحاح^٢ والقاموس^٣ فسرا إحفاء الشوارب بالمبالغة في قصّها^٤.

وقال في مكان آخر: وفي الصحاح: إعفاء اللحية: أن يوقر شعرها، من عفى الشيء إذا كثر^٥.

وزاد في القاموس: أَعْفَى اللحية: وقَرَّها، والعافي: الزائد والطويل، وعفى شعر الإبل: كثر^٦.

وفي المصباح: عفى الشيء: كثر، وأعفيته: كثرته، وفي ما نقله عن السرقسطي: تركته حتى يكثر ويطول، ومنه الحديث: «وأعفوا اللحى»^٧.

وعند تعليقه على قول النبي ﷺ: «يُقَصَّ الشارب حتى يبدو الإطار»^٨ قال: في المصباح المنير: الإطار - مثل كتاب - لكل شيء ما أحاط به. وإطار الشفة: اللحم المحيط بها. وسئل عمر بن عبد العزيز عن السنّة في قصّ الشارب؟ فقال: يقصّ حتى يبدو الإطار^٩.

وعند ذكره لقول النبي ﷺ: «وقرّوا عثانينكم وقصّوا سبالكُم»^{١٠} قال: والسبيل، جمع سبلة - بفتح الباء - وهي الشارب^{١١}، والعثنون: اللحية^{١٢}.

١. صحيح مسلم ١: ٢٢٢. ح ٢٥٩؛ سنن الترمذي ٥: ٩٥. ح ٢٧٦٣؛ سنن النسائي ١: ٣٤. ح ١٥.

٢. الصحاح ٤: ٢٣١٦. «ح ف و».

٣. القاموس المحيط ٤: ٣٢٠. «ح ف و».

٤. الموسوعة ج ٧، رسالة حرمة حلق اللحية: ٤٢٦.

٥. الصحاح ٤: ٢٤٣٣. «ع ف و».

٦. القاموس المحيط ٤: ٣٦٦. «ع ف و».

٧. المصباح المنير: ٤١٩، «ع ف و»: الموسوعة ج ٧، رسالة حرمة حلق اللحية: ٤٢٨.

٨. النهاية في غريب الحديث والأثر ١: ٥٤. «أ ط ر».

٩. المصباح المنير: ١٦، «أ ط ر»: الموسوعة ج ٧، رسالة حرمة حلق اللحية: ٤٢٧.

١٠. شعب الإيمان ٥: ٢١٤. ح ٦٤٠٥.

١١. الصحاح ٣: ١٧٢٤. «س ب ل».

١٢. القاموس المحيط ٤: ٢٤٨، «ع ث ن»: الموسوعة ج ٧، رسالة حرمة حلق اللحية: ٤٣٠.

منهجه التفسيري

لم يكتب العلامة البلاغي في تفسير القرآن الكريم سوى آلاء الرحمن؛ لذلك فإننا نسلط الضوء على منهجه التفسيري عبر هذا الكتاب القيم في عدة نقاط:

الأولى: لم يعتد العلامة البلاغي بآراء المفسرين؛ لأنها - برأيه - لا تشكل دليلاً مستقلاً لفهم النص القرآني، ولم تكن لديه حجة كافية، بل قد تكون مؤيداً ومرجحاً لأحد الوجوه التي ينتصر لها في حال احتمال النص لأكثر من معنى، وقد بين البلاغي أسباب ذلك بشكل واضح في عدة موارد من هذا التفسير إذ قال:

أما الرجوع في التفسير وأسباب النزول إلى أمثال عكرمة ومجاهد وعطاء والضحاك، كما ملئت كتب التفسير بأقوالهم المرسلة، فهو مما لا يُعذر فيه المسلم في أمر دينه فيما بينه وبين الله، ولا تقوم به الحجة؛ لأن تلك الأقوال إن كانت روايات فهي مراسيل مقطوعة، ولا يكون حجة من المسانيد إلا ما ابتنى على قواعد العلم الديني الرصينة، ولو لم يكن من الصوارف عنهم إلا ما ذُكر في كتب الرجال لأهل السنة لكفى، وإن الجرح مقدّم على التعديل إذا تعارضا. أما عكرمة فقد كثر فيه الطعن بأنه كذاب غير ثقة ويرى رأي الخوارج، وغير ذلك^١. وقيل للأعمش: ما بال تفسير مجاهد مخالف؟ أو شيء نحوه، قال: أخذه من أهل الكتاب.

ومما جاء عن مجاهد من المنكرات في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا﴾^٢ قال: يجلسه معه على العرش^٣.

وأما عطاء فقد قال أحمد: ليس في المراسيل أضعف من مراسيل الحسن وعطاء، كانا يأخذان عن كل أحد.

١. ميزان الاعتدال ٣: ٩٣-٩٦/٩٦، ٥٧١٦.

٢. الإسراء (١٧): ٧٩.

٣. ميزان الاعتدال ٣: ٤٣٩/٧٢، ٧٠٧٢.

وقال يحيى بن القطان: مرسلات مجاهد أحب إليَّ من مرسلات عطاء بكثير. كان عطاء يأخذ من كلَّ ضرب، وروي أنه تركه ابن جريح وقيس بن سعد^١.
وأما الحسن البصري فقد قيل: إنه يُدلس^٢. وسمعت كلام أحمدَ فيه وفي عطاء.
وأما الضحَّاك بن مزاحم المفسر، فعن يحيى بن سعيد قوله: الضحَّاك ضعيف عندنا. وكان يروي عن ابن عباس، وأنكر ملاقاته له، حتى قيل: إنه ما رآه قط^٣.
وأما قتادة فقد ذكروا أنه مُدلس^٤.
وأما مقاتل بن سليمان فقد قال فيه وكيع: كان كذاباً.
وقال النسائي: كان مقاتل يكذب.
وعن يحيى قال: حديثه ليس بشيء.
وقال ابن حبان: كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم^٥.
وأما مقاتل بن حبان فعن وكيع: أنه يُنسب إلى الكذب.
وعن ابن معين: ضعيف.
وعن أحمد بن حنبل: لا يُعبأ بمقاتل بن حبان، ولا بابن سليمان^٦.
فانظر إلى ميزان الذهبي من كتب الرجال أقلاً، ودع عنك أن أصول العلم عندنا، تأبى من الركون إلى روايتهم، فضلاً عن أقوالهم، إلا في مقام الجدل أو التأييد أو حصول الاستفاضة والتوافق في الحديث.
هذا، وإن كثيراً من كتب التفسير قد لهج بأكذوبة شنيعة، وهي ما زعموا من أن الرسول ﷺ قرأ سورة النجم في مكَّة في محفل من المشركين حتى إذا قرأ قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ اللَّيْلَ وَالنَّجْمَ * وَاللَّيْلَ الْأُخْرَى ﴾ قال ﷺ في تمجيد

١. ميزان الاعتدال ٣: ٧٠ / ٥٦٤٠.

٢. المصدر ١: ٥٢٧ / ١٩٦٨.

٣. المصدر ٢: ٣٢٦ / ٣٩٤٢.

٤. المصدر ٣: ٣٨٥ / ٦٨٦٤.

٥. المصدر ٤: ١٧٣ و ١٧٥ / ٨٧٤١.

٦. المصدر ١٧٢ / ٨٧٤١.

٧. النجم (٥٣): ١٩ - ٢٠.

هذه الأوثان - وحاشا قدسه -: تلك الفرانيق الأولى منها الشفاعة ترتجى.
فأخبره جبرئيل بما قال، فاغتم لذلك، فنزلت عليه في تلك الليلة آيةً تسلييه.
ولكن بماذا تُسلييه بزعمهم؟ تُسلييه بما يسلب الثقة من كل نبي رسول في قراءته
وتبليغه، والآية هي قوله تعالى في سورة الحج: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ
وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمِّيَّتِهِ﴾^١ فقالوا: معنى ذلك إذا تكلم أو
حدّث أو تلا وقرأ، أدخل الشيطان ضلاله في ذلك^٢.

وقال أيضاً:

وأما الذين تهاجموا بآرائهم على تفسير القرآن بما يسمونه تفسير الباطن، ركوناً
بآرائهم إلى مزامع المكاشفة والوصول ونزعات التفلسف أو التجدد أو حب
الانفراد والشهرة بالقول الجديد وإن كان فيها ما فيها، فقد آثروا متاهة الرأي على
النهج السوي عن أصول العلم، وفارقوه من أوّل خطوة^٣.

الثانية: لم يركن البلاغي في تفسيره لألفاظ القرآن الكريم إلى آحاد اللغويين، وقد
أوضح سبب ذلك بقوله:

فإن الأغلب أو الغالب مما يستندون إليه في أقوالهم، ما هو إلا الاعتماد على ما
يحصّلونه بحسب أفهامهم وتتبعهم لموارد الاستعمال، مع الخلط للحقيقة بالمجاز،
وعدم التنبّث بالقرائن ومزايا الاستعمال، ألا ترى كم يشهد بعضهم على بعض
بالخطأ والوهم؟^٤

وفي موارد كثيرة في تفسيره تعرّض لآراء اللغويين بالنقد والرّد:

منها ما أورده في معنى «التوفي» إذ قال:

ومن شواهد ما ذكرناه هو الاضطراب في معنى «التوفي»، وما استعمل في

١. الحج (٢٢): ٥٢.

٢. الموسوعة ج ١، آلاء الرحمن ١: ١٠٣-١٠٥.

٣. الموسوعة ج ١، آلاء الرحمن ١: ١٠٦.

٤. الموسوعة ج ١، آلاء الرحمن ١: ٧٧.

لفظه المتكرر في القرآن الكريم، فاللغوَيون جعلوا «الإماتة» في معنى «التوفي»^١.

والكثير من المفسرين في تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَيْنَا﴾^٢ قالوا: أي ميمتك^٣. وقال بعض: ميمتك حنط أنفك^٤.

وقال بعض: ميمتك في وقتك بعد النزول من السماء^٥.

وكأنهم لم يفهموا الالتفات إلى مادة «التوفي» واشتقاقه، ومحاورات القرآن الكريم، والقدر الجامع بينها، وإلى استقامة التفسير لهذه الآية الكريمة، واعتقاد المسلمين بأن عيسى لم يموت ولم يقتل قبل الرفع إلى السماء كما صرح به القرآن، وإلى أن القرآن يذكر فيما مضى قبل نزوله أن المسيح قال لله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾^٦.

ومن كل ذلك لم يفتنوا إلى أن معنى «التوفي» والقدر الجامع المستقيم في محاورات القرآن فيه وفي مشتقاته، إنما هو الأخذ والاستيفاء، وهو يتحقق بالإماتة، وبالنوم، وبالأخذ من الأرض وعالم البشر إلى عالم السماء.

وإن محاورات القرآن الكريم بنفسها كافية في بيان ذلك، كما في قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^٧ ألا ترى أنه لا يستقيم الكلام إذا قيل: الله يميت الأنفس حين موتها؟ وكيف يصح أن التي لم تمت يميتها في منامها؟!

١. الصحاح ٤: ٢٥٢٦؛ لسان العرب ١٥: ٤٠٠؛ المصباح المنير: ٦٦٧، «وفى».

٢. آل عمران (٣): ٥٥.

٣. تفسير الطبري ٣: ٢٨٨؛ تفسير ابن كثير ١: ٣٧٤؛ تفسير القرطبي ٤: ١٠٠.

٤. الكشاف ١: ٣٦٦؛ جوامع الجامع ١: ١٧٧؛ تفسير المنار ٣: ٣١٦.

٥. تفسير أبي السعود ٢: ٤٣؛ الكشاف ١: ٣٦٧.

٦. المائدة (٥): ١١٧.

٧. الزمر (٣٩): ٤٢.

وكما في قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَقَّسُكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَزَخْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾^١ فإن توفّي الناس بالليل إنما يكون بأخذهم بالنوم، ثم يبعثهم الله باليقظة في النهار ليقضوا بذلك آجالهم المسماة، ثم إلى الله مرجعهم بالموت والمعاد.

وكما في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿حَتَّىٰ يَتَوَقَّسَهُنَّ الْمَوْتُ﴾^٢؛ فإنه لا يستقيم الكلام إذا قيل: يميتهنّ بالموت.

وحاصل الكلام أنّ معنى «التوقّي» في موارد استعماله في القرآن وغيره، إنّما هو أخذ الشيء وافيّاً، أي تامّاً، كما يقال: درهم وافيّ^٣.

الثالثة: لم يجعل العلامة البلاغي تفسيره هذا مادّةً لعرض آراء النحاة وبيان أوجه الإعراب المختلفة، إلّا أنّه - بناءً على منهجه من اختصار المطالب - بيّن بعض وجوه الإعراب في الموارد الضرورية، إذ قال:

ومن ذلك كلمة «فيه» من قوله تعالى في أول سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي كَفَرْنَا بِهِ حَتَّىٰ لَا يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾^٤؛ زعماً منهم أنّها تكون خبراً مقدّماً لقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، ويقدّرون مثلها لقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ﴾، مع أنّ الوقف على «لَا رَيْبَ» يجعل الكلام قلقاً مبتوراً، بنحو لا يُجدي فيه التقدير، ومع أنّه لا حاجة لجعل الظرف خبراً مقدّماً لـ «هُدًى» وجملته تكون خبراً ثانياً لـ «ذَٰلِكَ الَّذِي كَفَرْنَا بِهِ»، فإن كلمة «هُدًى» هي بنفسها تكون خبراً.

وهذا هو الأنسب بكرامة الكتاب المجيد، فقد قال الله: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾^٥ كما في الأعراف والنحل وغير ذلك، وإنّ القرآن ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^٦.

١. الأنعام (٦): ٦٠.

٢. النساء (٤): ١٥.

٣. الموسوعة ج ١، آلاء الرحمن ١: ٧٨ - ٨٠.

٤. البقرة (٢): ٢.

٥. الأعراف (٧): ٥٢؛ النحل (١٦): ٦٤ و ٨٩.

٦. البقرة (٢): ٩٧.

و﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾^١، و﴿لَهْدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^٢، و﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾^٣ كما في سورة البقرة والنمل وحَم السجدة^٤.

الرابعة: للعلامة البلاغي باع طويل في نقد الروايات وبجراحة كبيرة قد لا تتوفر عند بعض المفسرين، فلا يقف أمام الروايات موقف المسلم الخاضع، ولا يُخضع النصّ القرآني لمفادها، بل يعرضها على كتاب الله المجيد تبعاً للتعاليم الصادرة من أئمة أهل البيت عليهم السلام في كيفية التوفيق بين الكتاب والسنة، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ﴾^٥ يقول:

بعض اللغويين فسّر المكر بالخدعة^٦، وفي التبيان: والمكر - وإن كان قبيحاً - فإنما أضافه الله إلى نفسه لمزاوجة الكلام، كما قال: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾^٧ والثاني ليس باعتداء وإنما هو جزاء^٨. ونحوه في مجمع البيان^٩.
وكأنهم نظروا في ذلك إلى أنّ الكثير من استعمال الناس للفظ «المكر» هو فيما يُساق استعمالهم للفظ «الخدعة» من الإنسان؛ لإيصال الضرر المحرّم إلى غيره، وبذلك يكون قبيحاً، لكنّ استعمال القرآن الكريم وبعض الموارد يرشد إلى أنّ المكر: هو أعمال خفيّة على الغير في معاملته على غفلة منه عنها.

وقد جاء في القرآن الكريم منسوباً إلى الله بدون مزاوجة، كقوله تعالى في سورة

١. البقرة (٢): ١٨٥.

٢. النمل (٢٧): ٧٧.

٣. فصلت (٤١): ٤٤.

٤. الموسوعة ج ١، آلاء الرحمن ١: ١٠٥-١٠٦.

٥. آل عمران (٣): ٥٤.

٦. الصحاح ٢: ٨١٩؛ لسان العرب ٥: ١٨٣؛ القاموس المحيط ٢: ١٤١، «م ك ر».

٧. البقرة (٢): ١٩٤.

٨. التبيان ٢: ٤٧٦.

٩. مجمع البيان ٢: ٧٥٨.

الأعراف: ﴿أَقَامُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^١.
وقال الله هنا وفي سورة الأنفال: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمُنْكَرِينَ﴾^٢. فأطلق لفظ «الماكر»
عليه جلّ شأنه وعلى غيره. يعني الظالمين بلفظ واحد. ولا يجوز استعمال اللفظ
الواحد في المعنى الحقيقي والمعنى المجازي معاً. وعدم المجاز بأباه المقام.
وقد ورد في الدعاء في خطاب الله: «ولا تمكر بي في حيلتك»^٣ بدون مزاجية.
وفي نهاية اللغة: وفي حديث الدعاء: «اللهم امكر لي ولا تمكر بي»^٤.
وأما ما أسنده ابن بابويه عن الرضا عليه السلام من قوله: «إن الله لا يمكر. ولكنه يجازي
على المكر»^٥ فإنّ في سنده جهالة وإهمال. ويمكن أن يريد نفي المكر بالمعنى
الذي يساوق الخديعة لإيصال الضرر القبيح كما ذكرناه. وإلا فإنّ عرض الرواية على
ما ذكرناه من القرآن كما أمرنا به أهل البيت يوجب الوثوق بعدم صدورها عنهم عليه السلام^٦.
وهناك صفة أخرى اتّصف بها البلاغي في تعامله مع الروايات، وهي الموضوعيّة
والحياد، إذ لا يهتمّ أن تكون الرواية صادرة من طرفنا أو من طرق أبناء العامّة، وإنّ
صدورها من طرفنا لا يكون برهاناً قطعياً أو دليلاً كافياً على صحتها، كما أنّ كونها
صادرة من طرق مخالفينا ليس حجّة كافية في نبذها وطرحها، فإنّه كثيراً ما يعمل
على التوفيق بين روايات الفريقين ويذكرها جنباً إلى جنب، ففي تفسيره لقوله تعالى:
﴿فَمَنْ حَافٍ مِنْ مَوْصٍ جَنَّتْنَا أَوْ إِنَّمَا فَاضَلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾^٧ قال:
«بَيْنَهُمْ» ظرف لـ «أصلح»، والضمير يعود إلى الوارث والموصى لهم. كما يدلّ
عليه المقام.

١. الأعراف (٧): ٩٩.

٢. الأنفال (٨): ٣٠.

٣. مصباح المتجهد: ٥٢٤.

٤. النهاية في غريب الحديث والأثر ٤: ٣٤٩.

٥. عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام ١: ١٢٦/١٩.

٦. الموسوعة ج ١، آلاء الرحمن ١: ٥٢٢-٥٢٣.

٧. البقرة (٢): ١٨٢.

وفي مجمع البيان: أنشد الفراء في مثله:

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الْخِذْرُ
وَيَصُمُّ عَمًا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمِعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقُرْ

أي عمًا كان بينها وبين زوجها.

وبما ذكرناه جاءت الرواية عن أهل البيت عليهم السلام، كما في الكافي في مرسل علي بن إبراهيم المضمّر^٢، وصحيح محمد بن سؤفة عن الباقر عليه السلام^٣.

وفي الفقيه في مرفوعة يونس عن الصادق عليه السلام^٤.

ورواه ابن جرير من الجمهور في تفسيره عن ابن عباس وقتادة والربيع وإبراهيم، بل والسدي، ولم يذكر خلافاً صريحاً إلا عن مجاهد^٥.

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِمَّامَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ قال:

«لِمَنِ اتَّقَى» النساء والصيد، كما هو المشهور بين الإمامية باعتبار الاختصاص بالأمرين المذكورين^٦. والمجمع عليه باعتبار الدخول في «كل ما يحرم على المحرم» كما عن ابن سعيد^٨، أو «ما يوجب عليه الكفارة» كما عن ابن إدريس وأبي المجد^٩. كما ورد في خصوص النساء والصيد صحيحة حماد بن عثمان^{١٠}، وروايته الأخرى كما في التهذيب^{١١}، وصحيحة جميل^{١٢}، ومعتبرة ابن المستنير عن الصادق عليه السلام^{١٣}.

١. مجمع البيان ١: ٤٨٥.

٢. الكافي ٧: ٢٠، باب من حاف في الوصية ... ح ١.

٣. المصدر: ٢١، باب من حاف في الوصية ... ح ٢.

٤. الفقيه ٤: ١٤٨ / ٥١٥.

٥. تفسير الطبري ٢: ٧٢؛ الموسوعة ج ١، آلاء الرحمن ١: ٢٩٢-٢٩٣.

٦. البقرة (٢): ٢٠٣.

٧. كنز العرفان ١: ٣٢٠؛ زبدة البيان: ٢٨٢.

٨ و٩. جواهر الكلام ٢٠: ٣٦.

١٠. تهذيب الأحكام ٥: ٢٧٢ / ٩٣١.

١١. المصدر: ٢٧٣ / ٩٣٣.

١٢. المصدر: ٢٧٤ / ٩٣٨.

١٣. المصدر: ٢٧٣ / ٩٣٢.

وبه جاءت إحدى روايات الدر المنثور عن ابن عباس^١.
 والمراد اتقاء المحرم ما يحرم عليه في حجه، ممّا يكون بين النساء والرجال،
 سواء كان رجلاً أو امرأة.
 وهناك روايات أخرى من الفريقين لم يأخذ بمضمونها الإمامية، وعلى ذلك إجماعهم.
 مضافاً إلى أن قوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَتَقَى﴾ لا يستقيم تفسيره بالتقوى المطلقة
 بعمومها؛ لأنّ حصولها إلى حين النفر لا يتفق إلاّ للمعصوم، فلا يبقى موقفاً
 للامتنان بغفران الذنوب إذا كان ذلك قيداً له. وكذا لا يبقى مورد للتخفيف على
 سائر الناس، كما يعرف من روايات الفريقين بأجمعها إذا كان قيداً لجواز النفر.
 كما لا يستقيم تفسيره بمطلق حصول التقوى ومصدقها في الماضي؛ إذ لا فائدة
 على ذلك في هذا القيد، فإنّ كلّ من له حجّ قد حصل منه مصداق للتقوى، فلا بدّ
 من أن يراد بذلك تقوى خاصّة، وهو ما بيّنته الروايات المتقدّمة، وبالنظر إلى هذا
 الذي ذكرناه يسقط كثير من الأحاديث^٢.

الخامسة: انقسم علماء المسلمين في قراءة القرآن على رأيين:

الأول: تجويز القراءة بالقراءات السبع أو العشر.

الثاني: الاكتفاء بمجرّد مراعاة العربيّة وقواعدها في النحو والصرف والوقف وغيرها

وإن لم تكن القراءة موافقة لإحدى القراءات السبع أو العشر.

أمّا العلامة البلاغي فقد ذهب إلى تجويز القراءة وفق الرسم القرآني، وأمّا ما خالفه

منها فإنّها إن لم تكن باطلّة جزماً فهي مورد شبهة وإشكال، ولا يجوز ترك المتيقّن

والأخذ بما هو مورد شكّ وريبة، وقد بيّن رأيه هذا بشكل واضح إذ قال:

إنّ القراءات السبع، فضلاً عن العشر، إنّما هي في صورة بعض الكلمات،

لا بزيادة كلمة أو نقصها، ومع ذلك ما هي إلاّ روايات آحاد عن آحاد، لا توجب

١. الدر المنثور ١: ٥٦٦.

٢. الموسوعة ج ١، آلاء الرحمن ١: ٣٤١-٣٤٢.

اطمئناناً ولا وثوقاً، فضلاً عن وهنها بالتعارض، ومخالفتها للرسم المتداول والمتواتر بين عامة المسلمين في السنين المتطاولة.

وإنَّ كلاً من القراء هو واحد لم تثبت عدالته ولا ثقته، يروي عن آحاد، حال غالبهم مثل حاله، ويروي عنه آحاد مثله، وكثيراً ما يختلفون في الرواية عنه، فكم اختلف حفص وشعبة في الرواية عن عاصم، وكذا قالون وورش في الرواية عن نافع، وكذا قُتَيْل والبرِّي في روايتهما عن أصحابهما عن ابن كثير، وكذا رواية أبي عمر وأبي شعيب في روايتهما عن يزيد عن أبي عمر، وكذا رواية ابن ذكوان وهشام عن أصحابهما عن ابن عامر، وكذا رواية خَلْف وخَلَاد عن سُليم عن حمزة، وكذا رواية أبي عمر وأبي الحارث عن الكسائي.

مع أنَّ أسانيد هذه القراءات الأحاديّة لا يتّصف واحد منها بالصحة في مصطلح أهل السنّة في الإسناد، فضلاً عن الإماميّة، كما لا يخفى ذلك على من جاس خلال الديار، فيا للعجب ممّن يصف هذه القراءات السبع بأنّها متواترة!

هذا، وكلّ واحدٍ من هؤلاء القراء يوافق بقراءته في الغالب ما هو المرسوم المتداول بين المسلمين، وربما يشدّ عنه عاصم في رواية شعبة. إذن فلا يحسن أن يُعدل في القراءة عمّا هو المتداول في الرسم والمعول عليه بين عامة المسلمين في أجيالهم إلى خصوصيات هذه القراءات، مضافاً إلى أنّنا - معاشر الشيعة الإماميّة - قد أمرنا بأن نقرأ كما يقرأ الناس^٢، أي نوع المسلمين وعامته.

ولعلّما تقول: إنّ غالب القراءات السبع أو العشر ناشئ من سعة اللغة العربيّة في وضع الكلمة وهيئتها، نحو: «عليهم»، و«إليهم»، و«لديهم»، بكسر الهاء أو ضمّها مع سكون الميم أو ضمّها. ونحو: «تظاهرون»، بفتح الظاء أو تشديدها. فعلى أيّ قراءة قرأتُ أكون قارئاً على العربيّة.

ولكن كيف يخفى عليك أنّ تلاوة القرآن وقراءته يجب فيها وفي تحقّقها أن تتبع ما أوحى إلى رسول الله وخوطب به عند نزوله عليه، وهو واحد، فعليك أن تتحرّاه بما

١. انظر الإبتقان في علوم القرآن ١: ١٦٠.

٢. الكافي ١: ٩١، باب النسبة، ح ٤.

يثبت به ، وليست قراءة القرآن عبارة عن درس معاجم اللغة .
ولا تشبّث لذلك بما رُوِيَ من أنّ القرآن نزل على سبعة أحرف ، فإنّه تشبّث
واهٍ واهن :

أما أولاً: فقد قال في الإتيان في المسألة الثانية من النوع السادس عشر: اختلف في
معنى السبعة أحرف على أربعين قولاً^١. وذكر منها عن ابن حبان خمسة وثلاثين^٢،
وما ذاك إلا لو هن روايتها واضطرابها لفظاً ومعنى .

وفي الإتيان أيضاً في أواخر النوع السادس عشر: وقد ظنّ كثير من العوام أنّ المراد
بها القراءات السبع ، وهو جهل قبيح^٣.

وأما ثانياً: فقد روى الحاكم في مستدركه بسند صحيح على شرط البخاري ومسلم ،
عن ابن مسعود ، عن النبي ﷺ: «نزل القرآن على سبعة أبواب على سبعة أحرف :
زاجراً ، وأمراً ، وحلالاً ، وحراماً ، ومحكماً ، ومتشابهاً ، وأمثالاً . فأحلّوا حلاله»^٤.

وروى ابن جرير مرسلأ عن أبي قلابة عن النبي ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة
أحرف: أمر ، وزاجر ، وترغيب ، وترهيب ، وجدل ، وقصص ، ومثل»^٥.

وروى ابن جرير والسجزي وابن المنذر وابن الأنباري ، عن ابن عباس ، عنه ﷺ:
«أنّ القرآن على أربعة أحرف: حلال ، وحرام ... الحديث»^٦.

وأسند السجزي في الإبانة عن عليّ ﷺ: «أنزل القرآن على عشرة أحرف: بشير
ونذير ، وناسخ ومنسوخ ، وعِظَة ومثل ، ومحكم ومتشابه ، وحلال وحرام»^٧.

وأما ثالثاً: فقد جاء في روايات السبعة أحرف بأسانيد جياذ في مصطلحهم ما

١. الإتيان في علوم القرآن ١: ٩٢.

٢. المصدر: ٩٨-٩٩.

٣. المصدر: ١٠٠.

٤. تفسير الطبري «المقدّمة» ١: ٥٣، ٦٨.

٥. تفسير الطبري «المقدّمة» ١: ٧٢، ٧٥؛ كنز العمال ٢: ٥٥/٣٠٩٧.

٦. كنز العمال ٢: ١٦/٢٩٥٦.

يعرفك ومنها وإلحاقها بالخرافة، ففي رواية أحمد من حديث أبي بكرة: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ استزاد من جبرئيل في أحرف القراءة حتَّى بلغ سبعة أحرف، قال - يعني جبرئيل -: كلُّها شافٍ كافٍ، ما لم تختم آية عذاب برحمة، وآية رحمة بعذاب»^١.

وزاد في حديث آخر: نحو قولك: تعال، وأقبل، وهلم، واذهب، وأسرع، وعجل^٢. ونحوه في رواية الطبراني عن أبي بكرة^٣.

وفي الإتيان: أخرج نحوه أحمد والطبراني عن ابن مسعود^٤.

وأخرج أبو داود في سننه عن أبي عن رسول الله ﷺ إلى قوله: «حتَّى بلغ سبعة أحرف، ثم قال: ليس منها إلا شافٍ كافٍ، إن قلت: سمياً عليمياً عزيزاً حكيمياً، ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب»^٥.

وفي كنز العمال فيما أخرجه أحمد وابن منيع والفساني وابن أبي منصور وأبو يعلى عن أبي عن النبي ﷺ: «إن قلت: غفوراً رحيماً، أو قلت: سمياً عليمياً، أو عليمياً سمياً فالله كذلك، ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو رحمة بعذاب»^٦.

وأخرج ابن جرير، عن أبي هريرة، عنه ﷺ: «أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَاقْرَأُوا وَلَا خَرَجَ، وَلَكِنْ لَا تَخْتِمُوا ذَكَرَ رَحْمَةَ بَعْدَافٍ، وَلَا ذَكَرَ عَذَابَ بَرَحْمَةَ»^٧.

وأخرج أحمد من حديث عمر: القرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذاباً، أو عذاباً مغفرة^٨.

١. مسند أحمد ٧: ٣١٦/٢٠٤٤٧.

٢. المصدر: ٢٣٤/٢٠٥٣٧.

٣. كنز العمال ٢: ٥٠/٣٠٧٥.

٤. الإتيان في علوم القرآن ١: ٩٤.

٥. سنن أبي داود ٢: ٧٦/١٤٧٧.

٦. مسند أحمد ٨: ٢٦/٢١٢٠٧؛ كنز العمال ٢: ٦٠٣/٤٨٥٤.

٧. تفسير الطبري «المقدمة» ١: ٤٢.

٨. مسند أحمد ٥: ٥١٢/١٦٣٦٥.

فانظر إلى هذه الروايات المفسرة للسبعة أحرف، كيف قد رخصت في التلاعب في تلاوة القرآن الكريم، حسبما يشتهيه التالي، ما لم يختم آية الرحمة بالعذاب وبالعكس.

وأما رابعاً: ففي الروايات ما يقطع سند القراءات السبع: فمن ابن الأنباري في المصاحف مسنداً عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة^١.

وعن ابن أبي داود مسنداً عن أنس قال: صلّيت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، وكلّهم كان يقرأ: ﴿مَنْ لِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾^٢.

وروي أيضاً: أَنْ أَوَّلَ مَنْ قَرَأَ: «مَلِكِ يَوْمَ الدِّينِ» هو مروان بن الحكم^٣.

وأما خامساً: وهو فصل الخطاب، فقد روي من طرق الشيعة في الكافي مسنداً عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «أَنَّ الْقُرْآنَ وَاحِدٌ، نَزَلَ مِنْ عِنْدِ وَاحِدٍ، وَلَكِنْ الْاِخْتِلَافُ يَجِيءُ مِنْ قِبَلِ الرَّوَاةِ»^٤.

وأرسل الصدوق نحوه في اعتقاداته عن الصادق عليه السلام^٥.

وفي الكافي أيضاً في الصحيح، عن الفضيل بن يسار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: إنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ. فقال عليه السلام: «كذَّبُوا [أعداء الله] ولكنه نزل على حرفٍ واحدٍ، من عند الواحد»^٦.

ويؤيد ما ذكرناه رواية السياري له أيضاً، عن الباقر والصادق عليه السلام^٧.

١. كنز العمال ٢: ٥٩١ / ٤٨٠٢.

٢. المصدر: ٦٠٩ / ٤٨٧٦.

٣. سنن أبي داود ٤: ٣٧ / ٤٠٠٠.

٤. الكافي ٢: ٦٣٠، باب النوادر، ح ١٢.

٥. اعتقادات الصدوق: ٨٦.

٦. الكافي ٢: ٦٣٠، باب النوادر، ح ١٣.

٧. الموسوعة ج ١، آلاء الرحمن ١: ٧٥.

منهجه في ردّ النصارى

للعلامة البلاغي مجموعة من المؤلفات في ردّ النصارى، طُبِع بعضها، ولا زال البعض الآخر مخطوطاً لم يرَ النور لحدّ الآن.

فالتي تمّ طبعها هي: أعاجيب الأكاذيب، والتوحيد والتثليث، والرحلة المدرسية، والهدى إلى دين المصطفى.

والتي لم تُطبع لحدّ الآن هي: داعي الإسلام وداعي النصارى، والردّ على جرجيس سايل وهاشم العربي، والردّ على كتاب ينابيع الإسلام، والمسيح والأنجيل.

ونحن نسلط الضوء على منهج البلاغي في ردّ النصارى عبر كتابه الرحلة المدرسية، وذلك في عدّة نقاط:

الأولى: بيّن العلامة البلاغي ﷺ أسلوبه في هذا الكتاب قائلاً:

وبعد، فهذه سوانح موسومة بالرحلة المدرسية والمدرسة السيارة رسمت فوائدها تذكرةً للمذكّر، خيلت فيها أنّي عمانوئيل بن اليعازر، وفد علينا قس، فأعددتُ قدمه غنيمةً لتنوير فكري في المعارف، ورفع الشبهات التي تختلج في ذهني السيّار في سياحة الحقائق، فقلت له:

يا سيّدي، هل يمكن أن تمنحني من فوائد روحانيتك، وتروّضني في ميدان الحق، وتسمح لي بالعفو في أسئلتِي واللفظ والإرشاد في أجوبتك؟^١

الثانية: استعمل الرموز في الإشارة إلى الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد، وهي الرموز المتفق عليها عند المسيحيين، وكثيراً ما يذكر اسم السفر والإصحاح والعدد، ويعبّر عن الأصحاح بـ«الفصل»، وقد بيّن ذلك بشكل واضح في مقدّمته لهذا الكتاب - بعد ذكره لمعاني الرموز - قائلاً:

وكل واحدٍ من هذه الكتب مشتملٌ على فصول يذكر عددها في عنوانها، وعلى فقرات مفصولة بأعدادها بالرقم. فإذا أردنا الإشارة إلى فقرة من الكتاب ذكرنا الإشارة إلى اسم الكتاب على ما كتبناه هاهنا، ثمَّ أشرنا إلى الفصل بعده بالرقم، ثمَّ وضعنا بعد رقم الفصل نقطتين إحداهما فوق الأخرى. ثمَّ رسمنا بعد النقطتين عدد الفقرة المقصودة بالإشارة.

مثلاً إذا أردنا أن نشير إلى الفقرة الثالثة عشرة من الفصل الثالث والعشرين من سفر الخروج رسمنا هكذا: خر ٢٣: ١٣، وإلى الفقرة التاسعة والثلاثين من الفصل الثاني والثلاثين من سفر التثنية فهكذا: تث ٣٢: ٣٩.

وإذا جعلنا خطأً عرضياً بعد الرقم الأخير فالخطُ بمعنى «إلى»، والنهاية هو الرقم الذي بعد الخطُ، كما إذا أردنا أن نشير إلى عدّة فقرات من كل واحد من الأناجيل رسمنا هكذا: يو ١٠: ٣٣ - ٣٧، ومت ٢٢: ٤٢ - ٤٦، ومر ١٢: ٢٥ - ٣٨، ولو ٢٠: ٤١ - ٤٥.

الثالثة: يذكر التراجم العشر للعهدين الموجودة عنده، ويذكر مواصفاتها، وتاريخ ومكان طبعها، كما تقدّم في ص ٩٩ - ١٠٠ في الفصل الرابع «المنهج العام».

الرابعة: بيّن ما وقع في العهدين من تحريف وتبديل، فيذكر أولاً النصّ الوارد في الطبعات المتوقّرة لديه، ثمَّ يبدأ ببيان مواقع الخلل فيه الدالّة على تحريفه، وعدم إمكان صدور هكذا كلام من الباري عزّ وجلّ.

فتحتَ عنوان «نهى آدم عن الشجرة والكذب والحية والصدق» قال:

عمانويل: فقرأتُ من حيث انتهيت حتّى وصلت إلى العدد الثامن من الفصل الثالث من سفر التكوين، وإذا فيه ما حاصله:

إنَّ الله جعل آدم في جنّة عدن وقال له: من جميع شجر الجنّة تأكل، وأمّا شجرة معرفة الحسن والقبیح فلا تأكل منها؛ لأنّك يوم تأكل منها موتاً تموت.

ثم خلق الله من آدم امرأته حواء، وكانا عريانين، وهما لا يخجلان؛ لأنه ليس لهما شعور معرفة الحسن والقيبح.

وكانت الحيّة أحيل حيوانات البرية، فقالت لحواء: أحمقاً قال الله: لا تأكلا من شجر الجنة؟ فقالت حواء: من شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمسّاه لئلا تموتا. فقالت الحيّة للمرأة: لا تموتان، بل إن الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفي الحسن والقيبح. فلما أكلا منه انفتحت أعينهما - أي حصل لهما شعور المعرفة - وعرفا أنّهما عريانان، فصنعا لأنفسهما مآزر.

ثم ذكر الحوار التالي بين عمانوئيل والقسّ:

عمانوئيل: هل عند الله - جلّ شأنه - كذب وغشّ وخداع؟
القسّ: حاشا وكلاً.

عمانوئيل: كيف يقول الله لآدم: «وأما شجرة معرفة الحسن والقيبح فلا تأكل منها؛ لأنك يوم تأكل موتاً تموت» وقد أكل آدم من الشجرة فلم يموت؟! وكيف لا يكون هذا الكلام من التوراة كذباً على الله وافترافاً؟!

فهل يرضى سيدي القسّ وسيدي الوالد أن تكون الحيّة أصدق من الله؛ فإنّ التوراة تقول: إنّ الحيّة قالت لحواء: «لا تموتان، بل يعلم الله أنّه بيوم أكلكما من الشجرة تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفي الحسن والقيبح».

والتوراة أيضاً تبيّن أيضاً صدق الحيّة وحسن نصيحتهما وتقول: لمّا أكل آدم وحواء من الشجرة «انفتحت أعينهما وعلمتا أنّهما عريانان».

يا سادتي، فماذا نقول لمن يقول لنا: إنّ توراتكم تنسب إلى الله منقصة الكذب والخديعة، وتنسب إلى الحيّة فضيلة النصيحة والصدق؟

يا سادتي، وإنّ رؤيا يوحنا تذكر في العدد التاسع من الأصحاح الثاني عشر: أنّ «الحيّة القديمة هو المدعو إبليس والشيطان الذي يضلّ العالم»، فوا فضيحتاه يا سادتي^١.

وتحت عنوان «التوراة وبركة يعقوب وما جرى فيها» قال:

عمانوثيل: يا سيدي، إن إسحاق النبي أراد أن يبارك عيسو ابنه البكر، ولا علينا أن ذلك بأمر الله ورضاه أو ليس كذلك، ولكن ما هو الداعي لأن يقول يعقوب ليعيسو: «اذهب وصد صيداً. واصنع لي منه أطعمة كما أحب حتى تباركك نفسي قبل أن أموت»^١.

وما هي الحاجة لأن يؤخّر البركة إلى الشيع من الصيد؟ هل البركة لا تكون على الجوع؟ أو أنها لا تكون إلا برشوة؟ هذا هيّن، ولكن التوراة تقول:

إن يعقوب أخذ جذيين^٢ من المعز و صنع منهما أطعمة. ولبس ثياب عيسو وزوّر ملامسة يديه وعتقه بأن جعل عليها جلد جدي؛ لكي يكون مشعراً كعيسو. وقال لأبيه إسحاق: أنا عيسو بركك فعلت كما كلمتني كل من صيدي. فقال إسحاق: هل أنت ابني عيسو؟ فقال يعقوب: أنا هو. فأكل إسحاق من الصيد وشرب خمراً. ثم بارك يعقوب ببركة الثروة والسيادة القومية والروحانية. فجاء عيسو إلى أبيه يطلب البركة التي وعده بها. فلما عرف إسحاق المكر من يعقوب ارتعد ارتعاداً عظيماً وقال: من هو الذي باركته نعم، ويكون مباركاً. فصرخ عيسو وقال لأبيه: باركني أنا أيضاً. فقال جاء أخوك بمكرٍ وأخذ بركتك. فقال عيسو: أما بقيت لي بركة؟ فقال إسحاق: إني قد جعلته سيّداً لك ودفعت إليه جميع إخوته عبيداً وعضدته بحنطة وخرم فماذا أصنع إليك يا بني^٣.

يا سيدي القس، التوراة تقول: إن يعقوب خادع أباه وزوّر عليه وكذب عليه بلسانه أربع مرّات، فقل لي: هذه البركة هل هي مربوطة بمجرد كلام إسحاق وشعبه من الصيد والخمر وإن كانت على خلاف مقصوده وإن كان مخدوعاً مغروراً، وليس لله في هذه البركة إرادة ولا حكمة ولا نظر إلى لياقة، بل ينظر الله

١. سفر التكوين ٢٢: ٣-٤.

٢. مثني الجدي، وهو الذكر من ولد المعز. الصحاح ٦: ٢٢٩٩، «ج دي».

٣. سفر التكوين ٢٧: ١-٣٨.

في بركته إلى لسان إسحاق وشيع بطنه من الصيد والخمر وإن جعلها إسحاق
لخداع كذوب على ما تقول التوراة؟^١

ثم قال:

ها هي التوراة تقول:

إن يعقوب صارعه إنسان إلى طلوع الفجر ولمّا رأى أنّه لا يقدر على يعقوب
ضرب على فخذه فانخلع. وقال الإنسان ليعقوب: أطلقني، قال: لا أطلقك إن
لم تباركني. فقال ليعقوب: لا يُدعى اسمك يعقوب: بل يسرائيل - أي يجاهد الله -
لأنك جاهدت مع الله ومع الناس وقدرت. وسأله يعقوب عن اسمه فقال: لماذا
تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان فَيَيْئَل - أي وجه الله -
قائلاً لأتّي رأيت الإله وجوهاً لوجوه ونجيت نفسي.^٢

يا سيدي، فالتوراة تصرّح بأنّ الإنسان الذي صارع يعقوب ولم يقدر عليه
يعقوب، هو الله الذي لم يطلقه يعقوب حتّى أخذ البركة منه بالقوّة والشجاعة، كما
أخذها من أبيه إسحاق بالمكر والكذب، ولذا أعطاه الله وسام الشرف والغلبة
بلقب يسرائيل.

يا سيدي، هل هذا من المعقول؟ ألا ترى هذه الكلمات تجعلنا معاشر الإلهيين
الموحدّين سخرية ومضحكة استهزاء للماديين والوثنيين؟ أفهكذا تكون الأمور
الإلهية والنبوية؟ وهكذا يذكر كتاب الله؟^٣

وتحت هذا العنوان قال أيضاً:

عمانويل: فقرأت في الفصل الثامن والثلاثين قصّة زني يهوذا بن يعقوب بكنّته
ثامار زوجة بكره غير، حيث تعرّضت لزناه بها فولدت منه ولدين فازرّص
وزارح^٤، فقلت:

١. الموسوعة ج ٥، الرحلة المدرسية: ٦٥-٦٦.

٢. سفر التكوين ٣٢: ٢٤-٣١.

٣. الموسوعة ج ٥، الرحلة المدرسية: ٦٧.

٤. العدد ٣٠.

يا سيدي ما حاجة الوحي وكتاب الله إلى ذكر هذه الشناعة وتوهين بيت النبوة وشعب الله، والظعن بولادة الأنبياء الصالحين كداود وسليمان والمسيح المولودين من ذرية فارص؟

وأيضاً يا سيدي، إن نفس التوراة في العدد الثاني من الفصل الثالث والعشرين من سفر التثنية تقول: «لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر» فكيف دخل داود في جماعة الرب مع أنه الجيل العاشر؟ وكيف صار نبياً مقرباً أوحى الله إليه الزبور؟

القس: لا تعترض على كتاب الوحي بمثل هذا الاعتراض، فإن كتب وحيننا تذكر أن أمثون بن داود عشق أخته ثامار بنت داود حتى زنى بها، وكان المرشد إلى طريقة الزنى يوناذاب ابن أخي داود^١، وقد سمع داود بذلك فلم يعامل أمثون بحدود الشريعة^٢.

بل إن النسخة السبعينية في ترجمة هذا المقام - وهو الفصل الثالث عشر من كتاب صموئيل الثاني - تقول: «ولم يحزن داود روح أمثون ابنه؛ لأنه أحبه لأنه بكره، ولما سمع داود أن أبشالوم - شقيق ثامار - قتل أمثون بكى بكاءً عظيماً وناح عليه كل الأيام^٣.

وتقول كتب وحيننا: إن أبشالوم بن داود زنى بسراري أبيه ونسائه على السطح بمنظر بني إسرائيل، ولما مات بكى عليه داود كثيراً بصراخ قائلاً: «من يجعل موتي أنا عوضاً عنك يا أبشالوم ابني يا ابني»، فانظر في سفر صموئيل الثاني في الفصل الثالث عشر والسادس عشر^٤ والثامن عشر^٥.

يا عمانوئيل، وأما ما ذكرته كتب وحيننا في قدس داود، وما نسبته إليه من القصة

١. سفر صموئيل الثاني ١٣: ١ - ٥.

٢. سفر صموئيل الثاني ١٣: ٢٢.

٣. العدد ٣٧.

٤. العدد ٢٢.

٥. العدد ٢٣.

الزنايئة مع امرأة أورياً^١، والكيد مع أورياً^٢، وحكاية الحمل من الزنى^٣. فذلك ممّا تشعّر منه الجلود، ولا يصدر من أكثر الفساق المتهتكين الخائنين - أنظر إلى الفصل الحادي عشر من صموئيل الثاني - فإنّي أحتشم قدس الأنبياء مثل هذه الشناعة^٤. ويشير العلامة البلاغي إلى نقطة مهمّة جدّاً، وهي إمكانية تحريف التوراة، إذ قال:

عمانوييل: يا والدي، إنّ التوراة والكتب المنسوبة إلى الإلهام لم تظهر لعموم الناس إلا بعد الإصلاح البروتستنتي وكثرة المطابع. وأمّا قبل الإصلاح البروتستنتي فقد كانت رؤيتها مختصة بالروحانيين من اليهود والنصارى، وأمّا قبل المسيح فقد كانت محجوبة بسيطرة الكنيّة والربّانيين.

يا والدي، والمعلوم من التأريخ العمومي أنّ نبوخدراصر «بخت نصر» قد سبي جميع الكنيّة والربّانيين وعموم بني إسرائيل ما عدا الصعاليك، وأحرق بيت الله وخزّبه، ونهب أورشليم وأحرق بيوت أعيانها، فلاشئ بذلك صورة الأُمّة الإسرائيليّة ومقدّساتها. ومكثوا على ذلك نحو سبعين سنة، حتّى أطلقهم كورش ملك فارس، وبعد إطلاقهم من السبي تجرّد عَزْرَا الكاتب وحده لإظهار التوراة لبني إسرائيل.

يا والدي، فالتأريخ يقول: إنّ توراتنا العزيزة هي بنت عَزْرَا ومولودة أمانته. يا والدي، فأين التواتر مع هذا الحال؟^٥

الخامسة: يبيّن اختلاف تراجم الكتاب المقدّس وتلاعب المترجمين به، ففي عنوان «اختلاف التراجم وتحريف بعضها» يقول:

عمانوييل: فقرأتُ حتّى بلغتُ العدد الثامن والعشرين من الفصل الثاني والعشرين،

١. العدد ٤.

٢. العدد ١٤ - ١٧.

٣. العدد ٥.

٤. الموسوعة ج ٥، الرحلة المدرسيّة: ٦٨ - ٦٩.

٥. الموسوعة ج ٥، الرحلة المدرسيّة: ١٢٤.

فقلت: يا سيدي، إن الأصل العبراني يقول هنا: «الهييم لا تنقل ونسيء بعمك لا تآر»، وترجمته: «الإله لا تسبّ ورئيساً بشعبك لا تلن». ولكن التراجم تلاعبت هنا ما شاءت، فالبيونانية ذكرت بدل «لا تلن» «لا تقل سوء»، واختلف ما عندنا من النسخ والتراجم التي عدناها صحيفة ٣٠ و ٣١. ففي ٣ و ٤ و ٥: «لا تسبّ الله ولا تلن رئيس قومك» ونحوها النسخة ١٠. وفي النسخة ١ و ٢: «لا تسبّ القضاة ورأس شعبك لا تلغنه» ونحوهما النسخة ٧ و ٨ و ٩.

يا سيدي، كيف يترجم الروحانيون لفظة «الهييم» بالقضاة؟ ومن أين جاءت هذه الترجمة؟ نعم، من يريد أن يُأله البشر يتعمد هذا التحريف في ترجمته. يا سيدي، إن التوراة العبرانية تقول في العدد التاسع والعشرين من هذا الفصل: «ملثتك ودمعك لا تأخر»، ولكن التراجم كتبت هنا توراة جديدة بأشكال مختلفة تُعرف بالمراجعة، لماذا يكون هذا؟^١

وفي عنوان «من الغلط في التوراة العبرانية» قال:

عمانويل: فقرأتُ مَغْضياً عن أمور كثيرة، والغم والضجر والملل قد كدّرت أوقاتي، حتّى وصلت إلى الفصل الحادي عشر من سفر اللاويين، وإذا في العدد الحادي والعشرين: «إلا هذا تأكلونه من ديبب الطير الماشي على أربع الذي له كراعاان فوق رجليه يشب بهما على الأرض».

فقلت: يا سيدي، إن التوراة العبرانية تقول: «الذي لا كراعاان على رجليه»، وهذه عبارة العبرانية: «اشير لا كرعيم ممعل لرجليو»، فكيف ترجموه بقولهم: «له كراعاان»؟ ولو كان كذلك في العبرانية لقات: اشير لو كرعيم.

القس: هذا الغلط متكرّر في التوراة، ففي العدد الثلاثين من الفصل الخامس والعشرين من سفر اللاويين، في حكم البلد المسور ما لفظه في التراجم العربية: «وجب البيت الذي له سور» ونحو ذلك في باقي التراجم. ولكن التوراة العبرانية

كتبت «لا» غلطاً عوض «لو» التي هي بمعنى «له» فإنها تقول: «وقام هببت اشير بعير لا حمه».

وأيضاً في العدد الثامن من الحادي والعشرين من الخروج جاء في التراجم: «الذي له خطبها»، وفي العبرانية: «اشير لا يعده» أي الذي لم يخطبها^١.

السادسة: يردّ على افتراءات ومغالطات عدد من المبشرين في كتبهم التي ألفوها للردّ على المسلمين وكتابهم المقدّس، ففي عنوان «جمعيّة كتاب الهداية والصدق والأمانة» قال:

عمانوئيل: يا سيدي، هذا المقام قد ذكرني شيئاً أضحكني كثيراً، فيأتي رأيت كتاب جمعيّة الهداية المطبوع بمعرفة المرسلين الأمريكيان في الجزء الثاني صحيفة ٤٢ من الطبعة الثانية: أنّ هذه الجمعيّة الرسوليّة التبشيرية المقدّسة، الناهضة للتهجّم على المسلمين وقرآنهم قد قالت ما هذا نصّه:

«ثمّ إنّ مراعاة القرآن للسجع مقدّمة عنده على الحقائق، فقال: قابيل؛ لأنّه على وزن هابيل»، ثمّ أخذوا بالانتقاد على ذلك.

وربما اغتررت بادئ بدء بسمعة مجدهم، لكنّ الحقيقة كشفت عن أنّه لا يوجد في القرآن لفظ «قابيل» ولا لفظ «هابيل» أصلاً، فضحكُ يا سيدي من إيقاع التسرّع والتعصّب لهم في هذه الورطة الكبيرة، ولكنّي خجلت كثيراً يا سيدي من رجوع هذا الوبال على مجد روحانيتنا وإرساليّة المسيحيين^٢.

وفي عنوان «كتاب ثمرة الأمانى للنصارى» قال:

عمانوئيل: يا والدي، إني رأيتُ هذا الكتاب [ثمرة الأمانى]، والأقرب عندي أنّه رواية من بعض المبشرين، وقد افترى هذا الكتاب في ما ينقله على القرآن، كما افترى في صحيفة ٧٨ بقوله: إنّنا نقرأ في القرآن أنّ داود أخذ نعمة أخيه، وأنّ إبراهيم كان عابداً وثناً.

١. الموسوعة ج ٥، الرحلة المدرسيّة: ٧٨-٧٩.

٢. الموسوعة ج ٥، الرحلة المدرسيّة: ٣٤.

يا والدي، وها هو القرآن يذكر مسألة النعجة بين الخصمين اللذين اختصما إلى داود، فانظر إلى الآية الثانية والعشرين والثالثة والعشرين من سورة ص المكيّة. ويذكر أن إبراهيم ما كان من المشركين. كما في سورة البقرة الآية ١٣٠، وآل عمران ٦٧ و٩٥، والأنعام ١٦٦، والنحل ١٢٠ و١٢٣.^١

السابعة: يرّد الشبهات الواردة على القرآن الكريم، والتي أثارها بعض المبشرين بهدف الانتقاص من هذا الكتاب المقدّس، ففي عنوان «خرافة الغرائق» قال:

عمانوييل - مخاطباً لأحد مشايخ المسلمين -: «إِنَّ نَبِيَّكُمْ لَمَّا قَرَأَ فِي مَكَّةَ بِمَحْضَرِ الْمُشْرِكِينَ سُورَةَ النَّجْمِ وَتَلَا قَوْلَهُ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ أَكَلْتُمْ الْفُلُوكَ وَشَابَكْتُمْ الْأَحْزَابَ﴾ قَالَ عَلَى الْأَثَرِ: تَلَكَ الْغَرَائِقُ الْعُلَى مِنْهَا الشَّفَاعَةُ تُرْتَجَى. فَكَيْفَ يَا شَيْخٍ يَبْعَثُ اللَّهُ رَسُولًا لِدَعْوَةِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَمَجِّدُ الْأَوْثَانَ بِمَحْضَرِ الْمُشْرِكِينَ، وَيَقْدِّسُهَا بِالصِّفَاتِ السَّامِيَةِ؟

الشيخ: هل رأيت حكاية الغرائق في القرآن؟

هل وجدتها في الأحاديث المتواترة؟

هل وجدت روايتها متصلة بالسند بالرجال الثقات إلى من شاهد الواقعة؟

هل وجدتها في جوامع المسلمين الصحاح أو الحسان؟

هل وجدت المسلمين يعترفون بها؟

هل وجدت روايتها مرضية بالإنقاذ والديانة عند عموم المسلمين؟

عمانوييل: لم أجد شيئاً من ذلك، بل وجدت جميع الشيعة من المسلمين يعدونها خرافة كفرية.

ومن أهل السنة يقول النسفي: «إِنَّ الْقَوْلَ بِهَا غَيْرُ مَرْضِيٍّ»^٣.

ويقول البيضاوي: «إِنَّ الْقَوْلَ بِهَا مُرَدُّودٌ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ»^٤.

١. الموسوعة ج ٥، الرحلة المدرسية: ٤٦.

٢. النجم (٥٣): ١٩ - ٢٠.

٣. تفسير النسفي ١٠٦: ٣.

٤. تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ٢: ٤٥٤.

ويقول الخازن في تفسيره: «إن العلماء وهنوا أصل القصة، وذلك أنه لم يروها أحد من أهل الصحة، ولا أسندها ثقة بسند صحيح أو سليم متصل، وإنما رواها المفسرون والمؤرخون - أي بعضهم - المولعون بكلّ غريب، الملققون من الصحف كلّ صحيح وسقيم، والذي يدلّ على ضعف هذه القصة اضطراب روايتها وانقطاع سندها»^١.

وأنكرها القاضي عياض، وقال نحو قول الخازن^٢.

وفي السيرة الحلبيّة: «إنّ هذه القصة طعن فيها جمع وقالوا: إنّها باطلة وضعها الزنادقة»^٣.

وقال الرازي في تفسيره: «هذه القصة باطلة موضوعة، لا يجوز القول بها»^٤.

وقال البيهقي: «رواة هذه القصة كلّهم مطعون فيهم»^٥.

وقال النووي نقلًا عنه: «وأما ما يرويه الأخباريون والمفسرون أنّ سبب سجود المشركين مع رسول الله ﷺ هو ما جرى على لسانه من الثناء على آلهتهم، فباطل لا يصحّ منه شيء، لا من جهة النقل ولا من جهة العقل»^٦.

وفي سيرة السيّد أحمد دحلان: «إنّ قصة الغرائيق أثبتتها بعض المحدثين والمفسرين، ونفاها آخرون. وقالوا: إنّها كذب لا أصل لها، والذين أثبتوها اختلفوا فيها. والمحقّقون على أنّها ليست من كلام النبي ﷺ، بل من كلام الشيطان ألّفها إلى أسماع المشركين ولم يسمعها المسلمون، وقيل: إنّ بعض المشركين نطق بتلك الكلمات في خلال قراءة النبي ﷺ»^٧.

وفي ردّ العلامة البلاغي على الشبهة المثارة على القصص الوارد في القرآن الكريم

١. تفسير الخازن ٣: ٣١٣.

٢. انظر نسيم الرياض في شرح الشفا ٤: ١٠.

٣. السيرة الحلبيّة ٢: ٨ (باب الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة).

٤. التفسير الكبير ٢٣: ٥١.

٥. انظر دلائل البيهقي ٢: ٢٨٦ - ٢٨٧ (باب الهجرة الأولى إلى الحبشة).

٦. صحيح مسلم بشرح النووي ٥: ٧٥ (باب سجود التلاوة).

٧. السيرة النبويّة ١: ٢٤٨، (باب في بيان تعذيب كفّار قريش للمستضعفين من المؤمنين)؛ الموسوعة ج ٥،

الرحلة المدرسيّة: ٤٩ - ٥١.

قال في عنوان «العفو ونظام الاجتماع والقرآن»: :

عمانويل: يا سيدي، هذا القرآن الذي ينسبه المسلمون إلى الوحي ويرفضه أصحابنا، ها هو قد حاز الفضيلة في هذا المقام فقد شرَّع القصاص وأبان حكمته الفائقة في المدنية والاجتماع، وندب إلى فضيلة العفو والصبر بالنحو الصالح، فقال في الآية السادسة والعشرين بعد المائة من سورة النحل المكيّة: ﴿وَإِذْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ .

وقال في الآية التاسعة والسبعين بعد المائة من سورة البقرة: ﴿وَ لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَّأْتُلِي أَلُتَّابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .

فإنَّ قوله: ﴿حَيَوةٌ﴾ يستلقت العقول الغافلة إلى حكمة القصاص وشريعته، وإنه وإن كان إيلاماً للمعتدي لكنه إيلام بحق، وسبب لزجر الأشرار عن الجرأة على سفك الدماء البريئة والإفساد في حياة البشر، فهو بهذه الحكمة حياة للبشر وروح لراحتهم في اجتماعهم، فمن الهين أن يموت شخص المعتدي الظالم أو يتألم بشريعة القصاص، كما يقطع العضو الفاسد حفظاً لحياة الإنسان من عدوى وباء دائه. وقد جعل القرآن إيضاحه لهذه الحكمة الفائقة في شريعة القصاص بياناً؛ لأنَّ حسن العفو الخصوصي لا يصحح إبطال هذه الشريعة الراجعة إلى نظم المجتمع الإنساني وحفظ حياته .

وقال القرآن في سورة البقرة أيضاً قبل الآية السابقة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أُخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَ رَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَى بِغَدَاةٍ فَلَهُ غَدَابَةٌ أَلِيمٌ﴾ .

فبين أن القصاص شرع مكتوب؛ لكي يقوم بحكمته، ولأجل الرحمة والتخفيف بالنحو الذي لا يبطل حكمة تشريعه سوَّع لصاحب الحق تعليماً بكرم الأخلاق أن يعفو عن الجاني مطلقاً أو بالتنازل إلى الدية .

وقد أكد القرآن ندبه للإحسان بالعفو وكظم الغيظ، ولكن كلّه بالنحو المعقول

والطريقة المستقيمة، فمن ذلك ذكر في أخلاق المتقين وإحسانهم قوله:
 ﴿وَالْكٰظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^١.

الثامنة: يقارن بين العهدين والقرآن الكريم في إيراد بعض الوقائع التاريخية وقصص العلماء، فيورد نصوصهما كاملة ثم يبدأ بالمقارنة بينهما وإيراد مرجحات آيات القرآن الكريم كما ورد في العهدين، فتحت عنوان «شك إبراهيم في التوراة والكلام المشوش» يقول:

عمانويل: فقرأت حتى انتهيت إلى الفصل الخامس عشر، وقرأت فيه من العدد الثامن إلى الثاني عشر وفيها: أن الله قال لإبراهيم: «أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترتها. فقال أيها السيد الرب بماذا أعلم أنني أرثها؟ فقال له: خذ لي عجلة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبشاً ثلاثياً ويمامة وحمامة. فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد منها مقابل الآخر وأما الطير فلم يشقه. فنزلت الجوارح على الجثث وكان إبراهيم يزرعها».

فقلت: يا سيدي، إن إعطاء الأرض من أناس لآخرين من الأمور العادية في الدنيا، والله يقول له: أعطيك هذه الأرض لترتها. فكيف يشك إبراهيم بوعده الله ويقول له: «بماذا أعلم أنني أرثها؟؟! أفلا يفيد وعده الله علماً؟! ألم يكن مؤمناً؟! هل جاءت الحية الصادقة الناصحة لإبراهيم كما جاءت لحواء وقالت له: لا ترتها؟^٢ بل إن هذا القول كالقول لآدم بأنه يوم يأكل من الشجرة موتاً يموت^٤.

يا سيدي، دعنا من هذا، ولكن ما هو محصل هذه العلامة التي أعطاها الله - بقول

١. آل عمران (٣): ١٣٤.

٢. الموسوعة ج ٥، الرحلة المدرسية: ١٦٤ - ١٦٥.

٣. إشارة لما في أوائل الإصحاح الثالث من سفر التكوين.

٤. إشارة لما في سفر التكوين ٢: ١٧.

التوراة - لإبراهيم؛ لكي يحصل له العلم بصدق الوعد؟ أفلا ترى أن كلام العلامة هو دمدمة وكلام مبتور لا محصل له ولا فائدة ولا ربط؟ ولم يقل الله لإبراهيم: شق هذه الحيوانات ما عدى الطير، فلماذا فعل إبراهيم ذلك؟ أهكذا يكون كلام الله والتوراة الحقيقية؟! حاشا لله ولكتبه ولأنبيائه.

القس: يخطر في بالي أنه جاء في القرآن في حديث إبراهيم مثل هذا الكلام، فقرأ ذلك من أواخر سورة البقرة.

عمانويل: فقرأت الآية ٢٦٠: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لَّيُطَمِّسْنَ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِنَّكَ تَمَّ أَجْعَلُ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْغُوهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا﴾.

القس: كيف ترى هذا الكلام يا عمانويل؟

عمانويل: أراه كلاماً منتظم البيان، تام الفائدة، عظيم الحجّة، جارياً في مهمّ المعارف، يحقق إيمان إبراهيم ويبيّن مجده بطلب الاطمئنان بتأييده المعلوم بالحس، فإن إحياء الموتى أمرٌ كبير يحتاج الاطمئنان في الإيمان به إلى التأييدات الحسيّة^١.

منهجه في ردّ الفرق الضالّة

كتب العلامة البلاغي في ردّ الفرق الضالّة عدّة رسائل، طبع قسم منها، ولا زال القسم الآخر منها مخطوطاً.

فمؤلفاته المطبوعة في هذا الموضوع هي: دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى، والردّ على الوهابية، ونسمات الهدى ونفحات المهدي، ونصائح الهدى.

أما التي لم تُطبع لحدّ الآن فمنها: الردّ على الدهرية، والشهاب في الردّ على كتاب حياة المسيح لبعض القاديانيّة.

ونحن نسلط الضوء على منهجه في ردّ الفرق الضالّة عبر نصائح الهدى، التي ألفها

١. الموسوعة ج ٥، الرحلة المدرسيّة: ٥٥-٥٦.

رداً على الباطنية والبهائية وبيان معتقداتهم الفاسدة، وذلك في عدة نقاط:

الأولى: أورد في القسم الأول منها ثلاث مقالات في ما كان يُفترض بالباطنية أن تقولوه وتحتج به، ثم بدأ بردها ردّاً علمياً دقيقاً، وهي:

المقالة الأولى: أن تقول: إني وجدتُ دين الإسلام - كشرية - باطل الأصل والفرع، لا علاقة له بالله ولا مساس له بالحق، فعدلتُ إلى دين الحق وشريعة الرشد.

المقالة الثانية: أن تقول: إن لدين الإسلام ولقرآنه ورسوله جرثومة حقيقية وأساس حق، ولكن دعوة الباطنية جاءت لإصلاحه.

المقالة الثالثة: أن تقول: إن دين الإسلام حق وقرآنه حق وكله من الله، قد أخذ بأطراف الكمال والصلاح، ولكن طريقة الباطنية وردت عليه وعلى كتابه، كما ورد هو على ما قبله من الأديان والكتب.

الثانية: ذكر موانع الاعتقاد بالباطنية والبهائية، فذكر أولاً موانع الاعتقاد بدعوى علي محمد الباب، وجعلها في عدة عناوين هي:

- (١) تناقض ادّعاءاته.
 - (٢) مخالفته لأساسيات الدين والمذهب.
 - (٣) المهدي ﷺ ابن سيّدة الإمام.
 - (٤) صفة المهدي - عجّل الله تعالى فرجه الشريف -.
 - (٥) ادّعاؤه للنبوّة.
 - (٦) إتيانه بشرية مخالفة للقرآن والسنة.
 - (٧) إنكاره المبعث والمعاد.
- ثم ذكر موانع الاعتقاد بدعوى حسين علي البهاء، وجعلها في عنوانين هما:
- (١) ادّعاؤه أنه المسيح ﷺ.

(٢) إنكاره لمعجزات المسيح ﷺ .

ثم ذكر المانع المشترك للاعتقاد بدعوى علي محمد الباب وحسين علي البهاء، وهو ادّعاؤهما الألوهية والربوبية .

الثالثة: ذكر الشبهات التي احتجّت بها البائية والبهائية للتمسك بعقائدهم، ثم بدأ بردها ردّاً علمياً دقيقاً، وقد جعلها في عدّة عناوين هي :

(١) عدم نزول العذاب والعقوبة بهم وبأتباعهم .

(٢) ثبات الناس على البائية وتمسكهم بها .

(٣) كثرة الأتباع للبائية في مدّة قصيرة .

(٤) إتيان الباب بكتاب مُعجز .

(٥) امتناع العلماء عن مناظرة الباب .

(٦) صرف بلاء من كتب إليهم الباب .

(٧) إتيان الباب بمعجزة الكتابة .

(٩) التفوق العلمي للباب .

الرابعة: من أجل تكذيب دعوى الميرزا علي محمد للمهدوية وأنه المهدي ذكر البلاغي نسبه وأحواله، ثم ذكر الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ والأئمة ﷺ الدالة على نسب المهدي ﷺ وصفاته وأنه ابن أمة وابن سيّدة الإماء .

وقد أورد جميع ذلك في المانع الثاني من الاعتقاد بالبائية والبهائية، فأورد فيه أربعة عشر فصلاً في ما روي عن النبي وأهل بيته ﷺ في ذلك، استقاهها من مصادر الفريقين؛ لكي يكون البرهان أقوى والحجة ألزم، وقد اشتملت على مائة وعشرة أحاديث، وجاء في الفصول الأخرى عشرات غيرها من الأحاديث، فزاد ما فيه كلّ على مائة وتسعة وأربعين حديثاً .

الخامسة: ينقل بشكل مباشر عن كتب البائية والبهائية، فينقل عن كتب علي محمد

الباب كـالبيان وأحسن القصص وقيوم السماء ونبوة خاصة، وعن كتب حسين علي البهاء كـالأقدس والألواح والإتقان.

وعند نقله عن هذه الكتب يذكر عناوينها وأسماء فصولها بشكلٍ دقيق .
ففي حكايته عن البيان قال :

فقد قال علي محمد في الباب الثاني من الواحد السادس من كتاب الأسماء من البيان: ولتشهدنَّ أنَّ مَثَلَ ظهور قائمكم كَمَثَلِ ظهور محمد رسول الله من قبل، إنَّ الذي نَزَلَ الفرقان من قبل قد نَزَلَ تلك الآيات^١.

وفي حكايته عن أحسن القصص قال في أوّل تفسير لسورة يوسف من القرآن الكريم: الله قد قدَّر أن يخرج هذا الكتاب في تفسير أحسن القصص من عند محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، على عبده؛ ليكون حجة الله من عند الذكر على العالمين بليغاً، يا معشر الملوك وأبناء الملوك انصرفوا عن ملك الله جميعكم على الحقِّ بالحقِّ جميعاً^٢.

السادسة: ترجم لعليّ محمد الباب ويبيّن نسبه وسيرة حياته من ولادته إلى قتله، وذلك من أجل ردِّ ادّعاءه بأنّه المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - إذ قال عنه: هو الميرزا علي محمد ابن الميرزا رضا البرّاز الشيرازي، وأمّه العلوية خديجة . ولد بشيراز في أوّل محرّم سنة الألف ومائتين وخمس وثلاثين هجرية، ومات أبوه وهو رضيع، فنشأ في حجر خاله الميرزا سيّد علي التاجر . وعند أوان بلوغه جعله خاله في متجره وعلمه لوازم التجارة، ثمّ أخذه إلى بوشهر ومكث هناك عنده حتّى بلغ من العمر نحو العشرين سنة . وفي أثناء إقامته في شيراز وبوشهر تعاطى التآدب بتعلّم شيء من مبادئ العلوم كما يتعاطاه أولاد المترفّهين والتجّار، كالنحو والصرف وبعض أنحاء الحكمة الذي كان رائجاً في فارس . ولكنّ الاختبار دلّ على أنّه لم يحصل على شيء من ذلك التآدب، كما يشهد

١. الموسوعة ج ٦، نصاب الهدي: ٣٨٨.

٢. الموسوعة ج ٦، نصاب الهدي: ٣٩٦.

بذلك كثرة اللحن والغلط الفاحش في كلامه، ويدلّ عليه اعتذاره عند نظام العلماء في تبريز بأنّه قرأ الصرف وهو طفل صغير.

نعم، كثر منه في بوشهر تعاطي الرياضات الشاقّة في طلب استخدام الكواكب، حتّى ضجر خاله من ذلك، وحاول أن يرسله إلى العتبات ليشغله عن ذلك بتكميله في ما كان يتعلّمه من مبادئ العلوم.

فسافر إلى العتبات الشريفة، وأقام في كربلاء يراجعُ تدریس السید كاظم الرشتي لكتب الشيخ أحمد الأحسائي، وبقي في العراق إلى السنة الخامسة والعشرين من عمره ورجع إلى بوشهر.

ثمّ استحضرتّه الحكومة إلى شیراز تاسع عشر شعبان سنة الألف ومائتين وإحدى وستين هجرية، فتداولته السجون في شیراز، ومنها إلى إصفهان، ومنها إلى قلعة جهريق في مدينة باكو من أذربيجان، إلى أن قتل في تبريز في السابع والعشرين من شعبان سنة الألف ومائتين وخمس وستين هجرية^١.

السابعة: في هذا الكتاب ميزة نادرة، وربما فريدة في نوعها، ألا وهي نقله مباشرةً من كتابي الغيبة والرجعة لأبي محمّد الفضل بن شاذان بن الخليل الأزدي النيشابوري (م ٢٦٠ هـ).

وهما كتابان يُعدّان من الكتب المفقودة التي لا أثر لها اليوم، إذ لم تذكر فهارس المخطوطات في إيران وغيرها نسخة واحدة لأحد هذين الكتابين، فضلاً عن كليهما. وقد صرّح العلامة البلاغي بنقله من كتاب الغيبة حين عدّه ضمن المصادر التي استخرج منها منقولاته، فقال:

ولكنّا ندلّ على الكتب التي نستخرج منها هذه الأخبار، ونذكر مصنفها، وتاريخ عصرهم، ليتيسّر لك مراجعتها، لتطلّع على الأخبار بطولها ونصّها وسندها... ومن كتاب الغيبة للفضل بن شاذان^٢.

١. الموسوعة ج ٦، نصاب الهدى: ٤٠٤.

٢. المصدر: ٢٠.

وقال كذلك :

ولكن لا بأس أن نذكر شيئاً ممّا في ... وكتاب الغيبة للشيخ الجليل عظيم المنزلة في الطائفة الفضل بن شاذان^١.

ونوّه كذلك بنقله من مصادر أخرى فقال: « وغيرها من الكتب التي نصّرح بأسمائها»^٢. فنقل من كتاب الرجعة حديثاً واحداً، وهو الحديث ١٤٠.

منهجه الفقهي

عُرف العلامة البلاغي بكتبه ورسائله الكلامية التي ألفها في ردّ الماديين والملحدّين والنصارى وأتباع الفرق الضالّة، إلّا أنّ هذا لا يعني أنّه لم يكتب في الفقه شيئاً، بل كتب تعليقات وحواشي فقهيّة، ورسائل صغيرة سلّط الضوء في كلّ منها على مسألة فقهيّة واحدة. إلّا أنّ أكثر مؤلفاته الفقهيّة لا زالت مخطوطة لم تُطبع لحدّ الآن والتي منها: ذبائح أهل الكتاب، وضبط الكرة، وماء الغسالة، وحرمة مسّ القرآن على المُحدّث، وإقرار المريض، ومنجزات المريض، ومواقيت الإحرام، والقبلة، والرضاع، وبطلان العول، والتعصيب، وتعليقة على الشفعة من كتاب الجواهر، وتعليقة على العروة الوثقى، والتقليد، والخيارات، وصلاة الجمعة لمن يسافر بعد الزوال، ووضوء الإمامية وصلاتهم وصومهم.

أمّا مؤلفاته الفقهيّة المطبوعة فهي: تعليقة على بيع مكاسب الشيخ الأنصاري، ورسالة حرمة حلق اللحية، وتنجيس المتنجّس، والصلاة في اللباس المشكوك فيه، وقاعدة على اليد، والزام غير الإمامي بأحكام نحلته.

ونحن نسلّط الضوء على المنهج الفقهي للعلامة البلاغي عبر تعليقه على مكاسب الشيخ الأنصاري، وذلك في عدّة نقاط:

الأولى: لم يعلّق البلاغي على كافة أبواب المكاسب، بل على البيع منه فقط، ابتداءً

١. المصدر.

٢. المصدر.

من أوله، وانتهاءً بقول الشيخ الأنصاري: «ومن هنا ظهر عدم الحاجة إلى صيغة الوقف في الدليل»^١.

الثانية: ذكر في مواردٍ كثيرة آراء أستاذه المولى محمد كاظم الخراساني المعروف بـ«الآخوند» في تعليقه على المكاسب، وقام بإيضاحها ومناقشتها وردّ بعضها^٢.

الثالثة: يحكي الشيخ الأنصاري كثيراً عن بعض أعلامنا بقوله: «منا قارب عصرنا» و«بعض المحققين» دون تعيينه وتعيين كتابه. والعلامة البلاغي عند شرحه لهذه الأقوال لم يعينه أيضاً، وبعد التتبع عرفنا أن المقصود هو الشيخ أسد الله الدزفولي في كتابه مقابس الأنوار^٣.

الرابعة: يُكثر البلاغي في هذه التعليقة من نقل أقوال الفقهاء من المتقدمين والمتأخرين ومتأخري المتأخرين، ويذكر قول الفقيه الواحد في أكثر من كتاب واحد، بل وفي عدّة أماكن من الكتاب الواحد في مختلف الأبواب الفقهيّة.

ففي مقدّمته لهذه التعليقة، وعند بيانه معنى البيع قال:

وعليه فمقتضى القاعدة قبول قول المشتري في ما لو اشترى في الذمّة ولم يذكر وكالة أو فضوليّة، ثم ادّعى بعد ذلك الوكالة أو الفضوليّة عن زيد، فلم يصدّقه زيد أو لم يُجز ذلك؛ لأنّ المشتري أعرف بنيتّه، ولا يعرف التعيين إلّا من قبّله، كما أفتوا بقبول قوله - لأنه أعرف بنيتّه - في ما إذا لم يذكر في العقد وكالة وقال للموكل: «اشتريته لنفسي» أو قال: «اشتريته لك»، كما في الشرائع^٤ والتذكرة^٥

١. المكاسب ٤: ٦٦.

٢. الموسوعة ج ٧، تعليقة على بيع المكاسب: ٢٩٧ و ٣٠٠ و ٣٣١ و ٣٣٦ و ٣٨٩.

٣. الموسوعة ج ٧، تعليقة على بيع المكاسب: ٢٨٩ و ٢٩٣ و ٣٥٦ و ٤٠١.

٤. شرائع الإسلام ٢: ١٦٣.

٥. تذكرة الفقهاء ٢: ١٤١.

والإرشاد^١ وجامع المقاصد^٢ والمسالك^٣ والكفاية^٤ ومجمع الفائدة^٥. وعن التحرير^٦
وجامع الشرائع^٧ وفي الجواهر^٨ بلا خلاف ولا إشكال.
وكما قالوا به في عامل المضاربة إذا قال: «اشتريته لنفسي» أو للمضاربة، كما في
السرائر^٩ والتذكرة^{١٠} والقواعد^{١١} وجامع المقاصد^{١٢}، وعن المهذب^{١٣} والتحرير^{١٤}،
ونحوه في شركة المبسوط^{١٥} و^{١٦}.

وعند بيانه لقول الشيخ الأنصاري بأته «جزمَ في مسائل بيع الفضولي
بأنَّ الثمن يلزم المشتري القابل في ظاهر الشريعة ولا تقبل دعواه الفضولية»
قال:

كما صرح به من تعرض لمثل المسألة في باب الوكالة كالمبسوط^{١٧} والشرائع^{١٨} والإرشاد^{١٩}

١. إرشاد الأذهان ١: ٤١٨.
٢. جامع المقاصد ٨: ٣١٤.
٣. مسالك الأفهام ٥: ٣٠٠.
٤. كفاية الأحكام: ١٣١.
٥. مجمع الفائدة والبرهان ٩: ٥٥٩.
٦. تحرير الأحكام ٣: ٤٣.
٧. الجامع للشرائع: ٣٢٤.
٨. جواهر الكلام ٢٧: ٤٣٥.
٩. السرائر ٢: ٤١٥.
١٠. تذكرة الفقهاء ٢: ٢٤٥.
١١. قواعد الأحكام ٢: ٣٤٧.
١٢. جامع المقاصد ٨: ١٦٦.
١٣. المهذب ١: ٤٦٢.
١٤. تحرير الأحكام ٣: ٢٦٨.
١٥. المبسوط ٢: ٣٥٢.
١٦. الموسوعة ج ٧، تعليقة على بيع المكاسب: ٢٨٧.
١٧. المبسوط ٢: ٣٥٠.
١٨. شرائع الإسلام ١: ١٦٣.
١٩. إرشاد الأذهان ١: ٤١٩.

و القواعد^١ والتذكرة^٢ والإيضاح^٣ وجامع المقاصد^٤ والمسالك^٥ والكفاية^٦ ومجمع الفائدة^٧.

وعن التنقيح^٨ وإيضاح النافع^٩: ولم يعرف فيه خلاف.

وظاهر التذكرة في مسألة شروط المتعاقدين نسبته إلى علمائنا^{١٠}.

وظاهر الحدائق نسبته إلى الأصحاب^{١١}.

وظاهر تنظير المقابس في أواخر بيع الفضولي كونه مسلماً^{١٢}.

مع أنه ليس هناك تعبد يقتضي مخالفة القاعدة أو الأصل، بل مقتضى كلامهم

الاستناد إلى قاعدة تقتضي ذلك بحسب المرتكز من حقيقة البيع وصيغته، فقد

علّله في التذكرة بجريان الخطاب معه^{١٣}، وفي الإيضاح بأن الخطاب في قوله:

«بتك» متوجه إليه^{١٤}، وفي المسالك^{١٥} والحدائق^{١٦} ومفتاح الكرامة^{١٧} عنهم بأن

الخطاب معه، فهو معنى قول المسالك والحدائق أيضاً: «لأن العقد وقع معه»، وفي

١. قواعد الأحكام ٢: ٣٦٧.

٢. تذكرة الفقهاء ٢: ١٣٧.

٣. إيضاح الفوائد ٢: ٣٥٧.

٤. جامع المقاصد ٨: ٣١٠.

٥. مسالك الأفهام ٥: ٣٠٠.

٦. كفاية الأحكام: ١٣٦.

٧. مجمع الفائدة والبرهان ٩: ٥٩٩.

٨. التنقيح الرائع ٢: ٢٩٦.

٩. إيضاح الفوائد ٢: ٣٥٧.

١٠. تذكرة الفقهاء ١: ٤٦٣.

١١. الحدائق الناضرة ١٨: ٣٩٣.

١٢. مقابس الأنوار: ١١٦.

١٣. تذكرة الفقهاء ١: ٤٦٣.

١٤. إيضاح الفوائد ٢: ٣٥٥.

١٥. مسالك الأفهام ٥: ٣٠٠.

١٦. الحدائق الناضرة ١٨: ٣٩٣.

١٧. مفتاح الكرامة ٤: ١٨٦.

الجواهر باعتبار كون الخطاب معه^١.

وفي آخر كلامه عن معنى البيع قال:

وأما قولهم: إن الوكيل إذا اشترى ولم يذكر الموكل ولا نواه، وقع البيع له ظاهراً وباطناً، كما في المبسوط^٣ والسرائر^٤ والشرائع^٥ والتذكرة^٦ والقواعد^٧ والإيضاح^٨ وجامع المقاصد^٩ والحدائق^{١٠}، فليس فيه إطلاق ناظر إلى فرض تردده بين الشراء لنفسه أو غيره، بل هو جارٍ على العادة المتعارفة من أنه إذا لم ينو غيره فقد قصد الشراء لنفسه ولو بحسب القصد الارتكازي^{١١}.

الخامسة: قدّم العلامة البلاغي قول الفقيه على قول اللغوي عند تعارضهما، ففي تعليقه على قول الشيخ الأنصاري في تعريف البيع: «وهو في الأصل كما عن المصباح^{١٢}... إلى آخره»^{١٣} قال:

ينبغي أن يكون مراده من «الأصل» هو كُتِبَ بعض اللغويين لا اللغة، فإنّ البيع وما يرادفه في اللغات لا اختلاف في معناه في كلّ لغةٍ وكلّ عرف، كما قدّمنا،

١. جواهر الكلام ٢٧: ٤٣٥.

٢. الموسوعة ج ٧، تعليقة على بيع المكاسب: ٢٨٨-٢٨٩.

٣. المبسوط ٢: ٣٨٣.

٤. السرائر ٢: ٩٤.

٥. شرائع الإسلام ٢: ١٥٨.

٦. تذكرة الفقهاء ٢: ١٣٢.

٧. قواعد الأحكام ٢: ٣٦٧.

٨. إيضاح الفوائد ٢: ٣٥٥.

٩. جامع المقاصد ٨: ٢٩٢.

١٠. الحدائق الناضرة ١٨: ٣٩١.

١١. الموسوعة ج ٧، تعليقة على بيع المكاسب: ٢٩٠.

١٢. المصباح المنير: ٦٩، «ب ي ع».

١٣. المكاسب ٣: ٧.

وإنما يجيء الاختلاف من التساهل في تفسيره أو الغفلة. والذي في كتب اللغويين إنما هو تفسير مدلول اللفظ بحسب الاجتهاد في تتبع موارد الاستعمال مع التساهل أو الغفلة عن الحقيقة المرتكزة في الأذهان، أو الأخذ من بعض الفقهاء، فما قول اللغوي هنا إلا دون قول الفقيه^١.

السادسة: يناقش عبارات الماتن الشيخ الأنصاري بشكل دقيق، ويستشكل عليها، ويبين مبهمات وأماكن ضعفها وما يمكن أن يرد عليها.

ففي تعليقه على قول الماتن: «وثانياً: أن تخلف العقد عن... إلى آخره»^٢ قال: لم يتضح منه وجه الدفع للاستبعاد الراجع إلى أنه كيف يرتب الشارع على العقد أثراً ليس هو المقصود منه، حيث إن المقصود من المعاطاة هي المبادلة البيعية لا مجرد الإباحة، فإنّ الضمان في العقد الفاسد بالقيمة - أي لا بالمسمى - لا يشهد له.

أما أولاً؛ فلأنّ الإقدام على الضمان لا يشترعه إذا لم يكن مورده ممّا تعمّه أدلة الضمان، فهل ترى الإقدام يجدي لو اشترط الضمان في الوديعة ونحوها، أو إقدام الوديعة على الضمان جهلاً، ولا مناص من الحكم بالضمان في البيع الفاسد عن الاستناد إلى قاعدة «على اليد».

وأما ثانياً؛ فلأنّه لا عقد بعد إلغاء الشارع له، ولا أثر له، فلا تخلف في آثاره الشرعية عن المقصود.

وأما المعاطاة فيمكن أن يجاب عنها: بأنّ الشارع لم يلبغ مبادلتها المفسدة فيها كالمعاملات الفاسدة، غاية الأمر أنّه لم يمضها، واعتبر الإباحة الموجودة في ضمنها؛ لعدم ما ينافيها، فليست مقيدة بقيد مفقود^٣.

١. الموسوعة ج ٧، تعليقة على بيع المكاسب: ٢٩٠ - ٢٩١.

٢. المكاسب ٣: ٤٧.

٣. الموسوعة ج ٧، تعليقة على بيع المكاسب: ٢٩٨.

وفي تعليقه على قول الماتن: «يكشف عن سبق الملك... إلى آخره»^١.
 فيه: أنه لا يلزم سبق الملك، بل يكفي في النقل إباحته، كما بيّناه، فتعود العين
 بالفسخ والرّد إلى مالكة الأول، وبالسبب الناقل إلى من انتقلت إليه. ولا تشبّه حينئذٍ
 للمالك الأول؛ لأنّ جميع علاقته بالعين قد انقطعت بما أباحه من النقل عن ملكه^٢.
 وفي تعليقه على قول الماتن: «وأما عكسها: وهو أنّ ما لا يُضمن بصحيحه لا
 يُضمن بفاسده... إلى آخره»^٣ قال:

لا يخفى أنّ مورد العكس إنّما هو حيث لا مقتضى للإرفاق بتشريع الضمان عند
 أخذ العين أو استيفاء المنافع، كما في الموارد التي تكون العين فيها أمانة مالكيّة
 أو شرعيّة عند الآخذ، أو أسقط المالك للآخذ حرمة العين والمنفعة كما في الهبة
 والصدقة والإباحة، أو حرمة المنفعة كما في العارية وإباحة المنفعة والتبرّع بالعمل^٤.

السابعة: يوضح العبارات المجملّة التي ذكرها الماتن، ويبين صورها ومحتملاتها.
 ففي تعليقه على قول الماتن: «ثمّ إنّ لا فرق في جواز مطالبة المالك بالمثل... إلى
 آخره»^٥ قال:

في هذا المقام صور: أولها: مساواة السعر. ثانيها: زيادته في مكان المطالبة
 اتّفاقاً بحسب عوارض الأسعار، كما يتّفق العكس كما في النجف وكربلاء مثلاً.
 ثالثها: الجهل بالحال. رابعها: زيادته في مكان المطالبة زيادةً لازمةً عاديّة؛
 لخصوصيّة المكان وكونه ينقل إليه من مكان التلف وأمثاله، كالحنطة في مكّة
 بالنسبة للعراق ومصر.

ثمّ إنّ المطالبة بمكّة تكون تارةً بتسليم الحنطة في غير مكّة ممّا يجري على

١. المكاسب ٣: ١٠٠.

٢. الموسوعة ج ٧، تعليقة على بيع المكاسب: ٣٠٤.

٣. المكاسب ٣: ١٩٢.

٤. الموسوعة ج ٧، تعليقة على بيع المكاسب: ٣١٧.

٥. المكاسب ٣: ٢٢٤.

الصور الثلاث لا الرابعة، أو مطلقاً بحيث يرجع الخيار إلى الغارم. ولا ينبغي الإشكال في هذا كله بوجود المثل؛ لجريانه على العدل. ولا خصوصية لمكان التلف ولا مقتضى لاعتباره، كما يقال في مكان المعاملة لأجل الدليل الخاص أو الانصراف أو شهادة التباني، فإنّه ليس في الغرامة شيء من ذلك.

- ثمّ بدأ بتفصيل الكلام عن هذه الصور في عدّة صفحات تقريباً^١.

وفي تعليقه على قول الماتن: «نعم، لا بأس بالتمسك باستصحاب الضمان... إلى آخره»^٢ قال:

إن أريد من الضمان عهدة العين، فقد ارتفعت بالتلف وأخلفت أثرها، وهو الضمان بالمثل أو القيمة.

وإن أريد صفة المضمونيّة، بمعنى كون العين لا تذهب هدرأً على المالك، فذلك باقٍ لا شكّ فيه على كلّ وجه من أداء الغرامة وعدمه.

وإن أريد وجوب التدارك أو شغل الذمّة، فكلّ منهما حادث عند التلف من تأثير العهدة، والشكّ في بقائه بعد أداء شيء من المال منشؤه وسببه هو الشكّ في ما تعلّق به الوجوب وشغل الذمّة من أوّل الأمر، وهو شكّ بين الأقلّ والأكثر اللذين لا ارتباط بينهما، والجاري فيهما البراءة الشرعيّة المحدّدة للحادث والحاكمة على الاستصحاب.

بل وكذا لو قلنا ببقاء العهدة بعد التلف، فإنّ أصل البراءة عند الشكّ في أثرها محدّد له، فترفع شرعاً بحصوله، ولا يبقى مجال لشكّ الاستصحاب كما سبق. هذا، وأمّا بدل الحيلولة، فالكلام فيه في تشخيص المثل والقيمة على ما تقدّم، لكن يحتاج إلى الكلام في أمور.

- ثمّ شرع ببيان تلك الأمور بشكل مفصّل^٣.

١. الموسوعة ج ٧، تعليقة على بيع المكاسب: ٣٢٦.

٢. المكاسب ٣: ٢٥٥.

٣. الموسوعة ج ٧، تعليقة على بيع المكاسب: ٣٣٩.

وقال عند تعليقه على قول الماتن: «وكما أن تعذر ردّ العين ... إلى آخره»^١ قال: إن أراد أن الخروج على التقويم - كتعذر الردّ - موجب لبذل الحيلولة بما له من الأحكام، بحيث لو عاد التقويم للبذل عاد التقويم إلى الغارم، ففيه إشكال أو منع؛ لأنّ الخروج عن التقويم إذا لم يكن لأجل السعر الذي هو غير مضمون بالاتفاق والإجماع، فهو مضمون لأجل فوات صفة في العين ولو اعتباريّة من حيث الزمان أو المكان. وغرامة فوات الصفة لا تردّ وإن عاد مثلها، فإنّ الفاتت أوجبّ غرامة تلفه، والمتجدّد فردّ آخر من الصفة لا حقّ للغارم فيه وإن كان بتسببه، فليتأمل. وإن أراد أن الخروج عن التقويم بدل التلف لا على نحو بدل الحيلولة، فذكره في المقام وتشبيهه بالتعذر موجب للإبهام الشديد^٢.

الثامنة: يناقش الروايات التي استدلت بها الماتن، ويضيف لها روايات أخرى تدلّ على المطلب أيضاً.

ففي تعليقه على قول الماتن: «بقي الكلام في الخبر الذي تُمسك به في باب المعاطاة ... إلى آخره»^٣ قال:

أمّا قوله ﷺ في رواية خالد: «إنّما يحلّل الكلام ويحرّم الكلام»^٤ فالمناسب في الرواية من الوجوه التي ذكرها ﷺ هو الرابع^٥؛ إذ يلزم من الوجه الثالث أن يكون الإمام ﷺ قد عبّر بالكلام عن عدمه.

وفيه ما لا يخفى، خصوصاً في مقام المقابلة بين الوجود والعدم باعتبار الآثار المتضادة. ويمكن إرجاع الوجه الثاني إلى الرابع؛ إذ لا ينحصر تصويره بأنّ المطلب الواحد هو ما كان موجوداً في كلام المضمونين باختلاف العبارة، بل المطلب هو الغرض المقصود، كحلّ الثوب والريح.

١. المكاسب ٣: ٢٥٩.

٢. الموسوعة ج ٧، تعليقه على بيع المكاسب: ٣٤٢.

٣. المكاسب ٣: ٦٠.

٤. الكافي ٥: ٢٠١ باب الرجل يبيع ما ليس عنده، ح ٦؛ تهذيب الأحكام ٧: ٥٠، ح ٢١٦.

٥. المكاسب ٣: ٦٣.

فالتوب والربح يحزّمان ويحلّان باختلاف مضامين الكلام الذي يتوصّل به إلى حلّهما: فالكلام الذي مضمونه بيع التوب الذي ليس عند البائع ولم يملكه، مُحَرَّم للتوب والربح؛ باعتبار فساد البيع وكونهما مال الغير.

والكلام الذي مضمونه محض المواعدة على الشراء والربح، محلّل لأخذ التوب والربح بعد ذلك بالمقد أو المعاطاة.

ومعنى تحليله: إخلاؤه المقام من سبب التحريم، وتمحيض مضمونه لما لا يحزّم، كتحليل عدم البيع الذي ذكره ﷺ في الوجه الثالث^١.

والنظر في الحصر بالكلام الذي وقع في مورد جواب السؤال^٢، إنّما هو بالإضافة إلى الغرض المقصود.

وحاصله: أنّه ليس الوجه في الحلّ والحرمة هو الغرض المقصود المشترك في السؤال بين البيع ومحض المقابلة، بل الوجه إنّما هو عنوان الكلام الذي وقع في مورد السؤال؛ لكي يتوصّل به إلى الغرض.

وكذا الكلام في رواية المزارة^٣، فليس في الرواية إشعار باعتبار اللفظ في الحلّ. وكذا باقي الروايات التي ذكرها ﷺ^٤، فإنّ ظاهر إيجاب البيع فيها ما يقابل محض المقابلة ومقدمات البيع.

ولو فرضنا دلالة الروايات على اعتبار الكلام في الحلّ، لكان الحكم للإجماع والسيرة على الحلّ بمجرد المعاطاة، وهذا ممّا يؤيّد ما ذكرناه في مفادها، وقرينة على كون الحصر فيها إضافياً.

وأما حمل الرواية على عدم إفادة المعاطاة للزوم، فإنّ لازمه لغويّة التعليل فيها، فضلاً عن إباء اللفظ لهذا الحمل^٥.

١. المكاسب ٣: ٦٣.

٢. أي قوله ﷺ: «إنّما يحلّل الكلام ويحرّم الكلام».

٣. تهذيب الأحكام ٧: ١٩٤، ح ٨٥٧.

٤. المكاسب ٣: ٦٥.

٥. الموسوعة ج ٧، تعليقة على بيع المكاسب: ٣٠٠-٣٠٢.

وفي تعليقه على قول الماتن: «ثمَّ الكلام في الخصوصيات المعترية... إلى آخره»^١ قال:

وأما روايات ثعلبية^٢، وهشام بن سالم^٣، ومحمد بن النعمان^٤ في نكاح المتعة، فلا تدلُّ على أن ما ذكر فيها هو إيجاب العقد أو قبوله، بل الاقتصار عليه يشهد بأنَّ الروايات ليست في مقام بيان العقد وأركانه، حيث لم تتعرض لركنيه، بل لبيان الشروط وتعليم أحكام المتعة؛ لتكون المرأة على بصيرة من أحكامها عند العقد. ويؤيد ذلك رواية سماعة عن أبي بصير^٥.

نعم، في رواية أبان قول الصادق عليه السلام: «أَتَزَوَّجُكِ» وذكر شروط المتعة وأحكامها، ثمَّ قال عليه السلام: «فإذا قالت: نعم، فقد رضيت وهي امرأتك»^٦. فيكون قوله: «أَتَزَوَّجُكِ» إيجاباً أو قبولاً متقدماً، ويعاكسه قولها: «نعم».

لكن قولها «نعم» يدلُّ على أنَّ قوله: «أَتَزَوَّجُكِ» استفهام لا يكون أحد ركني العقد، فيبقى في المقام «نعم» وحدها، وهي لا تصلح لأن تكون إيجاباً وإنشاءً، ولو صلحت لكان المقام كما يروى من قول الجواد عليه السلام للمأمون بعد الخطبة وذكر المهر: «زَوَّجْتَنِي؟» قال: بلى، قال عليه السلام: «قبلتُ»^٧.

فلا بدَّ من حمل قوله عليه السلام: «وهي امرأتك» على الإشراف على ذلك بتمام المقدمات من المراوضة وتهيئِ المقام للعقد.

والحاصل، ليس في الروايات دلالة تقوى على ما ذكرناه، وعلى الاتفاق والإجماع المحكيين في البيع لو سلَّمت أولويته بالتساهل من النكاح^٨.

١. المكاسب ٣: ١١٨.

٢. الكافي ٥: ٤٥٥، باب شروط المتعة، ح ٤: تهذيب الأحكام ٧: ٢٦٣، ح ١١٣٧.

٣. الكافي ٥: ٤٥٥، باب شروط المتعة، ح ٥.

٤. الفقيه ٣: ٢٩٤، ح ١٣٩٨.

٥. الكافي ٥: ٤٥٥، باب شروط المتعة، ح ٢.

٦. المصدر، ح ٣: تهذيب الأحكام ٧: ٢٦٥، ح ١١٤٥: الاستبصار ٣: ١٥٠، ح ٥٥١.

٧. الفقيه ٣: ٢٥٢، ح ١١٩٩.

٨. الموسوعة ج ٧، تعليقة على بيع المكاسب: ٣٠٨-٣٠٩.

الفصل الخامس

مؤلفاته

قراءة سريعة لأسماء كتب العلامة البلاغي توقفنا على عظمة هذا الرجل وعلمه الجَمِّ وآرائه الجديدة المبتكرة، فلقد سدَّ ُ فراغاً كبيراً في المكتبة العربية الإسلامية بما أسداه من فضل في ما قام به من معالجة كثير من المشاكل العلمية والمناقشات الدينية، وتوضيح التوحيد ودعمه بالآراء الحكيمة قبال الثالوث الذي هدّه بآثاره وقلمه السيال. لم يكن علامتنا البلاغي ُ ممن أكثر من أسماء الكتب وجعل لها مسميات لا فائدة فيها أو مكرّرات عرفها الناس، بل كان من أولئك الأفضاذ الذين عالجوا كثيراً من المسائل والمشاكل وأوقفوا الحائرین على الهدى والحقّ.

يقول الأستاذ توفيق الفكيكي عن آثار البلاغي:

فجرّد قلمه البليغ - وهو أقطع بحجّته من الحسام - في وجوه الملحدین، هذا التراث الضخم من آثاره العلميّة وثمراته الفكرية يقول فيه الأستاذ الشاعر الفحل السيد محمود الحَبّوبي مخاطباً المؤلّف في رثائه:

ذَأْبَتْ بِنَشْرِ مَا سَمَّيْتَ كُتُباً وَدَيْنُ اللَّهِ سَمَّاهَا دُرُوعاً

ويقول أيضاً:

فَتَى الْقَلَمِ الَّذِي إِنْ صَرَ^١ الْقِنَى صَلِيلَ الْمَشْرِفِيِّ^٢ لَهُ الْخُضُوعَا

١. أي كَتَبَ.

٢. المَشْرِفِيُّ: سيف، نسبة إلى مشارف: وهي قُرى من أرض العرب تدنو من الريف. الصحاح ٤: ١٢٨٠.

وَأَنْ تَسْخِمْهُ مُخْتَضِباً مِدَاداً فَمَاذَا السَّيْفُ مُخْتَضِباً نَجِيعاً^١

وَأَنْ رَضَعَ الدَّوَاةَ^٢ تَرَى شُيُوخَ الضَّلَالَةِ تَتَّقِي ذَاكَ الرُّضِيعاً^٣

وقبل إيراد أسماء آثار العلامة البلاغي والتحدث عن بعضها بشكل مفصل، لا بد من بيان عدّة نقاط توقفنا على ما يتعلّق بعددها ومواضيعها وأماكن تأليفها، والمطبوع وغير المطبوع منها، والمترجم منها إلى اللغات الأجنبية.

الأولى: كتب البلاغي فهرسة لبعض مؤلفاته وطبعت في الصفحة الأولى من تعليقه على بيع المكاسب للشيخ الأنصاري (م ١٢٨١هـ) المطبوعة في المطبعة المرتضوية في النجف الأشرف سنة ١٣٤٣هـ مع القسم الأول من العقود المفصلة وبعض قصائده الشعرية. وطبعت قائمة لفهرس مؤلفاته تحت عنوان «فهرست مصنفات المفسر» في آخر الجزء الأول من تفسيره آلاء الرحمن المطبوع في صيدا سنة ١٣٥٢هـ. كتبها السيد حسن الحسيني اللواساني النجفي. كما كتب كلمته التأبينية بعد رحلة البلاغي وطبعت في آخر الجزء الثاني.

واعتمدنا عليها لأنّها قد طبعت في حياته وباطّلاعه؛ إذ تاريخ طباعتها في أيام حياته المباركة.

وسوف نقل عنهما عند ذكرنا لمؤلفاته دون بيان خصوصياتهما.

الثانية: اختلفت المصادر التي ترجمت للعلامة البلاغي في عدد المؤلفات التي نسبتها له، إذ أنّ بعضها ذكّر مؤلفاته المشهورة فقط، والبعض الآخر ذكر المطبوع منها فقط، وبعضها أعطى لكلّ عقدي من العقود المفصلة الأربعة عشر رقماً خاصاً.

ونحن قسّمنا مؤلفاته إلى قسمين:

القسم الأول: المطبوعة في هذه الموسوعة، وهي ستّة عشر مؤلفاً.

١. النجيع من الدم: ما كان إلى السواد، وقال الأصمعي: هو دم الجوف خاصة. الصحاح ٣: ١٢٨٨، «ن ج ع».

٢. الدّواة: ما يكتب منه. الصحاح ٦: ٢٣٤٣، «د وى».

٣. مقدّمة الهدى إلى دين المصطفى: ١٦.

القسم الثاني: غير المطبوعة في هذه الموسوعة، سواء كانت مخطوطة، أو مطبوعة طباعة قديمة لم نثر على نسخة منها، وهي خمسة وعشرون مؤلفاً.

وبذلك يكون مجموع آثاره التي ثبتت عندنا نسبتها له واحداً وأربعين أثراً. علماً بأننا قد أعطينا للعقود المفصلة - وهي أربعة عشر عقداً - رقماً واحداً، أما إذا جعلنا كلَّ عقدٍ رسالةً مستقلةً بحدِّ ذاتها وأعطيناها رقماً خاصاً، فيصبح عدد مؤلفاته أربعةً وخمسين مؤلفاً.

وإذا أضفنا لها قصائده الشعرية ومراسلاته العلمية والإخوانية، التي لو جمعت لأصبحت أثراً مستقلاً، فيصبح عدد آثاره خمسة وخمسين أثراً.

الثالثة: في حديثنا عن الحياة الشخصية والاجتماعية للعلامة البلاغي، قسّمنا حياته إلى ستِّ مراحل:

- (١) في مدينة النجف الأشرف من سنة ١٢٨٢ إلى ١٣٠٦ هـ.
 - (٢) في مدينة الكاظمية المقدّسة من سنة ١٣٠٦ إلى ١٣١٢ هـ.
 - (٣) في مدينة النجف الأشرف من سنة ١٣١٢ إلى ١٣٢٦ هـ.
 - (٤) في مدينة سامراء المقدّسة من سنة ١٣٢٦ إلى ١٣٣٦ هـ.
 - (٥) في مدينة الكاظمية المقدّسة من سنة ١٣٣٦ إلى ١٣٣٨ هـ.
 - (٦) في مدينة النجف الأشرف من سنة ١٣٣٨ إلى ١٣٥٢ هـ.
- وعند تتبّعنا لتاريخ ومكان تأليفه لكتبه ورسائله شاهدنا أن جُلَّ مؤلفاته كتبها في المرحلة السادسة من حياته في مدينة النجف الأشرف، وهي كالآتي:
- أنوار الهدى، والبداء، والبلاغ المبين، ونصائح الهدى كتبها سنة ١٣٣٩ هـ.
- والرحلة المدرسية، كتب الجزء الأوّل والثاني منها سنة ١٣٤٢ هـ. والجزء الثالث منها سنة ١٣٤٤ هـ.

والعقود المفصلة كتبها حدود سنة ١٣٤٢ هـ.

وتعليقة على بيع المكاسب للشيخ الأنصاري، ورسالة في شأن التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام كتبها سنة ١٣٤٣ هـ.

وحرمة حلق اللحية ودعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى كتبهما سنة ١٣٤٤هـ.
وأعاجيب الأكاذيب، والرد على الوهابية كتبهما سنة ١٣٤٥هـ.
ونسَمات الهدى كتبها بين سنة ١٣٤٦ و ١٣٤٨هـ.
وآلاء الرحمن ابتداءً في تأليفه في شهر ذي الحجة من سنة ١٣٤٩هـ واستمر فيه
حتى وفاته سنة ١٣٥٢هـ.

وفي المرحلة الرابعة من حياته (١٣٢٦ - ١٣٣٦هـ) عند ما استقرَّ في سامراء لمدَّة
عشر سنوات لحضور أبحاث الميرزا محمد تقي الشيرازي، أَلَف كتاب الهدى إلى دين
المصطفى سنة ١٣٣٠هـ.

ورسالة التوحيد والتثليث كتبها بين سنتي ١٣٣١ و ١٣٣٢هـ.
وفي المرحلة الخامسة عند استقراره في الكاظمية أَلَف رسالته في تنجيس المنتجس.

الرابعة: بعض مؤلفات العَلَمَة البلاغي لم تحمل اسمه في الطبقات الأولى التي
طُبعت في حياته؛ وذلك تواضعاً منه ونكراناً لذاته المقدَّسة، وهي:

- ١ - التوحيد والتثليث.
- ٢ - نسَمات الهدى ونفحات المهدي التي أنهاها بتوقيع «ب» إشارة للقبه.
- ٣ - الرد على الوهابية طُبعت باسم عبد الله أحد طلبة العراق.
- ٤ - الهدى إلى دين المصطفى طُبِع باسم أقلَّ خدام الشريعة المقدَّسة النجفي.
- ٥ - أعاجيب الأكاذيب طُبِع باسم عبد الله العربي.
- ٦ - أنوار الهدى طُبعت باسم كاتب الهدى النجفي.
- ٧ - البلاغ المبين طُبِع باسم عبد الله.
- ٨ - نصائح الهدى طُبعت باسم ناشره عبد الأمير الحيدري البغدادي.

الخامسة: الكثير من آثار العَلَمَة البلاغي كتبها جواباً على أسئلة وردت عليه من
بقاع مختلفة من أنحاء العالم الإسلامي، أو ردّاً على كتب كتبها مؤلفوها لإثارة
الشبهات على الدين الإسلامي الحنيف، منها:

- ١ - أعاجيب الأكاذيب، ردّ فيها على أربعة كتب للمبشرين المسيحيين والعهدين القديم والجديد.
 - ٢ - أنوار الهدى، أجب فيها على رسالة جاءته من سوريا فيها شبهات للطبيعيين والماديين.
 - ٣ - البداء، أجب فيها على استفسار ورد إليه عن هذا الموضوع.
 - ٤ - التوحيد والتثليث، أجب فيها على رسالة وردت إليه من ضواحي سوريا، يعترض فيها المرسل على مسألة التوحيد.
 - ٥ - دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى، ردّ فيها على فتوى علماء المدينة المنورة بحرمة البناء على قبور الأولياء وتقبيّل الأضرحة والنذر والذبح عند المقامات.
 - ٦ - الردّ على الوهابية، وهي كالرسالة السابقة كتبها ردّاً على فتوى علماء المدينة المنورة.
 - ٧ - المصاييح، كتبها ردّاً على القاديانية ومؤسسها غلام أحمد القادياني اللاهوري.
 - ٨ - نسمة الهدى ونفحات المهدي، كتبها ردّاً على مقالة نُشرت في مجلّة السياسة المصريّة في العدد ٩٦ السنة الثانية، بعنوان «المهدي المنتظر نشأته وأطواره في التاريخ» كتبها الدكتور زكي نجيب محمود (م ١٤١٤ هـ).
 - ٩ - الهدى إلى دين المصطفى، كتبه ردّاً على الشبهات التي أثارها بعض علماء النصارى كجرجيس سايل، وهاشم العربي، ومؤلف - أو مؤلّفو - كتاب الهداية.
- أمّا الكتب والرسائل التي لم تقف عليها لمعرفة ماهيتها بشكل دقيق، والظاهر من عناوينها كونها أنّها جوابات مسائل أو ردود، فهي:
- ١ - أجوبة المسائل البغدادية.
 - ٢ - أجوبة المسائل التبريزية.
 - ٣ - أجوبة المسائل الحليّة.
 - ٤ - بطلان العول والتعصيب.
 - ٥ - داروين وأصحابه.
 - ٦ - داعي الإسلام وداعي النصارى.

- ٧ - الردّ على جرجيس سايل وهاشم العربي .
- ٨ - الردّ على كتاب تعليم العلماء .
- ٩ - الردّ على الدهريّة .
- ١٠ - الردّ على كتاب ينابيع الكلام .
- ١١ - الشهاب في الردّ على كتاب «حياة المسيح» لبعض القاديانيّة .
- ١٢ - المسيح والأنجيل .

السادسة: لم يكمل العلامة البلاغي بعض مؤلفاته، بل كان يتركها ناقصة ويشرع في غيرها؛ لأنّه يجد الضرورة تقتضي ذلك، أو لعدم توفّر مستلزمات ذلك البحث، أو لغيرهما من الأسباب، وهذه المؤلفات هي:

١ - الاحتجاج لكلّ ما انفردت به الإماميّة من أحاديث أهل السنّة في أبواب الفقه من المسند والصحاح السنّة، برز إلى البياض إلى أواخر كتاب الصلاة .

٢ - التقليد .

٣ - الخيارات، بيّن فيها شيئاً يسيراً من الخيارات، ثمّ تركها .

٤ - داعي الإسلام وداعي النصارى في الردّ على النصارى وشبهاتهم .

٥ - الردّ على جرجيس سايل وهاشم العربي .

٦ - الرحلة المدرسيّة، ألف منه ثلاثة أجزاء ما بين سنة ١٣٤٢ - ١٣٤٤ هـ، وكان

ينوي تأليف جزئه الرابع، إذ قال في آخره: «ونسأل الله أن يوفّقنا للإلهال ببيان ذلك على الحكمة في الجزء الرابع» .

٧ - آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ألف منه جزئين فقط، وحال الموت الذي لا بدّ

منه دون إكماله .

٨ - العقد الثاني عشر من عقود المفصّلة في القبلة ومواقع البلدان في المسكونة

بالنسبة إلى مكّة المعظّمة بحسب الاختلاف في الطول والعرض، وقد عاقه عن إتمامه فقدانه

لبعض الآلات الهندسيّة التي يستعين بها لمعرفة انحراف البلدان عن مكّة المكرّمة ومقداره .

السابعة: ترجمت بعض آثار العلامة البلاغي باللغات الأخرى، وهي:

- ١ - أعاجيب الأكاذيب، ترجمت إلى الفارسيّة باسم «شگفت آور دروغ»، وقد طبعت هذه الترجمة في النجف الأشرف سنة ١٣٤٦ هـ باسم عبدالله الإيراني.
- ٢ - الرحلة المدرسية، ترجمت إلى الفارسيّة باسم «مدرسه سيّار» ترجمها محمّد علي بن أبي القاسم العلامة الوحيددي الكرمانشاهي، وطبعت في مدينة النجف الأشرف أوّلًا سنة ١٣٤٦، ثمّ طبعت ثانيةً في طهران سنة ١٣٨٣ هـ.
- وترجمها إلى الفارسيّة أيضاً السيّد محمّد تقي الواحدي، وطبعت تبعاً في عدّة أعداد من مجلّة دعوت اسلامي الصادرة في كرمانشاه في إيران.
- وترجمت أيضاً إلى الأوردو، وطبعت في مجلّة واعظ لكهنوي.
- ٣ - وضوء الإمامية وصلاتهم وصومهم، ألفها باللغة العربيّة، وترجمت إلى اللغة الإنكليزيّة، وقد طبعت هذه الترجمة.
- ٤ - أنوار الهدى، ترجمت إلى الأوردو في مدرسة الواعظين في لكهنو، وطبعت فيها.
- ٥ - نصائح الهدى، ترجمها إلى الفارسيّة سماحة آية الله السيّد علي العلامة الفاني (م ١٤٠٩ هـ)، وطبعت باسم «نصيحت بفریب خوردگان باب و بهاء».
- ٦ - الهدى إلى دين المصطفى، ترجمه وعلّق عليه السيّد أحمد الصفائي، ونشرته مؤسّسة «آفاق» في إيران سنة ١٣٦٢ هـ.

الثامنة: قسّم بعض المعاصرين الذين حقّقوا بعض آثار العلامة البلاغي وكتبوا مقدّمات لأعمالهم، مؤلّفاته حسب مواضيعها: الفقه، الأصول، الكلام، التفسير، ردّ النصارى، ردّ الفرق الضالّة.

ونحن سوف نذكرها مرتبةً حسب أسمائها لا حسب مواضيعها، وقد قسّمناها إلى قسمين:

الأوّل: المؤلّفات المطبوعة، وهي التي حصلنا على نسخة منها.

الثاني: المؤلفات غير المطبوعة، وهي التي لم تُطبع لحدّ الآن، أي لا زالت لحدّ الآن مخطوطة، وإما أنها طُبعت سابقاً ولم نعر على نسخة منها خطيّة أو مطبعية.

المؤلفات المطبوعة

(١) آلاء الرحمن في تفسير القرآن

ذكره العلامة البلاغي في الرسالتين اللتين بعثهما للسيد محسن الأمين: الأولى في الثامن والعشرين من شهر محرّم سنة ١٣٥٢ هـ، والثانية في التاسع من شعبان من نفس السنة^١، أي قبل وفاته بثلاثة عشر يوماً.

وأيضاً ذكره في الرسالة التي أرسلها إلى الشيخ محمد علي الأوردبادي^٢. ونسبه إليه أصحاب التراجم والسير كالشيخ محمد حرز الدين^٣، والسيد محسن الأمين^٤، والشيخ جعفر محبوبه^٥، والعلامة المتتبع آقا بزرك الطهراني^٦، والأستاذ علي الخاقاني^٧، وشيخنا آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي^٨، ومرجع الطائفة الأكبر سماحة آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي^٩.

تأريخ تأليفه

شرح العلامة البلاغي في تأليفه لهذا التفسير في آخر سنة ١٣٤٩ هـ، كما ذكره لتلميذه الميرزا محمد علي الأوردبادي قائلاً: «بتوفيق الله ولطفه وعونه شرعتُ في

١. أعيان الشيعة ٤: ٢٦١.

٢. راجع كتاب وقايع الأيام (رمضان المبارك): ٦٧٤.

٣. معارف الرجال ١: ١٩٧.

٤. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٥. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٣.

٦. تقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٥؛ الذريعة ١: ٢٨/١٨٣.

٧. شعراء الفري ٢: ٤٤١.

٨. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٩.

٩. تفسير البيان: ٢٠٠.

شهر ذي الحجة سنة ١٣٤٩هـ بتأليف تفسير للقرآن الكريم طبقاً للمذهب الشيعي»^١. وفي إحدى رسائله للسيد محسن الأمين التي بعثها له في الثامن والعشرين من شهر محرّم سنة ١٣٥٢هـ. قال: «منذ سنتين شرعتُ في تفسير للقرآن الكريم، وقریباً إن شاء الله يتمّ طبع الجزء الأول في مطبعة العرفان»^٢.

علماً بأنّه قد استمرّ في تأليفه له حتّى أواخر حياته، على الرغم من الأمراض التي لازمتها التي أدت إلى ضعفه وملازمتها للفراش.

يقول السيد حسن الحسيني اللواساني النجفي في كلمته التأيينية التي طبعت في آخر الجزء الثاني من هذا التفسير:

أنهى أواخر هذا التفسير بإلقائه على التلاميذ والكتبة المحتقنين به، على ما هو عليه من شدّة المرض وغاية الضعف مطروحاً في فراش الموت.

ويقول الأستاذ علي الخاقاني:

وكنا كثيراً ما نصارحه بقولنا: نرجو من الله أيّها الشيخ أن يطيل عمرك لإكمال هذا التفسير، وبعد ذلك لا يهمنّا بقيت أم لم تبقى. فيقول: أنا متشائم في عدم إتمامي له^٣.

وهذا يدلّ على أنّ تأليفه لهذا التفسير المبارك استمرّ سنتين وتسعة أشهر ابتداءً من شهر ذي الحجة سنة ١٣٤٩هـ وانتهاءً بشهر شعبان سنة ١٣٥٢هـ.

ومن الجدير ذكره هنا ما قاله الخطيب البارع السيد جواد شبّر في ترجمته لحياة آية الله الشيخ حسين مشكور الحولوي النجفي (م ١٣٨٨هـ):

وقام بعقد مجلس خاصّ أسبوعي للتذاكر في واجبات العلماء، ومن هذا المجلس انبثقت فكرة تفسير القرآن، فقام الحجة المجتهد الكبير الشيخ محمد جواد البلاغي بتأليف آلاء الرحمن في تفسير القرآن^٤.

١. وقائع الأيّام: ٦٧٤.

٢. أعيان الشيعة ٤: ٢٦٦.

٣. شعراء الفري ٢: ٤٣٩.

٤. أدب الطفّ ١٠: ٢٣١.

ماهية

قبل شروع البلاغي بتفسير آيات القرآن الكريم، كتب مقدّمةً رائعةً له تقع في أربعة فصول، تعدّ من أفضل ما كُتب في العقود الأخيرة عن إعجاز القرآن وجمعه وقراءاته، حتّى إنّها طُبعت مستقلةً كمقدّمة لبعض التفاسير.

الفصل الأول: تعرّض فيه لموضوع إعجاز القرآن الكريم، وبيّن فيه الأبحاث التالية: إعجازه، وجه شهادة المُعجز. حكمة تنوّع المعجز، حكمة كون المعجز للعرب هو القرآن، امتيازه عن غيره من المعجزات، إعجازه من وجهة التأريخ، إعجازه من وجهة الاحتجاج، إعجازه من وجهة الاستقامة والسلامة من الاختلاف والتناقض، إعجازه من وجهة التشريع العادل ونظام المدينة، إعجازه من وجهة الأخلاق، إعجازه من وجهة علم الغيب.

الفصل الثاني: بيّن فيه جمع القرآن في مصحف واحد من خلال الأبحاث التالية: جمعه في مصحف واحد، اضطراب الروايات في جمع القرآن، بعض ما ألصق بكرامة القرآن، قول الإمامية بعدم النقيصة في القرآن.

الفصل الثالث: جعله في القراءات، وتعرّض للقراءات السبعة أو العشرة وقراءاتهم.

الفصل الرابع: بيّن فيه الحاجة إلى التفسير في عدّة مقامات.

والخاتمة بيّن فيها مصادره التي اعتمد عليها في هذا التفسير، كتفاسير القرآن الكريم، وكتب آيات الأحكام، والكتب الحديثية.

ثمّ شرع في تفسير الآيات الكريمة، ففسّر سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران وقسم من سورة النساء، إذ وافاه الأجل بعد تفسيره لقسم من الآية السابعة والخمسين منها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَرْزَاقٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾.

وقد وهم الدكتور محمد حسين الذهبي عندما ذكر هذا التفسير في كتابه التفسير والمفسرون وذهب إلى أنّ البلاغي توقّف في الآية السادسة والخمسين من سورة النساء، إذ قال:

لم يتمّ، والموجود منه بدار الكتب المصرية الجزء الأول، وهو كلّ ما كتبه المؤلف،

ثم عاجلته المنية قبل إتمامه، وهو يبدأ بسورة الفاتحة، وينتهي عند قوله تعالى في الآية ٥٦ من سورة النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُظَلِّهِمْ نَارًا﴾^١.
 علماً بأن الجزء الأول من هذا التفسير - الذي ينتهي بأخر سورة آل عمران - لم يكن كل ما كتبه منه، بل كتب قسماً آخر من الجزء الثاني الذي يبدأ من أول سورة النساء وينتهي عند الآية السابعة والخمسين منها.
 والدكتور الذهبي شاهد الجزئين معاً، إذ شاهد تفسير الآية السادسة والخمسين من سورة النساء، عن الآية السابعة والخمسين.

يقول سماحة آية الله الشيخ محمد هادي معرفت رحمته الله^٢ في كتابه التفسير والمفسرون: ولعلّ القضاء صبّ عليه [أي الذهبي] البلاء عام ١٩٧٧م، حيث هلكه في شرّ قتلٍ مغتبة تجاسره على أمثال هذا العبد الصالح، الذي قضى حياته في الدفاع عن حريم الإسلام. لكنّ شيخنا البلاغي عمل عمله لله، فكان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ إِنَّكَ كَافِيَنَّكَ اللَّهُمُّ الْمُشْتَهَرِينَ^٣.

طبعاته

طبع هذا التفسير أربع مرّات:
 الأولى والثانية: في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٥٢هـ، إذ طبع أولاً الجزء الأول منه، ثم طبع الجزءان معاً سنة ١٣٥٥هـ باهتمام السيّد حسن الحسيني اللواساني النجفي.
 الثالثة: في مدينة قم المقدّسة، نشر مكتبة الوجداني، من دون تأريخ وهي طبعة مصوّرة عن الطبعة الثانية.

الرابعة: في مدينة قم المقدّسة، تحقيق ونشر مؤسّسة البعثة، سنة ١٤٢٠هـ.
 علماً بأنّ مقدّمة هذا التفسير طبعت أولاً في مصر مع تفسير السيّد عبد الله شبر

١. التفسير والمفسرون ٢: ٤٤.

٢. وقد ارتحل إلى جوار رحمت الله في يوم الجمعة ٢٩ ذي الحجّة سنة ١٤٢٧هـ في أيام كُنّا بصدد إنجاز موسوعة العلامة البلاغي للنشر.

٣. التفسير والمفسرون ٢: ٤٣٨، الهامش (٢)، والآيتان في سورة الحجر (١٥): ٩٤ و٩٥.

(م ١٢٤٢هـ)، وثانياً كتقديم لتفسير مجمع البيان للعلامة الطبرسي (م ٥٤٨هـ) نشر دار المعرفة في بيروت، وثالثاً طبعت بشكل مستقل بتحقيق سماحة حجة الإسلام الشيخ محمد مهدي نجف، ونشر المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية سنة ١٤١٩هـ.

٢) أعاجيب الأكاذيب

ذكرها اللواساني في فهرست مؤلفات البلاغي، ونسبها له أيضاً عدد من أصحاب التراجم والسير كالشيخ عباس القمي^١، والشيخ جعفر محبوبية^٢، والعلامة الشيخ آقا بزرك الطهراني^٣، والأستاذ علي الخاقاني^٤، وشيخنا السيد المرعشي النجفي^٥.

علماً بأن هذه الرسالة من آثار البلاغي التي لم يذكر اسمه فيها، بل وقّعها باسم عبدالله العربي، وذلك تواضعاً منه.

تأريخ ومكان تأليفها

ذكر المصنف تأريخ تأليفه لهذه الرسالة وهو سنة ١٣٤٥هـ، وذلك يعني أنه ألّفها في مدينة النجف الأشرف في المرحلة السادسة من حياته (١٣٣٨ - ١٣٥٢هـ) بعد عودته من مدينة الكاظمية المقدّسة سنة ١٣٣٨هـ.

ماهيتها

رسالة قيّمة في ردّ النصارى وبيان مفترياتهم، ردّ فيها العلامة البلاغي على أربعة كتب للمبشرين المسيحيين، إضافة لردّه على العهدين القديم والجديد، بيّن الله

١. الكنى والألقاب ٢: ٩٥.

٢. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٤.

٣. الذريعة ٢: ٢٢٠ / ٨٦٦.

٤. شعراء الغري ٢: ٤٤٠.

٥. وسيلة المعادي في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٩.

في مقدماتها سبب تأليفه لها قائلاً:

فإنّي في هذه السنين وجدتُ جدَّ المبشّرين من النصارى واجتهادهم بالدعوة ونشر الكتب في جميع النواحي، مستمدين من نشاط أمتهم في بذل الأموال الطائلة في هذا السبيل.

فحداني حبّ العلم إلى النظر في هذه الدعوة وهذه الكتب المنثورة كقطر المطر؛ لكي أرى قيمتها في هذا الجدّ وذاك النشاط، وحصل لي من كتب المبشّرين: كتاب الهداية، بمجلداته الأربعة المطبوعة في مصر بمعرفة المرسلين الأمريكان، كما هو مكتوب عليها.

وكتاب هاشم العربي؛ وكتاب رحلة الغريب ابن العجيب؛ وكتاب ثمرة الأمانى. وحصل لي معها كتب العهدين، وهي: كتب العهد القديم التي ينسبها اليهود والنصارى إلى الوحي الإلهي والنبؤات. وكتب العهد الجديد التي ينسبها النصارى إلى الوحي الإلهي والنبؤات. ومجموع العهدين يكون ستّة وستين كتاباً. فأخذتُ بكلتا يديّ التحقيق والإنصاف، ومشيتُ بينهما جنباً إلى جنب، فنصّفتُ كتب المبشّرين، وأمعنتُ النظر في كتب العهدين مرّة بعد مرّة، فاعترضني في ذلك مواقف موحشة ومناظر مدهشة. فبعثني حبّ الخير للبشر والتشرّف بخدمة الهدى والاستقامة، على أن أُجرّد من كلّ صنّف من تلك المواقف والمناظر كتيباً صغيراً، أقدمه لطالبي الاطلاع على أعمال البشر والنظر في الأمور التاريخية وأحوال الإنسان^١.

وقبل أن يبدأ بذكر عبارات الكتب التي يردّ عليها، ذكر مساوئ الكذب ومعاييه؛ مستدلاً على ذلك بآيات من القرآن الكريم وبعض نصوص التوراة الموجودة عنده.

ثمّ شرع بذكر الأكاذيب والمفتريات الموجودة في الكتب المذكورة، والردّ عليها رداً علمياً متيناً. فذكر خمس عبارات من كتاب ثمرة الأمانى، وعبارة واحدة من كتاب

هاشم العربي، وثلاث عبارات من كتاب الهداية، وعشرين عبارة من كتب العهدين القديم والجديد.

ثمّ ختم رسالته بذكر الرسالة التي أرسلها عبد الله بن إسماعيل الهاشمي - من أعلام القرن الرابع عشر - إلى عبد المسيح الكندي، التي يدعو فيها إلى الإسلام، إذ ردّ فيها على افتراء الكندي بقوله: إن إبراهيم عليه السلام كان يعبد الصنم المسمّى «العزى» لمدة تسعين سنة حينما كان ساكناً في حرّان.

طبعتها

طبعت هذه الرسالة ثلاث مرّات:

الأولى: في النجف الأشرف سنة ١٣٤٥هـ، نشر المطبعة الحيدريّة، ولم تحمل اسم مؤلّفها بل اسم عبد الله العربي.

الثانية: في قم المقدّسة سنة ١٤١٢هـ، نشر دار الإمام السجّاد عليه السلام، بتحقيق صديقنا العزيز السيّد محمّد علي الحكيم.

الثالثة: في بيروت سنة ١٤١٣هـ، نشر دار المرتضى، وهي طبعة مصوّرة عن الطبعة الثانية.

ترجمتها

ترجمت هذه الرسالة إلى اللغة الفارسيّة باسم «شگفت آور دروغ» وطبعت في النجف الأشرف سنة ١٣٤٦هـ باسم عبد الله الإيراني. علماً بأنّ الاسم الفارسي الصحيح لهذه الرسالة هو «دروغ های شگفت آور»^١.

(٣) أنوار الهدى

عدها العلامة البلاغي في فهرس مؤلفاته في الصفحة الأولى من تعليقه على بيع المكاسب، وذكرها وأحال إليها في كتاب الرحلة المدرسيّة في موارد كثيرة.

وذكرها اللواساني في فهرست مؤلفات البلاغي .

ونسبها له عدد من أعلامنا كالمحدّث الشيخ عبّاس القمّي^١، والشيخ محمّد حرز الدين^٢، والسيد محسن الأمين^٣، والشيخ جعفر محبوبه^٤، والأستاذ علي الخاقاني^٥، والعلامة آقا بزرگ الطهراني^٦، وشيخنا السيد المرعشي النجفي^٧.

تأريخ ومكان تأليفها

في الصفحة الأولى من هذه الرسالة ذكر البلاغي تأريخ ومكان تأليفها، وهو النجف الأشرف، في الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٣٩ هـ.

ماهيتها

هذه الرسالة هي إحدى آثار العلامة البلاغي في الردّ على الطبيعيين والماديين وشبهاتهم الإلحادية، كتبها ردّاً على رسالة جاءته من سوريا، إذ قال في أولها:

فقد افتنار رسالة من متهول من شبهات الإلحاد وغيرها، طالباً حلّ مشكلاتها، فكان علينا أن نقوم بواجبها مبلغ الجهد، ومن الله التيسير والتوفيق، فكتبنا ما وسعه الوقت مؤثرين الاختصار. وقد وجدنا أكثر الشبهات التي ذكرها المكاتب يشبه أن يكون مصدرها محرّرات الدكتور شبلي شمّيل في «مجموعته» التي طبع الجزء الأول منها في مطبعة المقتطف سنة ١٩٠٨ م، والجزء الثاني في مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩١٠، وفي كتاب «آرائه» المطبوع في مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩١٢.

وقد وضعها في مقدّمة فيها سبع نظرات تمهيدية، وثلاثة مقاصد، وكلّ مقصد يقع في عدّة فصول، يذكر فيه كلام صاحب الرسالة ثمّ يشرع برده ردّاً علمياً دقيقاً.

١. الكنى والألقاب ٢: ٩٥.

٢. معارف الرجال ١: ١٩٧.

٣. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٤. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٣.

٥. شعراء الغري ٢: ٤٤٠.

٦. الذريعة ٢: ٤٤٧ / ١٧٣٥.

٧. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٩.

علماء بأن إشكال صاحب الرسالة الذي ذكره المصنّف في الفصل السابع من المقصد الثاني، هو في الواقع إشكال على كتاب الهدى إلى دين المصطفى الذي ألفه البلاغي سنة ١٣٣٠هـ، فقام بالردّ عليه في هذه الرسالة بشكلٍ دقيق.

طبعتها

طبعت هذه الرسالة عدّة طبعات في النجف الأشرف وبيروت وقم المقدّسة، إلا أنّ الذي شاهدته منها هي المطبوعة في مدينة النجف الأشرف سنة ١٣٤٠هـ، وهي طباعة حروفية قديمة غير محقّقة.

ترجمتها

ترُجمت إلى لغة الأردو في مدرسة الواعظين في لكهنؤ، وطبعت فيه أيضاً^١.

(٤) البدء

الغريب في أمر هذه الرسالة، هو أنّ كافّة أصحاب التراجم والسير المعاصرين للعلامة البلاغي والمتأخّرين عنه، الذين تعرّضوا لترجمة حياته، لم يذكروها ضمن مؤلّفاته. نعم، ذكرها بعض معاصرينا الذين قاموا بتحقيق بعض آثاره، وقدّموا لتحقيقاتهم هذه مقدّمات موجزة.

وعلى كلّ حال، فإنّ نسبة هذه الرسالة للعلامة البلاغي لا شكّ ولا ريب فيها؛ بدلالة طبعتها السابقة، وحكاية أحد أقوالها في رسالته الأخرى نصائح الهدى^٢.

تأريخ ومكان تأليفها

لم يبيّن المصنّف تأريخ تأليفه لهذه الرسالة ولا مكانه، إلا أنّنا نستطيع تعيين التاريخ بشكل تقريبي وهو بعد سنة ١٣٣٩هـ؛ لأنّه ذكر في هذه الرسالة أحد آثاره وهو نصائح الهدى الذي ألفه سنة ١٣٣٩هـ^٣.

١. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٢. الموسوعة ج ٦، نصائح الهدى: ٣٦١.

وعلى هذا يكون مكان تأليفه لها في مدينة النجف الأشرف بعد عودته من مدينة الكاظمية المقدسة سنة ١٣٣٨ هـ.

ماهيتها

على الرغم من كون هذه الرسالة صغيرة الحجم، إلا أنها تعتبر من أفضل ما كُتب في موضوع البداء، فهي متينة المحتوى قويّة السبك، كتبها جواباً عن استفسار ورد إليه عن هذا الموضوع إذ يقول فيها: «كما ذُكر في صدر السؤال»^١.
ابتدأ فيها بتعريف البداء والمحو والإثبات، والجواب عن إشكال السائل بكون المراد من المحو هو إفناء الموجود، ومن الإثبات هو إيجاد المعدم أو إبقاء الموجود.

ثم بيّن معاني البداء لغةً، وأيّ منها ينطبق على المعنى الشرعي، وأنّ مقام المحو والإثبات هو غير مقام أم الكتاب وعلم الله المكنون ومشئته وإرادته الأزليّة، وأورد بعض الأدلّة التاريخيّة والحديثيّة على هذه المسألة.

طبعتها

طبعت هذه الرسالة مرّتين:

الأولى: في بغداد سنة ١٣٧٤ هـ، نشرها الشيخ محمّد حسن آل ياسين في آخر المجموعة الرابعة من سلسلة «نفائس المخطوطات».

الثانية: في قم المقدّسة سنة ١٤١٤ هـ، حقّقها صديقنا العزيز السيّد محمّد علي الحكيم، ونُشرت في كُرّاسٍ صغير مع رسالة البداء لآية الله العظمى السيّد أبو القاسم الخوئي بعنوان رسالتان في البداء.

(٥) البلاغ المبين

ذكرها اللواساني في فهرست مؤلّفات البلاغي، ونسبها له عدد من أعلامنا

١. الموسوعة ج ٦، مسألة في البداء: ١٧٨.

كالشيخ عباس القمي^١، والسيد محسن الأمين^٢، والشيخ جعفر محبوبية^٣، والعلامة آقابزرگ الطهراني^٤، والأستاذ علي الخاقاني^٥، وآية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي^٦.

تأريخ ومكان تأليفها

لم يذكر المصنف تأريخ تأليفه لهذه الرسالة، والظاهر أنه كان في سنة ١٣٣٩ هـ أو قبلها بقليل؛ لأنه في هذه السنة أُلّف رسالته الأخرى أنوار الهدى وفيها يحكي عن هذه الرسالة.

وعلى هذا فيكون مكان تأليفها في مدينة النجف الأشرف، التي عاد إليها واستقرّ فيها من سنة ١٣٣٨ هـ حتى وفاته سنة ١٣٥٢ هـ.

ماهيتها

كتب المصنف هذه الرسالة بأسلوب جديد؛ لبيان مفهوم العبودية لله تعالى والغاية من خلق البشر، فجعلها على شكل حوارٍ دائريٍّ بين شخصيتين؛ أحدهما: اسمه عبدالله وهو مؤمن ملتزم بتعاليم الإسلام، وثانيهما: اسمه رمزي وهو مادي لا يعبر للمفاهيم الدينية أي اهتمام. فتجري بينهما حوارات في موضوعات شتى يهدف منها عبد الله إثبات الخالق ووجوب عبادته وطاعته، والغاية من خلق البشر، والمسؤوليات المترتبة عليهم. علماً بأن بعض الأمثلة التي أوردها البلاغي في استدلاله على وجوب الخالق تعدّ آنذاك - في وقت تأليف الرسالة - من المخترعات الجديدة والمستحدثة التي ينبغي إعمال الفكر فيها، في حين أنها تعدّ اليوم من المؤلفات التي لا يلتفت إليها.

١. الكنى والألقاب ٢: ٩٥.

٢. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٣. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٣.

٤. نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٥؛ الذريعة ٣: ١٤٠ / ٤٨١.

٥. شعراء الغري ٢: ٤٤١.

٦. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ. راجع ص ٤١٩.

طبعها

طُبعت هذه الرسالة في مطبعة الآداب في بغداد سنة ١٣٤٨هـ، بتصحيح السيد عبدالمطلب الحسيني الهاشمي، صاحب مجلة الهدى التي كانت تصدر آنذاك في مدينة العمارة العراقية.

٦) تعليقة على بيع المكاسب للشيخ الأنصاري

ذكرها اللوساني في فهرست مؤلفات البلاغي، وذكرها المؤلف باسم «التعليقة» أيضاً في موردين:

الأول: في الصفحة الأولى منها قائلاً:

هذه تعليقة على كتاب البيع لشيخ المشائخ أستاذ المتأخرين، سابق مضمار التحقيق والتدقيق، وينبوع الفوائد في التأسيس والتصنيف، مهذب الأصول والفروع، قبلة العلماء وقدوة العالمين آية الله الشيخ الأنصاري قدس الله سره. كتبها العبد الأقل محمد جواد البلاغي عفي عنه عند تدرّبه في فوائد الكتاب الشريف المذكور واقتباسه من أنواره. سائلاً من الله التوفيق والتسديد، وراجياً من الإخوان الدعاء وإصلاح الخلل، والعفو عن الذلل. وما توفيقي إلا بالله إنه أرحم الراحمين. الثاني: عند تعليقه على قول الماتن الشيخ الأنصاري: «ضعيف في الغاية» إذ قال: «وقد كتبنا أكثر هذه المباحث في قاعدة «على اليد ما أخذت»، وكزرتها هنا أداءً لحقّ التعليقة»^١.

ونسبها له باسم «التعليقة» أيضاً الشيخ جعفر محبوبية^٢، والعلامة آقابزرگ الطهراني^٣، والأستاذ علي الخاقاني^٤، والأستاذ توفيق الفكيكي^٥.

١. الموسوعة ج ٧، تعليقة على بيع المكاسب: ٣٤٧.

٢. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٣.

٣. نقيبه البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٥.

٤. شعراء الغري ٢: ٤٤١.

٥. مقدّمة الهدى إلى دين المصطفى: ١٤.

إلا أن السيد محسن الأمين^١، والشيخ آقا بزرگ الطهراني في الذريعة^٢ نسبها للبلاغي باسم «الحاشية».

تأريخ ومكان تأليفها

لم يذكر المصنف تأريخ تأليفه لهذه التعليقة ولا مكانها، إلا أننا نستطيع تحديده سنة ١٣٤٣هـ التي تمّ طبعها فيها، ولأنه يحكي في هذه «التعليقة» عن أحد العقود المفصلة وهو «عقد في قاعدة على اليد ما أخذت» الذي ألفه سنة ١٣٤٣هـ. وعلى هذا يكون مكان تأليفه لهذه «التعليقة» في مدينة النجف الأشرف التي عاد للاستقرار فيها سنة ١٣٣٨هـ، ولم يغادرها حتى وفاته سنة ١٣٥٢هـ.

ماهيتها

تعليقة علمية استدلالية متينة على بحث البيع من كتاب المكاسب للشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري (م ١٣٨١هـ)، ابتداءً من تعريف البيع وانتهاءً ببيع الوقف، يذكر المصنف أولاً قول الماتن ثم يبدأ بشرحه والتعليق عليه وبيان مبهمات وأقوال العلماء فيه، ويناقش الأدلة التي ذكرها الشيخ الأنصاري، فيقبل بعضها ويردّ بعضها الآخر، ثم أخيراً يثبت رأيه وأدلته عليه.

طبعها

طُبعت هذه التعليقة لأول مرة في المطبعة المرتضوية في مدينة النجف الأشرف سنة ١٣٤٣هـ منضمةً مع القسم الأول من العقود المفصلة وبعض القوائد الشعرية للمصنف.

(٧) رسالة في شأن التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام

ذكرها العلامة البلاغي ضمن مؤلفاته في الصفحة الأولى من تعليقه على بيع المكاسب قائلاً: «رسالة في كذب رواية التفسير المعروف عن الإمام العسكري عليه السلام».

١. أعيان الشيعة ١: ٢٥٦.

٢. الذريعة ٦: ٢١٨/٢١١٧.

وفي آخر مقدمته لتفسير آلاء الرحمن عند ذكره للمصادر التي اعتمد عليها قائلاً:
وأما التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فقد أوضحنا في رسالة
منفردة في شأنه أنه مكذوب موضوع، ومما يدل على ذلك نفس ما في التفسير
من التناقض والتهاوت من كلام الراويين، وما يزعمان أنه رواية، وما فيه من مخالفة
الكتاب المجيد، ومعلوم التأريخ، كما أشار إليه العلامة في الخلاصة، وغيره^١.
وذكرها اللواساني في فهرست مؤلفات البلاغي قائلاً: «رسالة في شأن التفسير
المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام».

ونسبها له بعض أعلامنا مع اختلاف يسير في التسمية:

فقال السيد محسن الأمين: «رسالة في التكذيب لرواية التفسير المنسوب للإمام
الحسن العسكري عليه السلام وكذب نسبتبه إليه»^٢.

وقال الشيخ جعفر محبوب: «رسالة في شأن التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام»^٣.

وقال الأستاذ علي الخاقاني: «رسالة في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام»^٤.

تأريخ ومكان تأليفها

لم يذكر البلاغي تأريخ تأليفه لهذه الرسالة ولا مكانها، والظاهر أنه كان قبل سنة
١٣٤٣هـ؛ لأنه ذكرها ضمن مؤلفاته غير المطبوعة في الصفحة الأولى من تعليقه على
بيع المكاسب المطبوعة في هذه السنة في المطبعة المرتضوية.

وعلى هذا يكون مكان تأليفها في مدينة النجف الأشرف بعد عودته من مدينة
الكاظمية المقدسة سنة ١٣٣٨هـ، وبقي فيها حتى وفاته سنة ١٣٥٢هـ.

ماهيتها

تعرض فيها أولاً لشأن أبي الحسن الاسترآبادي الخطيب، الذي انفرد برواية هذا

١. الموسوعة ج ١، آلاء الرحمن ١: ١٠٩.

٢. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٣. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٤.

٤. شعراء القرى ٢: ٤٤١.

التفسير، فنقل عبارات كبار علمائنا في مدحه أو تضعيفه كالعلامة الحلبي في الخلاصة^١، والمولى الاسترآبادي في منهج المقال^٢، والوحيد البهبهاني في حاشيته على المنهج^٣، والطبرسي في الاحتجاج^٤، والعلامة المجلسي في الوجيزة^٥.

ثم تعرّض لسان الراويين اللذين يروي عنهما الاسترآبادي الخطيب هذا التفسير وهما: يوسف بن محمد بن زياد، وعلي بن محمد بن سيار. وحكى اضطراب عبارتهما وخلطهما بعبارات والديهما.

وأخيراً أورد عدّة مصاديق من هذا التفسير مخالفة بشكل واضح للكثير من الأحداث التاريخية المتفق عليها عندنا، أو المخالفة لسان وأخلاق الأئمة عليهم السلام.

طبعها

طُبعت هذه الرسالة مرّتين:

الأولى: في العدد الأوّل - الدورة الثانية - من مجلّة نور علم الصادرة في قم المقدّسة سنة ١٤٠٦ هـ، بتصحيح سماحة آية الله الشيخ رضا الأستاذي - حفظه الله ورعاه - معتمداً في تصحيحه على النسخة المخطوطة التي كانت بحوزة تلميذ المصنّف سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ مرتضى المظاهري النجفي الإصفهاني (م ١٤١٤ هـ)، إذ كتب في آخرها: تمّ ما برز من قلمه الشريف، وفرغت من استنساخه في النجف الأشرف في شهر شوّال ١٣٤٣ هـ، واستنسختُ هذا من ذلك وفرغتُ منه في ٢١ شهر رجب المرجّب ١٣٩٨ هـ، وأنا المظاهري النجفي.

الثانية: في سنة ١٤١٥ هـ، نشرتها - ضمن الرسائل الأربعة عشر - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين في قم المقدّسة.

١. خلاصة الأقوال: ٤٠٤ / ١٣٦٤.

٢. منهج المقال: ٣١٥.

٣. تعليقه الوحيد البهبهاني على منهج المقال: ٣١٦.

٤. الاحتجاج: ١: ١٤.

٥. الوجيزة: ٢٤٦.

ملاحظة

ذكر سماحة حجة الإسلام والمسلمين الأستاذ السيد أحمد الحسيني - حفظه الله ورعاه - قصة ظريفة لها صلة بهذه الرسالة، نذكرها تعميماً للفائدة، إذ قال:

وحيث ذكرنا هذه المؤلفات - مؤلفات البلاغي - وعلمت مبلغ جهود هذا الإنسان العظيم، أودّ أن أقصّ عليك قصة وقعت لي مع بعض من تلمذ عليه، لكنّه لم يستفد من أخلاقه ولم يتذوّق حلاوة إرشاداته.

[فقد] سنح لي أن أقوم بطبع سلسلة من الكتب لعلمائنا الماضين بعنوان «دراسات قرآنية»: لإتاحة الفرصة لمن يريد الوقوف على ما يتعلّق بالقرآن الكريم وعلومه، وأصدرت بالفعل في هذه السلسلة كتاب قلائد الدرر في بيان آيات الأحكام بالأثر لعلاّمة عصره الشيخ أحمد الجزائري.

وكنت في صدد طبع بعض الكتب المخطوطة في هذه السلسلة، فاخترت الرسالة التي كتبها الإمام البلاغي حول التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، وبعد محاولات عديدة للعثور على هذه الرسالة أخبرني صديق أنّها توجد عند تلميذ الشيخ البلاغي. فسررت كثيراً بهذه البشارة العظمى، وذهبت فوراً إلى الشيخ... وعرضت عليه فكرتي، وطلبت منه أن يأذن لي في استنساخ الرسالة على نسخته. فهل تعلم ماذا أجابني الشيخ...؟ إنّه قال: إنّ هذا التفسير بلا شك هو للإمام العسكري كما أثبت ذلك في كتابي...، وأثبت ذلك أيضاً بالحجة الشيخ آقا بزرگ الطهراني في كتابه الذريعة، وليس من صالحك أن تطبع مثل هذا الكتاب.

أسفاً على جهودك وأتعابك أيها الإمام العظيم، إنك قضيت ساعات طوالاً في تربية هذا الشيخ ولكنّه لم يقدر عظيم أياديك عنده، فمنع نشر كتابك حتّى تُنشر آراؤه. إلا أنّ الله تعالى شاء أن تكون نجماً لامعاً في سماء العظمة؛ لنبيك الخالصة، وشاء أن يكون هذا الشيخ مغمور الذكر منسياً؛ لطلبه الشهرة^١.

٨) رسالة التوحيد والتثليث

سمّاها بهذا الاسم مصنّفها العلامة البلاغي في مقدّماتها. وفي الصفحة الأولى من تعليقه على بيع المكاسب. وفي كتاب الرحلة المدرسية، ص ٣٠ و ٢٩٦.
 وذكرها اللواساني في فهرست مؤلّفات البلاغي.
 ونسبها له أيضاً أصحاب التراجم والسير كالشيخ محمّد حرز الدين^١، والسيد محسن الأمين^٢، والشيخ جعفر محبوبه^٣، والعلامة آقا بزرگ الطهراني^٤، والأستاذ علي الخاقاني^٥، وشيخنا السيد المرعشي النجفي^٦.

تأريخ ومكان تأليفها

لم يذكر المصنّف تأريخ تأليفه لهذه الرسالة ولا مكانه، إلا أنّنا نستطيع أن نحدده بين سنتي ١٣٣١ و ١٣٣٢ هـ؛ لأنّ طبع هذه الرسالة كان سنة ١٣٣٢ هـ، وهو يحكي فيها عن كتاب الهدى إلى دين المصطفى الذي انتهى من تأليفه في أواخر سنة ١٣٣٠ هـ. وعلى هذا يكون مكان تأليفه لهذه الرسالة في مدينة سامراء المقدّسة في المرحلة الرابعة من مراحل حياته (١٣٢٦ - ١٣٣٦ هـ)؛ لأنّه هاجر إليها سنة ١٣٢٦ هـ من أجل حضور أبحاث الميرزا محمّد تقي الشيرازي (م ١٣٣٨ هـ) وبقي فيها لمدّة عشر سنوات.

ماهيتها

أحد آثار العلامة البلاغي في ردّ النصارى، وهي رسالة صغيرة في حجمها كبيرة في محتواها، كتبها ردّاً على رسالة جاءته من نواحي سوريا، يعترض فيها المرسل - الذي

١. معارف الرجال ١: ١٩٧.

٢. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٣. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٣.

٤. الذريعة ٤: ٤٨٥ / ٢١٧٢.

٥. شعراء الغري ٢: ٤٤١.

٦. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٩.

لم يذكر اسمه - على مسألة التوحيد، ويحاول بأدلة واهية إثبات معتقده في التثليث. قسم المصنّف أجوبته - وفق إشكالات المرسل - إلى اثنين وأربعين جواباً، ردّ فيها على تلك الإشكالات الواهية ردّاً علمياً، والتي منها: سذاجة التوحيد، اعتناق الأمم والملوك للمسيحية، ظهور الربّ للنبيّ إبراهيم ﷺ، ورود كلمات ثلاث في الكتاب المقدّس دالة على التثليث وهي: الأب، الكلمة، الروح.

طبعتها

طُبعت هذه الرسالة ثلاث طبعات:

الأولى: في صيدا سنة ١٣٣٢ هـ.

الثانية: في قم المقدّسة سنة ١٤١١ هـ، بتصحيح صديقنا العزيز السيّد محمّد علي الحكيم، ونشر مؤسسة قائم آل محمّد «عج»، وفي نهايتها أثبت مصحّحها قائمة فهرستية لما ألفه المسلمون في ردّ هجمات المبشرين.

الثالثة: في بيروت سنة ١٤١٢ هـ، نشر دار المؤرّخ العربي، وهي طبعة مصوّرة عن الطبعة الثانية، وقد حُذفت منها القائمة الفهرستية.

٩) رسالة حرمة حلق اللحية

ذكرها اللواساني في فهرست مؤلّفات البلاغي، ونسبها له أيضاً الشيخ جعفر محبوبه^١. إلّا أنّ المتتبّع الخبير الشيخ آقا بزرك الطهراني ذكرها باسم «حلق اللحية»^٢.

تأريخ ومكان تأليفها

ألّفها سنة ١٣٤٤ هـ، كما هو مُثبت في آخرها^٣، وهذا يعني أنّه كتبها في النجف الأشرف في المرحلة السادسة من حياته (١٣٣٨ - ١٣٥٢ هـ) بعد عودته من الكاظمية المقدّسة واستقراره في النجف الأشرف.

١. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٤.

٢. الذريعة ٧: ٦٣ / ٣٢٩.

٣. الموسوعة ج ٧، رسالة حرمة حلق اللحية: ٤٤٤.

ماهيتها

رسالة وجيزة بين فيها مسألة فقهية مهمة كثيراً ما يُبتلى بها المكلف، فتعرض لآراء العلماء والأدلة الدالة على حرمة حلق اللحية، وقد وضعها في أربعة فصول:

الفصل الأول: ذكر فيه ثلاثة وثلاثين حديثاً عن النبي ﷺ دالة على حرمة الحلق، واردة من طرق أبناء العامة في أمهات كتبهم الحديثية كالصالح الست، ومسند أحمد بن حنبل، وشعب الإيمان للبيهقي، والمعجم الكبير والأوسط للطبراني، وحلية الأولياء لأبي نعيم الإصفهاني، وكنز العمال، وغيرها، مع ذكر بعض المصادر الحديثية الشيعية الواردة فيها تلك الأحاديث النبوية.

الفصل الثاني: ذكر فيه أربع روايات عن أئمة أهل البيت ع، دالة أيضاً على حرمة الحلق، واردة في مصادرنا الحديثية المعتمدة كالكتب الأربعة، والخصال وكمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق، والوسائل للحرّ العاملي. وفي بعض تفاسيرنا كتفسير علي بن إبراهيم القمي وتفسير الطبرسي.

وفي هذا الفصل أيضاً ردّ على بعض العلماء الذين استدّلوا على حرمة الحلق بقوله تعالى: ﴿وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾^١.

الفصل الثالث: خصّصه للاستدلال على حرمة الحلق بعمل المسلمين الكاشف عن الإجماع وثبوت الحرمة في الشريعة، وحكى أقوال بعض علمائنا في ذلك كيحيى بن سعيد الحلبي في الجامع للشرائع، وفخر المحققين في حواشيه الفخرية على القواعد، والشهيد الأول في القواعد والفوائد، والحرّ العاملي في بداية الهداية، والكاشاني في المفاتيح، والبحراني في الحدائق، والشيخ جعفر في كشف الغطاء، والشيخ محمد حسن النجفي في الجواهر، وغيرهم.

الفصل الرابع: بين فيه تحديد إعفاء اللحية، فذكر أربعة أحاديث دالة على ذلك، رواها كبار محدثي المسلمين كالشيخ الكليني، وأبي داود، والنسائي، وغيرهم.

طبعتها

طبعت هذه الرسالة مرتين:

الأولى: في قم المقدّسة سنة ١٣٩٤ هـ، بتصحيح سماحة الشيخ رضا الأستادي - حفظه الله ورعاه -.

الثانية: في قم المقدّسة أيضاً سنة ١٤١٥ هـ، قامت بنشرها - ضمن الرسائل الأربعة عشر - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة.

١٠) دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى

ذكرها اللواساني في فهرست مؤلّفات البلاغي وقال: «الرسالة الأولى في نقد الفتوى بهدم القبور الشريفة في الحرمين».

ونسبها له الشيخ جعفر محبوبية والأستاذ علي الخاقاني إذ قال: «رسالة في إبطال فتوى الوهابيين بهدم القبور الشريفة في الحرمين»^١.

ونسبها له أيضاً السيّد محسن الأمين قائلاً: «رسالة في ردّ الفتوى بهدم قبور أنمة البقيع»^٢.

وعنونه العلامة الطهراني، وقال: «دعوى الهدى إلى الورع...»^٣.

أمّا الاسم الذي أثبتناه كعنوان لهذه الرسالة، وهو الموجود على الطبعتين السابقتين لها، فقد اختاره لها الميرزا محمد علي الأوردبادي، تلميذ العلامة البلاغي ومدوّن هذه الرسالة.

سبب وتاريخ ومكان تأليفها

هذه الرسالة عبارة عن محاضرة علميّة ألّفها العلامة البلاغي على بعض تلامذته في مدينة النجف الأشرف في أوائل سنة ١٣٤٤ هـ، إثر الاستفتاء الذي وجهه قاضي

١. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٣؛ شعراء الفري ٢: ٤٤١.

٢. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٣. الذريعة ٨: ٢٠٦ / ٨٤٣.

القضاة في الحجاز الشيخ عبد الله بن بليهد لعلماء المدينة المنورة، يسألهم عن حكم البناء على القبور وتقبيل الأضرحة والذبح عند المقامات.

فأجاب علماء المدينة - وكان عددهم خمسة عشر عالماً - بحرمة ذلك ووجوب منعه.

وقد نُشر هذا الاستفتاء وجوابه في جريدة أم القرى الصادرة في الحجاز، وعلى أثره قام الوهابيون في الثامن من شهر شوال سنة ١٣٤٣ هـ بهدم مراقد أئمة أهل البيت عليهم السلام في بقيع الغرقد في المدينة المنورة، والقبور الموجودة في مقبرة المعلى في الحجون في مكة المكرمة، والمراقد الموجودة في الطائف.

وقد قام الشيخ محمد علي الأوردبادي بتدوين هذه المحاضرة ثم طبعها بعنوان دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى.

ماهيتها

ردّ المصنّف في هذه الرسالة على فتاوى علماء المدينة المنورة وأدلتهم، إذ أورد أقوالهم أولاً، ثم بدأ بمناقشتها مناقشة علمية.

ففي حكمهم بمنع البناء على القبور ناقشهم في ادّعائهم الإجماع على ذلك وأثبت عدم انعقاده مطلقاً، وناقش في سند ومتن حديث أبي الهيثج الذي استدّلوا فيه على الحرمة أيضاً.

وردّ حكمهم بمنع اتّخاذ القبور مساجد والصلاة فيها وإيقاد السرج عليها، ببيان معنى المسجد لغةً واصطلاحاً، وأنّ المراد من حديث ابن عباس - الذي استدّلوا به على الحرمة -: «لعن رسول الله صلى الله عليه وآله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» هو أن تجعل القبور قبلة يُسجد عليها كالوثن، وهذا ما تحكّم الشيعة أيضاً بحرّمته.

ثمّ بدأ برّد فتاواهم بحرمة التوجّه إلى حجرة النبي صلى الله عليه وآله عند الدعاء، والتبرّك والاستشفاع والتمسّح بالأضرحة المباركة.

طبعتها

طبعت هذه الرسالة مرتين:

الأولى: في النجف الأشرف سنة ١٣٤٤ هـ.

الثانية: في بيروت سنة ١٤٢٠ هـ، نشر دار المحبّة البيضاء، بتحقيق الأستاذ السيّد

محمد عبد الحكيم الموسوي الصافي.

(١١) الرحلة المدرسيّة والمدرسة السيّارة

ذكره العلامة البلاغيّ ضمن مؤلفاته في الصفحة الأولى من التعليقة على بيع المكاسب. وسماه بهذا الاسم أيضاً في مقدّمته له، وهو الموجود على غلاف الطبعين السابقتين له أيضاً.

إلا أنّ أكثر أصحاب التراجم والسير الذين نسبوا هذا الكتاب للبلاغيّ ذكروا في اسمه «أو» بدل «الواو» فقالوا: «الرحلة المدرسيّة أو المدرسة السيّارة»، كالسيّد محسن الأمين^١، والشيخ جعفر محبوبية^٢، والعلامة آقا بزرك الطهراني^٣، والأستاذ علي الخاقاني^٤، وشيخنا السيّد المرعشي النجفي^٥.

وتبعهم في ذلك كافّة معاصرنا الذين حقّقوا بعض آثار البلاغيّ وترجموا له تراجم مختصرة، أو الذين نشروا عن حياته بعض المقالات في الصحف والمجالات.

علماً بأنّ المصنّف لم يذكر الاسم الكامل لهذا الكتاب في بعض آثاره، بل ذكره بعنوان الرحلة المدرسيّة فقط في جوابه لأحد الأسئلة الواردة عليه من مدينة تبريز، الموقّعة باسم الحاجّ عباس قلي الواعظ الجرندي، التي طبّعت في مجلّة العرفان^٦.

١. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٢. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٣.

٣. الذريعة ١٠: ١٧٠/١٣٣.

٤. شعراء الغري ٢: ٤٤٠.

٥. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ. راجع ص ٤٢٠.

٦. العرفان: المجلّد ٣٥، الجزء ٨، ص ١٢٤٧.

وكذلك فعل المحدث الشيخ عباس القمي، إذ ذكر القسم الأول من اسم الكتاب^١.

تأريخ ومكان تأليفه

كان تأليفه لهذا الكتاب في المرحلة الأخيرة من حياته في مدينة النجف الأشرف بعد عودته إليها من مدينة الكاظمية المقدسة سنة ١٣٣٨ هـ، إذ تمّ طبع الجزء الأول في غرة شعبان سنة ١٣٤٢، والجزء الثاني في ١٥ شوال سنة ١٣٤٢، والجزء الثالث ٩ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٤.

ماهيته

ألفه المصنّف رحمته في ردّ الديانة النصرانية وإثبات حقيقة الديانة الإسلامية، بلسان عصريّ لطيف، يناسب ذوق الشباب الذين يميلون لمطالعة الكتب الأدبية الروائية والحوارية. فوضعه على شكل حوار جرى بين جماعة اجتمعوا للدرس النزيه في الكتب السماوية: التوراة والإنجيل والزبور، والقرآن الكريم، والمقارنة بين هذه الكتب واستخراج الحقائق منها.

وقد جعله في ثلاثة أجزاء، وكان في نيته كتابة الجزء الرابع منه أيضاً، إذ يقول في آخر الجزء الثالث: «ونسأل الله أن يوفقنا للإلهال ببيان ذلك على الحكمة في الجزء الرابع».

الجزء الأول: خصّصه لمناقشة عبارات العهدين القديم والجديد، فإنّه يورد أولاً النصوص الكاملة لهما، ثمّ يبدأ بنقضها وبيان نقاط ضعفها، وركاكتها وكذبها في كثير من الأحيان، ومخالفتها للوقائع التاريخية والجغرافية، ممّا يؤدي ذلك إلى القطع بأنّها موضوعة منحولة لا يمكن أن تصدر من الله سبحانه وتعالى.

وذكر في أثناء ذلك نسخ الكتاب المقدس العشرة - وبلغات مختلفة - التي كانت موجودة لديه عند تأليفه لهذا الكتاب، وذكر أيضاً مواصفات كلّ نسخة وتأريخ ومكان طبعها.

الجزء الثاني: خصّصه لبيان حقيقة الدين الإسلامي، وتاريخ نشوئه ومراحل تطوّره، والحروب الدفاعية التي خاضها رسول الله ﷺ، وكون القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة له، وسلامته من التحريف رغم الزمن الطويل الذي مرّ على نزوله، وكيفية تحريف الكتاب المقدّس، وغيرها من المواضيع المهمة.

الجزء الثالث: ذكر فيه الأصول الإسلامية الثلاثة: التوحيد، والنبوة، والمعاد. وبعض الأبحاث الفلسفية كالجبر والتفويض، والحسن والقبح العقليّين، وماهية النفس، والجواهر والأعراض، والوجوب والإمكان والامتناع، وحدوث المادة وقدمها. وبعض ما يتعلّق بفلسفة أعضاء الإنسان والعلة من خلقها، وعجائب خلقه الحيوان، وما يوجد في السماء والأرض والهواء والبحار من المخلوقات العجيبة.

أهميته

تبرز أهمية هذا الكتاب من خلال المواضيع العلمية التي طرحها البلاغي، والتي ناقشها مناقشة علمية دالّة على تبحّره في فنّ المناظرة.

قال الأستاذ توفيق الفكيكي:

الرحلة المدرسية دلّت على خياله الواسع الوثّاب، وتفكيره العميق، وذوقه العالي، وأسلوبه الروائي الحديث المبتكر، وقد دارت بحوثه ومحاوراته على لسان جماعة من ذوي الرجاحة لتمحيص الحقائق وتنزيه العقائد^١.

وقال الأستاذ علي الخاقاني:

ولو لم يكن للمترجم له إلا كتاب الرحلة المدرسية لكفاه فخراً، فقد تناول الإسلام فيه على المسيحية وضيق الخناق عليها فيه. ومن المستحيل أن إنساناً أوتي من التعلّل والتمييز شيئاً لا يستقرّ بعد قراءته على الحقّ، ولا يعتنق الإسلام بعد هضمه له^٢.

١. مقدّمة الهدى إلى دين المصطفى: ١١.

٢. شعراء الغري ٢: ٤٣٨.

طبعاته

طبع هذا الكتاب أربعة مرّات:

الأولى والثانية: سنة ١٣٤٢ و ١٣٤٧ هـ. وفي حياة المؤلف في المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف في ثلاثة أجزاء وكتب المصنّف في الصفحة الأولى من الأجزاء الثلاثة: أَعَدَّ الرجاء مَنْ له انتقاد، أو اعتراض، أو إفادة أو بحث في مطالب هذا الكتاب أن يتلطف بالكتابة بما عنده، ويعاون على العلم وطلب الحقيقة. والله خير معين وهو الموقّ.

المكاتبة لنا بتوسط المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف.

الثالثة: في مطبعة النعمان في مدينة النجف الأشرف، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات الحديثة في مدينة كربلاء المقدّسة سنة ١٣٨٣ هـ، وقد قدّم له مقدّمة وجيزة الأستاذ السيّد أحمد الحسيني - حفظه الله ورعاه -.

الرابعة: في دار الزهراء عليها السلام في بيروت سنة ١٤١٤ هـ، وقد كتب الناشر في مقدّمته مُعَرِّفاً بهذه الطبعة: «طبعة جديدة مصحّحة ومنقّحة»، وليته لم يكتب هذه العبارة، فإنّه لم يُتعب نفسه حتّى في مراجعة الآيات القرآنية الكريمة الواردة في الطبعة السابقة والتي كانت كلّها مغلوطة، فما ظنّك بعبارات وأرقام العهدين؟!

ترجمته

ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية باسم مدرسه سيار، ترجمه محمّد علي العلامة الوحيددي الكرمانشاهي برمز «ع. و».

وقد طبعت هذه الترجمة أولاً بالمطبعة الحيدرية في النجف الأشرف سنة ١٣٤٦ هـ ثمّ طبعت في طهران سنة ١٣٤٧ هـ، ثمّ طبعت ثالثة في طهران ١٣٨٣ هـ، نشر مؤسسة

١. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤٢٠.

نصر، وقد قدّم لها مقدّمة موجزة شيخنا في الإجازة سماحة آية الله العظمى السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي، وسمّى مقدّمته هذه بـوسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ^١.

وقد قام السيّد محمّد تقي الواحدي بترجمته مرّة ثانية إلى الفارسيّة أيضاً، وطُبعت تباعاً في عدّة أعداد من مجلّة دعوت اسلامي الصادرة في كرمانشاه^٢. وترجم إلى الأوردو، وطبع في مجلّة واعظ لكهنوي^٣.

وكان العلامة البلاغي رحمته الله يتمنّى أن يترجم هذا الكتاب إلى اللغة الإنكليزيّة؛ لكي يطلّع عليه المسيحيّون في أوروبا.

١٢) الردّ على الوهابيّة

للعلمة البلاغي رسالتان في الردّ على الوهابيّة، تقدّم الكلام عن إحداهما وهي دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى، وهذه هي الرسالة الأخرى له. ذكرها اللواساني في فهرست مؤلّفات البلاغي. وقد نسبها له أيضاً عدد من أعلامنا كالمحدّث الشيخ عباس القمي^٤، والسيّد محسن الأمين^٥، والعلامة آقا بزرك الطهراني^٦، وشيخنا السيّد المرعشي النجفي^٧، والأستاذ توفيق الفكيكي^٨.

تأريخ ومكان تأليفها

ذكر المصنّف في آخرها تأريخ انتهائه من تأليفها، وهو الرابع عشر من شهر ربيع الأوّل سنة ١٣٤٥ هـ.

١ و٢. انظر مشار، فهرست كتب جايي فارسي ٤: ٤٦٦٠ - ٤٦٦١.

٣. راجع علماء معاصرين: ١٦٢.

٤. الكنى والألقاب ٢: ٩٥.

٥. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٦. الذريعة ١٠: ٢٣٦ / ٧٤٠.

٧. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٩.

٨. مقدّمة الهدى إلى دين المصطفى: ١٣.

وعلى هذا يكون مكان تأليفه لها في مدينة النجف الأشرف؛ حيث رجع إليها سنة ١٣٣٨ هـ من مدينة الكاظمية المقدسة.

ماهيّتها

جعلها المصنّف في مقدّمة وخمسة فصول:

المقدّمة: بيّن فيها سبب تأليفه لهذه الرسالة، وأشار للسؤال الذي توجّه به قاضي القضاة في الحجاز الشيخ عبد الله بن بليهد إلى علماء المدينة المنورة في مسألة البناء على القبور وتقبيل الأضرحة والذبح عند المقامات، وجواب العلماء بحرمة ذلك ووجوب منعه.

الفصل الأوّل: بحث فيه موضوع توحيد الله في العبادة، ووجوب خلوص النية في عبادته، واستدلّ على ذلك بمجموعة من الآيات القرآنية الكريمة، ثمّ بيّن أنّ زيارة القبور والتبرّك بها لا تنافي ذلك أبداً، واستدلّ عليه بعدة أحاديث واردة من طرق المسلمين.

الفصل الثاني: بيّن فيه وجوب توحيد الله في الأفعال، وأنّه من الأمور المجمع عليها عند كافة المسلمين، واستدلّ عليه بآيات من القرآن الكريم. ثمّ بيّن أنّ التوسّل والاستغاثة والاستشفاع بالأولياء والصالحين ليس بمعنى التشريك في أفعال الله تعالى. الفصل الثالث: أوضح فيه أنّ البناء على قبور الأنبياء والعباد المصطفين هو تعظيم لشعائر الله، وهو من تقوى القلوب ومن السنن الحسنة، واستدلّ على ذلك بعدة أحاديث شريفة ووقائع تاريخية.

الفصل الرابع: في الصلاة عند القبور، وإيقاد السرج عليها. وقد أوضح أنّ المذموم اتّخاذ المسجد عند القبور.

الفصل الخامس: بيّن فيه إجماع المسلمين على أنّ الذبح والتقرب بالقربان إنّما يكون لله سبحانه وتعالى، فلا يصحّ الذبح لغير الله. وأوضح بأنّ الذبح والقربان الذي يقوم به المسلمون إنّما هو عن الميّت لا للميّت، وذلك من أجل وصول أجره وثوابه لروحه.

علماً بأن هذه الرسالة من آثار العلامة البلاغي التي لم يوقعها باسمه، بل وقعها باسم « عبد الله أحد طلبة العراق ».

طبعتها

طبعت هذه الرسالة أربع مرّات:

الأولى: طبعة حجرية في النجف الأشرف سنة ١٣٤٥ هـ.

الثانية: في مجلّة تراثنا الصادرة في مدينة قم المقدّسة في عددها المزدوج ٣٥ - ٣٦، الصادر في شهر رمضان سنة ١٤١٤ هـ، بتحقيق صديقنا العزيز السيّد محمّد علي الحكيم.

الثالثة: طبعت مستقلة في قم المقدّسة وبيروت سنتي ١٤١٦ و ١٤١٩ هـ، وهي طبعة مصوّرة عن الطبعة الثانية، نشر مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث.

الرابعة: في قم المقدّسة، خالية عن اسم الناشر ومكان الطبع وزمانه، ضمن سلسلة على مائدة الكتاب والسنة رقم ١٧، باسم الوهابية وأصول الاعتقاد، وهي نفس الطبعة المحقّقة الثالثة.

(١٣) العقود المفصلة

عدّها العلامة البلاغي ضمن آثاره في الصفحة الأولى من تعليقه على بيع المكاسب، وذكرها اللواساني في فهرست مؤلّفات البلاغي، وقد ذكر فيهما بشكل مجمل أولاً باسم العقود المفصلة، ثمّ ذكر أسماء العقود بشكل مفصّل.

ونسبها له أيضاً مع ذكر أسماء كلّ عقدٍ منها عدد من أعلامنا أصحاب التراجم والسير كالسيّد محسن الأمين^١، والشيخ جعفر محبوبية^٢، والعلامة آقا بزرك الطهراني^٣، والأستاذ علي الخاقاني^٤، وشيخنا السيّد المرعشي النجفي^٥.

١. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٥.

٢. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٣.

٣. الذريعة ١٥: ٣٠٤ / ١٩٤١.

٤. شعراء الغري ٢: ٤٤١.

٥. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٩.

تأريخ ومكان تأليفها

لم يحدّد العلامة البلاغي تأريخ تأليفه لهذه العقود ولا مكانه، إلا أنّه ذكر في أوّل العقد الرابع «مسألة الصلاة في اللباس المشكوك فيه» تأريخ شروعه في تأليفه قائلاً: كتبتّه تذكرةً لنفسي وخدمة للعلم وطالبيه عند تجديدي النظر في هذه المسألة في الأشهر الأواخر من السنة الثانية والأربعين بعد الألف والثلاثمائة^١.

وفي العقد الثاني منها «عقد قاعدة على اليد ما أخذت» ذكر عقده الرابع «الصلاة في اللباس المشكوك فيه» قائلاً: «كما بيّناه في آخر رسالة اللباس المشكوك فيه»^٢. وهذا يعني أنّه ألّف العقد الرابع قبل العقد الثاني، ومن هذا نستنتج أنّ طباعة العقود المفصّلة لم تكن مرتبةً حسب تأريخ تأليفها وإنّما حسب مواضيعها، وفق السيرة المتّبعة في الأبحاث الإسلاميّة.

وعلى كلّ حال، فإنّ تأريخ تأليف المطبوع من هذه العقود والتي ذكرها في فهرست مؤلّفاته المطبوعة في الصفحة الأولى من التعليقة على بيع المكاسب ينحصر بين سنة ١٣٤٢ هـ وسنة ١٣٤٣ هـ، وهذا يعني أنّه كتبها في مدينة النجف الأشرف في المرحلة السادسة من حياته، حسب تقسيمنا لمراحل حياته.

ماهيتها

أربعة عشر عقداً كتبها المصنّف في حلّ بعض المسائل المشكّلة في الفقه وأصوله، وقد بسط الكلام فيها بسطاً تاماً، وأودع فيها تحقيقات أنيقة رائعة تدلّ على سعة أطلّاعه وتبحّره في مختلف العلوم الإسلاميّة.

علماً بأنّ خمسةً من هذه العقود فقط كانت مطبوعة، وهي العقود الخمسة الأولى. ومن الجدير ذكره هنا أنّ بعض المصادر التي ترجمت حياة البلاغي ذكرت هذه العقود كاملةً، وبعضها ذكرت قسماً منها، حتّى أنّ المصنّف لم يذكرها كاملةً في أوّل صفحة من تعليقه على المكاسب التي طبعت سنة ١٣٤٣ هـ؛ لأنّه

١. الموسوعة ج ٧، عقد في الصلاة في اللباس المشكوك فيه: ٢٠٣.

٢. الموسوعة ج ٧، عقد في قاعدة على اليد ما أخذت: ٩٣.

لم يكن قد أكمل تأليفها في ذلك التاريخ.

ونحن نذكر هنا أسماء هذه العقود، والمعلومات المتوفرة لدينا عنها:

- (١) عقد في العلم الإجمالي^١.
- (٢) عقد في قاعدة على اليد ما أخذت^٢.
- (٣) عقد في تنجيس المتنجس^٣.
- (٤) عقد في الصلاة في اللباس المشكوك فيه^٤.
- (٥) عقد في إلزام غير الإمامي بأحكام نحلته^٥.
- (٦) عقد في ذبائح أهل الكتاب.
- (٧) عقد في ضبط الكثر، ويسمى أيضاً «في المتمم كراً»^٦.
- (٨) عقد في ماء الغسالة^٧.
- (٩) عقد في حرمة مس القرآن على المحدث^٨.
- (١٠) عقد في إقرار المريض^٩.
- (١١) عقد في منجزات المريض^{١٠}.
- (١٢) عقد في مواقيت الإحرام ومحاذاتها من الطرق إلى مكة براً^{١١}.
- (١٣) عقد في القبلة وفي مواقع بعض البلدان في المسكونة بالنسبة إلى مكة المعظمة

١. الذريعة ١٥: ٣١٧/٢٠٢٦.

٢. المصدر: ٣٣٠/٢١٣١، و ٢٥: ٢٧٦/٨٨.

٣. المصدر ١١: ١٥٧.

٤. المصدر ١٨: ٢٩٤.

٥. المصدر ١١: ١٠٥.

٦. المصدر: ١٣٥.

٧. المصدر ١٦: ٥٤/٢٥٣.

٨. المصدر ١١: ١٧٥.

٩. المصدر: ١٠١/٦٢١.

١٠. المصدر ٢٣: ١٧/٧٨٦١.

١١. المصدر ٢٣: ٢٣١.

بحسب الاختلاف في الطول والعرض، أوضح في أثناء ذلك الخطأ في الاعتماد على التقويم القديم، وقد عاقه عن إتمام تأليف هذا العقد فقدانه لبعض الآلات الهندسيّة التي يستعين بها لمعرفة انحراف البلدان عن مكّة ومقداره.

وقد أشار العلامة البلاغي إلى هذا العقد في تفسيره آلاء الرحمن قائلاً: «وقد استقصينا الكلام في ذلك في رسالتنا في القبلّة»^١.

(١٤) عقد في الرضاع؛ وهو عبارة عن رسالة استدلائيّة مفصّلة في نحو ٥٥ ص^٢.

طبعها

ذكرنا قبل قليل أنّ خمسةً من هذه العقود فقط قد طبعت سابقاً، فإنّ العقود الأربعة الأولى - وهي: «العلم الإجمالي» و«قاعدة على اليد» و«تنجيس المتنجس» و«الصلاة في اللباس المشكوك فيه» - قد طبعت مع تعليقة المصنّف على بيع المكاسب سنة ١٣٤٣هـ، في المطبعة المرتضويّة في مدينة النجف الأشرف.

والعقد الخامس وهو «عقد في إلزام غير الإمامي بأحكام نحلته» فقد طبع مرّتين. وسيأتي بيان ذلك قريباً.

ونحن نذكر هنا ماهيّة المطبوع من هذه العقود: والمعلومات التي توقّرت لدينا عنها:

١. عقد في العلم الإجمالي

جعله المصنّف في ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل: في حال العلم الإجمالي مع الأصول في أطراف شبهته التي إذا لحظ كلّ منها في نفسه كان حكماً مجهولاً مشكوكاً فيه بالنظر إلى نوعه أو متعلّقه الخاصّ، ثمّ ذكر أربعة وجوه تطبيقيّة لذلك، وبيّن الاحتمالات الواردة عليها، وناقشها مناقشة علميّة دقيقة.

١. الموسوعة ج ١، آلاء الرحمن ١: ٢٦٠.

٢. الذريعة ١١: ١٩٠/١١٦٤.

الفصل الثاني: في انحلال العلم الإجمالي، فبيّن معنى الانحلال أولاً، ثم ذكر ثلاث حالات تطبيقية له، ثم أورد ثلاثة تنبيهات مهمة لهذه المسألة.

الفصل الثالث: ذكر فيه خمس عشرة مسألة تطبيقية لهذه القاعدة، حكاها عن العروة الوثقى للسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (م ١٣٣٧ هـ)، إذ قام بذكر عبارته أولاً وبيان مبناها، ثم ناقشها ورد بعضها، مستدلّاً بما توصل إليه من الأدلة العقلية وغيرها.

٢. عقد في قاعدة على اليد ما أخذت

هو شرح للحديث النبوي المشهور «على اليد ما أخذت حتى تؤدى»، وبيان ما يترتب عليه من الأحكام الوضعية والتكليفية.

وضعه المصنّف في سبعة فصول:

الفصل الأول: في سند الحديث، والمصادر الحديثية المعتمدة عند المسلمين التي أخرجته.

الفصل الثاني: في لفظه، إذ ذكر الاختلاف الوارد في بعض كلماته في مصادر المسلمين الحديثية والفقهية.

الفصل الثالث: في مفاده، فذكر المسائل الفقهية التي يستند الفقهاء فيها إلى هذا الحديث، خصوصاً في مسألة وجوب ردّ المغصوب إلى مالكه، وتشعباتها الفقهية الكثيرة كوجوب ردّ العين أو المثل أو الثمن.

الفصل الرابع: وهو متفرّع من الفصل الثالث، إذ بحث فيه مسألة تغريم الغاصب، وكون العين المغصوبة مثلية أو عينية، وكيفية تعيين القيمة عند اختلافها. ثم ذكر تنمّة فيها خمسة أمور وخمس مسائل متعلّقة بالغرامة المثلية أو القيمة.

الفصل الخامس: في بدل الحيلولة، وهو في ما إذا كانت العين المأخوذة موجودة وتعذر ردّها عادةً، فبيّن ذلك بشكل مفصّل في ثمانية مقامات وعدّة مسائل.

الفصل السادس: في تعاقب الأيدي على العين المأخوذة، فبيّنه وشرحه في ثلاث مسائل.

الفصل السابع: في ملاحظة شبهة هذا الحديث مع غيره من الأدلة التي تنافيه.

٣. عقد في تنجيس المتنجس

جعله المصنّف في مقدّمة وفصلين :

المقدّمة: بيّن فيها معنى القذر، والفرق بين القذر العرفي والشرعي، وتطهير النجاسات الشرعيّة، وما يراه العرف في ذلك.

الفصل الأوّل: في الحجّة على تنجيس المتنجس مطلقاً، سواء كان رطباً أو يابساً لوقي برطوبة. فاستدلّ على ذلك بالإجماع، وسيرة المتشرّعة وعملهم، والأخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام التي ذكرَ هنا قسماً منها وناقش في دلالتها على هذا الأمر. الفصل الثاني: ردّ فيه على رسالة خاصّة في هذا الموضوع، كتبها سماحة آية الله الشيخ محمّد مهدي الخالصي (م ١٣٤٣ هـ) التي قال فيها: «إنّ المتنجس اليابس لا ينجس إذا لوقي برطوبة».

فأورد المصنّف عبارة الخالصي أولاً بكاملها مع أدلّته، ثمّ شرع بردها ردّاً علمياً متيناً مبيناً موارد خللها. والظاهر أنّ الهدف الرئيسي لتأليف البلاغي لهذا العقد، هو الردّ على رسالة الخالصي؛ لأنّ الردّ احتلّ مساحةً واسعةً منه.

٤. عقد في الصلاة في اللباس المشكوك فيه

جعله المصنّف في فصلين :

الفصل الأوّل: ذكر فيه ستّة أمور:

الأوّل: أورد فيه الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في هذه المسألة، وبيّن دلالة كلّ واحدة منها.

الثاني: في مقتضى الأصول في مقام الشكّ في حلّ اللحم - الذي جعل لباساً - وحرمنته من حيث الشبهة الحكميّة.

الثالث: في حلّ اللحم وعدم حرمنته الفعلية من حيث الشبهة الموضوعيّة والمشهور.

الرابع: في دلالة الأخبار على اعتبار أيدي المسلمين وسوقهم وبلادهم في

أجزاء الحيوان.

الخامس: في الشكّ بعد الصلاة بكونها مبرئة للذمّة أم لا.

السادس: في اعتبار الصلاة الواجدة للشرائط واعتبار اللباس ممّا لا يؤكل لحمه .
 الفصل الثاني: ذكر فيه أقوال علمائنا في هذه المسألة بشكل مفصّل، وجعله في
 مقامات ثلاثة .

٥. عقد في إلزام غير الإمامي بأحكام نخلتبه

سمّاه المؤلف بهذا الاسم في مقدّمته له .

واختلفت المصادر التي نسبت هذا العقد للعلامة البلاغي في اسمه :
 فذكره اللواساني في فهرست مؤلّفات البلاغي بقوله: «إلزام المتديّن بما عليه في
 أحكام دينه» .

وذكره السيّد محسن الأمين بقوله: «رسالة في ألزامهم بما ألزموا به أنفسهم»^١ .

وذكره العلامة الطهراني بقوله «رسالة في إلزامهم بما ألزموا به أنفسهم»^٢ .

وذكره الشيخ جعفر محبوبه بقوله: «رسالة في أنّ من يدين بدين يلزم بمقتضى نحلته
 في الحقوق»^٣ . وتبعه في هذه التسمية الأستاذ توفيق الفكيكي^٤ ، والسيّد أحمد الحسيني^٥ .
 وسمّاه الأستاذ علي الخاقاني «إلزام المتديّن بأحكام دينه»^٦ .

وقد تمّ نقله إلى البياض بيد المؤلف في شهر رجب في سنة ١٣٤٩ كما صرّح المؤلف في
 إنهائه له . وعلى هذا يكون مكان تأليفه في مدينة النجف في العقد الأخير عن حياته المباركة .

ماهيته

جعله المصنّف في ثلاثة فصول :

الفصل الأوّل: أورد فيه اثني عشر حديثاً في هذه المسألة في مختلف الأبواب

١. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦ .

٢. الذريعة ١١: ١٠٥ .

٣. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٤ .

٤. مقدّمة الهدى إلى دين المصطفى: ١٦ .

٥. مقدّمة الرحلة المدرسيّة: ١٠ .

٦. شعراء الغري ٢: ٤٤١ .

الفقهية: النكاح، الطلاق، الإرث، الأيمان.

وهذه الأحاديث كلها واردة من طرق أهل البيت عليهم السلام، مذكورة في الكتب الحديثية الأربعة المعتمدة عندنا: الكافي، الفقيه، تهذيب الأحكام، الاستبصار.

وبعضها وارد أيضاً في كتب الشيخ الصدوق: علل الشرائع، عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام، معاني الأخبار.

وبعضها الآخر وارد في وسائل الشيعة للحرّ العاملي، ومستدرکه للمحدّث النوري. وقد اتّبع العلامة البلاغي في استدلاله بهذه الأحاديث منهجاً علمياً دقيقاً، نوضحه في عدّة نقاط:

الأولى: يذكر صفة الحديث، فيحكم عليه بالصحة أو الضعف؛ اعتماداً على رجال سنده، إذ أنه كثيراً ما يقوم بتفصيل القول في الرواة ونقل أقوال علمائنا فيهم كالكشي والنجاشي والشيخ الطوسي والعلامة الحلّي.

الثانية: يوضّح أسماء الرواة المبهمة أو المشتركة، ففي الحديث الثالث - مثلاً - ورد عليّ بن أبي حمزة، فقال عنه: «الظاهر أنه الباطني الواقفي الضعيف»^١. وفيه أيضاً قال عند ذكر عليّ بن عبد الله:

هو ابن عبد الله بن الحسين بن زين العابدين عليه السلام، وهو من المختصين بالرضا عليه السلام، وله مقام عظيم في الزهد والعبادة، فهو ثقة^٢.

وفي الحديث الخامس قال عند ذكر جعفر بن محمد:

وأما أبوه فإن كان محمد بن عيسى الأشعري - كما يقول الميرزا في المنهج^٣ - فهو شيخ القميين ووجه الأشعريين^٤.

الثالثة: يضبط متن الحديث ويذكر اختلاف النسخ في المصدر الواحد، واختلاف المصادر التي ورد الحديث فيها، كما في الحديث الأوّل والعاشر.

١. و٢. الموسوعة ج ٧، عقد إلزام غير الإمامي بأحكام نحلته: ٢٤٢ و ٢٤٣.

٣. منهج المقال: ٨٤.

٤. الموسوعة ج ٧، عقد إلزام غير الإمامي بأحكام نحلته: ٢٤٦.

الرابعة: يناقش دلالة الحديث على هذه المسألة، ويورد كافة الاحتمالات الواردة فيه. **الفصل الثاني:** ذكر فيه أقوال بعض علمائنا في هذه المسألة كالشيخ الطوسي، وابن إدريس، والشهيدين الأول والثاني، والشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر، والشيخ حسن بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، وغيرهم.

علماء بأنه عند نقله لقول أحد أعلامنا لم يكتفِ بالنقل عن مصدر واحد له، بل يذكره من عدة مصادر ففي نقله عن الشيخ الطوسي ينقل عن تهذيب الأحكام والاستبصار والنهاية. بل ذهب إلى أكثر من ذلك إذ نقل قول الفقيه الواحد في موردين من كتابه، فعن السرائر نقل قول ابن إدريس في كتابي الطلاق والأيمان، وعن أنوار الفقاهة نقل قول الشيخ حسن كاشف الغطاء في كتابي الطلاق والمواريث.

الفصل الثالث: ذكر فيه أربعة مقامات تتعلق بفقهاء هذه المسألة والفروع المترتبة عليها، وبعض الإشكالات المطروحة عليها.

ثم ختم الرسالة بإيراد فروع فقهية خلافية بين عموم المسلمين يُبنى حكمها على هذه المسألة، وذكّر فيها الأقوال الفقهية لأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وباقي المذاهب الإسلامية كالحنفية والمالكية والحنبلية والشافعية.

طبعه

طبع هذا العقد في سنة ١٣٧٨ هـ بتصحيح الأستاذ علي أكبر الغفاري، معتمداً على النسخة الخطية التي كانت عند الحاج الميرزا حسن الخسروشاهي، التي استنسخها من نسخة آية الله العظمى السيد محمد هادي الميلاني (م ١٣٩٥ هـ)، ولم يذكر الغفاري شيئاً عن هاتين النسختين لنقف على مواصفاتهما، بل أثبت في الصفحة الأولى منها عدة جمل في تقييد هذا العقد ومؤلفه إذ قال:

عقد ذهبي ثمين من صميم التراث الفقهي، لفقيه العلم والفقاهة شيخنا الحجة العلامة البحر الشيخ محمد جواد البلاغي، الذي ضاق نطاق الوصف عن التبسط في شخصيته واستكناه مبلغه من العلم، فإن تأليفه القيمة الكثيرة في العلوم المتنوعة تعرب عن مدى فضله، وتوقف القارئ على بسط يده في العلوم والمعارف الإلهية.

١٤) نسمات الهدى ونفحات المهدي

على الرغم من طبع هذه الرسالة قبل وفاة العلامة البلاغي باثنتي عشرة سنة، إلا أنني لم أجد من ينسبها له سوى السيد محسن الأمين الذي سماها بنسمات الهدى، والأستاذ توفيق الفكيكي في مقدّمته لكتاب الهدى إلى دين المصطفى. ولعلّ ذلك ناشئ من عدم وضع البلاغي اسمه عليها؛ إذ وقّعها بالحرف «ب» إشارة للقبه. وعلى كلّ حال، فلا شكّ ولا ريب في نسبة هذه الرسالة للبلاغي؛ بقريئة أسلوبها ومضمونها، وحكايتها عن إحدى مؤلّفاته الأخرى، وهي رسالة نصائح الهدى^١.

تأريخ ومكان تأليفها

لم يعيّن المصنّف تأريخ تأليفه لهذه الرسالة ولا مكانها، والظاهر أنّه كان بين سنة ١٣٤٦ و ١٣٤٨ هـ؛ لأنّ مجلّة السياسة المصريّة - التي ردّ عليها البلاغي - صدرت سنة ١٣٤٤ هـ، وهي مجلّة أسبوعيّة ثقافيّة، شارك في تحريرها عدد من الكتاب المعروفين أمثال علي عبد الرازق، وطه حسين، ومحمود عرفي، وعبد العزيز البشري، ومحمّد حسنين هيكل الذي ترأّس تحريرها^٢.

فيكون العدد ٩٦ منها هو آخر أعداد السنة الثانية من إصدارها أي سنة ١٣٤٥ هـ، وتأريخ طباعة هذه الرسالة «النسمات» في مجلّة العرفان كان سنة ١٣٤٨ هـ. وعلى هذا يكون مكان تأليفها في مدينة النجف الأشرف، بعد عودته إليها واستقراره فيها سنة ١٣٣٨ هـ.

ماهيتها

ألّفها البلاغي ردّاً على مقالة نُشرت في مجلّة السياسة المصريّة، العدد ٩٦، السنة الثانية، بعنوان «المهدي المنتظر نشأته وأطواره في التاريخ»، كتبها الدكتور زكي

١. الموسوعة ج ٦، نسمات الهدى ونفحات المهدي: ٣٦١.

٢. الموسوعة السياسيّة: ٣٢٧.

نجيب محمود (م ١٤١٤هـ)^١، فيها شبهات واقتراءات طعن فيها على عقائد الشيعة الإمامية الاثني عشرية، وأثار فيها عدّة قضايا مكرّرة تقولها عدد من الكتّاب قبله، كالاعتقاد بالإمام المهدي - عجل الله فرجه الشريف - وسرداب الغيبة، وثورة الإمام الحسين عليه السلام، والإمامة عند الشيعة، وعبد الله بن سبأ.

فردّها الشيخ البلاغي عليه السلام بالأدلة والبراهين القويّة، معتمداً في ذلك على ما ورد في أمّهات مصادر أهل السنّة في ما يخصّ الأمور المشتركة؛ لكي تكون الحجّة ألزم وأدعى للقبول، فيما عضد ذلك بما ورد من طرق الشيعة.

ففي ردّه على التشكيك بالمهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - استدلّ بشمانية عشر حديثاً دالاً على وجوده وظهوره، وأنّه من أهل البيت عليهم السلام، وسيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

هذه الأحاديث واردة من طرق أهل السنّة، وأخرجها كبار محدّثيهم في مجاميعهم الحديثيّة المعتمدة كالصالح السنّة، ومسند أحمد بن حنبل، ومصنّف ابن أبي شيبة، ومسند البزّاز، والمعجم الكبير للطبراني، ومسند الشاشي، وكنز العمال، وغيرها. وأمّا ما جاء من طرق الشيعة ومسانيدهم حول المهدي - عجل الله تعالى فرجه - فقد أحاله البلاغي إلى رسالته الأخرى نصائح الهدى، التي أورد فيها مائة وعشرة أحاديث من أمّهات مصادرنا الرئيسيّة المعتمدة.

وأما مسألة نزول المسيح عليه السلام وصلاته خلف المهدي - عجل الله تعالى فرجه - فقد أورد المصنّف أربعة عشر حديثاً دالّة على ذلك من المصادر الرئيسيّة لأهل السنّة.

١. فيلسوف مفكّر، من دعاة التفريب، ولد في إحدى قرى محافظة دمياط بمصر سنة ١٣٢٣هـ، وتوفّي في إحدى مستشفيات القاهرة سنة ١٤١٤هـ. نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن، تولّى رئاسة تحرير مجلة «الفكر المعاصر» منذ إنشائها، وكذا مجلة «الثقافة». ألّف وترجم كتباً عديدة في الفلسفة والثقافة والأدب، أدرج في كتبه ومقالاته أفكاره المعادية للدين والشرع الحنيف، ممّا حدا بالكثيرين للتصدّي له والردّ عليه وتفنيده ادّعاءاته ودحض شبهاته، كالعلامة البلاغي، والشيخ محمّد متولّي الشعراوي، وكمال المليجي. انظر تراثنا ٦٥: ٢٢٤ تقرأ عن تنمّة الأعلام ١: ١٩٢؛ ذيل الأعلام: ٨٨؛ إتمام الأعلام: ١٠٢؛ تكملة معجم المؤلّفين: ١٩٥.

وفي ردّه على التشكيك بالإمامة عند الشيعة، بيّن المؤلف معنى الإمامة عند الشيعة، وأشار لأدلتهم العقلية والنقلية بشكل مختصر، وأحال لمعرفة المزيد من ذلك إلى أمّهات كتبنا العقائدية.

وفي ردّه على التشكيك بثورة الإمام الحسين عليه السلام، تعرّض المؤلف لمنزلة الإمام الحسين عليه السلام من خلال السنّة الواردة في ذلك، ثمّ بيّن أسباب ثورة الإمام الحسين عليه السلام. وأما مسألة سرداب الغيبة التي أثارها الدكتور زكي وغيره والتي فيها من المغالطات التاريخية الواضحة، فقد ردّها العلامة البلاغي برّد علمي متين، بيّن فيه ضعف هذا الإشكال وسخافته.

طبعها

طُبعت هذه الرسالة مرّتين:

الأولى: في مجلّة العرفان اللبنانية، المجلّد الثامن عشر، في الجزئين، ربيع الأول سنة ١٣٤٨هـ، وقد وقّعت بالحرف «ب» إشارةً للقب البلاغي.
الثانية: في مجلّة ترانثا الصادرة في مدينة قم المقدّسة في العدد الخامس والستين سنة ١٤٢٢هـ، بتحقيق صديقنا العزيز السيّد محمد علي الحكيم.

(١٥) نصائح الهدى

ذكرها العلامة البلاغي ضمن آثاره في الصفحة الأولى من تعليقه على بيع المكاسب، وفي ثلاثة من مؤلفاته: البدء^١، ونسمات الهدى^٢، والرحلة المدرسية^٣. وذكرها اللواساني في فهرست مؤلفات البلاغي.
ونسبها له عدد من أعلامنا أصحاب التراجم والسير كالمحدّث الشيخ عباس القمي^٤،

١. الموسوعة ج ٦، مسألة في البدء: ١١.

٢. الموسوعة ج ٦، نسمات الهدى: ١٨.

٣. الموسوعة ج ٥، الرحلة المدرسية: ٢٩٦، ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٣٩.

٤. الكنى والألقاب: ٢: ٥٩.

والسيد محسن الأمين^١، والشيخ جعفر محبوبة^٢، والعلامة الطهراني^٣، والأستاذ علي الخاقاني^٤.

إلا أن العلامة الطهراني ذكرها ثانية في الذريعة بعنوان نوائح الهدى والدين إلى من كان مسلماً وصار بائناً^٥.

تأريخ ومكان تأليفها

انتهى من تأليفها يوم الخميس في شهر شعبان المعظم سنة ١٣٣٩ هـ، كما هو مثبت في آخرها^٦.

وعلى هذا فيكون مكان تأليفها في مدينة النجف الأشرف بعد عودته إليها من الكاظمية سنة ١٣٣٨ هـ.

ماهيته

تعد نوائح الهدى من أفضل ما كتب في الرد على البائنة والبهائية، وبيان ضلالتهم وعقائدهم الباطلة.

ففي مقدمته لها أوضح بأسلوب أدبي رفيع منشأ البائنة وشيئاً يسيراً من عقائدهم وكتبهم، ثم بين في ثلاثة مقالات ما يفترض أن يقوله معتنق البائنة في أسباب اعتقاده بها: الأولى: أني وجدت دين الإسلام - كشرية - باطل الأصل والفرع، لا علاقة له بالله، ولا مساس له بالحق، فعدلتُ إلى دين الحق وشريعة الرشد.

الثانية: أن لدين الإسلام ولقرانه ورسوله جُرثومة^٧ حقيقية وأساس حق،

١. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٢. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٣.

٣. الذريعة ٢٤: ١٧٢؛ نباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٤.

٤. شعراء الفري ٢: ٤٤٠.

٥. الذريعة ٢٤: ١٧٢ / ٨٩٢.

٦. الموسوعة ٦: نوائح الهدى: ٥٤٥.

٧. الجُرثومة: أصل كل شيء ومجتمعه. لسان العرب ٢: ٢٣٢، «ج ر ث م».

ولكنّ دعوة البايّة جاءت لإصلاحه .

الثالثة: أنّ دين الإسلام حقّ وقرآنه حقّ وكلّه من الله، قد أخذ بأطراف الكمال والصلاح، ولكنّ طريقة البايّة وردت عليه وعلى كتابه، كما ورد هو على ما قبله من الأديان والكتب .

ثمّ شرع برّد هذه المقالات ردّاً علمياً دقيقاً، وأورد نصوص عبارات مؤسس البايّة الميرزا علي محمد من كتبه: أحسن القصص، وقيوم السماء، والبيان الدالّة على ادّعائه النيابة ثمّ المهدويّة ثمّ النبوة .

بعدها ذكر عشرة من موانع الاعتقاد بالبايّة والبهائيّة، وضمنّ المانع الثاني أربعة عشر فصلاً في ما روي عن أهل البيت عليهم السلام من روايات وأحاديث، استقاها من مصادر الفريقين . وقد اشتملت هذه الفصول على مائة وعشرة أحاديث، وجاء في الفصول الأخرى عشرات غيرها من الأحاديث، فزاد ما في الرسالة كلّها عن مائة وتسع وأربعين حديثاً .

وخصّص نهاية الرسالة لذكر ثماني شبهات، هي عمدة ما احتجّت بها البايّة والبهائيّة للتمسك بعقيدتهم الباطلة، وأجاب عنها الجواب الشافي .

وقد ضمنّ العلامة البلاغي فصول رسالته مباحث لغويّة وكلاميّة وتاريخيّة، كما ترجم لرؤوس هذه الفرقة الضالّة، وعرض تأريخ حياتهم ونشوء فرقهم .

هذا، علاوة على كلّ خصوصيّات الرسالة وفوائدها، فإنّ فيها ميزة نادرة أخرى وربما فريدة من نوعها، ألا وهي نقله مباشرةً من كتابي الغيبة والرجعة لأبي محمد الفضل بن شاذان بن الخليل الأزدي النيشابوري (م ٢٦٠ هـ)، وهما كتابان يعدّان من الكتب المفقودة التي لا أثر لها اليوم .

طبعها

طبعت هذه الرسالة في مطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٣٣٩ هـ، ولم تحمل اسم مؤلّفها الصريح أو ما تخلّص به من أسماء مستعارة أو رموز، وإنّما حمل اسم ناشره عبد الأمير الحيدري البغدادي .

وطبعت ثانية في مدينة قم المقدّسة سنة ١٤٢٣هـ منشورات دليل ما، بتحقيق صديقنا العزيز السيّد محمّد علي الحكيم.

ترجمتها

ترجمها إلى الفارسيّة سماحة آية الله السيّد علي العلّامة الفاني الإصفهاني (م ١٤٠٩هـ) تحت عنوان نصيحت بفريب خوردگان باب و بهاء، وقد طبّعت هذه الترجمة أوّلاً في إصفهان سنة ١٣٦٩هـ، ثمّ أُعيد طبّعها في مدينة قم المقدّسة سنة ١٤٠٥هـ.

(١٦) الهدى إلى دين المصطفى

عدّه العلّامة البلاغي ضمن مؤلّفاته في الصفحة الأولى من تعليقه على بيع المكاسب، وذكرها اللواساني في فهرست مؤلّفات البلاغي، وأحال إليه المؤلّف في آثاره الأخرى كالرحلة المدرسيّة والتوحيد والتثليث وأنوار الهدى وآلاء الرحمن. ونسبه له أعلامنا أصحاب التراجم والسير كالمحدّث الشيخ عباس القمي^١، والشيخ محمّد حرز الدين^٢، والسيّد محسن الأمين^٣، والشيخ جعفر محبوبه^٤، والعلّامة آقا بزرك الطهراني^٥، والأستاذ علي الخاقاني^٦، وشيخنا السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي^٧. إلّا أنّ يوسف إبان سرّكيس ذكر هذا الكتاب في آخر الجزء الثاني من كتابه معجم المطبوعات ضمن الكتب المجهولة المؤلّف^٨؛ وذلك ناشئ من عدم وضع البلاغي اسمه على الطبعة الأولى له، بل وقّعه باسم «كاتب الهدى النجفي».

١. الكنى والألقاب ٢: ٩٤.

٢. معارف الرجال ١: ١٩٧.

٣. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٤. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٣.

٥. الذريعة ٢٥: ٢٠٢/٢٦٨؛ نباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٤.

٦. شعراء الغري ٢: ٤٤١.

٧. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٨.

٨. معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة ٢: ٢٠٢٤.

تأريخ ومكان تأليفه

ذكر المصنّف في الصفحة الأولى من الكتاب - الطبعة الأولى في صيدا - تأريخ ومكان تأليفه له وهو: «في سامراء سنة ١٣٣٠ هـ».

وهذا الكتاب هو أحد الكتابين اللذين أَلْفهما في سامراء عند هجرته إليها لحضور أبحاث الميرزا محمد تقي الشيرازي. وكتب في أوّله:
إعلان ورجاء تبعث إليه عواطف الصفاء.

بسم الله تبارك اسمه وله الحمد.

أرجو من كلّ من له اعتراض أو إفادة أو سؤال يتعلّق بهذا الكتاب أو غيره في أمر الدين وحقيقة الإسلام أن يتحفني به مكاتبة؛ لأقدّم بعون الله لحضرته ما لديّ من الجواب مقروناً بالاحترام والتشكر، وما توفّقي إلا بالله.

الأقلّ كاتب الهدى النجفي

ولتكن المكاتبة باللغة العربية مشتملة على التعريف ببلد المكاتب ومحلّه، وطريق إيصال الجواب إليه. عنوان المراسلة إلى طرفنا: العراق، سامراء، مدرسة حجة الإسلام وقدة الأنام الميرزا رحمته.

كاتب الهدى النجفي

ماهيتّه

أحد آثار العلامة البلاغي، الذي ردّ به على النصارى، ودافع فيه عن كرامة القرآن الكريم من الشبهات والافتراءات التي أثارها بعض علمائهم، أمثال جرجيس سايل وهاشم العربي ومؤلف - أو مؤلّفو - كتاب الهداية، وقد أوضح المصنّف في مقدّمته ماهيتّه وطريقته في تأليفه إذ قال:

فإنّي وقفتُ على كتاب عربي أُرّخ طبعه بسنة ألف وثمانمائة وإحدى وتسعين ميلاديّة، لم تذكر - كما هو المعتاد - مطبعته ولا محلّها ولا صاحبها، عنوانه أنّه تعريب هاشم العربي - نزيل بلاد الإفرنج حالياً - عن اللغة الإنكليزيّة لمقالة في الإسلام لرجل ترجمه المعرّب بأنّه جرجيس سايل الإنكليزي مولداً ومنشأً، المولود في أواخر القرن السابع عشر، وقد ألحق المعرّب هذه المقالة بتذييل

مستقل في آخرها وتذييلات متفرقات في أثنائها.

ثم وقفت على كتاب آخر استُعير له اسم الهداية قد تكلف فيه الردّ على كتابي إظهار الحقّ والسيف الحميدي، فوجدت الكتابين الأولين على طريقة ينكرها شرع التحقيق في البحث والأدب والكلام والأمانة في البيان، ولا يرتضيها خدام المعارف المحافظون على فضلهم ورواج بضاعتهم، المتحدّرون من وبال الانتقاد ووصمة ظهور الزيف والزيغ.

وقد أحببت أن أُشير إلى بعض ما فيهما ممّا حاد عن الأمانة أو تاه في الغفلة؛ خدمةً منّي للمعارف وإحفاً للحقّ وانتقاداً للزيف؛ ليشني من يُريد الكتابة من جماع تعصّبه، ويأخذ في مزاول الأقدام وعثرات الأقلام بيد قلمه.

وقد آثرتُ أن أجعل ذلك في خلال ما هو الأمل بنا، بل الواجب علينا من الإرشاد إلى سبيل الهدى ودين الحقّ وخالص الإيمان وحقيقة العرفان، دين الإسلام المتكفّل بأعدل النظام وأحسن التمدّن وأكمل التهذيب لعامة البشر، وقرّبهم من الله وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

أهميته

لهذا الكتاب أهمية كبيرة بين الكتب والمصنّفات التي ردّت شبهات النصارى، لذلك يعتمد عليه علماءنا وتحكي عنه جلّ الكتب الكلاميّة التي أُلّفت بعده، ويحيل إليه المصنّف في آثاره الأخرى التي أُلّفها بعده كالرحلة المدرسيّة والتوحيد والتثليث وأنوار الهدى وآلاء الرحمن في تفسير القرآن.

وحكى عنه كثيراً تلميذه سماحة آية الله العظمى السيّد أبو القاسم الخوئي في تفسيره البيان^١.

وعن أهمية هذا الكتاب ومكانته في الغرب يقول الأستاذ توفيق الفكيكي:

وبهذه المناسبة أقول هنا ما حدّثني به صديقي الثقة الأستاذ الجليل العلامة الكبير السيّد محمّد تقي الحكيم عن أثر الهدى وبركته، فقال:

كنت قد حضرت قبل عدة سنين - ومعى المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر، والأستاذ الأديب الكبير الشيخ محمد علي يعقوبي، والشيخ محمد كاظم الشيخ صادق الكتبي صاحب المكتبة والمطبعة الحيدرية في النجف الأشرف - حفلة عظيمة في الهند، وعرضت فيها أكداس من الكتب، وكان كتاب الهدى من جملة تلك الكتب، وشاهدت أحد موظفي السلك الدبلوماسي من لبنان يتجول بين الكتب، فلفت نظره كتاب الهدى، فأخذه وقبله ووضع على رأسه متبركاً به، وقد سألناه عن علّة ذلك فقال:

كنت أحد طلاب المدارس الفرنسية في لبنان، وقد لاحظتُ وسمعتُ من أساتذة تلك المدارس هجوماً متواصلاً على انتقاد الدين الإسلامي وتسخيفه والحط من شأنه مجاهرةً أمام الطلاب، وإنه بطريق المصادفة اشتري كتاب الهدى إلى دين المصطفى فقرأه وأدمن في قرائته، فكان لهذا الكتاب أثره البالغ في بقاءه على إسلامه وتقوية عقيدته والمنافحة عنها أمام المشعوذين والدجالين من مناوئي الإسلام ومنتقديه جهلاً وظلماً وبالزور والبهتان^٢.

طبعاته

طبع هذا الكتاب ثلاث مرّات:

الأولى: في مطبعة العرفان في صيدا سنتي ١٣٣٠ و ١٣٣١ هـ.

الثانية: في المطبعة الحيدرية في مدينة النجف الأشرف سنة ١٣٨٥ هـ بتقديم الأستاذ توفيق الفكيكي المحامي.

الثالثة: في مؤسسة الأعلمي في بيروت سنة ١٤٠٥ هـ.

ترجمته

ترجمه إلى الفارسية وعلّق عليه السيّد أحمد الصفائي، ونشرته مؤسسة «آفاق»

في إيران سنة ١٣٦٢ هـ.

١. في أثناء كتابتي لحياة العلامة البلاغي توفي الحاج محمد كاظم الكتبي في يوم الجمعة السابع من شهر جمادى الآخرة سنة ١٤٢٣ هـ ودفن في مقبرة البقيع في قم المقدّسة.

٢. مقدّمة الهدى إلى دين المصطفى ١: ٢٨ - ٢٩.

المؤلفات غير المطبوعة

(١) أجوبة المسائل البغدادية

عبارة عن أجوبة لعدة مسائل في أصول الدين وردت عليه من بغداد. ذكرها البلاغي ضمن مؤلفاته في الصفحة الأولى من تعليقه على بيع المكاسب، وذكرها اللواساني في فهرست مؤلفاته.

ونسبها له أيضاً عدد من أعلامنا كالمحدث الشيخ عباس القمي^١، والسيد محسن الأمين^٢، والشيخ جعفر محبوبه^٣، والأستاذ علي الخاقاني^٤، وشيخنا السيد المرعشي النجفي^٥. والعلامة الطهراني في ذريته^٦.

(٢) أجوبة المسائل التبريزية

عبارة عن أجوبة لعدة مسائل في الطلاق وتعدد الزوجات والحجاب، وردت عليه من تبريز.

ونسبها للبلاغي الشيخ جعفر محبوبه^٧، وشيخنا السيد المرعشي النجفي^٨، والعلامة الشيخ محمد علي الأوردبادي^٩. والعلامة الطهراني^{١٠}.

١. الكنى والألقاب ٢: ٩٥.

٢. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٣. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٣.

٤. شعراء الفري ٢: ٤٤١.

٥. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٩.

٦. الذريعة ٥: ٢١٦.

٧. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٤.

٨. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٩.

٩. وقايع الأيَّام (رمضان المبارك) للخياباني: ٦٧٢.

١٠. الذريعة ٥: ٢١٧.

(٣) أجوبة المسائل الحلّية

نسبها إليه الشيخ جعفر محبوبة، والعلامة الطهراني، والشيخ محمد علي الأوردبادي^١. ولم نقف على ماهية هذه المسائل التي وردت عليه من مدينة الحلة في العراق. (٤) الاحتجاج لكلّ ما انفردت به الإمامية من أحاديث أهل السنة في أبواب الفقه ...

ذكره العلامة البلاغي ضمن مؤلفاته في الصفحة الأولى من تعليقه على بيع المكاسب قائلاً:

كتاب في الاحتجاج لكلّ ما انفردت به الإمامية من أحاديث أهل السنة في أبواب الفقه من المسند والصحاح الستّ، برز إلى البياض إلى أواخر كتاب الصلاة. وذكره اللواساني في فهرست مؤلفات البلاغي قائلاً:

كتاب في ذكر ما يدلّ على مذهب الإمامية في الأحكام الشرعية زيادة على أدلّتهم القيمة، وذلك ممّا جاء في أحاديث أهل السنة، كتب منه مباحث الطهارة وكثير من مباحث الصلاة.

وذكره السيّد محسن الأمين قائلاً:

كتاب في أنّ غالب ما انفردت به الإمامية يمكن إقامة الدليل عليه من أحاديث مخالفيهم، برز منه الطهارة والصلاة^٢.

ونسبه للبلاغي - بعبارات مشابهة لما في الأعيان - عدد من أصحاب التراجم والسير^٣.

(٥) رسالة في الأوامر

رسالة صغيرة في أصول الفقه.

ذكرها البلاغي ضمن مؤلفاته في الصفحة الأولى من تعليقه على بيع المكاسب، وذكرها اللواساني في فهرست مؤلفات البلاغي.

١. راجع: ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٣ - ٦٤: الذريعة ٥: ٢١٩؛ وقابح الأيام (رمضان المبارك) للخياباني: ٦٧٢.

٢. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٣. انظر: ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٤؛ الذريعة ١١: ٣٤ / ٢٠١؛ شعراء الغري ٢: ٤٤١.

ونسبه له أيضاً عدد من أعلامنا أصحاب التراجم والسير^١.

٦ رسالة في إبطال العول والتعصيب

رسالة صغيرة في الردّ على آراء أبناء العامة في العول والتعصيب في الإرث.

ذكرها البلاغي ضمن مؤلفاته في الصفحة الأولى من تعليقه على بيع المكاسب.

وذكرها اللواساني في فهرست مؤلفات البلاغي.

ونسبها له أيضاً السيّد محسن الأمين قائلاً: «وهي أوّل ما ألفه»^٢. والعلامة

الطهراني قائلاً: «رسالة في العول والتعصيب»^٣.

وسمّاها الشيخ جعفر محبوبه بـ«إبطال العول والتعصيب»^٤.

٧ تعليقة على الشفعة من كتاب جواهر الكلام للشيخ محمّد حسن النجفي (م ١٢٦٦هـ).

ذكرها اللواساني في فهرست مؤلفات البلاغي.

وسمّاها السيّد محسن الأمين بـ«حاشية على شفعة الجواهر»^٥.

ونسبها له أيضاً بالاسم الذي أثبتناه عدد من أصحاب التراجم والسير^٦.

٨ تعليقة على العروة الوثقى

ذكرها البلاغي ضمن مؤلفاته في الصفحة الأولى من تعليقه على بيع المكاسب.

وذكرها اللواساني في فهرست مؤلفات البلاغي قائلاً: «تعليقة بحثية علمية على الجزء

الأوّل من العروة الوثقى».

وسمّاها السيّد محسن الأمين بـ«الحاشية»^٧.

١. انظر: أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦؛ ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٤؛ وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤٢٠.

٢. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٥.

٣. الذريعة ١١: ١٣٠.

٤. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٤.

٥. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٦. انظر: ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٤؛ شعراء الغري ٢: ٤٤١.

٧. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

ونسبها له أيضاً بالاسم الذي أثبتناه عدد من الذين ترجموا للعلامة البلاغي^١. وتعتبر هذه التعليقة من الأساليب الجديدة والمبتكرة في التأليف عند العلامة البلاغي، إذ أنه كتبها بأسلوب جديد يختلف عن بقية الحواشي المكتوبة آنذاك، فأثبت خلاصة الاستدلالات على مطالب العروة الوثقى، وقد أوضح منهجه المبتكر بقوله: وبهذه الطريقة الجديدة التي أتبعناها في هذه الحاشية فإننا نبين للقراء أدلة الفتاوى، وفي نفس الوقت نبتعد عن كتابة دورة فقهية كاملة ومفصلة، الذي يعتبر تكرار مكررات يضع فيه العمر^٢.

٩) رسالة في التقليد

رسالة صغيرة بحث فيها البلاغي موضوع التقليد من كافة جوانبه، إلا أنه لم يوفق لإكمالها.

ذكرها المصنف رحمته ضمن مؤلفاته في الصفحة الأولى من تعليقه على بيع المكاسب، وذكرها اللواساني في فهرست مؤلفات العلامة البلاغي، ونسبه إليه عدد من المؤلفين^٣.

١٠) رسالة في الخيارات

رسالة صغيرة بين فيها شيئاً يسيراً من الخيارات، ولم يوفق لإكمالها. عدّها البلاغي ضمن آثاره في الصفحة الأولى من تعليقه على بيع المكاسب، وذكرها اللواساني في فهرست مؤلفات البلاغي. ونسبها له أيضاً السيد محسن الأمين^٤.

١١) داعي الإسلام وداعي النصارى

أحد آثار العلامة البلاغي في الردّ على النصارى، والتي لم يوفق لإكمالها. ذكره اللواساني في فهرست مؤلفات البلاغي، ونسبه إليه عدد من أعلامنا^٥.

١. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٤؛ شعراء الغري ٢: ٤٤١.

٢. مقدّمة رسالة «حرمة حلق اللحية» للشيخ الأستادي.

٣. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦؛ شعراء الغري ٢: ٤٤١؛ وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤٢٠.

٤. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٥. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦؛ الذريعة ٢٥: ٢٥٢ / ٢٦٨؛ نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١:

٣٢٥؛ شعراء الغري ٢: ٤٤١؛ وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٩.

وحكى الأستاذ علي الخاقاني عن الشيخ جعفر النقدي في كتابه الروض النضير أنه أُلّفه في سامراء^١، أي في المرحلة الرابعة من حياته التي سكن فيها سامراء لحضور أبحاث الميرزا الشيخ محمد تقي الشيرازي (م ١٣٣٨ هـ) ابتداءً من سنة ١٣٢٦ إلى ١٣٣٦ هـ.

(١٢) الردّ على جرجيس ساييل وهاشم العربي

أحد آثاره في الردّ على النصارى أيضاً، والتي لم يوفق لإكمالها. ذكره اللواساني في فهرست مؤلفات البلاغي، ونسبه إليه عدد من أصحاب التراجم والسير^٢.

وحكى أيضاً الأستاذ علي الخاقاني عن الشيخ جعفر النقدي في كتابه الروض النضير أنه أُلّفه في سامراء^٣، أي في المرحلة الرابعة من حياته التي سكن فيها سامراء لمدة عشر سنوات من سنة ١٣٢٦ إلى ١٣٣٦ هـ.

(١٣) الردّ على كتاب «تعليم العلماء»

أحد ردود البلاغي على الملل والنحل والنزعات العقائدية المنحرفة. ذكره اللواساني في فهرست مؤلفات البلاغي، ونسبه إليه عدد من المؤلفين^٤.

(١٤) الردّ على الدهريّة

رسالة صغيرة في ردّ الفرقة الضالّة الدهريّة، نسبها إلى البلاغي السيّد محسن الأمين قائلاً: «إنّها مطبوعة»^٥.

ونسبها إليه العلامة آقا بزرگ الطهراني بعنوان «الردّ على الطبيعيين»^٦.

١. شعراء الغري ٢: ٤٣٧.

٢. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦؛ شعراء الغري ٢: ٤٤١؛ وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤٢٠.

٣. شعراء الغري ٢: ٤٣٧.

٤. أعيان الشيعة ٤: ٢٦٢؛ ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٤؛ شعراء الغري ٢: ٤٤١؛ وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٩.

٥. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٦. الذريعة ١٠: ٢١٠.

(١٥) الردّ على كتاب «ينابيع الإسلام»

أحد آثار العلامة البلاغي في الردّ على النصارى .

ذكره اللواساني في فهرست مؤلفات البلاغي .

ونسبه إليه عدد من أصحاب التراجم والسير باسم: الردّ على كتاب ينابيع الكلام^١.

(١٦) رسالة في الرضاع

رسالة فتوائية في مسائل الرضاع على مذهب الإمامية والمذاهب الأربعة لأهل السنة .

ذكرها البلاغي ضمن مؤلفاته في الصفحة الأولى من تعليقه على بيع المكاسب

وذكرها اللواساني في فهرست مؤلفات البلاغي ، والعلامة الشيخ آقابزرگ الطهراني^٢ .

ونسبها له أيضاً السيد محسن الأمين^٣ ، وشيخنا المرعشي النجفي^٤ .

وتعتبر هذه الرسالة من الأساليب المبتكرة في التأليف عند العلامة البلاغي آنذاك ،

إذ كان الهدف منها هو طرح الفقه الشيعي في أوساط أهل السنة .

(١٧) الشهاب

في الردّ على كتاب حياة المسيح لبعض القاديانية .

ذكره اللواساني في فهرست مؤلفات البلاغي ، ونسبه إليه بعض مؤلفينا^٥ .

(١٨) صلاة الجمعة لمن يسافر بعد الزوال

ذكرها العلامة البلاغي ضمن مؤلفاته في الصفحة الأولى من تعليقه على بيع

المكاسب . وذكرها اللواساني في فهرست مؤلفات البلاغي ، ونسبه إليه بعض أعلامنا^٦ .

١. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦، ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٤، الذريعة ٢٥: ٢٠٢/٢٦٨، شعراء الغري ٢: ٤٤١.

٢. الذريعة ١١: ١٩٠.

٣. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٤. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤٢٠.

٥. أعيان الشيعة ٤: ٢٦٢، نباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٥، شعراء الغري ٢:

٤٤١، وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٩.

٦. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦، الذريعة ١٥: ٦٩، ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٤، شعراء الغري ٢: ٤٤١.

(١٩) عدم تزويج أم كلثوم

رسالة صغيرة نفى فيها العلامة البلاغي بالأدلة القاطعة تزويج أم كلثوم من عمر بن الخطاب .

نسبها له السيد محسن الأمين^١، والعلامة آقا بزرك الطهراني^٢، وشيخنا السيد المرعشي النجفي^٣.

(٢٠) المسيح والأنجيل

إحدى رسائله في الردّ على النصارى . نسبتها للعلامة البلاغي العلامة الطهراني وقال: «طبع في مجلة الهدى سنة ١٣٤٨هـ»^٤.

(٢١) المصاييح = مصاييح الهدى

رسالة في إبطال مذهب غلام أحمد القادياني اللاهوري والردّ على أتباعه، طبع قسم منها. ذكرها اللواساني في فهرست مؤلفات العلامة البلاغي .

ونسبها له عدد من أعلامنا كالمحدّث الشيخ عباس القمي^٥، والسيد محسن الأمين^٦، والعلامة آقا بزرك الطهراني^٧، والأستاذ علي الخاقاني^٨.

(٢٢) نور الهدى

رسالة صغيرة في حلّ بعض الشبهات التي وردت على العلامة البلاغي من لبنان. نسبها للعلامة البلاغي السيد محسن الأمين^٩، والعلامة آقا بزرك الطهراني

١. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٢. الذريعة ٤: ١٧٢؛ نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٥.

٣. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ. راجع ص ٤٢٠.

٤. الذريعة ٢١: ٣٠.

٥. الكنى والألقاب ٢: ٩٥.

٦. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٧. الذريعة ٢١: ٧٩ و٩٣؛ نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٥.

٨. شعراء الفري ٢: ٤٤١.

٩. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

في ذريعته، وقال: طبعت في النجف في ٢٠ ص^١.

(٢٣) وضوء الإمامية وصلاتهم وصومهم

رسالة مختصرة في أن وضوء الإمامية وصلاتهم وصومهم هي بحسب أدلة الإسلام تكون على الوجه الأحوط والأقرب إلى اليقين بالبراءة من سائر أقوال المسلمين. ذكرها اللواساني في فهرست مؤلفات البلاغي، ونسبها إليه بعض أصحاب التراجم والسير^٢.

علماً بأن المصنّف كتب هذه الرسالة باللغة العربية، وطبعت ترجمتها إلى اللغة الإنكليزية، أما الأصل العربي فلم يُطبع.

ونسب إليه رسالتان ولم يثبت لنا، لأنهما لم تذكرتا في الفهارس من قبل.

(١) داروين وأصحابه

نسبت هذه الرسالة للعلامة البلاغي في المقدمة التي كتبها مؤسسة البعثة لكتاب آلاء الرحمن عند تحقيقها لهذا الكتاب وطبعه في قم المقدّسة سنة ١٤٢٠ هـ، وقد ذكرته في قسم الرسائل والكتب التي ألفها البلاغي في الردّ على الملل والنحل والنزعات العقائدية المنحرفة، وقالت: إنه مطبوع^٣.

إلا أننا لم نعر على نسخة منه رغم التتبع الكثير الذي قمنا به.

(٢) عمانوئيل

نسبتها للعلامة البلاغي أيضاً مؤسسة البعثة في مقدمتها لكتاب آلاء الرحمن في تفسير القرآن؛ إذ ذكرته في قسم الرسائل والكتب التي ألفها البلاغي في الردّ على الملل والنحل والنزعات العقائدية المنحرفة^٤.

١. الذريعة ٢٤: ٣٨٦ / ٣٠٧٥.

٢. أعيان الشيعة ٤: ٢٦١؛ ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٣؛ نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٥؛ شعراء الغري ٢: ٤٤١؛ وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٩.

٣ و٤. آلاء الرحمن «المقدمة» ١: ١٨ و ١٩.

ملاحظة

عند ذكرنا للمؤلفات المطبوعة للعلامة البلاغي، ذكرنا منها العقود المفصلة، وقلنا: إن المطبوع منها خمسة عقود فقط، أما التسعة الباقية فلم تُطبع لحد الآن، وهي:

- (١) عقد في ذبائح أهل الكتاب.
- (٢) عقد في ضبط الكز، ويسمى «في المتمم كزاً».
- (٣) عقد في ماء الغسالة.
- (٤) عقد في حرمة مس القرآن على المحدث.
- (٥) عقد في إقرار المريض.
- (٦) عقد في منجزات المريض.
- (٧) عقد في مواقيت الإحرام.
- (٨) عقد في القبلة.
- (٩) عقد في الرضاع^١.

١. ذكرها كلها العلامة البلاغي في فهرست مؤلفاته في التعليقة على بيع المكاسب إلا العقد الثامن في القبلة.

مراسلاته

للعلامة البلاغي مجموعة كبيرة من المراسلات الإخوانية والعلمية، فقد كانت ترد عليه رسائل كثيرة، خصوصاً فيما يتعلّق بالمسائل العلمية والعقائدية، إذ أنّه كان يرى أنّ واجبه الدينيّ يحتمّ عليه الإجابة عنها ورفع الشبهات الموجودة عند المرسلين لها، حتّى أنّه عند طبعه لكتابه الهدى إلى دين المصطفى في صيدا سنة ١٣٣٠ هـ كتب في أوّل عبارة لطيفة يطلب فيها من القراء مراسلته وعرض أسئلتهم والشبهات التي لديهم عليه؛ لكي يجيب عليها، فقال:

بسم الله تبارك اسمه وله الحمد

أرجو من كلّ من له اعتراض أو إفادة أو سؤال يتعلّق بهذا الكتاب أو غيره في أمر الدين وحقيقة الإسلام أن يتحفني به مكاتبة؛ لأقدم بعون الله لحضرتة ما لديّ من الجواب مقروناً بالاحترام والتشكّر، وما توفيقى إلا بالله.

الأقلّ كاتب الهدى

ولتكن المكاتبة باللغة العربية مشتملة على التعريف ببلد المكاتب ومحلّه وطريق إيصال الجواب إليه.

عنوان المراسلة إلى طرفنا: العراق، سامراء، مدرسة حجّة الإسلام وقدوة الأنام الميرزا رحمته الله.

كاتب الهدى النجفي

علماً بأنّ مجموعة من مؤلفات العلامة البلاغي كتبها ردّاً على رسائل وردت عليه من أماكن مختلفة من العالم الإسلامي، منها:

(١) أنوار الهدى، ردّ فيها على رسالة جاءته من سوريا فيها شبهات للطبيعيّين والمادّيين.

- (٢) البدء، ردّ فيها على استفسار ورد إليه عن هذا الموضوع.
- (٣) التوحيد والتثليث، ردّ فيها على رسالة وردت إليه من ضواحي سوريا، يعترض فيها المرسل على مسألة التوحيد.
- (٤) أجوبة المسائل البغدادية.
- (٥) أجوبة المسائل التبريزية.
- (٦) أجوبة المسائل الحلبيّة.
- وخلال كتابتي لهذا البحث ومطالعتي لكثير من المصادر المتوفّرة لدينا، حاولتُ الوقوف على النصوص الكاملة لهذه الرسائل، إلّا أنّي لم أوفقُ إلّا للعثور على خمس رسائل فقط:

الأولى: مراسلة علميّة جرت بينه وبين العلامة السيّد محسن الأمين في جمادى الآخرة سنة ١٣٤١ هـ حول ما كتبه الأمين في مناسك الحجّ، وقد طبّعت هذه المراسلة كاملة في أعيان الشيعة^١.

الثانية: مراسلة تاريخيّة، أثبت فيها العلامة البلاغي مشاهداته للمواكب والشعائر الحسينيّة التي كانت تقام في مدينة سامراء أثناء استقراره فيها لمُدّة عشر سنوات من ١٣٢٦ إلى ١٣٣٦ هـ، وقد كتبها جواباً لرسالة وصلت إليه من الشيخ إبراهيم المظفر عند ما أراد سنة ١٣٤٥ هـ تأليف رسالة في الردّ على آراء السيّد مهدي البصري (م ١٣٥٨ هـ) التي عارض فيها بعض الشعائر الحسينيّة التي كانت تقام آنذاك في مدينة البصرة في العراق، وأورد الشيخ إبراهيم المظفر النصّ الكامل لها في رسالته نصرّة المظلوم^٢.

الثالثة: مراسلة علميّة كتبها البلاغي جواباً على رسالة بعثها له الحاجّ عباس قلي الواعظ الجرندي سنة ١٣٤٧ هـ يستفسر فيها عن عدّة مسائل علميّة، وقد طبّعت هذه الرسالة في مجلّة العرفان^٣.

١. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٨-٢٦١.

٢. نصرّة المظلوم: ٤٧.

٣. العرفان، المجلّد ٣٥، الجزء ٨، سنة ١٣٦٧.

الرابعة: مراسلة تاريخية جرت بينه وبين السيد محسن الأمين، إذ بعث الأخير له رسالة في السادس والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١٣٥١ هـ يسأله فيها عن أحوال والد العلامة البلاغي الشيخ حسن وعن الشيخ طالب ابن الشيخ عباس البلاغي، فأجابهُ المترجم عن أسئلته بهذه الرسالة في الثامن والعشرين من شهر محرم سنة ١٣٥٢ هـ وقد طبعت هذه الرسالة في أعيان الشيعة^١.

الخامسة: رسالة مختصرة بعثها العلامة البلاغي قبل وفاته بثلاثة عشر يوماً إلى السيد محسن الأمين، تعرّض فيها لتفسيره آلاء الرحمن، وقد طبعت في أعيان الشيعة^٢ أيضاً.

وللوقوف على نصوص هذه الرسائل يراجع الجزء الثامن من الموسوعة، مراسلاته.

شعره

كان العلامة البلاغي رحمه الله - مع عظيم مكانته في العلم وتفقهه في الدين - أديباً كبيراً مقدّماً، وشاعراً مبدعاً، فحَمَّ العبارة، من فحول الشعراء، له نظم رائع سلس متين، تزخر أشعاره بالعواطف الوجدانية والمشاعر الإنسانية والتأملات الروحية.

وقد أكّد معاصروه ورفاقه وتلامذته على شاعريّته:

قال السيّد محسن الأمين: «له شعر كثير جيّد، وهو في مواضع مختلفة»^١.

وقال المؤرّخ الشيخ جعفر محبوبه: «وهو مع تبحّره في العلوم الروحية ذو سهم

وافر من النظم، فهو شاعر محسن مجيد»^٢.

وقال الأستاذ توفيق الفكيكي:

كان - رضوان الله عليه - من فحول الشعراء وإن اشتهر بمؤلّفاته العلميّة والفلسفيّة، غير أنّ الفضلاء من كبار الأدباء والشعراء يقرّون له بمكانته الأدبيّة وشاعريّته المطبوعة، فهو شاعر محسن مجيد.

ولم يكن رحمه الله بالشاعر الفصاح^٣، ولم يكن من الفقهاء المتزمتين الذين يتنكّرون للشعر ونظمه ويرونه مزرياً بالعلماء، بل كان كثير الاحترام للشعراء المناضلين في سبيل الفضيلة الأخلاقية ونصرة المثل الإسلامية المثلى، ووسيلة إذاعة فضائل أئمة أهل البيت عليهم السلام والإشادة بمحاسنهم.

بيد أنّه بالرغم من سلاسة شعره، وإشراق ديباجته، ورسانة تركيبه، وفصاحة

١. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٦.

٢. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٢.

٣. الشاعر الفصاح: الذي يتكسّب بشعره.

ألفاظه، ولطافة معانيه، وحلاوة أسلوبه، فإنه لا يزاحم من حيث القوة الشعرية المبدعة التي امتازت بها الطبقة الأولى من فحول شعراء عصره كالسيد إبراهيم الطباطبائي، والسيد موسى الطالقاني، والسيد المجاهد الكبير والشاعر الشهير السيد محمد سعيد الحنوي، والشاعر الرقيق السيد جعفر الحلّي، وشاعر الرثاء والحماسة المخترع السيد حيدر الحلّي^١.

وقال العلامة آقا بزرگ الطهراني:

وكان -بالإضافة إلى عظيم مكانته في العلم وتفقهه في الدين - أديباً كبيراً، وشاعراً مبدعاً، له نظم رائع سلس متين، أكثره في مدح أهل البيت عليهم السلام وراثتهم^٢.
وقال الأستاذ علي الخاقاني: «شاعر مجيد».

وحكى عن الشيخ علي كاشف الغطاء في الحصون المنيعه ٩: ١٨٦ قوله في البلاغي: «أديب شاعر... وله شعر حسن الانسجام».

وحكى عن الشيخ جعفر النقدي في الروض النضير: ٣٠٤ قوله فيه: «وله في الأدب اليد غير القصيرة، وشعره جيد حسن»^٣.

وقال شيخنا آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي:

سمحت قريحته الوقادة بعدة منظومات فائقة وقصائد رائعة مذكورة في المجاميع^٤.

ويصف الشاعر صالح الجعفري (م ١٣٩٧ هـ) قصائد العلامة البلاغي بالأوابد^٥ بقوله:
هَذَا أَوَابِدُكَ الْغَرَاءُ خَالِدَةٌ مَا طَاقَ كِشْرِي وَمَا حَسْرَاءُ مَا الْهَرَمُ^٦
وفي أثناء دراستي لحياة العلامة البلاغي ومراجعتي للكثير من المصادر المتوفرة

١. مقدّمه الهدى إلى دين المصطفى: ١٦-١٧.

٢. نباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٥.

٣. انظر شعراء الغري ٢: ٤٤٢.

٤. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤٢١.

٥. الأوابد: القصائد الخالدة. الصحاح ٢: ٤٣٩، «أب د».

٦. ديوان الجعفري: ٢٩١.

لدينا، حاولت قدر الإمكان الوقوف على أكبر عدد ممكن من قصائده ومقطوعاته الشعرية، إلا أنني لم أوفق إلا في العثور على أربع عشرة قصيدة من شعره الذي نظمه في مناسبات مختلفة، ولعلّ السبب الرئيسي في ضياع شعر البلاغي هو عدم اهتمامه بجمعه وإظهاره، إذ كان   متواضعاً إلى درجة كبيرة وصلت إلى حدّ نكران الذات.

والأبواب التي طرقها البلاغي في شعره مختلفة، فأكثره كان في مدح أهل البيت   وراثتهم، وهو غرضٌ يسمو على أغلب الأغراض الشعرية المعروفة عند الشعراء، وقد سجّل البلاغي تقدماً ملموساً في هذا المضمار.

وباقى شعره في تهنئة خليل، أو رثاء عالم جليل، أو في حالة الحنين إلى الأخلاء يحتمه عليه واجب الوفاء، أو في الدفاع عن رأي علمي، أو شرح عقيدة، أو فكرة فلسفية بطريقة المعارضة الشعرية.

فله قصيدتان في ذكر المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف -.

وقصيدة فلسفية جارى بها عينية ابن سينا.

وقصيدة في رثاء الإمام الحسين  ، وأخرى من بحر الرمل تصلح لأهل اللطم في عاشوراء، وثالثة في رثاء السيد محمد سعيد الحنوبي.

وقصيدة قرّظ فيها كتاب العتب الجميل للسيد محمد بن عقيل.

وله قصائد عديدة إخوانية: منها رسالة بعثها من سامراء إلى بعض إخوانه، ومنها في تهنئة بمولود، ومنها رسالة إلى السيد محسن الأمين بعثها إليه وهو في الشام، ومنها جواب لابن عمّه الشيخ توفيق في لبنان.

وللوقوف على بدايع أدبه وعيون شعره يراجع الجزء الثامن من الموسوعة.

الفصل السادس مدحه وإطراؤه

مدح العلامة البلاغي وأطراه كلّ من ذكره وترجم حياته المباركة، خصوصاً زملاؤه ورفاقه في الدرس وتلامذته الذين عاشوا معه رداً من الزمن ونقلوا لنا ما كانوا يشاهدونه من أخلاقه العالية وتواضعه المنقطع النظير وسموّ نفسه المباركة.

ونحن نورد هنا نصوص تلك العبارات مرتبةً حسب أسماء قائلها؛ لكي نقف على جوانب من عظمة هذا العالم الجليل. علماً بأنّ بعض هذه العبارات قالها عنه المادحون حينما كان مقيماً في سامراء من سنة ١٣٢٦ إلى ١٣٣٦ هـ، أي قبل أن يصل إلى المرتبة العالية من الكمال وقبل إصدار مؤلفاته المهمة:

١ - سماحة آية الله السيّد أبو القاسم الخوئي قال في عدّة موارد من تفسيره البيان: «آية الله الحجّة وبطل العلم المجاهد وشيخنا»^١.

٢ - العلامة الخبير المتتبع آقا بزرگ الطهراني، قال: كان أحد مفاخر العصر علماً وعملاً... وكان من أولئك الأفضال النادرين الذين أوقفوا حياتهم وكرّسوا أوقاتهم لخدمة الدين والحقيقة، وقد وقف قبال النصارى وأمام تيار الغرب الجارف، فتمثّل لهم سموّ الإسلام على جميع الملل والأديان، حتّى أصبح له الشأن العظيم والمكانة المرموقة بين علماء النصارى وفضلاتها. وقد كان من خلوص النية وإخلاص العمل بمكان حتّى أنّه كان لا يرضى أن

يوضع اسمه على تأليفه عند طبعها، وكان يقول: إنِّي لا أقصد إلا الدفاع عن الحق، لا فرق عندي بين أن يكون باسمي أو اسم غيري.
ومع كل ذلك أصبح ناراً على علم وبلغت شهرته أقاصي البلاد؛ وذلك لما عالجه من المعضلات العلمية والمناقشات الدينية التي أُقيم لها الوزن الراجح في عواصم أوروبا، وقد اتّصل به أعلام «لورندرة» وغيرها، وكانوا يفرغون إليه في المسائل العويصة، ومن المستفيدين منه المستر شردراك، فإنّه كان يقول على المترجم في المشاكل^١.

٣- الكاتب المعروف المحامي الأستاذ توفيق الفكيكي، قال:

أما في ديار الرافدين فقد انفرد بالكفاح والنضال فقيد الشرق الإمام الحجّة نصير الإسلام الشيخ محمّد الجواد البلاغي، فجرّد قلمه البليغ - وهو أقطع بحجّته من الحسام - في وجوه الملحدّين والمبشّرين المستشرقين في الشرق والغرب. وقد تضمّنت مؤلّفاته الكثيرة القيّمة جهاده الطويل المبارك في الذبّ عن حقائق الإسلام، وفي مقدّماتها كتابه الهدى إلى دين المصطفى، والرحلة المدرسيّة، وأنوار الهدى، ونصائح الهدى وغيرها.

وهو غصن كريم من الدوحة البلاغيّة الباسقة في سماء الفضل والشرف، وعلم أعلامها، وشهاب فضلائها وأبدالها، بل كوكب درارها الناقبة الساطعة في دياجير الأزمات الشديدة الحلّكات، وظلمات المعضلات المدلهمات.

فأسرته من أعرق الأسر العراقيّة، وقبيلته «ربيعة» خير القبائل العربيّة في جاهليّتها وإسلامها، وبيته من أرفع بيوت العلم والدين والأدب. فهو عربيّ أصيل، وفي الذوّابة من تغلب الغلباء، نزاريّ العمومة، هاشميّ الخوّولة، خالص المعدن في نسبه وحسبه.

فنشأ في حجر الفضيلة، وترعرع وفطم على حبّ المكارم والشناشن العربيّة الأصيلة، وتربّى على أسس التربية الإسلاميّة الرفيعة، وقد التزم بمحاسنها ومثلها

١. نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٣.

العليا. فكان مثال العربي الصميم الصريح، ونموذج المسلم القرآني المثالي الصحيح الإيمان الصادق العقيدة الكامل الإنسانية بمعناها الواسع. فإن أحب شيء لنفسه فعل الخير والسعي في سبيله، وأبغض الأشياء عنده - بل أنكر المنكرات - سطوات الشر والأشرار في المجتمع الإنساني، فكان - رحمه الله تعالى - داعي دعاة الفضيلة، ومؤسس المدرسة السيارة للهداية والإرشاد وتنوير الأفكار بأصول العلم والحكمة وفلسفة الوجود. فقد اضطمت جوانحه على معارف جمّة، ووسع صدره كنوزاً من ثمرات الثقافة الإسلامية العالية والتربية العالية. وقد نهل وعبّ من مشارع المعرفة والحكمة الصافية، حتى أصبح ملاذ الحائرين الذين استهوتهم أهواء المنحرفين عن المحجّة البيضاء، وخذعتهم ضلالات الدهريين والماديين. كما كان الملجأ الأمين لمن رام من المستشرقين الاطمئنان بإزاحة الحجب عن وجه الحقيقة والحق وللوصول إلى ساحل اليقين، كالمستشرق المستر خالد شردراك وأمثاله من أعلام الغرب الذين يهتمهم كشف المخبأ من أسرار المعارف المحمّديّة والحكمة المشرقيّة، حيث أنسوا فيه ندرّة المواهب العقليّة، والملكات النفسية القويّة، والطاقات الفكرية العجيبة، وينابيع الثرة العذبة المتفجّرة من قلبه الكبير المتدفّقة على لسانه الجارية على قلمه السيال^١.

٤ - المؤرّخ الشيخ جعفر محبوبه، قال:

هو ركن الشيعة وعمادها، وعزّ الشريعة وسنادها، صاحب القلم الذي سبح في بحر العلوم الناهل من موارد المعقول والمنقول. كم من صحيفة حبرها، وألوكة حرّرها. وهو بما حبر فضح الحاخام والشماس، وبما حرّ ملك رقّ الرهبان والأقساس. كان مجاهداً بقلمه طيلة عمره، وقد أوقف حياته في الذبّ عن الدين ودحض شبه الماديين والطبيعيين. فهو جُنّة حصينة ودرع رصينة، له بقلمه مواقف فلّت جيوش الإلحاد، وشتّتت جيوش العادين على الإسلام والطاعنين فيه.

وله إلمام ببعض اللغات الأجنبية، وهو مع تبحره في العلوم الروحية ذو سهم وافر من النظم، فهو شاعر محسن مجيد^١.

٥ - الأديب والكاتب القدير الشيخ جعفر النقدي (م ١٣٧٠هـ)، قال:

عالم عيلم مهذب، وفاضل كامل مذب، وآبأؤه كلهم من أهل العلم... وله في الأدب اليد غير القصيرة، وشعره جيد حسن^٢.

٦ - العلامة السيد حسن الصدر (م ١٣٥٤هـ)، قال:

عالم فاضل كامل، فقيه متكلم، أديب شاعر، أصولي، أحد حسنات هذا العصر، من بيت علم وفضل، له مصنفات^٣.

٧ - الكاتب خير الدين الزركلي، قال:

باحث إمامي من علماء النجف في العراق، من آل البلاغي؛ وهم أسرة نجفية كبيرة، له تصانيف، وكان يجيد اللغة الفارسية ويحسن الإنكليزية، وله مشاركة في حركة الاستقلال وثورة عام ١٩٢٠م^٤.

٨ - المحقق الباحث الأستاذ الشيخ رضا الأستادي - حفظه الله ورعاه - قال:

علامة مجاهد، ورع متقي، مدافع عن حريم الإسلام والتشيع، نائب لإمام الزمان، فقيه كبير، فيلسوف عظيم الشأن، كاتب، شاعر قدير، ولا نبالغ إذا قلنا:

وليس على الله بمُستنكرٍ أن يجمع العالم في عالم^٥

٩ - شيخنا آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، قال:

العلامة الأستاذ، آية الله في الإحاطة بمقالات عبّاد الصليب وأرباب البيع والكنائس وزعماء اللادينية والماديين، خرّبت علم المناظرة، والحبر الوحيد في الجدل، إمام هذا المضمار ومقدام هذه الفسحة...

١. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٢.

٢. حكاية الأستاذ علي الخاقاني في شعراء الفري ٢: ٤٣٧، عن الروض النضير: ٣٠٤.

٣. تكملة أمل الآمل ٢: ١٢٤.

٤. الأعلام ٦: ٧٤.

٥. مقدّمة رسالة حرمة حلق اللحية: ٢٨.

فإنه ولعمري وربّ الراقصات أحیی هذا الطريق في العصر الأخير، لم يدع لأمثال داروين ولشلي سمیل ولأرباب الأديان الفاسدة شبهة، كيف لا وهو أبو بجدة الفنّ قسماً بالله تعالى سبحانه، رأيته مراراً يتلو العهد القديم «التوراة» العبري في نهاية السلاسة وذلاقة اللسان؛ بحيث أقرّ حاخام اليهود بفضلله وإحاطته بدقائق اللسان العبري...^١.

وقال في الإجازة الكبيرة:

ومنّ أروي عنه علامة المناظرة، العالم بأرباب الأهواء، آية الله الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي^٢.

١٠ - المحذّث الكبير الشيخ عبّاس القميّ، قال: «بطل العلم الشيخ محمد الجواد البلاغي»^٣.

١١ - الأستاذ الأديب المؤلّف علي الخاقاني، قال:

من أشهر مشاهير علماء عصره، مؤلّف كبير، وشاعر مجيد...

والإمام البلاغي أغنتنا آثاره العلميّة عن التنويه بعظمته، وعلمه الجمّ، وآرائه الجديدة المبتكرة. فلقد سدّ شاغراً كبيراً في المكتبة العربيّة الإسلاميّة، بما أسداه من فضل فيما قام به من معالجة كثير من المشاكل العلميّة والمناقشات الدينيّة، وتوضيح التوحيد ودعمه بالأراء الحكيمّة قبال الثالوث الذي هدّه بآثاره وقلمه السيّال.

ولو لم يكن للمترجم له إلا كتابه الرحلة المدرسيّة لكفاه فخراً، فقد تناول الإسلام فيه على المسيحيّة وضيق الخناق عليها فيه، ومن المستحيل أن إنساناً أوتي من التعقّل والتمييز شيئاً لا يستقرّ - بعد قراءته - على الحقّ، ولا يعتنق الإسلام بعد هضمه له.

والمترجم له كان عظيماً في جميع سيرته، فقد ترقّع عن درن المادّة، وتحلّى بالمثّل العليا التي أوصلته في الحياة - ولا شكّ بعد الممات - أرفع الدرجات.

١. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤١٢ - ٤١٣.

٢. الإجازة الكبيرة: ١٦٠ / ١٩٨.

٣. الكنى والألقاب ٢: ٩٤.

فقد كنت أختلف عليه مع مَنْ يختلف من أصدقائه وتلامذته والمقتدين بأرائه الدينيّة، فلم أجدّه إلّا وهو يجيب على سؤال، أو يحزّر رسالة يكشف فيها ما التبس على المراسل من شكّ، أو يكتب في أحد مؤلفاته.

وكان مثال الإمام المحقّق، فهو جدّيّ لأبعد حدّ، يمارس حاجياته بنفسه، ويختلف على السوق بشخصه لا بتبائع ما هو مضطرّ إليه، غير مبالٍ بالقشور، ولا محترم للأناثيات والعناوين الفارغة. وقُلّ مَنْ يستطيع تمييزه ممّن لا يعرفه، فيتصوّرون عظيماً أو زعيماً دينياً حقّاً.

وكان يصليّ جماعة في الجامع المقابل القريب من داره، يأتّم به أفاضل الناس وخيارهم، وبعد الفراغ من الصلاة كان يدرّس كتابه آلاء الرحمن في تفسير القرآن. وقد حضرتُ مع مَنْ حضر بُرّهة من الزمن، فإذا به بحر خضّم لا ساحل له، يستوعب الخاطرة ويحوم حول الهدف، ويصوّر الموضوع تصويراً قوياً.

والكتاب مع الأسف لم يكمل، فقد وصل فيه إلى آخر سورة النساء، وكنا كثيراً ما نصارحه بقولنا: نرجو من الله أيّها الشيخ أن يطيل عمرك لإكمال هذا التفسير، وبعد ذلك لا يهمنّا بقيت أم لم تبقى. فيقول: أنا متشائم في عدم إتمامي له.

ومَنْ نظر سيرة المترجم له يجده قد تأثر بسير الأولياء، الذي جاؤوا ومضوا ولم يكن لهم من قصد سوى القيام بما يجب عليهم من خدمة البشر والعقل والحقّ. وقد كان ﷺ مثال هذه السيرة التي تقمّصت الحقّ واستهدفت خدمته، فقد تخصصّ للدفاع عن الإسلام الذي سما على جميع الأديان، وذبت عنه أمام تيّار الغرب الجبار الذي هجم عليه، فكان يستمدّد الصمود من مبدئه، والشجاعة من موجدّه. وقف وقفه خلدته في قلوب خصومه النصارى فضلاً عن المسلمين، وعرفته علماءهم أكثر من معرفة أبناء وطنه له.

ابتعد عن حبّ الشهرة والمظاهر ابتعاداً غريباً، حتّى إنّه كان لا يقبل أن يضع اسمه على كتبه؛ لئلاّ يشمّ من ذلك التبعجّ، ولقد سُئل يوماً عن سبب ذلك فقال: المقصود من عملي إبراز الحقّ والدفاع عنه من أيّ طريق كان، فلا فرق بين أن يكون قد جنّت به أنا أو غيري، فالغاية العمل.

هذا ما يفهمنا جلياً ففهمه لواقع الحياة، وأنها شريط قصير لا يهَمُّ الممَثَّل إلا أن يبدع في التمثيل.

والإمام البلاغي كانت سيرته تناقض كثيراً هواة الشهرة الذين تشدقوا بالألقاب وكالوها لأنفسهم باسم غيرهم، مع العلم أنّ الذين جاءوا به لم يكن بجديد، إنّما هو صدى لمن سبقهم مع بعض التحوير غير المفيد، ولكنّ البلاغي كانت حياته مليئة بالمفاخر والخدمات الصادقة.

وكم كان اللازم على رجالنا أن يقتدوا بسيرته، وينهضوا بأعباء رسالته التي أداها، والذي مهّد لهم السبيل بالسير على ضوئها. ولكن ويا للأسف ظلّ مكانه خالياً من وجود مَنْ يقوم به، مع تطوّر دعايات القوم وتنظيمها، أمّا دعاياتنا فهي لا تزال تافهة ولأغراض شخصيّة، لا يعود نفعها إلا لأفراد يبتغون الشهرة فقط.

والمترجم له لم يكن ممّن أكثر من الأسماء، وجعل لها مسميّات لا فائدة فيها أو مكرّرات عرفها الناس، بل كان ﷺ من أولئك الأفضاذ الذين عالجوا كثيراً من المسائل والمشاكل، وأوقفوا الحائرين على الهدى والحقّ. وكان في كلّ كتاب يكمل عنده لا يستطيع طبعه وإخراجه، حتّى بلغ الحال غير مرّة أن باع أثاث بيته لطبعه ولا نتفّاع الناس به، في حين أنّ غيره كان يطبع دون تكلف أو مضايقة، وهذا ناموس الحياة الناقص^١.

١٢ - العلامة الشيخ علي كاشف الغطاء، قال:

فاضل معاصر، مجدّد بتحصيل العلوم، وأديب شاعر منصف، وهو من بيت كلّهم علماء أتقياء، وهو اليوم نزيل سامراء، وله شعر حسن الانسجام^٢.

١٣ - المَلّا علي الواعظ الخياباني التبريزي، قال:

هو العَلَمُ الفرد العلامة، المجاهد، آية الله، وجه فلاسفة الشرق، وصدر من صدور علماء الإسلام، فقيه أصوليّ، حكيم متكلم، محدّث محقّق، فيلسوف بارع. وكتبه الدينيّة هي التي أبهجت الشرق، وزلزلت الغرب، وأقامت عمدة الدين

١. شعراء الغري ٢: ٤٣٧ - ٤٤٠.

٢. حكاية الأستاذ علي الخاقاني في شعراء الغري ٢: ٤٣٧ عن الحصون المنيعه ٩: ١٨٦.

الحنيف. فهو حامية الإسلام وداعية القرن، رجل البحث والتنقيب، والبطل المناضل والشهم الحكيم^١.

١٤ - الأستاذ المؤلف عمر رضا كخالة، قال:

فقيه أصولي، مجتهد، متكلم، مفسر، أديب ناظم، فلكي، عارف بالعبرانية والفارسية والإنكليزية^٢.

١٥ - العلامة الكبير السيد محسن الأمين، قال:

كان عالماً فاضلاً، أديباً شاعراً، حسن العشرة، سخي النفس، صرف عمره في طلب العلم وفي التأليف والتصنيف، وصنّف عدّة تصانيف في الردود. صاحبناه في النجف الأشرف أيام إقامتنا فيها، ورغب في صحة العاملين فصاحبناه وخالطناه حضراً وسفراً عدّة سنين إلى وقت هجرتنا من النجف، فلم نر منه إلا كلّ خلق حسن وتقوى وعبادة، وكلّ صفة تحمد. وجرت بيننا وبينه بعد خروجنا من النجف مراسلات ومحاورات شعرية، ومكاتبات في مسائل علمية^٣.

١٦ - العلامة المؤرّخ الشيخ محمّد حرز الدين، قال:

عالم فقيه، وأديب شاعر، بخاتة أهل عصره، خدم الشريعة المقدّسة ودين الإسلام الحنيف، بل خدم الإنسانية الكاملة بقلمه ولسانه وكلّ قواه. وكان موقفه المشرف أمام الماديين والطبيعيين موقف المناضل المجاهد، حتّى أزاح شبههم الفاسدة، ومزق خرافاتهم المضلّلة، وألزمهم الحجّة. وكان عارفاً ببعض اللغات الغير العربية التي يتوقّف عليها فهم أناجيلهم وتوراتهم، إلى غير ذلك ممّا ابتدعوها من مؤلفاتهم، وله الإلمام بمعرفة مذاهب أهل الكتاب ونحلهم.

وتعب جدّاً في مراجعة اليهود والنصارى أنفسهم في بغداد للفحص منهم عن بعض أسفار التوراة وفصول الأناجيل، ممّا فيه دلالة للردّ عليهم في نفي نبوة

١. علماء معاصرين: ١٦٢ - ١٦٣.

٢. معجم المؤلفين ٩: ١٦٣.

٣. أعيان الشيعة ٤: ٢٥٥.

محمد بن عبدالله ﷺ، وأفنى شطراً من عمره في هذا السبيل، فهنيئاً له وهو نعم الخلود في الدارين^١.

١٧ - العلامة المحقق الأديب الشيخ محمد السماوي، قال:

وهذا الفاضل من سلسلة علماء أتقياء، وهو اليوم مقتدٍ بهم، سامٍ عليهم بالتصانيف المطبوعة المفيدة. عاشرته فكان من خير عشير، يضم إلى الفضل أدباً، وإلى التقى إباءً، وله شعر حسن الانسجام^٢.

١٨ - العلامة الميرزا محمد علي الأوردبادي الغروي، قال^٣:

بطل العلم والفلسفة والجهاد، الإمام المجاهد، آية الله البلاغي ﷺ.

ثم ذكر نسبه وأجداده وأسرته، ثم قال:

عرف العارفون ما للدين من الأهميّة الكبرى في استقرار عرش المدنيّة، وأنّه كيف يدرأ عن المجتمع البشري عوامل الفوضى، ويجلب إليه السعادة الخالدة والدعة. ولا أحسبك بعد ذلك البيان تصيخ إلى الدعة وطنين الرجرجة.

من الجليّ ما لهذا الدين الحنيف من الميزة الظاهرة، والفضل الباهر، وما له من اليد الواجبة على العالم كلّ بيتّ روح السلام والوئام، ونشر كلمة العدل والإصلاح، وتنقيف الأمت والعوج، وإقامة صروح المدنيّة والعمران، وتوطيد دعائم الحياة والاستقلال. هذا قرآنه المجيد الكافل لذلك كلّ أكبر شاهد لهذا القول الفصل في سوره وآياته، ونصوصه وظواهره ومبادهيه وخواتمه، وقوادمه وخوافيه.

إذن فحملة هذا الدين المتفانون في نشر تعاليمه والدعوة إليه، المضخون في سبيله النفس والنفيس، هم أكبر المسدين إلى الأمة أياديهم الناصعة، وأنّ سعيهم مشكور في الجامعة، وهم أعضاد الحضارة، وعمد الحياة، ومنبتق أنوار السعادة والتهديب.

١. معارف الرجال ١: ١٩٦.

٢. الطليعة من شعراء الشيعة ١: ١٩٣.

٣. تفضّل علينا ساحة حجة الإسلام السيّد مهدي الشيرازي - سبط العلامة الأوردبادي - فأرسل لنا ما كتبه جدّه في ترجمة العلامة البلاغي، وهو من كتابه التراجم الذي ما زال مخطوطاً؛ وكذلك أرسل لنا القصيدة الرائعة للأوردبادي التي أرثى بها أستاذه البلاغي. وقد أضفناها في محلّها في هذا الكتاب.

عرف من سبر الحالة الحاضرة، وما نحن اليوم فيه من المأزق الحرج الذي يشوك سالكه أشواك المادية المتكدسة، ويصادفه سبيل التبشير الأجنبي الجارف في ظلم من الأهواء حالكة، وليل من الشبهات دامس.

هذا والمسيطر في كثيرين الجهل السائد، والقمة الشامل. يتخبطون في تيه العمى، ويرسفون في أصفاد من التقليد، لا يشعر التائه في مفازة من غلوائه إلا والنكبات المبيدة تعوى عليه (كجلمود صخر حطه السيل من علي).

عرف السابر لهذا الغور وأحوال الرجال تجاه ذلك الضوضاء واللغط، أن المشمر الوحيد لإنقاذ أمته، والمجاهد الفذ دون نجاح قومه، ومحبة الخير للبشر عامة، ومسدي معروفه إلى المجتمع بقلمه وفمه، وما يملكه من مته وجاه، هو المجاهد البطل المعني بهذه الترجمة.

إن سالكي سنن الدعوة والإصلاح كثيرون، غير أنهم بين من له خطة محدودة يقف عندها السعي، أو أنه يرتئي الاجتزاء بما سلكه من خطوات يسيرة، أو أنه رجل خائر القوى إذا افتزع ربوة بلغ منه اللغوب، أو لم تتح له المقادير أن يسعى كما يريد. لكن شيخنا المترجم له، هو الذي لا غاية لأمد جهاده، ولا منتهى لدى إصلاحه، لا تبرح كريمتاه شاخصتين إلى قومه من غير ما حد محدود، ولا سعي مجذوذ. هو الذي تمثّل مناضلاً عن الدين، وجلبه الضلال لها دويها المرهب، ولتسيار الدعاية الغربية خريز يصمّ المسامع.

إنك لا تجد تحت القسطل النائر بين تلك المصامع إلا هذا البطل العظيم، شاكياً بسلاح قلمه، ممتطياً جواد هممه، يجبه زاحفة الأهواء، ويجدل مرجفة التمويه. شهيدي الله أني لا أبغي من القول شططاً، غير أن الرجل نصب عيني، والمزبر سادس أنامله، والقرطاس أليف نهاره، وسمير ليله. ها هو في حرّ النجف القائن، ويرده القارص جليس حجرته، لا هم له إلا الأخذ بناصر الدين، والنظر في صالح المسلمين بتأليف، أو إفادة، أو جواب عمّا تتوارد إليه من مختلف الأمصار من الأسئلة والشبهات، ببيان واف عرفه منه كل أحد على الأصول الصحيحة، وموافقة المنطق، غير متحرّجاً للتشدد بسر الألفاظ الفارغة، والجمل المستعصية على الأفهام.

لم يبرح على ذلك حتّى تضاءلت قواه، وضعفت باصرته على شيخوخة من عمره،
لكن في جدّة من شباب عزيّمته.
ومن قصيدة قالها في مدح أستاذه:

بطل الدين وفي راحته	علم الإسلام منشور الصلاح
شحذ العلم حساماً قاضياً	قلّ منه ظبّة البيض الصفاح
صدع الباطل منه مقول	لم يزل يصدع بالحقّ الصّراح
من سبق (للهدى في رحلة)	بخطى العلياء لا البزل الطلاح
عمر الأمتّة من (آلائه)	ومعاليه أفويق النّجاح
(وبلاغ) منه (أنوار الهدى)	أشرقت فيه (بتوحيد) الفلاح
ولكم بثّ (الأعاجيب) من الـ	علم حلّاه بأخلاق سجّاح
مصلح اعرق نزعاً (بنصا	نح) لا يألّف عنها بمراح
و) (مصاييح) بمشكاة العلى	أوقدت من كلم منه فصاح ^٢

١٩ - العلامة الميرزا محمّد علي المدرّس التبريزي، قال:

فقيه أصولي، حكيم متكلم، عالم جامع، محدّث بارع، ركن ركين لعلماء
الإماميّة، وحصن حصين للحوزة الإسلاميّة، ومروّج للعلوم القرآنيّة، وكاشف
للحقائق الدينيّة، وحافظ للنواميس الشرعيّة، ومن مفاخر الشيعة^٣.

٢٠ - الشيخ محمّد هادي الأميني، قال:

فقيه كبير، ومجتهد مجاهد، وعالم نحري، وعابد زاهد، ناسك ورع، ومؤلف
خبير متضلع في العقائد، صاحب اليراع المقدّس الذي سبّح في بحار العلوم
ودحض شبه المادّيين والطبيعيّين، مع إمامه ببعض اللغات^٤.

١. أفويق: جمع أفواق، وهو جمع فيق، وهو جمع فيقة: الماء الذي يكون في السحاب فتمطر ساعة بعد ساعة. أو
ما يجتمع في الضراع بين الحلبتين.

٢. علماء معاصرين: ١٦٦.

٣. ريحانة الأدب ١: ٢٧٨.

٤. معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ١: ٢٥٣.

الباب الثالث

رحيل العلامة البلاغي

وفيه فصول:

الفصل الأول: وفاته ومدفنه

الفصل الثاني: صدق نبأ وفاته في المجتمع

الفصل الثالث: ما رثي به

الفصل الأوّل وفاته ومدفنه

أجمعت المصادر التي ترجمت العلامة البلاغي بشكل مفصّل، أو أشارت إلى ومضات من حياته المباركة، بأنّ وفاته كانت - إثر إصابته بمرض ذات الجنب - في ليلة الاثنين الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة ١٣٥٢هـ^١.

علماً بأنّه قد ابتلي في أواخر عمره بعدة أمراض خطيرة كمرض السكر والسّل وغيرهما، إلا أنّ هذه الأمراض لم تقضِ على حياته، بل قضى عليها مرض ذات الجنب^٢. ومن العجيب أنّ مطلع إحدى قصائده - التي كانت في مدح الإمام الحجّة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف - كان:

حَيِّ شَعْبَانَ فَهَوَّ شَهْرُ سُعُودِي وَعَدُّ وَضَلِي فِيهِ وَلَيْلَةُ عِيْدِي^٣

فكان كما أجراه الله على لسانه، إذ وصل إلى رحمة ربّه في شهر شعبان. وقد ذكر العلامة آقا بزرك الطهراني في موردٍ واحدٍ فقط من الذريعة بأنّ وفاته كانت سنة ١٣٥١هـ^٤. وهو إمّا خطأ مطبعي، أو سهو من قلمه الشريف.

١. انظر: الكنى والألقاب ٢: ٩٥؛ معارف الرجال ١: ٢٠٠؛ الطليعة من شعراء الشيعة ١: ١٩٥؛ أعيان الشيعة ٤: ٢٥٥؛ ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٢؛ تقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٤؛ الذريعة: في أكثر الموارد التي ذكر فيها آثار البلاغي؛ الأعلام للزركلي ٦: ٧٤؛ الإجازة الكبيرة: ١٦٠/١٩٨.

٢. مقدّمة الهدى إلى دين المصطفى: ١٩.

٣. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٤.

٤. الذريعة ١٠: ٢٣٦/٧٤٠.

مدفنه: أجمعت المصادر التي ذكرنا بعضها قبل قليل بأن دفنه كان في حجرة العاملين، وهي الحجرة الثالثة الجنوبيّة من طرف مغرب الصحن العلوي المبارك في مدينة النجف الأشرف.

وقد شاء الله تعالى أن يُدفن مع العاملين الذين كانت تربطه معهم علاقة وطيدة أيام دراسته في مدينة النجف الأشرف، إذ يقول زميله السيّد محسن الأمين:

صاحبناه في النجف الأشرف أيام إقامتنا فيها، ورغب في صحبة العاملين، فصاحبناه وخالطناه حضراً وسفراً عدّة سنين إلى وقت هجرتنا من النجف^١.

الفصل الثاني صدي نبأ وفاته في المجتمع

كان لنبا وفاة العلامة البلاغي صديّ كبيراً ليس في النجف الأشرف فحسب، بل في العالم الإسلامي عموماً، فقد هبّت النجف تبكي هذا النجم المنكسف الذي فُجع الإسلام بوفاته وتُلم بموته الدين ثلثة لا يسدّها شيء.

فشيع تشييعاً مهيباً شارك فيه آلاف المؤمنين، وفي مقدّمهم كبار مراجع الدين وطلبة الحوزة العلميّة في النجف.

وأقيمت له مراسم التأيين في كثير من مدن العراق وبعض عواصم البلدان الإسلاميّة، ومن أهمّها وأكبرها المجلس التأييني الذي أقامه السيّد علي (م ١٣٥٥ هـ) نجل الميرزا السيّد محمّد حسن الشيرازي (م ١٣١٢ هـ) بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته، ألقى فيه الشعراء قصائد رائعة في تأبينه.

ومن أجل الوقوف على عظم المصيبة التي حلّت بالعالم الإسلامي بفقد هذا العالم الجليل، نقل هنا عبارات بعض معاصريه في ذلك:

١- المحدّث الكبير الشيخ عباس القميّ، قال:

كان لنبا وفاته أثر كبير في نفوس عظماء الدين كافّة، وأقيمت الفواتح له في البلدان العراقيّة، وتشادق في رثائه الأدباء^١.

٢- الفقيه المؤرّخ الشيخ محمّد حرز الدين، قال:

وصار ليوم وفاته دويّ في النجف عند العلماء وأهل الفضل والدين، وشيّع بأحسن

تشجيع وتوقير، ورفعت أعلام الحزن أمام نعشه الطاهر، وعمدة من اهتمّ بتشييعه وتنظيم مواكب العزاء - بعد العلماء الأعلام وطلاب العلوم الدينية - أهل محلّته «البراق»^١.

٣ - العلامة الميرزا محمد علي المدرّس التبريزي، قال:

ورحلته من هذه النشأة كانت ثلثة في أساس الدين الحنيف، وأقيمت له الفواتح والتآبين في البلاد الإسلامية^٢.

٤ - العلامة المؤرّخ الشيخ جعفر محبوبه، قال:

فُجع لموته الصغير والكبير، والبعيد والقريب، وفُجع لموته الإسلام، فقد فقد ساعداً قوياً وسيفاً قاطعاً، أُقيمت له مآتم العزاء في كثير من البلدان، ورتاه الشعراء بمراثٍ لاذعة، وخسره العالم الإسلامي أجمع^٣.

٥ - الأستاذ المحامي توفيق الفكيكي، قال:

وما إن نعاها النُعاة حتّى ارتجّت مدينة النجف الأشرف، فألقت بأفلاذها، وقذفت بسكّانها على اختلاف طبقاتهم، وهم يندبون فقيد الإسلام ونابغة الشرق، وقد اهتزّت لفقده محافل الشرق وأندية الغرب، وبكته محاربيّه وصلواته وأقلامه ودفاتره ومؤلفاته، وسار في تشييع جثمانه آلاف من الجماهير، يتقدّمهم عظماء المجتهدين وأساطين العلم والأدب.

وأقيمت له الفواتح والمآتم وحفلات التآبين في أنحاء الرافدين وأرجاء بلاد الضاد وديار الإسلام، وذكرته الجمعيات العلميّة الغربيّة بالتمجيد والتقدير، وأثنت على خدماته الجليلة وجهوده الجبّارة في نصرة الفضيلة والدفاع عن عقيدته بما أوتي من الحكمة وفصل الخطاب^٤.

٦ - المتتبّع الكبير آقا بزرگ الطهراني، قال:

توفي ليلة الاثنين ٢٢ شعبان سنة ١٣٥٢هـ، فانقلبت النجف وشيعاً يلبق

١. معارف الرجال ١: ٢٠٠.

٢. ريحانة الأدب ١: ٢٧٩.

٣. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٥-٦٦.

٤. مقدّمة الهدى إلى دين المصطفى: ١٩.

بمقامه... وقد فُجع الإسلام بوفاته وتُلم ثلثة لا يسدّها أحد، ولم يزل مكانه ومكان العاملين من العلماء شاغراً، وفي الحقيقة لم يمّت مَنْ خَلّف ما خَلّفه المترجم من الآثار التي تهتدي بها الأجيال ويحتجّ بها الأبطال^١.

٧ - شيخنا آية الله العظمى السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي، قال:

وكان فقدانه ثلثة في الإسلام لا يسدّها شيء، أترّ في قلوب المسلمين على اختلاف فرقهم، وأقيمت له المآتم ونوادي التأيين في بلدان شتى، وأنشدت في رثائه القصائد في المراثي... وأقام العلامة الأستاذ آية الله العظمى الحاجّ الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي مأتماً في المدرسة الفيضيّة ببلدة قم، ثمّ أقمّت له مجلسين أداءً لحقّه العلمي عليّ^٢.

٨ - الأديب الأستاذ علي الخاقاني، قال:

انقلب النجف يوم أن سمع نبأ وفاته، فخرج عن بكرة أبيه وصار مشهوداً، ورثاه أعلام شعراء عصره بقصائد مؤثّرة. وفي موت هذا العالم تُعرف مقاييس مجتمعنا، فهو عندما كان في دار الحياة لا يعرفه إلاّ الخواصّ، ولا يختلف عليه إلاّ نفر معدود، وعندما رحل إلى الفردوس تأثّر الكبير والصغير لهذه الرحلة، كأنما الإنسان يجب احترامه عند الموت، فإذا كان حيّاً لا قيمة له، هذا ما نأسف له؛ لأنّه لا زال باقياً للآن^٣.

وقال في ترجمته للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء:

والنجف بلد غريب من هذه الناحية، فهو لا يعرف قيمة الرجال إلاّ إذا ماتوا، فتراه يندبهم وينوح عليهم ويجزع لفقدهم. وبالأمس كُنّا نشاهد المرحوم الشيخ جواد البلاغي - الذي صدم الثالوث - كان يمرّ بالسوق كأحد الناس يحمل متاعه بيده وينوء بحمله دون أن يجد مَنْ يعينه على ذلك، وهم لا يعرفون مَنْ هو، ولكنّه ساعة أن نعي شخصه قام النجف لفقدته وقعد^٤.

١. نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ١: ٣٢٤.

٢. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، راجع ص ٤٢١.

٣. شعراء الغري ٢: ٤٤٠.

٤. المصدر ٨: ١١٣.

الفصل الثالث

ما رُئي به

من الطبيعي جداً أن يقوم مجموعة من الشعراء برثاء العلامة البلاغي، كيف لا وقد فقدوا أحد أعمدة الفكر الإسلامي الذي قضى عمره الشريف مدافعاً عن الإسلام عموماً، وعن مذهب أهل البيت عليهم السلام خصوصاً. وهو - إضافةً لذلك - أحد زملائهم الشعراء، الذي أغنى الأدب العربي بقصائده الرائقة، سجّل فيها أفضل آيات الإبداع. وقد بذلتُ قصارى جهدي للحصول على النصوص الكاملة لهذه القصائد التي لو جُمعت وُشّرت لأصبحت كتاباً كاملاً، يدلنا على سموّ شخصيّة هذا العالم الكبير، ومدى تأثر رفاقه الشعراء ولوعتهم بفقده.

إلا أنني لم أحصل من هذه القصائد إلا على بعضها متفرقة في بطون الكتب، وبعضها لم أقف عليها كاملة بل على بيت أو بيتين منها، وبعضها الآخر لم أتعرف على ناظمها أيضاً. وتعميماً للفائدة فإنّي أورد كلّ ما وقفْتُ عليه من القصائد أو الأبيات - مرتبةً حسب القوافي - وإن كانت ناقصة، عسى أن يوفّقنا الله تعالى في المستقبل للحصول عليها كاملة.

١) قصيدة للشاعر الكبير السيّد رضا الهندي (م ١٣٦٢ هـ) «من الكامل»^١:

قَدْ خَصَّكَ الرَّحْمَنُ فِي آلائِهِ^٢ فَدَعَاكَ دَاعِيَهُ لِإِدَارِ لِقَائِهِ

١. ديوان السيّد رضا الهندي: ١٢٧-١٢٨.

٢. إشارة لتفسيره «آلاء الرحمن في تفسير القرآن».

عَمَّتْ رَزَّيْتُكَ السَّمَا وَالْأَرْضَ يَا
 يَا مُحْيِيَ الدِّينِ الْحَنِيفِ تَلَاْفُهُ^١
 أَوْقَدْتُ أَنْوَارَ الْهُدَى^٢ مِنْ بَعْدِمَا
 وَرَفَعْتُ لِتَلْوَجِيدِ رَايَةَ بَاسِلِ [٥]
 يَا بَارِي الْقَلَمِ الَّذِي إِنْ يَجْرُ فِي
 مَا السُّمْرِ^٣ تَشْبَهُ مِنْهُ حُسْنُ قَوَامِهِ^٤
 عَجَبًا لَهُ يُغْلِي بَيَانِكَ أَخْرَسًا^٥
 هُوَ مُعْجِزٌ طَوْرًا وَيَسْحَرُ تَارَةً
 قَدْ نِلْتُ مِنْهُ مُسْحَطًا بِمِدَادِهِ [١٠]
 كَمْ مِنْ مَرِيضٍ ضَلَالَةٍ أَشْفَى^٦ وَقَدْ
 يَا مَنْ أَعَاتَ الدِّينَ عِنْدَ نِدَائِهِ
 الْيَوْمُ أَصْبَحَ شَاكِيًا مُتَأَلِّمًا
 لَمَّا رَكَدْتَ^٧ وَأَنْتَ يَنْبُوعُ الْهُدَى
 كَلَّا لَقَدْ أَبْقَيْتَ ذِكْرًا خَالِدًا [١٥]

١. أي أدركه. انظر الصحاح ٦: ٢٤٨٤، «ل ف ا».

٢. إشارة إلى كتاب «أنوار الهدى» في الرد على الطبيعيين والماديين وشبهاتهم الإلحادية.

٣. السمر: الرماح. الصحاح ٢: ٦٨٩، «س م ر».

٤. قوام الرجل: قامته وحسن طوله. الصحاح ٥: ٢٠١٧، «ق و م».

٥. أي حد جديته في الأمور ونفوذها. انظر الصحاح ٦: ٢٤٩٤، «م ض ي».

٦. أي القلم.

٧. أي الورق.

٨. الججا: العقل. الصحاح ٦: ٢٣٠٩، «ح ج ا».

٩. تشحط المقتول بدمه: أي اضطرب فيه. الصحاح ٣: ١١٣٥، «ش ح ط».

١٠. أشفى المريض على الموت: أشرف عليه. والمقصود هنا: أي قارب الهلاك. انظر الصحاح ٦: ٢٣٩٤

«ش ف ي».

١١. ركذ الماء ركوداً: سكن. الصحاح ٢: ٤٧٧، «ر ك د».

لَكَ عَادَ بَطْنُ الْأَرْضِ أَفْسَحَ مَنْزِلٍ
جَاوَزَتْ مَرَقَدَ حَيْدَرٍ إِذْ لَمْ تَنْزَلْ
شَقُّوا ضَرِيحَكَ فِي الصَّيْبِ^١ وَوَدَّ لَوْ
لَمْ تَأَلَّ جُهْدَكَ بِالْجِهَادِ كَأَنَّمَا
[٢٠] وَوَقَفْتَ نَفْسَكَ فِي الْمَوَاقِفِ كُلِّهَا
وَمُنِيَتْ مُدَّةً مَا حَيَّبَتْ مُعَانِيًا
حَتَّى يَنْفَسِكَ جُدَّتْ تَفْذِيهِ وَمَنْ
إِنْ كَانَ صَرُحُ الدِّينِ هُدًى فَطَالَمَا
لِلَّهِ رُزُوكَ مُذْ أَطَّلَ عَلَى الْهُدَى
[٢٥] لَيْسَ الْمُجَاهِدُ عَنْهُ فِي أَسْيَافِهِ
وَالكَوْنُ بَعْدَكَ ضَاقَ رَحْبُ فِضَائِهِ
مَا عِشْتَ مُغْتَصِمًا بِحَبْلِ وَلَائِهِ
قَدْ شَقَّه الْإِسْلَامُ فِي أَحْشَائِهِ
خُوطِبْتَ وَخَدَكَ دُونَنَا بِأَدَائِهِ
لِحِمَايَةِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَغْدَائِهِ
إِصْلَاحَ مَا يَلْقَاهُ مِنْ أُنْبَائِهِ
مِثْلَ الْجَوَادِ بِجُودِهِ وَفِدَائِهِ
شَيِّدَتْ فِي الدُّنْيَا رَفِيعَ بِنَانِهِ
أَنْسَاهُ مَا قَدَّمَ مِنْ أَرْزَائِهِ
مِثْلَ الْمُجَاهِدِ عَنْهُ فِي آرَائِهِ

(٢) قصيدة أيضاً للشاعر الكبير السيد رضا الهندي «من الكامل»^٢:

إِنْ تُعْسِ فِي ظِلْمِ اللُّحُودِ مُوسَّدَا
وَلَسُنَّ يُفَاجِحُكَ الرَّدَى فَلَطَّالَمَا
هَذَا مَدَى^٣ تَجْرِي إِلَيْهِ فَسَابِقُ
قَدْ كُنْتُ أَهْوَى أَنَّنِي لَكَ سَابِقُ
[٥] فَلَيْتُنْذِبُ التَّوَجِيدَ يَوْمَ مَعَاتِهِ
وَلَيْتَنِيكَ دِينَ مُحَمَّدٍ لِمُجَاهِدِ
وَلَيْجُرِ أذْمَعُهُ الْبِرَاعُ لِكَاتِبِ
فَلَقَدْ أَضَاتَ بِهِنَّ أَنْوَادُ الْهِنْدَى
حَاوَلْتُ إِتْقَادَ الْعُدَاةِ مِنَ الرَّدَى
فِي يَوْمِهِ أَوْ لِاحِقُ يَخْضِي غَدَا
هَيْهَاتَ قَدْ سَبَقَ (الْجَوَادُ) إِلَى الْمَدَى
سِنْفًا عَلَى التَّنْثِيلِ^٤ كَانَ مُجَرَّدَا
أَشْجَحْتُ رَزِيئَتَهُ النَّسَبِيَّ مُحَمَّدَا
أَجْرَاهُ فِي جَفْنِ الْهِدَايَةِ مَزُودَا^٥

١. الصعيد: التراب. الصحاح ٢: ٤٩٨، «ص ع د».

٢. ديوان السيد رضا الهندي: ١٢٥-١٢٦: شعراء الفري ٤: ٩٦-٩٧.

٣. المدى: الغاية. الصحاح ٦: ٢٤٩٠، «م دى».

٤. «التوحيد والتنثيit» أحد مؤلفات العلامة البلاغي التي ألّفها للردّ على اعتراضات النصارى وردّ شبهاتهم.

٥. المروء: الميل. الصحاح ١: ٤٧٩، «ر ود».

وَجَدَ الْهُدَىٰ أَرْقًا فَأَشْهَرَ جَفَنَهُ
 أَخْيَ كَمْ تَنَزَّتْ يَدَاكَ مِنَ الْهُدَىٰ
 [١٠] إِنْ كُنْتُ لَمْ تُعْقِبْ بَيْنِي^١ فَكُلُّ مَنْ
 أَخْيَ إِنْ الْعَيْشَ أَكْدَرَ مَوْرِدِ
 صِفْهَا فَإِنِّي بَايْتِهَاجِكَ وَاتَّقِ
 هَلْ حَوَّلُوكَ مِنَ الشَّفَاعَةِ مَا بِهِ
 أَخْيَ إِنْ الْمَوْتُ فَرَّقَ بَيْنَنَا
 [١٥] حَالِ الْجِمَامِ^٢ فَلَا تُلَبِّي دَاعِيًا
 وَاعْتَدْتُ أَنْ تَجْفُوا مُجِبًا لَمْ يَكُنْ
 إِنِّي لِأَطْمَعُ فِي الْمَنَامِ بِرُزْوَةٍ^٣
 يَا مَنْ هَدَى الْمُسْتَرَشِدِينَ بِنُورِهِ
 لَا تَخْذِرِ السَّفَرَ الْبَعِيدَ فَلَمْ تَزَلْ
 حِرْصًا عَلَى جَفَنِ الْهُدَىٰ أَنْ يَرْقُدَا
 بَدْرًا فَطَبَّ نَفْسًا فَرَزَعَكَ أَحْصَا
 يَهْدِيهِ رُشْدُكَ فَهَوَ مِنْكَ تَوَلَّدَا
 قُلْ لِي: فَهَلْ تَخْلُو الْمَنِيَّةُ مَوْرِدَا
 لَكِنْ عَلَى نَفْسِي أَخَافُ مِنَ الرَّدَىٰ
 أَخْطَى وَأَخْيَا فِي الْجِنَانِ مُخَلَّدَا
 أَتْرَاكَ تَجْعَلُ لِتَلْقَائِي مَوْعِدَا
 يَأْتِي فِينَاكَ وَلَا تُحَيِّي الْوَفْدَا
 أَبَدَ الزَّمَانِ عَلَى جَفَاكَ مُعَوَّدَا
 لَوْ لَمْ يَكُنْ جَفْنِي عَلَيْكَ مُسَهَّدَا
 نَمَّ هَادِنًا فَفَعَلَيْكَ قَلْبِي مَا هَدَا
 بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ مُرْوَدَا

(٣) قصيدة للخطيب الشيخ محمّد علي اليعقوبي (م ١٣٨٥هـ) «من الطويل»^٥:

سَلُّوا قُبَّةَ الْإِسْلَامِ مَاذَا أَمَادَهَا^٦
 مَتَى قَوَّضَتْ مِنْهَا اللَّيَالِي عِمَادَهَا
 وَعُوجُوا نُنَاشِدُ حَلْبَةَ الْعِلْمِ وَالْهُدَىٰ^٧
 مَتَى صَرَعَتْ كَفُّ الْمَنُونِ (جَوَادَهَا)
 بِيَوْمٍ تَشَقَّى الْمُلْحِدُونَ بِرُزْوَةٍ
 وَنَالَتْ دُعَاةَ الشُّرُكِ فِيهِ مُرَادَهَا
 بِهِ فَقَدَ الْإِسْلَامُ أَكْبَرَ حُجَّةٍ
 يَرُدُّ بِهَا إِفْكَ^٨ الْعِدَا وَعِنَادَهَا

١. إشارة إلى أن العلامة البلاغي ﷺ لم يعقب بنين بل كان عقبه بنات.

٢. الجِمَامُ: قَدْرُ الْمَوْتِ. الصحاح ٥: ١٩٠٦، «ح م م».

٣. أي الزيارة، ويقطع الشاعر هنا أن يرى البلاغي في المنام.

٤. أي ما هدا.

٥. ديوان اليعقوبي: ٢٣٥-٢٣٧.

٦. أمادها: أمالها. الصحاح ٢: ٥٤١، «م ي د».

٧. الهدى إلى دين المصطفى: أحد مؤلفات العلامة البلاغي الذي ردّ فيه على النصارى وشبهاتهم.

٨. الإفك: الكذب. الصحاح ٤: ١٥٧٢، «أ ف ك».

- [٥] أَتَعَجَّبُ لِلدِّينِ الْحَنِيفِ إِذَا بَكَى
فَهَلْ شُكُّ^١ إِلَّا فِي سَوِيْدَاءِ قَلْبِهِ
أُمُوضِحَ آيَاتِ الْكِتَابِ كَأَنَّمَا
رَمَاكَ الرَّدَى سَهْمًا فَأُخْمِي حَشَا الْهُدَى
فَسَهَّدْتَ^٢ لِلتَّوْحِيدِ عَيْنًا وَهَوْمَتَ^٣
[١٠] فَكَمْ فِئَةٍ فِيكَ اهْتَدَتْ بَعْدَ غَيْبِهَا
وَقَدْ أُمَّهَا التَّبَشِيرُ فِي شُبُهَاتِهِ
فَكَهَّمْتَ^٤ فِي ذَاكَ الْقِرَاعِ صِفَاحَهَا^٥
بِوُدِّي لَوْ يَرْضَى الرَّدَى دُونَكَ الْفِدَا
وَلَكِنَّ أَحْكَامَ الْإِلَهِ نَوَافِذُ
[١٥] فَقَدْ عَجَّلْتَ بِالْحَتْفِ مِنْكَ اقْتِرَانَهَا
أَبْتُ أَعْيُنُ الْإِسْلَامِ إِلَّا ابْتِضَاضَهَا
نُعِيَتْ قَبَانَتْ فِي الشَّرِيعَةِ نَلْمَةٌ
فَمَنْ ذَا يَصُدُّ الشَّرْكَ فِي كُلِّ غَاوَةٍ
فَكَمْ رَحْلَةً^٧ سَيَّارَةً لَكَ فِي الْوَرَى
أَعَاجِبُ^{١٠} عِلْمٍ كُنْتَ فِيهِنَّ قَائِمًا [٢٠]

١. أي نفذ السهم في سويداء القلب. انظر لسان العرب ١٠: ٤٥٢، «ش ك ك».

٢. الشهاد: الأرق. الصحاح ٢: ٤٩٢، «س ه د».

٣. هومت: نامت. الصحاح ٥: ٢٠٦٢.

٤. كهّم السيف: ثلم حدّه. انظر الصحاح ٥: ٢٠٢٥، لسان العرب ١٢: ٥٢٩، «ك ه م».

٥. الصفاح، جمع الصفيحة: السيف العريض. الصحاح ١: ٣٨٣، «ص ف ح».

٦. الصعداد: الرماح. انظر لسان العرب ٣: ٢٥٥، «ص ع د».

٧. الرحلة المدرسيّة والمدرسة السيّارة «في الردّ على النصارى وشبهاتهم».

٨. الرُّبَى، جمع الرابية: وهي ما ارتفع من الأرض. الصحاح ٦: ٢٣٤٩، «ر ب ا».

٩. الوهاذ، جمع الوهدة: وهي المكان المظلم المنخفض. انظر الصحاح ٢: ٥٥٤، «و ه د».

١٠. «أعاجيب الأكاذيب» في الردّ على النصارى وشبهاتهم وبيان مفترياتهم.

فَمَا أَيْنَعَتْ يَوْمًا بُدُورُ غَوَايَةِ
وَأَغْلَنْتَ طُولَ الْعُمْرِ حَزْبًا عَلَى الْعِدَا
تُجَاهِدُ أَغْدَاءَ الْهُدَى فِي يَرَاعَةِ
حَمِيَّتِ بِحَدِّيهَا حُدُودًا لِمِلَّةِ
تُعِيدُ وَتُبْدِي كُلَّ آيٍ بِهَا يَدًا [٢٥]
نَعَاكَ لَهَا النَّاعِي بِشَغْبَانٍ فَانْتَنَتْ
نَعَاكَ إِذَا جَارَ الزَّمَانُ مَعَادَهَا^٢
أَجِدْكَ هَلْ أَبْقَيْتَ بَعْدَكَ ذَائِدًا
حَمِيَّتِ لَهَا دِينًا لَوْ اخْتَفَظْتَ بِهِ
نَعَمَ (بِعَلِيٍّ)؛^٤ شَدَّ بَعْدَكَ أَرْزُهُ [٣٠]
سَلِيلِ الزَّكِيِّ الْمُجْتَبَى (الْحَسَنِ)؛^٥ الَّذِي
فَإِنَّ يَكُ دِينَ اللَّهِ تَلَّتْ^٦ عَرُوشُهُ
إِذَا النَّاسُ قَدَ وَالُوا عَلِيًّا فَلَمْ نَكُنْ

١. أَي تَكْتَسِرُ.

٢. المَعَادُ: المَلْجَأُ. الصَّاحِبُ ٢: ٥٦٧، «ع و ذ».

٣. المَعَادُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

٤. السَّيِّدُ عَلِيُّ ابْنِ الْمَجْدَدِ الْمِيرْزَا السَّيِّدِ مُحَمَّدِ حَسَنِ الشِّيرَازِيِّ، قَالَ عَنْهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ حَرَرُزِ الدِّينِ فِي مَعَارِفِ الرِّجَالِ ٢: ١٣٨: «كَانَ عُلَمَاءُ مُحَقِّقًا أَدِيبًا تَقِيًّا وَرِعًا جَوَادًا، دَمَّتِ الْأَخْلَاقُ، مَبْجَلًا مُحْتَرَمًا. خَلْفَ السَّيِّدِ وَالِدِهِ وَسَدَّ بَعْضَ الْفِرَاقِ الَّذِي حَصَلَ بِفَقْدَانِ الْمِيرْزَا زَعِيمِ الطَّائِفَةِ الْمُحَقِّقَةِ. وَقَدْ مَدَحَهُ الشُّعْرَاءُ وَالْأُدْبَاءُ طَلِبًا لِنَوَالِهِ حَيْثُ كَانَ جَوَادًا كَمَا ذَكَرْنَا، وَمَدَحَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ مِمَّنْ يَنْظِمُ الشُّعْرَ عَلَى تَرْفَعٍ إِلَّا فِي الْمُنَاسِبَاتِ، تَوْفَى لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ ١٨ رَبِيعِ الثَّانِي سَنَةِ ١٣٥٥ هـ».

عُلَمَاءُ بَأَنَّ السَّيِّدَ عَلِيَّ قَدْ أَقَامَ مَجْلِسًا تَأْيِينِيًّا فِي الْمَسْجِدِ الْهِنْدِيِّ فِي مَدِينَةِ النَّجَفِ الْأَشْرَفِ بِمُنَاسِبَةِ مَرُورِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى وَفَاةِ الْعَلَمَةِ الْبَلَاغِيِّ، أُلْقِيَ فِيهِ عِدَدٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ قِصَائِدَ رَائِعَةٍ، مِنْهَا قِصِيدَةُ الشَّيْخِ الْيَعْقُوبِيِّ الْمَذْكُورَةِ.

٥. الْمَجْدَدُ الْمِيرْزَا السَّيِّدِ مُحَمَّدِ حَسَنِ ابْنِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ الشِّيرَازِيِّ (١٢٣٠ - ١٣١٢ هـ) زَعِيمِ الطَّائِفَةِ الْحَقِّقَةِ وَالْمَرْجِعِ الْأَعْلَى لِلشِّيْعَةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، صَاحِبِ الْفَتَاوَى الْمَشْهُورَةِ بِتَحْرِيمِ التَّنْبَاكِ، وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجِمَتُهُ قَبْلَ عِدَّةٍ أَوْرَاقٍ.

٦. أَي هَدَمْتُ.

سَقَى اللهُ فِي رِضْوَانِهِ لَكَ تُرْبَةً إِذَا لَمْ يَجِدْهَا^١ الْغَيْثُ فَالْدَمْعُ جَاذَهَا

(٤) وقد رثاه أحد الأديباء بقصيدة «من الكامل»، لم نعرث منها إلا على بيت واحد، وهو:

رَوَّدَتْ نَفْسَكَ فِي حَيَاتِكَ زَاذَهَا تَقْوَى الْإِلَهِ وَذَلِكَ خَسِيرُ الرَّادِ^٢

(٥) ورثاه العالم المفضل الشاعر السيد مسلم الحلبي بقصيدة «من الكامل»، عثرنا على هذا البيت منها فقط:

إِنِّي أَرَى الْمَوْتَ الرَّؤَامَ مُمْتَلَأً لِنَاسٍ فِعْلَ الصَّيْرِفِ النَّقَادِ^٣

(٦) قصيدة للشاعر المجدد الشيخ محمد رضا المظفر (م ١٣٨٣ هـ) «من البسيط»^٤:

يَا طَرْفَ جُدِّ بِسَوَادِ الْعَيْنِ أَوْ قَدْرٍ مَاذَا انْتِفَاعَكَ بَعْدَ الشَّمْسِ بِالنَّظْرِ
وَحُطَّ يَا صُورَةَ الْإِسْلَامِ مُلْتَحِذاً^٥ مَا الشَّأْنُ بَعْدَ ذَهَابِ الرُّوحِ بِالصُّورِ
وَمَتَّ بِغَيْظِكَ مِنْ بَعْدِ الْجَوَادِ وَمَا نَفْعُ الْفَلَاةِ^٦ بِإِلَّا غَيْثِ^٧ وَلَا نَهْرٍ
غَابَتْ ذُكَا^٨ الْجُودِ وَاسْوَدَّتْ غَيَاهُ^٩ فَلَا تَرَى لِلسَّيِّدِ الْبَيْضَاءِ مِنْ أُنْثَرٍ
رَمَى بِهِ الدَّبِيْنُ سَهْمًا وَاحِدًا فَمَضَى [٥] فَحُجَّ يَا قَلْبَ حَوْلِ الْبَيْتِ وَاعْتَمِرِ
قَدْ كَانَ كَغَبَةِ آمَالِ الْأَنَامِ هُدًى

١. الجَوْدُ: المطر الغزير. الصحاح ٢: ٤٦١، «ج ود».

٢. انظر مقدمة الأستاذ توفيق الفيكيكي لكتاب الهدى إلى دين المصطفى: ٢٠ و ٢١.

٣. شعراء الغري ٨: ٤٨٠ - ٤٨١.

٤. اللُّحْدُ: الشق في جانب القبر. الصحاح ٢: ٥٣٤، «ل ح د».

٥. الْفَلَاةُ: المغازاة. الصحاح ٦: ٢٤٥٦، «فل ا».

٦. الْغَيْثُ: المطر. الصحاح ١: ٢٨٩، «غ ي ث».

٧. ذُكَا: اسم للشمس. الصحاح ٦: ٢٣٤٦، «ذ ك ا».

٨. الْغَيَاهِبُ، جمع الغَيْبِ: وهو الظلمة. الصحاح ١: ١٩٦، «غ ه ب».

- وَالطَّرِيسُ^١ فِي يَدِهِ الْبَيْضَاءِ سَوْدَةٌ
لَمْ يَبْقَ فِي قَوْسِ صَبْرِي عَنْ نَوَاهِ سَيُورِ
قَدْ كَانَ كَالْبَدْرِ فِي لَيْلِ الشِّتَا وَمَضَى
هَذِي الْوَرَى اسْتَضْرَحَتْ مِنْهُ حَسَامٌ هُدَى [١٠]
- إِنَّا فَقَدْنَاكَ حَيْثُ الْعَيْنُ سَاهِرَةٌ
وَالذَّهْرُ بَحْرٌ طَغَى قَدْ كَانَ سَاجِلُهُ
إِلَى يِرَاعَيْتِهِ الْوَرَادُ قَدْ سَكَنُوا
كَثِيرَةٌ فِي الْوَرَى الْأَقْلَامُ كَاتِبَةٌ [١٥]
- خَلَفَتْ دِينَ الْهُدَى يَنْعَمُ خَطَاكَ وَمَا
نَامَتْ لِنَوْمِكَ (العهدان)^٢ عَنْ كَلَلِ
كَنَزَتْ بِيضُ الْمَزَايَا الْغُرِّ وَاضِحَةٌ
أَوْدَعَتْهَا الْقَبْرِ لَا بُخْلًا بِمَثْمَنِيهَا
بَدَّرَتْ بَدْرَكَ عِلْمًا وَاشْتَقَيْتَ لَهُ
خَصْدَتَهُ وَحَصْدَانَهُ مَعًا نَضْرًا [٢٠]
- شَدَدَتْ أَرْزُ الْهُدَى فِي مُنْتَقَى كَلِمِ
لِيَهْنِكَ الْيَوْمَ إِمَّا كُنْتَ مُنْفَرِدًا
غَابَتْ ذُكَاكَ^٥ (أَنَوَارُ الْهُدَى) سَطَعَتْ
وَذِي بَاقِي مَثْنِ الْأَرْضِ (رِخْلَتُهُ)
أَقَامَهَا لِصُفُوفِ النَّاسِ (مَدْرَسَةٌ) [٢٥]
- أَلْقَى دُرُوسَ الْهُدَى فِيهَا وَلَقَّتْهَا

١. الطَّرِيسُ: الصحيفة. الصحاح ٣: ٩٤٣، «طرس».

٢. غَيْرُ الذَّهْرِ: أحواله المتغيرة. لسان العرب ٥: ٤٠، «غى ر».

٣. أي العهد القديم والعهد الجديد. اللذان يمثلان الكتاب المقدس.

٤. أي الأموال.

٥. ذُكَاء: اسم للشمس. الصحاح ٦: ٢٣٤٦، «ذك أ».

فِيهَا الْأَنَاجِيلُ عَادَتْ وَهِيَ هَارِنَةٌ
وَتِلْكَ تَوَرَّاتُهُمْ فِيهَا قَدْ افْتَضَّحَتْ
يَا رَائِدَ الْحَقِّ هَذَا زَادُ ضَخُوبِهَا^١
وَذَا الْإِمَامِ الرِّضَا^٢ مَنْ عَنْ خِلَاقِهِ
لَكَ الْفَضَائِلُ بَيْنَ الْخَلْقِ مُفْرَدَةٌ
لَسِنٍ أَخَذَتْ بِأَطْرَافِ الْعُلَى شَرْقًا
صَبْرًا وَقِيَّتْ وَلَسِنِ الطَّوُودِ تُزْعِجُهُ
بِأَهْلِهَا كَيْفَ عَدُّوْهَا مِنْ الزُّبُرِ
فَأَضْبَحَتْ وَضَمَّةً فِي جَنَهِةِ الْعُصْرِ
وَفِي عِيَانِ الضُّحَى مَا لَيْسَ فِي الْخَبْرِ
رَوَتْ حَدِيثَ شَذَاهَا (نَسْمَةُ السَّحْرِ)^٣
فَأَنْتَ فِي النَّاسِ وَالْيَأْقُوتُ فِي الْحَجْرِ
فَقَدْ تَوَسَّطَتْ بَيْنَ الْفَخْرِ مِنْ مُضِرِّ
زَلَازِلِ الْقَدْرِ الْمَاضِي عَلَى الْبَشْرِ

[٣٠]

(٧) وقد أرخ الشاعر السيد محمد الحلبي وفاته بأبيات قال فيها^٤:

دُهَيْيَ الْإِسْلَامِ إِذْ
وَشَرَعُ طَهْ أَيْسَفُ
مُدَّ غَابَ أَرَّخْتُ أَلَا
بِهِ تَدَاعَى سُورُهُ
لَمَّا مَضَى نَصِيرُهُ
غَابَ الْهِنْدِيُّ (وَأُورُهُ)^٥

(٨) ورثاه السيد محمود الحنوبي (م ١٣٨٧ هـ) بقصيدة «من الوافر» منها:

دَأْبَتْ بِنَشْرِ مَا سَمَّيْتَ كُتُبًا
وَمِنْهَا:
فَتَى الْقَلَمِ الَّذِي إِنْ صَرَّ^٦ أَلْقَى
وَدَيْنُ اللَّهِ سَمَّاهَا دُرُوعًا
صَلِيلَ الْمَشْرِفِيِّ^٧ لَهُ الْخُضُوعَا

١. زاد الضحى: ارتفاعه. الصحاح ٢: ٤٧١، «رأد».

٢. هو الشاعر الكبير السيد رضا الهندي (م ١٣٦٢ هـ).

٣. كتاب «نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر» هو معجم لتراجم بعض شعراء الشيعة، لضياء الدين يوسف بن يحيى اليماني الصنعاني (م ١١٢١ هـ) انتهى منه في ١٣ رجب سنة ١١١١ هـ، يقع في مجلدين: الأول يحتوي على ترجمة ٨٥ شاعراً، والثاني على ١١٢ شاعراً. انظر الذريعة ٢٤: ١٥٤ / ٧٩٤.

٤. شطر البيت الأول من الرمل، والباقي من الرجز.

٥. ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٦.

٦. أي كُتِبَ.

٧. المشرفي: السيف، نسبة إلى مشارف، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف. الصحاح ٤: ١٢٨٠، «شرف».

وَإِنْ تَخْمِلُهُ مُخْتَضِبًا مِدَادًا فَمَاذَا السَّيْفُ مُخْتَضِبًا نَجِيمًا
وَإِنْ رَضَعَ الدَّوَاةَ^٢ تَرَى شُيُوبَ خِ الضَّلَالَةِ تَتَّقِي ذَاكَ الرِّضِيمَا^٣

(٩) ورثاه أحد الشعراء البارعين بقصيدة «من الطويل»، لم نعثر منها إلا على هذا البيت:

تَحَلَّى بِهِ جَيْدَ الزَّمَانِ وَأَضْبَحَتْ تُرْزَانُ بِهِ الدُّنْيَا وَتَرْهُوَ الصَّحَائِفُ^٤

(١٠) قصيدة للعلامة الشيخ محمد علي الأوردبادي (م ١٣٨٠هـ) «من الطويل» كما مثبتة في ديوانه المخطوط. قال:

قلت راثياً آية الله العظمى الأستاذ البلاغي، ومعزياً سيّد الطائفة آية الله العظمى السيّد الميرزا علي آقا الشيرازي:

أطارت من الإسلام هاماً ومفرقاً خطوط نضت للحرب غضباً مُدَقَّقَا
فأخلت به للشرع ظهراً ومِنكَباً وأوهت لدين الله كَفَاً ومرفقاً
وناعٍ نعى للعلم عِرْيَسَ غَايِهِ وللنسك مصباحَ المحاربِ والتقى
ومنتزحاً قد غادر الناس بعده تُعاني يداً جَدًّا وهاماً مُفَلَّقَا
وأعلى الورى كعباً واشمَلَهُمْ سُدْيُ وأنبتهم ما اقتاد للفضل فيلقا
حياة الورى إمّا السنين تماخلت وحتفُ العدا إمّا استثار لمُلتقى
وما مات فردُ الدهر فرداً وإنما به الدينُ والإسلام شجواً تَعَلَّقَا
وقُوضَ بيتُ العلم بعد مناظلي حمى بالهدى منه الخباء المسردقا
ليهن بني الإلحاد أن غاضَ عيلمُ به كرعوا في الدهر سُزْباً مُرْتَقَا

[٥]

١. التجميع من الدم: ما كان إلى السواد، وقال الأصمعي: هو دم الجوف خاصة. الصحاح ٣: ١٢٨٨، «ن ج ع».

٢. الدَّوَاةُ: ما يُكْتَبُ منه. الصحاح ٦: ٢٣٤٣، «دوى».

٣. انظر مقدّمة الأستاذ توفيق الفكيكي لكتاب الهدى إلى دين المصطفى: ١٦.

٤. المصدر: ٢١.

- [١٠] وقد ساء جمع الدين يوم نكايته
فإذ رَفَعَ الناقوسُ بشرأً بفقده
وإن طرب البابا ففي موت ماجدٍ
وإن أمن المطران منه فطالما
وقد هزَّ أعطاف المسرة أسقفُ
وقد ترك الخورى في وشك الفنا
- [١٥] فأصبح كلُّ في قَشِيٍّ من الهنا
وهلهل دارونٌ وبشّر نجفراً
تنادوا بأبناء القروء ألامنوا
لينعش بهاء الجاهليّة ضلّةً
فكم جرّعوا صاب الخزيّة مُقْرِراً
وهذّ ربوع الشرك مزبّرةً الذي
فإن ردّة النوح التيعاعاً له الورى
وعانى به الإيمانُ أمراً مقسماً
وكان هدى الإسلام فيه مُغْرَباً
- [٢٥] وكم (رحلة) قد أنهج الناس عندها
وأنوارُهُ هاتيك مهما تبلّجت
وفيهها بلاغٌ من نصائحٍ قد زهت
أعدّ نظراً نحو الكتاب مُفَسِّراً
وذُدّ عن حماه الأُنك إن جاء كاررُ
وقم حافزاً عنه فلم أر حافزاً
- [٣٠] سابكيك والقرآن ما دمتُ باقياً
وأبكيك للخطب المهولٍ إذا دهى
أراني قليلاً إن أقلّ فيك صارخاً
- على بشره جمع الكنيسة أصفقا
عَقِيرَتُهُ فالقَسْ إذ ذاك صفقا
على رَغَمِهِ أَمَرَ الكِرَازَةَ ألقا
أزالَ عن الثالوث عِرّاً وَرَوَّنقا
به قد رقى سرّ الفداء الملققا
وبطيريكاً من قبلُ بالدين أزهقا
غداة به ظنّ السلامة أخفقاً
وحقّ لشبل اليوم أن يتزندقا
فإن الذي قد أصعق الكفر أصعقا
فقد مات من باب الأضاليل أغلقا
بمقُولٍ من أروى الهداية ريقاً
بنى منه للتوحيد بيتاً مُرَوِّقا
فقد فقدت ذاك الإمام المحققا
عشيّةً قد أودى وجمعا مفرقا
ومن بعده هدي الضلالة شرقا
إلى الغاية القصوى طريقاً مُطَرِّقا
أرتك من الدين الإلهي مشرقا
مصاييح للتوحيد يشرقن بسقاً
فذا ناظِرُ الأهواء بعدك حثقاً
ومن حثق فيه به الزور ألقا
يُجابه تيار الضلال المدققا
بعلمك والمعروف منك مطوقا
وللجمع إمّا الجمع رُعباً تفرقا
أحامية القرآن نفسي لك الوقا

وأنتك في الأجدات مستودع لقي
 خَلِيئاً مِنَ الْأَرْزَاءِ إِلَّا وَطَبَقَا
 ومصر وأرجاء الحجازِ وجُلُقَا
 لما أن سهم الموت نحوك فوقوا
 على الخدِّ دمعاً لا يزال مُرَقِرَقَا
 بك افتقدت منها الفخار المحلَقَا
 تركت بني الإسلام في معرض الشقا
 وإن جدَّ فيه المُفلقون تشدُّقا
 يبدُّ جريراً إذ يفوق فرزدقا
 بذرك لكن الشجا ناز مطلقا
 نضى حجة الإسلام أودية البقا
 ومُنتجع الدنيا به الموت قد زقا
 وإن غاظ في عَفِّ المآزر أحمقا
 فما مات حتى سَهَمَهُ فيه أغرقا
 فما اسطاع صبراً أو عن الضيم حلقا
 مُقيلُ عثارِ الدهر والخطبُ أحدقا
 إذ المُزنُ في وجه البسيطة أغدقا
 بجُنحِ الدجى تبدو على الناس مشرقا
 تخيلت أن الشيخ عنها تعبقا
 تباكر بالعذب النطاف فأورقا
 به أصبح الإسلام شِلْوُاً مُعْرَقَا
 لها بين يمينه ويمن له وقا
 تَرَبَّعَ في دستِ الإمامة مُعْرَقَا
 بغيره وجه ابن النبين أشرقا

وهل كان يُجديك الفداء بمهجتي
 [٣٥] وخطبك قد عمَّ البلادَ فلم يدع
 فأبكيك أكنافَ العراقِ وفارساً
 وفي الهند إعوأل عليك ورتة
 وضج لك الدنيا وأُسِلبتِ الدما
 بكَثْكَ بدست العلم أعواد منير
 [٤٠] سَعُدْتَ بِذِكْرِ خَالِدٍ غَيْرِ أَنَّهُ
 جللت عن التابئين فالقول قاصر
 فدونك ما قد صُغْتُ فيك وإن يكن
 أقول ونظمي للقريض مُقَيِّد
 قضى الآية الكبرى قضى موئلاً الورى
 [٤٥] مضى معقلُ التقوى ومستودعُ النهى
 مضى طيبَ الأردان عن أي شائين
 وإن قال فيه شامت لسفاهة
 رأى أن في دار الهوان حزازة
 وفاض (على الدنيا العفا بعد يومه)
 [٥٠] فمن ذا ينيل الشحب من وابل الحيا
 وبا بدر بعد اليوم عن أي مشرق
 أما وسجياً إن تعبق نشرها
 وأخلاقه الروض المندى به الحيا
 لأعظم يوم أنكل الدين يومه
 [٥٥] وأضحت تمور الأرض لولا مهدب
 ليهن نزار الصيد أن عميدها
 وأما احتبي نادي قريش فصدُرُهُ

وقاراً وحلماً واعتلاءً ومنطقاً
 به في البرايا شيخٍ فهِرَ تمنطقاً
 بها الجود والتقييلُ ما إن تفرّقا
 تلذّ الوري أذناً وعيناً ومَنشَقاً
 لأعشى بها الأعشى وأخفى المُحلّقاً
 عُباباً به هذا وذا متدقّقاً
 أحاول في إطرائه متشدّقاً
 ليحيى الحسيني الإمام موقّقاً
 فمثلك من بالمكرمات تخلّقاً
 مدى الدهر أبواب التصبّر أصفقاً
 ضريح (جواد) والهدى مترقّقاً

كأنّ بصدر الدستِ عمرو العلا احتبى
 وبشرى بني الإسلام أن عاد أمره
 يجيل بصدر المنتدى فيه أنملاً [٦٠]
 بمخبره (والنورُ منه) وعرفه
 فلو ضاءت الأحسابُ فوق جبينه
 وذا مجمعُ البحرينِ علمٌ ونائلُ
 وفي الذكر مدحُ ابن النبيّ فما ترى
 إمامَ حسينيّ النجارِ فقل به [٦٥]
 تحرّ اصطباراً آيةُ الله في الوري
 عزاءً وإن كان المصاب بمن مضى
 وجاد لباب المُزِنِ منسكباً على

(١١) قصيدة للشاعر الأستاذ صالح الجعفري (م ١٣٩٧ هـ) «من البسيط»^١:

مَآذَا أَقُولُ وَقَدْ خَآئِنِي الْكَلِمُ
 الشُّغْرُ مَا نَتَرْتُهُ الْأَذْمُعُ الشُّجْمُ^٣
 فَكَانَ آخِرَ شَيْءٍ فَارَقْتُ قَلَمُ
 كَمَا يَمُرُّ بِعَيْنِي النَّائِمِ الْحُلْمُ
 خَوْفَ النَّدَامَةِ إِذْ لَا يَنْفَعُ النَّدْمُ
 فَوْقِ الْقَرَّاطِيسِ لَا نَائِي وَلَا نَعْمُ
 أَنَّ الْهُدَى سِرُّهُ فِي الذَّبِّ يَنْكَبُ

الرُّزْءُ^٢ أَكْبَرُ مِمَّا تَخِيلُ الْهِمَمُ
 مَا قِيمَةُ الشُّغْرِ مَرْصُوفاً وَمُنْسَجِمًا
 فِي ذِمَّةِ اللَّهِ نَفْسٌ بِالْجِهَادِ قَضَتْ
 مَرَّتْ بِهَا إِبِلُ السَّبْعِينَ^٤ مُسْرِعَةً
 مَا نَادَمْتَ غَيْرَ قِرْطَاسٍ وَمِخْبَرَةٍ [٥]
 أَلَدُّ مَا عِنْدَهَا صَوْتُ الْبِرَاعَةِ مِنْ
 عَجَبَتْ وَالذَّهْرُ مَمْلُوءٌ الرُّدَا عَجَبًا

١. ديوان الجعفري: ٢٨٩-٢٩١.

٢. الرُّزْءُ: المصيبة. الصحاح ١: ٥٣. «رزا».

٣. سَجَمَ الدمع: سال. الصحاح ٥: ١٩٤٧. «س ج م».

٤. إشارة إلى عمر البلاغي، وهو سبعون سنة، إذ كانت ولادته سنة ١٢٨٢ هـ، ووفاته سنة ١٣٥٢ هـ.

مَا حَبَّرْتَهُ^١ يَدَاكَ الْيَوْمَ تَخْتِمِينَ
وَالْيَوْمَ أَنْتَ لِإِدِينِ الْمُضْطَفَى أَمَلًا
سَبْعُونَ عَامًا لَمْ يَثْبُثْ لَهَا عِلْمٌ^٢
مِنْهَا حَصَاتِكَ^٣ أَنْ يَنْتَابَهَا السَّامُ
بِفَقْدِكَ الْيَوْمَ أَضْحَتْ تَنْطِقُ الْبِكُمْ
وَفِيكَ بِالْأَمْسِ كَأَنْتَ تُضْلِحُ التُّلْمَ
وَوَجَّهَتْ بَعْدَكَ الْأَقْوَالُ وَالتَّهْمَ
وَبَشَّرِي - لَا هَذَاكَ اللهُ - يَا بَوْمَ
(أنوارهُ) وَتَوَالَتْ بَعْدَهَا الظُّلْمُ
وَقَدْ تَمَوَّتْ بِمَوْتِ الْوَاحِدِ الْأُمَمُ
هُدَّتْ حُصُونُ الْهُدَى وَانْدَكَّتِ الْأُطْمُ^٤
أَمِنْتَ لَمَّا خَلَّتْ مِنْ أَسَدِهَا الْأَجْمُ^٥
وَصِرْتَ بَعْدُ إِمَامًا فِيكَ نَعْتَصِمُ
أَمَّا سِوَاكَ فَبِي دَعْوَاهُ مُتَّهَمُ
فِي اللهِ وَهُوَ بِحُلْمٍ بَعْدَهُ حُلْمُ
لَا مَالٌ عِنْدَكَ لَا حُجَابُ لَا خَدَمُ

مَا مَبْدَأُ الْفَضْلِ ثِقَى أَنْ الْفَضَائِلَ فِي
بِالْأَمْسِ كُنْتَ لِإِدِينِ الْمُضْطَفَى أَمَلًا
وَمَا تَنْتَكَ وَلَوْ مَرَّتْ عَلَى عِلْمٍ [١٠]
وَهَلْ سَيَمَتْ وَحَاشَا هِمَّةً جُبِلَتْ
يَا مُخْرِسًا فُضْحَاءَ الشَّرِكِ مُسْكِتَهَا
تَلَمَّتْ بِالَّذِينَ تَلَمَّا لَا صَلَاحَ لَهُ
مَاذَا الْجَوَابُ إِذَا انْقَالَتْ صَحَائِفُهُمْ
قُلْ لِلْخَفَافِيشِ جَاءَ اللَّيْلُ فَانْطَلِقِي [١٥]
غَابَ (الهُدَى) وَانْطَفَأَ مِضْبَاحُهُ وَخَبِثَ
يَا أُمَّةً فُقِدَتْ فِي فَقْدِهَا وَاحِدَهَا
لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ جَيْشِ الضَّلَالِ لَهَا
تَعَالَبَ الْبَغْيِ سِيرِي حَيْثُ شِئْتِ فَقَدْ
أَلْيَّةٌ^٦ بِالَّذِي سَوَاكَ مِنْ عَلَقِي^٧ [٢٠]
إِنَّ الزَّعَامَةَ حَقٌّ أَنْتَ صَاحِبُهُ
كَمْ لَيْلَةٌ لَكَ حَتَّى الصُّبْحِ تَسْهَرُهَا
كَرَّسْتَ عُمْرَكَ فِي الْإِسْلَامِ تَخْدُمُهُ

١. أي كتبتهُ.

٢. العَلْمُ: الجبل. الصحاح ٥: ١٩٩٠، «ع ل م».

٣. فلان ذو حَصَاة: أي ذو عقل ولُبِّ. الصحاح ٦: ٢٣١٥، «ح ص ا».

٤. الأُطْمُ: الحصن. الصحاح ٥: ١٨٦٢، «أ ط م».

٥. الأَجْمُ، جمع الأَجْمَةِ، وهي الأرض التي فيها شجر كثير ملتف. انظر الصحاح ٥: ١٨٥٨، «أ ج م».

٦. أَلْيَّةٌ: قسماً. الصحاح ٦: ٢٢٧١، «أ ل ا».

٧. العَلَقُ: الدم الغليظ. الصحاح ٤: ١٥٢٩، «ع ل ق».

هَذَا أَوْابِدُكَ الْعَرَاءُ خَالِدَةٌ مَا طَأَقُ كِشْرَى وَمَا الْحَرَاءُ مَا الْهَرَمُ
[٢٥] لَا يَفْعَلُ السَّيْفُ مَكْسُورَ الْقِرَابِ كَمَا قَدْ كَانَ يَفْعَلُ إِذْ تَسْتَلُّهُ الْقَلَمُ
تَغَارُ لِلدِّينِ أَنْ يُزْمَى بِخَائِنَةٍ كَأَنَّه لَكَ عِرْضُ كُلِّهِ حُرْمُ

(١٢) قصيدة للشاعر الشيخ محمد تقي الفقيه «من الكامل»^٢:

قَلْبُ مِنَ الذُّكْرِى لِقَفْدِكَ دَائِمِي جُزْجُ وَآلَامٌ عَالِي آلامِ
شَمْعُ الْأَمَانِي ذَابَ بَعْدَكَ وَأَنْطَوَتْ أَخْلَامُنَا فِي بُرْدَةِ^٣ الْأَيَامِ
فِي قَلْبِ كُلِّ مُوَحِّدٍ لَكَ حَسْرَةٌ شَطْرَانِ بَيْنَ تَوَجُّعٍ وَضِرَامِ
وَبِكْفِهِ الْيَمْنَى مَهِيضٌ^٤ فُوَادِيهِ شِقَانِ مَكْسُورٍ وَآخِرُ دَائِمِي
رَوْضُ الْمُنَى يَذْوِي إِذَا جَفَّ الْحَيَاةُ عَنْهُ وَأَخْلَافٌ^٦ الدُّمُوعِ هَوَامِي^٧
وَالْمَوْتُ عَاصِفَةٌ وَقَدْ هَبَّتْ عَلَيَّ رُكْنِ الْهُدَى وَقَضَّتْ عَلَيَّ الْإِسْلَامِ
أَفْنَيْتَ نَفْسَكَ بِالْجِهَادِ وَطَالَمَا رَوَيْتَ مِنْ دَمِهَا الْيَرَاعِ الظَّامِي
حَتَّى تَسَامَتْ لِالْجِنَانِ مَهِيضَةٌ هَتَفَ الْمَلَائِكَةُ اذْخُلِي بِسَلَامِ
رَيْتَاكَ وَاحِدَةً يَهِيْبُ بِهَا الرَّدَى جِنْفًا وَأُخْرَى طُعْمَةَ الْأَقْلَامِ
مَنْ يَخْسُ^٨ مِنْ شِقِّ الْيَرَاعَةِ كَأَسَهُ فَوْقَ الَّذِي يَخْسُوهُ فِي الصَّمْضَامِ^٩
صَيَّرَتْ قَلْبَكَ شَمْعَةً وَحَمَلْتَهُ ضَوْءًا أَمَامَ الدِّينِ لِالْإِعْظَامِ

١. الأوابد: القوائد الخالدة. انظر الصحاح ٢: ٤٣٩، «أ ب د».

٢. شعراء الغري ٧: ٣٣٤ - ٣٣٥.

٣. البرودة: كساء أسود مرتفع فيه صور تلبسه الأعراب. الصحاح ٢: ٤٤٧، «ب ر د».

٤. مهيض: مكسور. الصحاح ٣: ١١١٣، «هـ ي ض».

٥. الحيا: المطر. الصحاح ٦: ٢٣٢٤، «ح ي ا».

٦. أخلاف، جمع خلف: وهو الضرع. الصحاح ٤: ١٣٥٥، «خ ل ف».

٧. أي سائلة. الصحاح ٦: ٢٥٢٦، «هـ م ي».

٨. يخسو: يشرب. الصحاح ٦: ٢٣١٢، «ح س ا».

٩. الصمضام: السيف الصارم الذي لا ينثني. الصحاح ٥: ١٩٦٨، «ص م م».

فَأَذْبَنَتْهُ فَإِذَا الْمَدَامِعُ أَشْطَرِ
هَلَا اخْتَفَظَتْ بِهِ وَقُلْتَ إِذَا انْطَفَى
زَيْتُ (الهُدَى) قَدْ جَفَّ بَعْدَكَ وَانْطَفَى
مَشَتْ الْمُصِيبَةُ فِي النَّفُوسِ وَأَمْطَرَتْ [١٥]
فَوَهَتْ^١ فَلَمْ يَقْوِ امْرُؤٌ أَبَدًا عَلَى
لَوْلَا الْمَلَائِكُ فِي السَّمَاءِ وَجَذْبَةُ
هَفَّتِ^٢ الْأَنْبِيلُ لِلْسَّرِيرِ مَرْوَعَةً
وَمَسَّوْا وَسَارَ النَّعْشُ مُتَيْدًا فَقُلْ
وَقَفُّوْا وَسَارَ النَّعْشُ مُتَيْدًا وَقَدْ [٢٠]
وَجَرَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فَكَأَنَّهُ
فَعَدَّوَتْ نُوحًا وَالسَّرِيرُ سَفِينَةٌ

وَالنُّورُ مَغْنَاهَا التَّبْدِيعُ السَّامِي
مَنْ ذَا يُضِيءُ إِذْنِ عَلَى الْإِسْلَامِ
مِضْبَاحُهُ فَسَرَى الْوَرَى بِظَلَامِ
حُزْنًا عَلَى الْأَزْوَاجِ وَالْأَجْسَامِ
تَخْرِيكَ نَعْتِكَ خَطْوَةً لِأَمَامِ
عَلَوِيَّةً لَمْ يَزُقْ فَوْقَ الْهَامِ
وَاضْطَكَّتِ الْأَقْدَامُ بِالْأَقْدَامِ
أَفْنَانُ^٣ يَذْبُلُ^٤ أَمْ قِنَانُ^٥ شَمَامِ^٦
نَقَلْتَهُ إِنْهَامَ إِلَى إِنْهَامِ
فُلُكُ وَهَمُّ لِفُلُكِ بَحْرُ طَامِي
سَبَحَتْ بِطُوفَانٍ مِنَ الْأَجْسَامِ

١٣) قصيدة للعلامة السيد علي نقي النقوي الهندي :

بدأ الدين غريباً ولقد عاد غريباً
حينما أصبح في الناس وحيداً وفريداً
لا يزال الدهر يرمى بالسهام المضميات
مؤثراً قوس المنايا بالخطوب الكارثات
ولشرع المصطفى المختار فيها صرخات
تملاً الأحشاء من وجد فكادت أن تذوبا
وتهز الأرض من وقع الأسى حتى تميدا

١. وهت: ضعفت. الصحاح ٦: ٢٥٣٦. «وهى».

٢. هفت: خفقت وطار. الصحاح ٦: ٢٥٣٥. «هفا».

٣. أفنان: أغصان. والمقصود هنا نواحي جبل يذبل. انظر الصحاح ٦: ٢١٧٨. «ف ن».

٤. يذبل: اسم جبل. الصحاح ٤: ١٧٠١. «ذ ب ل».

٥. قنَانُ: جمع قنَّة: وهي أعلى الجبل، مثل القلَّة. الصحاح ٦: ٢١٨. «ق ن ن».

٦. شَمَامٌ: اسم جبل. الصحاح ٥: ١٩٦١. «ش م م».

كَلَّ يَوْمَ (الهدى) ركنٌ على الأرض يطبخ
وَضُرَّاحٌ لبني العلياء يغشاه الضريح
فصفيح باترٌ للسدين يعلوه الصفيح
وخطوبٌ حول شرعِ المصطفى تتلو الخطوبا

فتعيذُ البيضَ من أياْمنا بالحزنِ سودا

أَوْ فِي قَلْبِي وَجْدٌ مُسْتَطْبِرٌ بِالشَّرَازِ
كَيْفَ لِي فِي لَوْعَةِ الهَمِّ اصْطَبَارٌ أَوْ قَرَارِ
أصطلي منه غدوًا وعشيًا حرًّا ناز
وفؤادي بمصابٍ يجعل الولدان شييا

في أوارِ كأوارِ النَّارِ لا يلقى خمودا

طَرَقَتْ طَارِقَةٌ مَادَتْ بِهَا السَّبْعُ الطَّبَاقُ
وَكأنَّ حَانَ بِهَا بَيْنَ الْوَرَى يَوْمُ الْمَسَاقِ
وقد التقت من الشرع لها بالساق ساق
إذ غدا دينُ الهدى يدعو فلا يلقى مجيبا

وسيوفُ البغي سُلَّتْ نحوَه تَفْرِي الْوَرِيدَا

جاءني النعي فما أدراك ماذا قد دهاني
فَتَجَلَّتْ لَوْعَتِي مِنْ زَفْرَاتِ كَالدَّخَانِ
صرتُ لا أنطقُ من وجدِي إذ كَلَّ لِسَانِي
ولقد ضاق فؤادي بعد أن كان رحيبا

حينما خاب رجاءُ طالما كان وطيدا

قَدْ قَضَى يَا لَهْفَ نَفْسِي حَضْرَةَ الشَّيْخِ (الجوادِ)
وَالَّذِي جَاهَدَ فِي نَصْرِ (الهدى) حَقَّ الْجِهَادِ
مَنْ بِهِ أَصْبَحَ صرْحُ الدِّينِ كَالسَّبْعِ الشَّدَاذِ
بِسِرَاعٍ نَافِذِ الأَمْرِ إِذَا خَاضَ الحُرُوبَا

مفرداً بان جنوداً للعدا تتلو الجنودا

أَيَّةُ اللَّهِ الإِمَامُ الْحِجَّةُ الشَّيْخُ الْبَلَاغِي
حَيْثُ جَلَى شُبَّةُ النَّاسِ وَأَعْيَى كُلُّ لَاحِ
مَنْ بِهِ الدِّينُ بَدَا مُضْطَبَّغاً أَيْ اصْطَبَاغِ
فغدا الكفرُ به مُنْهَزَمًا يَشْكُو الْكُرُوبَا

(والهدى) يرفع في الجوّ من الفخر بنودا

لَمْ تَزَلْ مِنْهُ (البروتستنت) فِي هَوْلِ مَهْؤُلٍ
وَلَقَدْ كَانَتْ تَرَاعِي بِأَسْئَةٍ فِيمَا تَقُولُ
إِذْ تَرَى أَنْفُسَهَا عَاجِزَةً عَنْ أَنْ تَصُولُ
حَيْثُ لَمْ يَبْرَحْ عَلَى أَقْوَالِهَا طَرًّا رَقِيبَا

وَلَكَمَّ عَالَجَهَا قَدَمًا رُودًا وَتَقُودَا

بَطَلَ الإِسْلَامَ مَاضِيَ العَزْمِ ذُو البَأْسِ الشَّدِيدِ
لَمْ تَزَلْ تَأْكُلُهُمْ قَائِلَةٌ هَلْ مِنْ مَزِيدِ
شَبَّ نِيرَانًا عَلَى جَمْعِ الْعِدَا ذَاتِ الْوَقُودِ
فَهِيَ تَشْتَدُّ عَذَابًا حَيْثُ تَزْدَادُ لَهْيَا

كلما لاقت جموعاً لبني الكفر وقودا

شع (أنوار الهدى) بين قريبٍ وبعيدٍ من هُداهُ فاهتدى من ضوئها كلُّ سعيدٍ
مَن له قلبٌ وألقى سمعه وهو شهيدٌ فنأى عن غيِّه من كان للغيّ قريبا

ودنا للرشد من كان عن الرشد بعيدا

قد طوى مَضَحَفَ هذا العمر في طول اجتهادٍ آخذاً من عاجل الدنيا له زادَ المعادِ
وقضى سبعين عاماً جاهداً حقَّ الجهادِ بيراعٍ دائمٍ التَّجوالِ لا يشكو اللُّغوبِ

مبدئ الكثرة في جمع الأعادي ومُعيدا

كان في أخلاقه أنموذجُ الهدى الجميلِ ومثالاً للتقى والورع في شأنٍ جليلِ
نابتَ الجأشِ قويِّ العزمِ ذا رأيٍ أصيلِ أبصر الدنيا على عِلَّاتها فكراً مصيبا

فظوى كشحاً ولم يلبغ بها عيشاً رغيدا

فارق الأيتام إذ نادى المنادي بالرحيلِ فتلقته احتفاءً رحمةُ الرّبِّ الجليلِ
وأناه الرّوحُ بالبشرى من الله فليلِ قرّ عيناً واسكن الخلد فطوبى ثم طوبى

حيث قد عاش حميداً ولقد مات سعيدا

(١٤) وقال أيضاً العلامة النقوي في تاريخ سنة وفاته ﷺ:

أتاني بريدُ الأسي مرسلأ وليس على الرُّشْلِ غير البلاغِ
بنعيِّ له ما جَ بين الضلو ع بحرٌ من الهَمِّ والبحرُ طاعِ
نعيِّ عَلماً للهدى لم يَزَلْ يُجاهدُ في نصره كُلاً باغِ
وطأطأ للدين هامَ العدا فعاد به مُلجماً كُلاً لاغِ
به ملةُ الحقِّ قد أزهرت إذ اصطبغتُ منه أيُّ اصطبغِ
مضى آخذاً من سيني عُمره لمنزلٍ أخراه خيرَ بلاغِ
ومات فحقَّ الأسي والبكا وأضحى الهنا ماله من مساعِ
أتلك القيامةُ قلت مؤرَّ خأ (بل مصاب الإمام البلاغي^١)

[٥]

السرد التاريخي لحياة ونشاط العلامة البلاغي

١٢٨٢هـ ولادته في مدينة النجف الأشرف.

١٣٠٦هـ هجرته إلى مدينة الكاظمية المقدسة، وزواجه من ابنة السيد موسى

الجزائري.

حدود ١٣١٠هـ وفاة والده الشيخ حسن البلاغي في مدينة النجف الأشرف.

١٣١٢هـ عودته للاستقرار في مدينة النجف الأشرف.

١٣١٦هـ نظم عدة أبيات عن لسان السيد مهدي بحر العلوم يُبشّر فيها العلامة

الشيخ عبد الحسين الجواهري بولادة ولده عبد العزيز.

١٣١٧هـ نظم قصيدة في ردّ القصيدة البغدادية التي نظمها أحد علماء بغداد

المنكرين لوجود الحجّة المنتظر - عجّل الله تعالى فرجه الشريف -.

١٣١٩هـ نظم قصيدة وبعثها للسيد محسن الأمين في الشام.

١٣٢٦هـ هاجر إلى مدينة سامراء المقدسة.

١٣٣٠هـ تأليفه لكتاب الهدى إلى دين المصطفى في سامراء.

١٣٣١هـ تأليفه للتوحيد والتثليث في سامراء.

١٣٣٣هـ نظم قصيدة في رثاء المجاهد السيد محمد سعيد الحبوبي.

بين ١٣٢٦ و ١٣٣٦هـ ألّف في سامراء داعي الإسلام وداعي النصارى والردّ على

جرجيس سايل وهاشم العربي.

١٣٣٦هـ هاجر إلى مدينة الكاظمية المقدسة وألّف فيها رسالة تنجيس المتنجس.

١٣٣٨ هـ عاد إلى مدينة النجف الأشرف .

١٣٣٨ هـ في ١٨ رمضان حضر الاجتماع الذي عقده العلماء في مسجد الهندي بعد اندلاع ثورة العشرين المباركة .

١٣٣٩ هـ في شهر شعبان ألف نصائح الهدى .

١٣٣٩ هـ في الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة انتهى من تأليف أنوار الهدى .

١٣٣٩ هـ ألف البلاغ المبين .

١٣٣٩ هـ له مواقف مشرّفة ضدّ البايّة .

بعد ١٣٣٩ هـ ألف البداء .

١٣٤١ هـ في ٢١ جمادى الآخرة جرت مراسلة علميّة بينه وبين السيّد محسن الأمين .

حدود ١٣٤٢ هـ ألف بعض العقود المفصّلة .

تأليف كتاب الرحلة المدرسيّة والمدرسة السيّارة ما بين سنة ١٣٤٢ إلى سنة ١٣٤٤ هـ .

قبل ١٣٤٣ هـ ألف رسالة في شأن التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام .

١٣٤٣ هـ ألف تعليقة على بيع المكاسب للشيخ الأنصاري .

١٣٤٣ هـ نظم قصيدة رائعة بمناسبة هدم القبور من قبل الوهابيّين .

١٣٤٤ هـ ألف رسالة حرمة حلق اللحية .

١٣٤٤ هـ له مواقف مشرّفة أمام الوهابيّين ، وألف دعوة الهدى إلى الورع في

الأفعال والفتوى .

١٣٤٥ هـ في الرابع عشر من شهر ربيع الأول انتهى من تأليفه لرسالة الردّ على الوهابيّة .

١٣٤٥ هـ ألف أعاجيب الأكاذيب .

١٣٤٥ هـ كتب رسالة للشيخ إبراهيم المظفر عندما أراد تأليف رسالته نصره المظلوم .

١٣٤٦ هـ وقوفه عملياً ضدّ رسالة التنزيه للسيّد محسن الأمين .

١٣٤٧ هـ في اليوم السادس من شهر ربيع الأول انتهى من تأليفه للجزء الأوّل من

كتابه الرحلة المدرسيّة .

١٣٤٧ هـ كتب رسالة جوابية علمية لرسالة جاءته من تبريز موقّعة باسم عباس قلي الواعظ الجرندي.

بين ١٣٤٦ و ١٣٤٨ هـ ألف نسمة الهدى.

١٣٤٩ هـ في شهر ذي الحجة بدأ بتأليف آلاء الرحمن في تفسير القرآن.

١٣٥١ هـ في الثامن والعشرين من شهر محرم كتب رسالة جوابية للسيّد محسن الأمين.

١٣٥٢ هـ في التاسع من شهر شعبان كتب رسالة صغيرة للسيّد محسن الأمين.

١٣٥٢ هـ في الثاني والعشرين من شهر شعبان توفي العلامة البلاغي ﷺ ورحل إلى

رَبّه عن عمر ملئ بالجدّ والجهد، ناهزاً لسبعين عاماً وتعدّاه بقليل.

الخاتمة

١ - المترجمون للعلامة البلاغي

٢ - مختارات من ترجمته

جمع وتنظيم

مركز إحياء التراث الإسلامي

المرجمون للعلامة البلاغي

١. العلامة الشيخ علي كاشف الغطاء (م ١٣٥٠هـ)، الحصون المنيعة، ج ٩، ص ١٨٦، (مخطوط).
٢. المحدث الخبير الشيخ عباس القمي (م ١٣٥٩هـ)، الكنى والألقاب، ج ٢، ص ٩٤ و ٩٥.
٣. الشيخ محمد حرز الدين (١٢٧٣-١٣٦٥هـ)، معارف الرجال، ج ١، ص ١٩٦-٢٠٠.
٤. الشيخ جعفر النقدي (م ١٣٧٠هـ)، الروض النضير في شعراء القرن المتأخر والأخير، ص ٣٠٤.
٥. الشيخ محمد السماوي (١٢٩٢ - ١٣٧٠هـ)، الطليعة في شعراء الشيعة، ص ٦٥ و ١٩٣ - ١٩٥، بيروت - دار المؤرخ العربي.
٦. العلامة السيد محسن الأمين (م ١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٢٥٥ - ٢٦١.
٧. الشيخ جعفر الشيخ باقر آل محبوبية (م ١٣٧٧هـ)، ماضي النجف وحاضرها، ج ٢، ص ٦١ - ٦٦.
٨. العلامة الشيخ محمد علي الأوردبادي الغروي (١٣١٢ - ١٣٨٠هـ)، تراجم الرجال، (مخطوط).
٩. ومجلة الهدى العمارة (السنة الثالثة، ج ٣، ص ٣٧٩). مدينة العمارة العراقية.
ومجلة الرضوان (السنة الأولى، العدد ١٠). لكنهو، هند.
٩. الأستاذ المحامي توفيق الفكيكي (م ١٣٨٧هـ)، مقدّمة كتاب الهدى إلى دين المصطفى، الطبعة الثانية.
ومجلة الموسم (العدد ٢٠، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م)، هلند.

١٠. الحجّة الخريّت الشيخ أغا بزرك الطهراني (م ١٣٨٩ هـ)، طبقات أعلام الشيعة (نقباء البشر)، ج ١، ص ٣٢٣ - ٣٢٦.
- والذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ١، ص ٣٨ وج ٢، ص ٢٢٠، ٤٤٧ وج ٣، ص ١٤٠ وج ٤، ص ١٧٢، ٤٨٥ وج ٥، ص ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩ وج ٦، ص ٢١٨ وج ٧، ص ٦٣ وج ٨، ص ٢٠٦ وج ٩، ص ١٤٠ وج ١٠، ص ١٦٩، ٢١٠، ٢١٨، ٢٣٦، ٢٣٧ وج ١١، ص ٣٤، ٩٠، ١٠١، ١٠٥، ١٣٠، ١٣٥، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٧، ١٧٥، ١٩٠ وج ١٤، ص ٢١٥ وج ١٥، ص ٦٩، ٣٠٤، ٣١٧، ٣٣٠ وج ١٦، ص ٥٤ وج ١٨، ص ٢٩٤ وج ٢١، ص ٣٠، ٧٩، ٩٣ وج ٢٣، ص ١٧، ٢٣١ وج ٢٤، ص ١٧٢، ٣٨٦ وج ٢٥، ص ٢٠٢، ٢٧٦.
١١. الشيخ علي اليعقوبي (?)، في ديوانه، ص ٢٣٥، الحجّة البلاغي.
١٢. الشيخ محمّد علي المدرّس التبريزي (م ١٣٧٣ هـ)، ربحانة الأدب، ج ١، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.
١٣. المولى علي الواعظ الخياباني التبريزي (١٢٨٢ - ١٣٦٧ هـ)، وقايع الأيّام (رمضان المبارك)، ص ٦٧٢ - ٦٧٥.
- وعلماء معاصرين، ص ١٦١ - ١٦٦.
١٤. الشيخ علي الخاقاني (م ١٣٩٨ هـ)، شعراء الغري، ج ٢، ص ٤٣٦ - ٤٤٢.
١٥. عمر رضا كحّالة (م ١٤٠٨ هـ)، معجم المؤلّفين، ج ١، ص ٥٠٩، مؤسّسة الرسالة، ١٤١٤ هـ.
١٦. خير الدين الزركلي (١٣١٠ - ١٣٩٦ هـ)، الأعلام، ج ٦، ص ٣٠٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢ م.
١٧. السيّد موسى الموسوي (?)، نجل العلامة السيّد صادق الموسوي الهندي، آل البلاغي، (مخطوط).
١٨. الشيخ محمّد علي جعفر التميمي (١٩١٩ م - ...)، مشهد الإمام، ج ٢، ص ١٧٦ - ٢٢٦.

١٩. الشيخ محسن المظفر، رسالة الإمام البلاغي، مطبوع ضمن مشهد الإمام، ص ١٧٦ - ٢٢٦.
٢٠. آية الله السيد شهاب الدين المرعشي النجفي (م ١٤١١ هـ)، وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ، المطبوع في مقدّمة (مدرسة سيار) ١٣٨٣ ش.
٢١. الحاج السيد عباس الحسيني الكاشاني الحائري، كتاب التراجم.
٢٢. الحاج ميرزا حسين عماد الدين الإصفهاني، كتاب التراجم.
٢٣. دانشنامه جهان اسلام، ج ٣، ص ٧٢٠ - ٧٢٢، طهران ١٣٧٤ ش.
٢٤. خان بابا مشار (?)، مؤلفين كتب چاپی، ج ٢، ص ٤١٢ - ٤١٣.
٢٥. كورگيس عواد، معجم المؤلفين العراقيين، ج ٢، ص ١٢٣ - ١٢٥.
٢٦. آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي، مقدّمة كتاب أنوار الهدى للعلامة البلاغي.
٢٧. الأستاذ السيد أحمد الحسيني الإشكوري، مقدّمة كتاب الرحلة المدرسية للعلامة البلاغي.
- و أجوبة المسائل الدينية (٦٩ - ٧٣)، نجف.
٢٨. الدكتور أحمد صفائي، مقدّمة (ترجمة كتاب الهدى إلى دين المصطفى) اسلام آيين برگزيده، نشر آفاق، طهران ١٣٦٠ ش.
٢٩. الشيخ محمد حسن آل ياسين (?)، مقدّمة رسالة البداء للعلامة البلاغي، نفائس المخطوطات، العدد ٤، ١٣٧٤ هـ.
٣٠. الكاتب الأستاذ السيد حسن الحسيني اللواساني (١٣٠٨ - ١٤٠٠ هـ)، آلاء الرحمن للعلامة البلاغي، الطبعة الأولى والثانية، آخر الجزء الأوّل والثاني.
٣١. الشيخ محمد هادي الأميني (م ١٤٢١ هـ)، معجم رجال الفكر والأدب في النجف، ج ٢، ص ٢٥٢.
٣٢. السيد مرتضى مدرّسي چهاردهي (?)، تاريخ روابط ايران وعراق، ص ٣٢٠ - ٣٣٥، طهران، كتابفروشي فروغی، ١٣٥١ ش.
٣٣. محمد رضا الحكيمي، بيدارگران اقاليم قبله، ص ١٧٨ - ٢٢٢، دفتر نشر فرهنگ.

٣٤. آية الله الشيخ رضا الأستادي، نوزده ستاره و يك ماه، ص ٢٤١ - ٢٦٢، قم، ارزشمند، ١٣٨٢ ش.
- ومجلة مشكاة (أردبهبشت سنة ١٣٦١ ش)، مشهد.
- ومجلة دراسات وبحوث (العدد ٧، رجب ١٤٠٣)، إيران - قم، جوانب من حياة الشيخ البلاغي.
٣٥. علي عليزادة (علامة بلاغي، رواية رويش، ديدار با ابرار، ش ٣٨)، مركز الطباعة والنشر التابع لمنظمة الإعلام الإسلامي ربيع ١٣٧٣ ش.
٣٦. دائرة المعارف تشيع، ج ١، ص ١٥٢، طهران، ١٣٧٥ ش.
٣٧. عقيقي بخشايشي، مكتب اسلام (السنة ٢٣، العدد ٧، سنة ١٣٦٢ ش)، قم.
٣٨. ناصر الدين أنصاري، مجلة نور علم (الدورة الرابعة، سنة ١٣٧٠ ش)، قم.
٣٩. عبد الكريم آل نجف، مجلة التوحيد (العدد ٦٠، السنة ١٠، ١٤١٣ هـ)، قم.
٤٠. السيد عبد الوهاب الصافي، مجلة الاعتدال (العدد ١، السنة الثانية، ربيع الأول ١٣٥٣ هـ)، النجف الأشرف، العلامة البلاغي.
٤١. مجلة قضايا إسلامية (العدد ٢٠، السنة ١٩٩٥ م)، إيران - قم.
٤٢. محمد علي الحكيم، مجلة تراثنا (العدد ٣٥، السنة ١٤١٤ هـ).
٤٣. الشيخ علي الكعبي، رسالة القرآن (العدد ٧، السنة ١٤١٣ هـ).

مختارات من ترجمته

تحتوي على نصوص عشرة مما كتبه
أعلام معاصريه وتلاميذه في ترجمته

١ - العلامة السيّد محسن الأمين (م ١٣٧١هـ)*

الشيخ جواد - ويقال محمّد الجواد - ابن الشيخ حسن ابن الشيخ طالب ابن الشيخ عبّاس ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ حسين ابن الشيخ عبّاس ابن الشيخ حسن صاحب تنقيح المقال ابن الشيخ عبّاس ابن الشيخ محمّد علي بن محمّد البلاغي الربعي، نسبةً إلى ربيعة النجفي.

ولد سنة ١٢٨٥ وتوفّي بذات في الجنب ليلة الاثنين الثاني والعشرين من شعبان سنة ١٣٥٢ في النجف الأشرف ودفن فيها. وعلمنا بوفاته حين دخولنا بغداد بقصد التشرف بزيارة العتبات الشريفة وزيارة الرضا عليه السلام، وكان قد توفّي قبل خروجنا من دمشق ولم نعلم به فأسفنا لذلك كثيراً، فإنّا خرجنا من دمشق أوّل يوم من شهر رمضان.

وآل البلاغي بيت علمٍ وفضل وأدب ونجابة، أخرج بيتهم كثيراً من العلماء والأدباء، وهم عراقيون نجفيون، ينتسبون إلى ربيعة كما يوجد في كتابات بعضهم، ومن ذكرناهم في سلسلة نسب المترجم جلّهم من أهل العلم والفضل والخدمة في الدين وإن اختلفت مراتبهم.

ومرّت ترجمة الشيخ إبراهيم جدّ جدّ المترجم منهم في بابها، وذكرنا هناك أنّه أوّل من سكن الديار العامليّة منهم، والبلاغيّون الذين فيها هم من ذريّته ...
والمترجم له كان عالماً فاضلاً أديباً شاعراً حسن العشرة سخيّ النفس، صرف

عمره في طلب العلم وفي التأليف والتصنيف وصنّف عدّة تصانيف في الردود .
 صاحبناه في النجف الأشرف أيام إقامتنا فيها، ورغب في صحبة العاملين
 فصاحبناه وخالطناه حضراً وسفراً وعدّة سنين إلى وقت هجرتنا من النجف، فلم نر
 منه إلا كلّ خلقٍ حسن وتقوى وعبادة، وكلّ صفةٍ تُحمد، وجرت بيننا وبينه بعد
 خروجنا من النجف مراسلات ومحاورات شعريّة ومكاتبات في مسائل علميّة
 سنذكرها إن شاء الله تعالى .

وكان شريكنا في الدرس عند مشايخنا في النجف: الشيخ ملا كاظم الخراساني،
 والشيخ محمّد طه نجف النجفي، والشيخ آقا رضا الهمداني .
 وبعد خروجنا من النجف هاجر إلى سامراء فقرأ على الميرزا محمّد تقي الشيرازي،
 وبقي في سامراء نحواً من عشر سنين، وبها ألف بعض كتبه . وبعد الاحتلال
 البريطاني خرج منها إلى الكاظميّة فبقي فيها سنتين، ثمّ عاد إلى النجف فتوطنها
 إلى أن توفّي .

مؤلفاته

- ١ . رسالة في بطلان العول والتعصيب، وهي أوّل ما ألفه .
- ٢ . العقود المفصلة في حلّ المسائل المشكّلة، وهي ١٤ عقداً:
 - (أ) في حرمة مسّ المصحف على المحدث .
 - (ب) في منجزات المريض .
 - (ج) في إقراره .
 - (د) في الرضاع .
 - (هـ) في قاعدة على اليد وفروعها .
 - (و) في تنجيس المتنجّس .
 - (ز) في العلم الإجمالي .
 - (ح) في اللباس المشكوك .

(يا) في الغسالة.

(يب) في المتمم كراً.

(بيج) في الزموم بما ألزموا به أنفسهم.

(يد) في القبلة.

٣. حاشية على المكاسب من أوّل البيع إلى بيع الوقف، مطبوعة.

٤. رسالة في حرمة حلق اللحية.

٥. رسالة في التكذيب لرواية التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام

وكذب نسبته إليه.

٦. رسالة في صلاة الجمعة لمن سافر بعد الزوال.

٧. رسالة في التقليد، لم تتمّ.

٨. رسالة في الخيارات، لم تتمّ.

٩. رسالة في الأوامر.

١٠. رسالة في فروع الرضاع وأحكامه على مذهب الإمامية وأئمة المذاهب الأربعة.

١١. حاشية على شفعة الجواهر.

١٢. حاشية علمية على العروة الوثقى.

١٣. رسالة في ردّ الفتوى بهدم قبور أئمة البقيع، مطبوعة.

١٤. رسالة في ردّ الوهابية، مطبوعة.

١٥. كتاب في أجوبة مسائل سئل عنها.

١٦. كتاب في أنّ غالب ما انفردت به الإمامية يمكن إقامة الدليل عليه من أحاديث

مخالفهم، برز منه كتاب الطهارة وكتاب الصلاة.

١٧. كتاب داعي الإسلام وداعي النصارى.

١٨. الردّ على مقالة جرجيس سايل في الإسلام.
١٩. رسالة في ردّ أوراق جاءت من لبنان.
٢٠. ردّ كتاب ينابيع الكلام.
٢١. رسالة في ردّ كتاب حيون^١ للقاديانية.
٢٢. الهدى إلى دين المصطفى، في الردّ على الكتاب المستعار له اسم «الهداية» في مجلدين، مطبوع.
٢٣. الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة، بشكل مناظرة روائية، طبعت مرّتين في ثلاثة أجزاء، وترجمت إلى الفارسيّة وطبعت.
٢٤. أعاجيب الأكاذيب، رسالة صغيرة مطبوعة، وترجمت إلى الفارسيّة وطبعت.
٢٥. رسالة في التوحيد والتثليث، مطبوعة.
٢٦. رسالة الردّ على الدهرية، مطبوعة.
٢٧. نصائح الهدى، في الردّ على البهائيّة، مطبوع.
٢٨. أنوار الهدى، جواب لمسائل الإلهيّة والنبوّة، وترجم في مدرسة الواعظين في كهنوء إلى لغة أوردو للطبع.
٢٩. البلاغ المبين بين الماديين والإلهيين، مطبوع.
٣٠. المصابيح أو مصابيح الهدى، في ردّ القاديانية والبايئة والبهائيّة والأزليّة بما يتضمّن المشابهة والمشاركة بين هؤلاء في الدعاية والدعوى، مطبوع.
٣١. نسيمات الهدى، طبع في بعض أجزاء مجلّة العرفان.
٣٢. آلاء الرحمن في تفسير القرآن، وصل فيه إلى آخر سورة النساء، وأعجلته المنية عن إتمامه، طبع منه مجلّد واحد.
٣٣. تزويج أمّ كلثوم بنت أمير المؤمنين عليها السلام.
٣٤. أجوبة المسائل البغدادية.

١. كذا في أعيان الشيعة. وهو منفرد بذكره.

[و]له شعر كثير جيد، وهو في مواضيع مختلفة ...

تتميم

في باقي مؤلفاته التي فاتنا ذكرها:

٣٥. ترجمة رسالة في وضوء الإمامية وصلاتهم وصومهم، ترجمت إلى الإنكليزية وطبعت الترجمة، أما الأصل العربي فلم يُطبع.
٣٦. الشهاب في الرد على كتاب حياة المسيح لبعض القاديانية.
٣٧. رسالة في العول والتعصيب^١.
٣٨. رسالة في الرد على كتاب تعليم العلماء.

٢- الشيخ جعفر الشيخ باقر آل محبوبية (م١٣٧٧هـ)*

الشيخ جواد بن الشيخ حسن، بن الشيخ طالب، بن الشيخ عباس بن الشيخ إبراهيم. ولد بعد سنة ١٢٨٠هـ، هو ركن الشيعة وعمادها، وعزّ الشريعة وسنادها، صاحب القلم الذي سبّح في بحر العلوم، الناهل من موارد المعقول والمنقول. كم من صحيفة حَبَّرَها، وألُوكة حَرَّرَها، وهو بما حَبَّرَ فضح الحاخام والشَّمَّاس، وبما حَرَّرَ ملك رَقِّ الرهبان والأقساس، كان مجاهدًا بقلمه طيلة عمره وقد أوقف حياته في الذبِّ عن الدين ودحض شبه المادِّيِّين والطبيعيِّين. فهو جنَّة حصينة ودرع رصينة، له بقلمه مواقف فلَّتْ جيوش الإلحاد، وشَتَّتْ جيوش العادين على الإسلام والطاعنين فيه، وله إمام ببعض اللغات الأجنبيَّة، وهو مع تبخُّره في العلوم الروحيَّة ذو سهم وافر من النظم، فهو شاعر محسن مجيد.

خلقه وصفاته

حضرت بعض دروسه واستفدت منه مدَّة، كان نحيف البدن، واهي القوى، يتكلَّف الكلام ويعجز في أكثر الأحيان عن البيان، فهو بقلمه سحبان، الكتابة عنده أسهل من الخطابة.

كان لَيِّن العريكة، خفيف الروح، منبسط الكفِّ، لا يمزح، ولا يحبُّ أن يمزح أحد أمامه، تبدو عليه هيبة الأبرار، وتقرأ على أساريه صفات أهل التقى والصلاح.

له في الحسين عليه السلام عقيدة راسخة، وحبّ ثابت، فكم له أمام المناوئين للحسين عليه السلام من مواقف مشهودة، ولولاه لأمات المعاندون الشعائر الحسينية والمجالس الغزائية، ولكنّه تمسك بها والتزم بشعائرها وقام بها خير قيام^١.

وله اليد الطولى في تحريض رجال الدين على إنقاذ الدار التي اتخذها البايون في كرخ بغداد بمحلّة الشيخ بشار كعبةً لهم يقدّسونها، وجعلها حسينية تقام بها شعائر أهل البيت حتّى اليوم.

مشايخه

تخرّج على العلامة الشيخ محمّد طه نجف، والحاجّ آقا رضا الهمداني، والعلامة الخراساني صاحب الكفاية، هذا في النجف؛ وقطن سامراء عشر سنين، حضر فيها درس الميرزا محمّد تقي الحائري الشيرازي؛ صاحب النهضة الكبرى العراقية. وغادر سامراء لما احتلتها الجيوش البريطانية، وأقام في الكاظمين عليه السلام سنتين، ثمّ رجع إلى وطنه النجف وكان مكبّاً في هذه البلدان على التأليف والتدريس في العلوم الروحية الدينية من أصول وفقه وعقائد وتفسير وغيرها.

آثاره

له آثار كثيرة، المطبوع منها:

كتاب الهدى إلى دين المصطفى، جزءان؛

أنوار الهدى؛

١. يوم أفتى بعض العلويين في الشام، وتبعه علوي آخر في البصرة، بحرمة الشعائر الحسينية، وزمّر وطبل على هذه الفتوى كثير من المغرضين المعاندين، شاهدت هذا الشيخ الكبير - على ضعفه وعجزه - أمام الحشد المتجمهر للغزاء يمشي وهو يضرب على صدره وقد حلّ أزراره، وخلفه اللطم والأعلام، وأمامه الضرب بالطبل. ومن آثاره الباقية إقامة المأتم في يوم عاشوراء في كربلاء، فهو أول من أقامه هناك، وعنه أخذ حتّى توسّع فيه ووصل إلى حدّه اليوم.

نصائح الهدى؛

الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة ثلاثة أجزاء، وترجمته إلى الفارسية؛

أعاجيب الأكاذيب؛

رسالة التوحيد والتثليث؛

أجوبة المسائل البغدادية؛

رسالة في إبطال فتوى الوهابيين بهدم القبور الشريفة في الحرمين؛

البلاغ المبين في الإلهيات؛

رسالة في وضوء الإمامية وصلاتهم وصومهم، ترجمته للإنجليزية؛

العقود المفصلة في حل المسائل المشككة في الفقه؛

تعليقة على مكاسب الشيخ الأنصاري ومعها عدة رسائل؛

آلاء الرحمن في تفسير القرآن، جزءان؛

أجوبة المسائل حول شبهات الإلحاد والاعتراض على قدس رسول الله ﷺ.

وله آثار كثيرة لم تطبع، منها:

أجوبة المسائل الحلية؛

وأجوبة المسائل البغدادية؛

وأجوبة المسائل التبريزية في الطلاق، وتعدد الزوجات والحجاب؛

وبقية العقود المفصلة؛

عقد في حرمة مس المصحف؛

وعقد في منجزات المريض؛

عقد في إقرار المريض؛

عقد في الرضاع.

عقد في مواقيت الإحرام، ومحاذاتها وشكل المسير في البر والبحر الأحمر، رسم

فيه الطرق البرية والبحرية إلى مكة ومواقيت الإحرام وتقدير المسافات وموضع

المحاذاة للميقات؛

- ورسالة في شأن التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام .
- وله رسالة في أن من يدين بدين يلزم بمقتضى نحلته في الحقوق (وكثير من فروع المسألة في أبواب الفقه)؛
- ورسالة في الغسالة؛
- ورسالة في المتمم كراً؛
- ورسالة في التقليد؛
- ورسالة في صلاة الجمعة لمن سافر بعد الزوال؛
- ورسالة في حرمة حلق اللحية؛
- ورسالة في حرمة ذبائح أهل الكتاب؛
- ورسالة في إبطال العول والتعصيب؛
- وتعليق على كتاب الشفعة من الجواهر علمية؛
- وتعليق على العروة الوثقى؛
- وكتاب في الاحتجاج لكل ما انفردت به الإمامية؛
- وشيء يسير في الخيارات؛
- ورسالة في الأوامر؛
- ورسالة في الرد على كتاب تعليم العلماء؛
- ورسالة في الرد على كتاب ينابيع الكلام لبعض المسيحيين؛
- ورسالة في صحة مذهب الإمامية بما جاء من الأحاديث في كتب غيرهم . انتهى .
- وله شعرٌ كثير، منه قصيدة عارض بها قصيدة ابن سينا في النفس: ...
- وقصيدة في ولادة الحجّة (عجل الله في ظهوره) في النصف من شعبان ...
- ولمّا بلغه أنّ بعض أبناء السنّة أنكروا وجود الحجّة (عجل الله في ظهوره) بأبيات ...
- ردّ عليها الشيخ عليه السلام بقصيدة نظمها سنة ١٣١٧ تبلغ مائة وتسعة أبيات، وقد ذكر فيها عدّة من كتب المناقب والسيرة التي تعرّضت لذكر الإمام (عجل الله في ظهوره) ...

طبعت هذه القصائد الثلاث مع الأبيات التي عارضها مع تعليقة المكاسب في النجف سنة ١٣٤٣ هـ.

وله أبيات قالها عن لسان السيد مهدي ابن السيد محسن آل بحر العلوم يبشّر العلامة الشيخ عبد الحسين الجواهري بولادة ولده عبد العزيز، وكان السيد أليف وداد الشيخ الجواهري وخدينه وكان الوالد في بلد الكاظميين وقد بشره السيد ببرقية فقال:

سرى الهنا فصبا قلبي لرياه وحلّ في كلّ قلبٍ يوم مسراه
[إلى آخرها].

وقد رثى العلامة المجاهد السيد محمد سعيد الحنبوي بقصيدة قال في أولها:

شاقك البرق فأسرعت سباقا وتسرّكت الصبّ يلتاع اشتياقا
وأرحت العيس في ربع الهدى فارثٍ للفتانين إذا أعيوا لحاقا

وفاته

توفّي في شهر شعبان ليلة الثانية والعشرين منه سنة ١٣٥٢ هـ. فجع لموته الصغير والكبير، والبعيد والقريب، وفجع لموته الإسلام، فقد فقد ساعداً قوياً وسيفاً قاطعاً، أُقيمت له ماتم الغزاء في كثير من البلدان، ورثاه الشعراء بمرثٍ لاذعة، وخسره العالم الإسلامي أجمع.

دفن في الحجرة الثالثة من جهة القبلة قرب الجهة الغربية، وهي حجرة آل العاملي. وقد أرخ عام وفاته الأديب السيد محمد الحلّي بأبيات فقال:

دهي الإسلام إذ به تداعى سوره
وشرع طه أسفاً لَمّا مضى نصيره
مذ غاب أرخت ألا غاب (الهدى) و (نوره)

وممن رثاه العلامة الشهرير السيد رضا الهندي رحمته الله بقصيدة قال منها:

أن تمسي في ظلم اللحد موسداً فلقد أضأت بهن أنوار الهدى
إلى آخرها.

٣- العلامة الميرزا محمد علي الأوردبادي الغروي (١٣١٢ - ١٣٨٠هـ)*

الشيخ محمد جواد البلاغي (م ١٣٥٢هـ).

بطل العلم والفلسفة والجهاد، الإمام المجاهد، آية الله البلاغي رحمته.

هو الشيخ محمد الجواد ابن الشيخ حسن^١ ابن الشيخ طالب^٢

ابن العباس ابن الشيخ إبراهيم^٣ ابن الحسين ابن الشيخ عباس^٤

* التراجم (مخطوط): ١٩٩ - ٢٤٤. تفضّل به علينا حفيده السيّد مهدي الشيرازي حفظه الله ورعاه.

١. هو الذي رثاه نابغة العراق السيّد إبراهيم الطباطبائي بقصيدةٍ بائيةٍ منشورة في ديوانه. وأخوه الشيخ حسين لم أقف له على شيء سوى يسير من الشعر في أهل البيت النبوي - صلوات الله عليهم - ومقطوعتان في رثاء الإمام المجدّد الشيرازي من الطبقة الوسطى - وهما في سبائك التبر - (المؤلف).

٢. هو من تلامذة علامة الأواخر صاحب الجواهر، كان معروفاً بالفضل والتقوى والزهد والإيثار، ولأصحابه من أهل العلم فيه مدائح تجاروا فيها، منهم العلامة السيّد صالح القزويني، والعلامة الشيخ إبراهيم يحيى، والعلامة الشيخ عبد الحسين محيي الدين، يوجد ذلك في مجموع مخطوط فيه قصائد وموشّحات في مديحه، والظاهر أنّ تلك المجارة هي التي حكّم فيها الأديب عبد الباقي أفندي العمري كما في ديوانه حيث يقول:

بلغ المدى هذا البليغ بمدحه الشيخ البلاغي

وكان آية الله الشيخ محمد طه نجف يذكر للشيخ طالب كرامة كبيرة ضمّنها رسالته في أحوال الشيخ حسين نجف. (المؤلف)

٣. عالم فاضل، مرّ في منصرفه من الحجّ على جبل عامله فطلب منه البقاء هنالك لخدمة الدين، فأجابهم على ذلك إلى أن توفاه الله بها، وله إلى الآن في قرى الجبل ذرّيّة يعرفون، ومنهم أدياء. وبقاء هذا الشيخ هناك عاد سبباً لا شتياء من نسب شيخنا المترجم له إلى عامله.

٤. عالم كبير من فطاحل المجتهدين، له رسالة عمليّة في الطهارة والصلاة مصدرّة بالعقائد سمّاها «بغية الطالب» ألّفها إجابة لطلب جمع من الأتقياء سنة ١١٧٠هـ بالشام عند منصرفه من الحجّ، ورسالة فيما يتعلّق بالنكاح من السنن فرغ منها سنة ١١٦١.

ابن الشيخ حسن^١ ابن العباس ابن الشيخ محمد علي^٢ بن محمد البلاغي . عرف العارفون ما للدين من الأهميّة الكبرى في استقراء عرش المدنيّة، وأتّه كيف يدراً عن المجتمع البشري عوامل الفوضى، ويجلب إليه السعادة الخالدة والدعة. ولا أحسبك بعد ذلك البيان تصيخ إلى الدعة وطنين الرجرجة . من الجليّ ما لهذا الدين الحنيف من الميزة الظاهرة، والفضل الباهر، وما له من اليد الواجبة على العالم كلّ بيتّ روح السلام والوثام، ونشر كلمة العدل والإصلاح، وتثقيف الأمم والعوج، وإقامة صروح المدنيّة والعمران، وتوطيد دعائم الحياة والاستقلال . هذا قرآنه المجيد الكافل لذلك كلّ أكبر شاهد لهذا القول الفصل في سوره وآياته، ونصوصه وظواهره ومباده وخواتمه، وقواده وخوافيه .

إذن فحملة هذا الدين المتفانون في نشر تعاليمه والدعوة إليه، المضخّون في سبيله النفس والنفيس، هم أكبر المسدين إلى الأمتة أياديهم الناصعة، وأنّ سعيهم مشكور في الجامعة، وهم أعضاء الحضارة، وعمد الحياة، ومنبتق أنوار السعادة والتهديب . عرف من سبر الحالة الحاضرة، وما نحن اليوم فيه من المأزق الحرج الذي يشوك سالكة أشواك الماديّة المتكدّسة، ويصادفه سيل التبشير الأجنبي الجارف في ظلم من

-
- وابنه الشيخ محمد علي عالم محقق، له شرح تهذيب العلامة ثلاثة أجزاء، ومختصر منه في جزئين، وما يبلغ ثلاثين مجلداً ضخماً في الفقه منها الصلاة، الصيد والذبايح، الإرث، النكاح والطلاق. وهو جدّ الشيخ طالب المتقدّم ذكره لأئمّه. وولده الشيخ أحمد عالم فاضل، وله أخت عالمة فاضلة حُبيت بفضلٍ وافر، وخطّ جيّد، ويوجد بخطّها الكفاية للسبزواري في الفقه تامّة. كانت عند شيخنا الأستاذ المترجم له .
١. وجد من آثاره القيمّة شرح الصحيفة السجّاديّة جزءان، فرغ منه في شهر رجب سنة ١١٠٥هـ، وله تعليقات فقيهة ورجالية على الاستبصار لشيخ الطائفة الطوسي، وكتاب منتهى المقال في علم الرجال. (المؤلف)
٢. ذكر صاحب روضات الجنّات ٧: ١٤٩، ونقل عن منتهى حفيده المتقدّم ذكره قوله فيه: «وجه من وجوه علمائنا المتأخّرين، وفضلائنا المتبحّرين. ثقة، عين، صحيح الحديث، واضح الطريقة، جيّد التصانيف. له تلاميذ فضلاء أجلاء علماء...» إلى آخره .
- وذكر من تأليفه: شرح أصول الكافي، وشرح إرشاد العلامة، وحواشي على التهذيب والفقيه، وحواشي على أصول المعالم، وغيرها .
- توفي في كربلاء المشرفّة سنة ١٠٠٠هـ، وهذا الشيخ أوّل من عرف في النجف من البلاغيّين. (المؤلف)

الأهواء حالكة، وليل من الشبهات دامس .

هذا والمسيطر في كثيرين الجهل السائد، والعمّة الشامل . يتخبّطون في تيه العمى، ويرسفون في أصفاد من التقليد، لا يشعر التائه في مفازة من غلوائه إلا والنكبات المبيدة تعوى عليه «كجلمود صخر حطّه السيل من علي» .

عرف السابر لهذا الغور وأحوال الرجال تجاه ذلك الضوضاء واللفظ، أنّ المشمر الوحيد لإنقاذ أمتّه، والمجاهد الفذّ دون نجاح قومه، ومحّب الخير للبشر عامّة، ومسدي معروفه إلى المجتمع بقلمه وفمه، وما يملكه من منّة وجاه، هو المجاهد البطل المعني بهذه الترجمة^١ .

إنّ سالكي سنن الدعوة والإصلاح كثيرون، غير أنّهم بين من له خطّة محدودة يقف عندها السعي، أو أنّه يرتئي الاجتزاء بما سلكه من خطوات يسيرة، أو أنّه رجل خائر

١. ولد في نيّف و ١٢٨٠ في النجف الأشرف، وبها كان نشوؤه وارتقاؤه ومباني تحصيله وغاياته، غير أنّه أتمّ دروسه العالية لدى أعلام عصره الفطاحل آيات الله: الحاج آقا رضا الهمداني، والشيخ محمّد طه نجف، والمولى محمّد كاظم الخراساني .

ثمّ كانت هجرته إلى سامراء على عهد الإمام المقدّم آية الله الميرزا محمّد تقي الشيرازي، فطوى هنالك عشرًا من الأعوام، وبها ألف بعض كتبه كالهدى وغيره .

ثمّ غادرها لما احتلّها الحشد البريطاني، وهاجر من كان بها إلى الكاظميّة، ومنهم المترجم له . ومكث فيها عامين، له فيها مساعيه المشكورة مع العلماء الأعلام حول القضية العراقيّة، وطلب الاستقلال وتسجيله . وفيها ألف رسالته في تنجيس المنتجس، فبارحها معرّجاً على النجف الأشرف ثانياً .

وهو اليوم بها أحد أعلامها الهداة، والحجج والآيات .

وأما الفلسفة والعقائد فهو مؤتملها الوحيد، وهو لا يزال يلقي على التلاميذ فيها دروساً عالية غير ما يفيضه من الدروس الفقهيّة كلّ يوم .

هذا شيخنا الأستاذ، وتلك آثاره في الجامعة، وسوف نتلو عليك نزرًا منها إن شاء الله تعالى، رضى الشانئ أم غضب، وليقل ذلك العضو الأثري ما شاء وأحبّ:

فهذا البدر إذ يلتاح تسّاً وبسدر التّمّ يلحقه العواء

إنّ ضيق العبارة دعاني إلى أن أسّيه بالعضو الأثري، فإنّ تلك المزعة الباطلة على سخافتها تقضي باستفادة الحلقات البائدة بتلك الأعضاء، لكنّ هذا المعاء الأورلم يستفد به لا في الحاضر، ولا في الغابر، وأنّ مثله في المورد لمن مصاديق كلام العرب «حَنّ قَذَحُ ليس منها» . (المؤلّف)

القوى إذا افتزع ربوة بلغ منه اللغوب، أو لم تتح له المقادير أن يسعى كما يريد.
 لكنَّ شيخنا المترجم له، هو الذي لا غاية لأمد جهاده، ولا منتهى لدى إصلاحه، لا
 تبرح كريمتاه شاخصتين إلى قومه من غير ما حدٍ محدود، ولا سعي مجذوذ.
 هو الذي تمثّل مناضلاً عن الدين، وجلبه الضلال لها دوياً المرهب، ولتيتار الدعاية
 الغربية خريير يصمّ المسامع.

إنك لا تجد تحت القسطل الثائر بين تلك المعامع إلا هذا البطل العظيم، شاكياً
 سلاح قلمه، ممتطياً جواد هممه، يجبه زاحفة الأهواء، ويجدل مرجفة التمويه.
 شهيدي الله، إنني لا أبغي من القول شططاً، غير أن الرجل نصب عيني، والمزبر
 سادس أنامله، والقرطاس أليف نهاره، وسمير ليله. ها هو في حرّ النجف القائن،
 وبرده القارص جليس حجرته، لا همّ له إلا الأخذ بناصر الدين، والنظر في صالح
 المسلمين، بتأليف، أو إفادة، أو جواب عمّا تتوارد إليه من مختلف الأمصار من الأسئلة
 والشبهات، ببيان وافٍ عرفه منه كلّ أحد على الأصول الصحيحة، وموافقة المنطق،
 غير متحرّجاً للتشدّق بسرد الألفاظ الفارغة، والجمل المستعصية على الأفهام.
 لم يبرح على ذلك حتّى تضاءلت قواه، وضعفت باصرته على شيخوخة من عمره،
 لكن في جدّة من شباب عزيمته.

[مؤلفاته]

وإليك كتبه القيّمة التي أبهجت الشرق، وزلزلت الغرب، وأبان فيها الحقّ الصراح،
 ودسائس من «يسر حسواً في ارتقاء» وهي «كلاء حابس فيه كمرسل»، لا تضع يدك
 على أيّ صحيفة إلا وجدتها لذة صاحبها في الإفادة:

١ - الرحلة المدرسية، ثلاثة أجزاء. باحث فيها الأديان على أصولها المسلّمة عند
 منتحليها، والظقوس المتسالم عليها في العصر الحاضر. والواقف على فصولها ومباحثها
 يعرف تضلّعه من العلوم، طبيعيّة، ورياضيّة، وفلسفيّة، ودينيّة - لاسيّما في مجلّديه
 الآخرين - وسعة اطلاعه، وإحاطته، وقوّة عارضته.

على أنّي كنت واقفاً على شطرٍ مهمٍّ من تأليفها وطبعها، فكان يكتب الصحيفتين أو الثلاث أو الأربع ويقدمها إلى الطبع من دون سابقة إلى التأليف. وحسبك به دلالة على قوة الحافظة، وجودة الطبع، والنبوغ في الفن.

طبعت في النجف الأشرف طبعتين، وترجمت إلى الفارسيّة ترجمتين. وإنّ إدارة مدرسة الواعظين في لكهنو الهند لتهمّت بترجمتها إلى لغة أردو وقد ترجمت شطراً مهمّاً منها.

٢- الهدى إلى دين المصطفى، جزءان، في النقد على الكتاب المستعار له اسم الهداية أوضح فيه ما لمساسة الدعاية المسيحيّة والمرسلين الأمريكيّان من تمويه الحقائق بالاختلاس، وما أبدوه من التعصّب الشائن، وقشع عن الإسلام غيوم شبهاتهم، وأماط عن وجهه براقع التندليس، فكسب بذلك أهميّة كبرى في العالم الإسلاميّ كلّّه. طبع في سوريا.

٣- أنوار الهدى، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتّقين، حاول فيه الجواب عن ردّ مسألة سورويّة في الإلهيات، فجاء كالمعول الهدّام لما نسجته عناكب المادّيّة داروين وأصحابه. طبع في النجف الأشرف، ونفدت نسخه، لتهالك الناس على اقتنائه والاستضاءة بأنواره.

٤- نصائح الهدى، هو نسيج وحده في إرحاض معرّة البائيّة، وبيان تناقض دعاوي علي محمّد الباب واستحالة صدق دعواه بنصوصه الثابتة في بيانه. طبع في بغداد.

٥- المصايح، في نقض مفتريات القاديانيتين، وذكر ما اقترفوه من الآثام في الإلهيات والنبوّة والمعاد، نقلاً عن كتاب غلام أحمد نفسه. اهتمّت إدارة مدرسة الواعظين بطبعها في لكهنو^١.

١. قد يحاول القاديانيون في الوقت الحاضر التنصّل الصوري عن سفساف لهجوا بها في الغابر بالفرق بين القاديانيّة التي سمّوا بها أولئك المتحدّثين والأحمدية وهم الموجودون منهم اليوم في (لاهور) تحت زعامة (المولوي محمّد علي)، ويبدو أنّ لهم مساعياً مشكورة في نشر الإسلام والدعوة إليه. لكنّ شيخنا المقدّس أثبت في كتابه هذا أنّ ذلك كذب مفترى بشهادة كتبهم وكتب غلام أحمد. وقد كتبنا عنهم في العدد التاسع من مجلّة الهدى لعامها الماضي ما فيه غنى وكفاية. (المؤلّف)

٦ - أعاجيب الأكاذيب؛ جمع فيه أكاذيب القسوس والمبشرين على القرآن والإسلام، وعلى الحقائق جمعاء، فأنهى إلى المجتمع البشري مبلغ القوم من الأمانة، وإلى الملائمة المسيحية «أن قد كذب الرائد أهله». طبع في النجف الأشرف، وله ترجمة فارسية مطبوعة.

٧ - التوحيد والتثليث؛ نقض فيه خرافة «الثالوث» وأنقض ظهر من يقول به، وأبطل ما هناك من مكاء وتصدية، طبع في سوريا.

٨ - البلاغ المبين؛ مكالمة روائية بين موحد وملحد، أثبت فيه وجود الصانع القادر الحكيم ببراہين معقولة، صاغها في قوالب عصرية تهش إليها الطباع السليمة. طبعها الفاضل الأديب السيد عبد المطلب الهاشمي مدير مجلة نهدي الغراء هديةً للمجلة في عامها الماضي.

٩ - مجموع كبير جمع فيه جواباته عن الأسئلة الواردة من مختلف الديار في الدينيات، ولو طبع لكان أكبر هديةً إلى الملائمة الإسلامي، حيث يوقف القارئ على حقائق راهنة من دينه وأخلاقه، ويعرفه أن «من أين يؤكل الكنف». وقد نشرت مجلة الهدى سيراً منه تباعاً.

١٠ - رسالة في الرد على الوهابيين وما أتى به عبد الله بن بليهد فيما حسبه دليلاً على فتواه، طبعت في النجف الأشرف.

١١ - أجوبة الأسئلة البغداديّة؛ أتاه من بغداد أسئلة حافلة في أبواب كثيرة من أصول الدين، فأجاب عنها.

١٢ - رسالة في تعيين مواقيت الحجّ وتعيين المحاذاة من البحر على الأصول الفقهيّة والجغرافيّة.

١٣ - رسالة في تعيين قبلة البلاد وعرضها وطولها على الأصول الفتيّة الصحيحة، بين فيها خطأ جملة ممن عتّن ذلك كله.

١٤ - تعليقه على مبحث البيع من مكاسب شيخ الطائفة الإمام الأنصاري رحمته الله، طبعت في النجف الأشرف، ومعها:

١٥ - رسالة في قاعدة اليد.

- ١٦ - رسالة في تنجيس المتنجس .
- ١٧ - رسالة في بعض فروع العلم الإجمالي .
- ١٨ - رسالة في اللباس المشكوك فيه .
- ١٩ - رسالة في حرمة مسّ المصحف على المحدث .
- ٢٠ - رسالة في منجزات المريض .
- ٢١ - رسالة في إقرار المريض .
- ٢٢ - رسالة في الرضاع .
- ٢٣ - رسالة حول التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام .
- ٢٤ - رسالة في الغسالة .
- ٢٥ - رسالة في المتمم كراً .
- ٢٦ - رسالة في التقليد .
- ٢٧ - رسالة في صلاة الجمعة لمن سافر بعد الزوال .
- ٢٨ - رسالة في الأوامر .
- ٢٩ - وجيزة في الخيارات .
- ٣٠ - رسالة في ذبائح أهل الكتاب .
- ٣١ - رسالة في العول والتعصيب .
- ٣٢ - رسالة في القاعدة المستفادة من قوله عليه السلام: «ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم»
وفروعها في أبواب الفقه .
- ٣٣ - كتاب في الاحتجاج لكلّ ما انفرد به الإمامية بأحاديث من الصحاح الستّ،
ومسند أحمد وغيرها من الكتب المعتمدة، برز إلى البياض منه كتاب الطهارة والصلاة .
- ٣٤ - حواشٍ علمية على كتاب الشفعة من الجواهر .
- ٣٥ - حواشٍ علمية على العروة الوثقى لآية الله الطباطبائي اليزدي عليه السلام^١ .

١. وفي أخريات أيامه كتب في التفسير وسماه آلاء الرحمن، فسر من أوّل القرآن الكريم إلى آية ٥٧ من سورة النساء. (المؤلف)

لم يفتأ شيخنا المقدّس على ما يعانيه من مضض الجهاد، وكوارث المناضلة، يقيض لهم، ويستشير العواطف للنهوض بعبء الدعاية والتبشير الإسلامي بالقلم واللسان: فتارةً يكتب عن لسان غيره فينشره.

وطوراً يقف على كتابة الغير فليزِم نفسه الكريمة بإصلاحها. وآونة يدرّبه ويمرّنه، أو يفيض عليه ما يمكن الرجل من أن يصوغه في قالب مقال، أو ينضّده في سلك كتاب.

وأخرى يوقفه على كتبه ومطانّ الاستفادة منها، فيأتي الطالب من ذلك كتباً قيّمة. وإن كتبه اليوم كالأصل المسلّم لكثيرٍ من الكتبة، فها هم يحتذون مثاله في تأليفهم، ويسلكون منهجه. وجملته منها داخلته في برنامج مدرسة الواعظين بين دراسية، وما يحتم للطالب النظر فيه. والرحلة المدرسية تدرّس في حلقات معقودة لدراسته في تبريز، وقد رأيت غير يسير من الشبيبة الدينية يتأبط الرحلة وغيرها أينما يسير، ويدقق النظرة فيها، حتّى إذا أخطت ذاكرته على ما فيه على لوح الفؤاد، يمم أحد النصارى وقساوستهم أو الجانحين إلى المادّية فيلزِمه الحجّة، ويفحمه بحجّاجه، ويخرج من عنده ومعه الفوز والفليح والرفعة بين آلافه، وعلى وجه صاحبه قتر وذلّة.

ومن مزايا كتبه الخاصّة بها أنّه أوضح فيها كثيراً من خيانة مترجمي التوراة والإنجيل عن أصلهما العبري، وسترهم ما في الأصل من موادّ فاضحة، أو ما لا يلائم خطّة تبشيرهم بأذيال أمانتهم، وذلك بفضل وقوفه على اللغة العبرية وقوفاً بالغاً: هذه من علاه إحدى المعالي وعلى هذه فقس ما سواها^١



١. مجلة الهدى العمارية لسنّتها الثانية ٣: ٢٧٩.

ويظهر أنّ هذه الترجمة نُشرت في حياة شيخنا المترجم له، ثمّ بعد وفاته نشرت في مجلة الرضوان الهندية، لسنّتها الأولى العدد العاشر.

[وفاته]

لقد كان ﷺ ضعيفاً ناحل الجسم، تفانت قواه في المجاهدات أو المخابرات الدينية. وكان في آخر أمره مكباً على تأليف التفسير بكلّ جهدٍ أكيد، ولكن لم يمهل الأجل المحتوم، فقضى نحبه ليلة ٢٢ من شعبان سنة ١٣٥٢، وكان لوفاته أثر كبير في نفوس عظماء الدين كافة، وأقيمت الفواتح له في جميع البلدان العراقية، وتنافس الأدباء في رثائه، والتأبين عليه.

ولقد رثيته قضاءً لبعض حقّ الفقيه بقصيدة عزّيت بها سيّد الطائفة آية الله العظمى الميرزا علي آقا الشيرازي - دامت إفاضاته - وهو الذي كان قد أقام له نادي الفاتحة ثلاثاً بالجامع الهندي بالنجف الأشرف^١.

قلت: راثياً آية الله العظمى الأستاذ البلاغي، ومعزياً سيّد الطائفة آية الله العظمى السيّد الميرزا علي آقا الشيرازي:

أطارت من الإسلام هاماً ومفرقاً	خطوبٌ نضت للحرب عَضْباً مُدْلَقاً
فأخلت به للشرع ظهراً ومِنكِباً	وأوهت لدين الله كَفّاً ومرفقاً
وناعٍ نعي للعلم عَرِيَسَ غايه	وللسك مصباح المحارب والتقى
ومنتزحاً قد غادر الناس بعده	تُعاني يداً جَدّاً وهاماً مُفْلَقاً
وأعلى الورى كعباً واشمَلهم سُدى	وأثبتهم ما اقتاد للفضل فيلقاً
حياة الورى إمّا السنين تماخلت	وحثف العدا أمّا استثار لمُلتقى
وما مات فردُ الدهر فرداً وإمّا	به الدينُ والإسلام شجواً تَعْلَقاً
وقسوّض بيتُ العلم بعد مناضلٍ	حمى بالهدى ^٢ منه الخباء المسردقا
ليهن بني الإلحاد أن غاض عيلم	به كرعوا في الدهر شُرْباً مُرْتَقاً

[٥]

١. مجلّة الرضوان، السنة الأولى، العدد العاشر.

٢. تورية باسم إحدى تأليف الفقيه - مجلّدان - طبعاً بصيدا والشام. «م».

- [١٠] وقد ساء جمع الدين يوم نكايته
فإذ رَفَعَ الناقوسُ بشراً بفقده
وإن طرب البابا^٣ ففي موت ماجدٍ
وإن أمن المطران^٥ منه فطالما
وقد هزَّ أعطاف المسرَّة أسقف^٧
- [١٥] وقد ترك الخوري^٩ في وشك الفنا
فأصبح كلُّ في قَشيبٍ من الهنا
وهلهل دارون^{١١} وبشّر نجفراً^{١٢}
تنادوا بأبناء القرود^{١٤} ألا مُنوا
لينعش بهاء^{١٥} الجاهليَّةِ ضَلَّةً
- على يشره جمعُ الكنيسة^١ أصفقا
عَقيرتُهُ فالقَسَّ^٢ إذ ذاك صفقا
على رَغَمِهِ أَمَرَ الكِرَازَةَ^٤ ألقا
أزالَ عن الثالوث^٦ عِزّاً ورؤنقا
به قد رقى سرَّ الفداء^٨ الملققا
وبطيركاً من^{١٠} قبلُ بالدين أزهقا
غداة به ظنَّ السلامة أخفقاً
وحقَّ لشبل^{١٣} اليوم أن يتزندقا
فإن الذي قد أصعق الكفر أصعقا
فقد مات من باب^{١٦} الأضاليل أغلقا

١. معبد النصارى، وتطلق على جماعتهم. «م».

٢. هو الذي مقامه دون مقام الأسقف من علماء النصارى، وسيأتي إن شاء الله. «م».

٣. هو البحر الأعظم رئيس البيعة المنظور وخليفة بطرس عند النصارى. «م».

٤. هي الوعظ بالحقائق الإنجيلية. «م».

٥. هو رئيس الكهنة الناهضين بوظيفة الكهنوت، وهي إحدى أسرار الكنيسة السبعة، يقوم الكاهن بتقدیس جسد

المسيح ودمه في تلاوة القداش وبأن يحلّ من الخطايا. «م».

٦. هو القول بالأقانيم الثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس. «م».

٧. هو الذي يعطي الدرجات الكناسية. «م».

٨. هو فيما يزعمون فداء المسيح قومه عن لعنة الناموس، وهو من بدع يونس. «م».

٩. هو الكاهن. «م».

١٠. هو رئيس رؤساء أساقفة على أقطار معينة أو طائفة من النصارى. «م».

١١. هو داروين مبتدع ناموس التحول وأصل الأنواع من الماديين. «م».

١٢. أحد أتباعه المهلكين في نشر مبادئه التعيسة. «م».

١٣. أيضاً أحد أتباع داروين الألداء. «م».

١٤. هم أتباع داروين الزاعمون تحوّل الإنسان من القرد بناموس التحول. «م».

١٥. إشارة إلى حسن علي بهاء، زعيم البايّة بعد مبتدع مذهبهم عليّ محمد الباب. «م».

١٦. إشارة إلى عليّ محمد المذكور. «م».

- [٢٠] فكم جَرَعُوا صَابَ الْخِزْيَابِ مُعْقِرًا
وهَدَى رِبْوَعُ الشَّرِكِ مَزْبُورُهُ الَّذِي
فَإِنْ رَدَّدَ النَّوْحَ التِّيَاعَا لَهُ الْوَرَى
وَعَانَى بِهِ الْإِيمَانَ أَمْرًا مَقْسَمًا
وَكَانَ هُدَى الْإِسْلَامِ فِيهِ مُغْرَبًا
- [٢٥] وَكَمْ (رحلة)^١ قَدْ أَنْهَجَ النَّاسَ عِنْدَهَا
وَأَنْوَارُهُ^٢ هَاتِيكَ مَهْمَا^٣ تَبَلَّجْتَ
وَفِيهَا بِلَاغٌ^٤ مِنْ نَصَائِحٍ^٥ قَدْ زَهَتْ
أَعَدَّ نَظْرًا نَحْوَ الْكِتَابِ مُفَسِّرًا^٦
وَذُدَّ عَنِ حِمَاهِ الْأَنْكَ إِنْ جَاءَ كَارِرًا
- [٣٠] وَقَمَّ حَافِزًا عَنْهُ فَلَمْ أَرِ حَافِزًا
سَابِكِيكَ وَالْقُرْآنَ مَا دَمْتُ بَاقِيًا
وَأَبْكِيكَ لِلخَطْبِ الْمَهُولِ إِذَا دَهَى
أَرَانِي قَلِيلًا إِنْ أَقْبَلَ فِيكَ صَارِحًا
وَهَلْ كَانَ يُجْدِيكَ الْفِدَاءَ بِمَهْجَتِي
- [٣٥] وَخَطْبُكَ قَدْ عَمَّ الْبِلَادَ فَلَمْ يَدْعُ
فَأَبْكِيَّتِ أَكْنَافَ الْعِرَاقِ وَفَارِسًا

١. إشارة إلى الرحلة المدرسية.

٢. إشارة إلى رسالة أنوار الهدى.

٣. « ما إن » نسخة بدل .

٤. إشارة إلى رسالة البلاغ المبين .

٥. إشارة إلى رسالة نصائح الهدى .

٦. إشارة إلى رسالة مصابيح الهدى .

٧. إشارة إلى رسالة التوحيد والتثليث .

٨. إشارة إلى كتاب آلاء الرحمن في تفسير القرآن .

لما آن سهم الموت نحوك فَوَقُوا
 على الخدِّ دمعاً لا يزال مُرَقِراً
 بك افتقدت منها الفخار المحلّقاً
 تركت بني الإسلام في معرض الشّقَا
 وإن جَدَّ فيه المُفلقون تشدّقَا
 يبدؤ جريراً إذ يفوق فرزدقا
 بذرك لكن الشجا نازَ مطلقا
 نضى حجة الإسلام أودية البقا
 ومُنتجع الدنيا به الموت قد زقا
 وإن غاظ في عَفِّ المآزر أحمقا
 فما مات حتى سَهَمَهُ فيه أغرقا
 فما اسطاع صبراً أو عن الضيم حَلَقَا
 مُقبلُ عثارِ الدهر والخطبُ أحدقا
 إذ المُزنُ في وجه البسيطة أغدقا
 بجُنحِ الدجي تبدو على الناس مشرقا
 تخيلت أن الشيخ عنها تعبّقَا
 تباكر بالعذب النطاف فأورقا
 به أصبح الإسلام شِلْواً مُعْرَقَا
 لها بين يمينه ويُسْنُ له وقا
 تَرَبَّعَ في دستِ الإمامة مُعرقا
 بفرّة وجه ابن النسيبِ أشرقا
 وقاراً وحلماً واعتلاءً ومنطقا
 به في البرايا شيخ فهِرٍ تمنطقا
 بها الجود والتقبيلُ ما إن تفرّقا

وفي الهند إعوأل عليك ورنة
 وضج لك الدنيا وأُسبِلتِ الدّما
 بكَثْكَ بدست العلم أعواد منبر
 سَعُدْتَ بذكرٍ خالٍ غير أنه [٤٠]

جللت عن التابئين فالقول قاصر
 فدونك ما قد صُغْتُ فيك وإن يكن
 أقول ونظمي للقرىض مُقَيّد
 قضى الآية الكبرى قضى موئل الورى
 مضى معقلُ التقوى ومستودعُ النهى [٤٥]

مضى طيّب الأردان عن أي شائِن
 وإن قال فيه شامت لسفاهة
 رأى أن في دار الهوان حزازة
 وفاض (على الدنيا العفا بعد يومه)

فمن ذا ينبل السُحب من وابلِ الحيا [٥٠]

ويا بدرُ بعد اليوم عن أي مَشْرِقٍ
 أما وسجايأ إن تعبّق نشرها
 وأخلاقهُ الروضُ المندى به الحيا
 لأعظم يومٍ أنكل الدين يومه

وأضحت تمور الأرض لولا مهذب [٥٥]

ليهن نزارَ الصيد أن عميدها
 وأما احتبي نادي قريشٍ فَصَدْرُهُ
 كأن بصدر الدستِ عمرو العلا احتبي
 وبشرى بني الإسلام أن عاد أمره

يجيل بصدر المنتدى فيه أنملاً [٦٠]

تَلَذَّ الْوَرَى أَدْنَى وَعَيْنًا وَمَنْشَقًا
 لِأَعْشَى بِهَا الْأَعْشَى وَأَخْفَى الْمُحَلَّقَا
 عُجَابًا بِهِ هَذَا وَذَا مَتَدَقَّا
 أُحَاوَلْ فِي إِطْرَائِهِ مَتَشَدَّقَا
 لِيَحْيَى الْحُسَيْنِيَّ الْإِمَامَ مَوْفَقَا
 فَمَثَلَكُ مِنْ بِالْمَكْرَمَاتِ تَخْلَقَا
 مَدَى الدَّهْرِ أَبْوَابَ التَّصَبُّرِ أَصْفَقَا
 ضَرِيحَ (جَوَادٍ) وَالْهَدَى مَتَرَفَقَا

بِمَخْبِرِهِ (وَالنُّورُ مِنْهُ) وَعَرَفَهُ
 فَلَوْ ضَاءَتِ الْأَحْسَابُ فَوْقَ جَبِينِهِ
 وَذَا مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ عِلْمٌ وَنَائِلٌ
 وَفِي الذِّكْرِ مَدْحُ ابْنِ النَّبِيِّ فَمَا تَرَى
 إِمَامَ حُسَيْنِيَّ النَّجَارَ فَقُلْ بِهِ [٦٥]
 تَحَرَّ اصْطَبَارًا آيَةً اللهُ فِي الْوَرَى
 عِزَاءً وَإِنْ كَانَ الْمَصَابِ بِمَنْ مَضَى
 وَجَادَ لِبَابِ الْمُزْنِ مَنْسَكِبًا عَلَى

٤ - الأستاذ توفيق الفكيكي المحامي (م ١٣٨٧هـ)*

بعد أن وضعت الحرب الصليبيّة أوزارها، التي دامت سجالاتاً بين الإسلام وأعدائه طوال قرنين من الزمن، حتّى انتصر التوحيد على التثليث، وتمّ اندحار الغزاة الأوربيين، وانهزام فلولهم عبر البحار، فتطهّرت بلاد العروبة والإسلام ومقدّساتها من أقدام الجيوش الصليبيّة، التي هبّت أوربا عن بكرة أبيها - بملوكها ورهبانها وقوادها - لتجهيزها ودفعها إلى الشرق الإسلامي؛ لإخضاعها وتخضيد شوكة دول الإسلام، وإذهاب ريحها، ومن ثمّ القضاء على تراث العروبة وموارث (الضاد) المجيدة.

وقد شاء الله تعالى أن تذهب ريح جيوش الغزاة بنصره العزيز، فانقلبت على أعقابها تجرّ ذبول الخيبة والخذلان، وأضحى أكثرها نصيب الحيتان والعقبان، بفضل جهاد أهل العقيدة والإيمان من حماة رسالة القرآن.

بيد أنّ أوربا المنهزمة لم تنم عن ذحولها، ولم تنسّ في يوم من الأيام ضحاياها وأحزانها، فأخذت دولها وساستها وقساوستها يسلكون في ظلال السلم سبل الكيد والمكر ما أمكنهم الكيد والدهاء، لحبك المؤامرات وتأسيس الجمعيات الهدامة في الديار العربيّة والإسلاميّة باسم المدارس التعليميّة والخدمات الإنسانيّة، وهي في الحقيقة مؤسّسات تبشيريّة في خدمة الاستعمار العقائدي والسياسي معاً.

وفي فجر النهضة الصناعيّة في أوربا أخذت معجزات العلم الحديث تزداد يوماً بعد يوم، فكثرت الاختراعات المدهشة، وبذلك فقد اشتدّت قوى الشرّ في أوربا،

*. في مقدّمته لكتاب الهدى إلى دين المصطفى، الطبعة الثانية.

واستشرى كَلْب الاستعمار لأخذ الثأر التاريخي الذي سببته الحروب الصليبية .
 أمّا الشرق الإسلامي فقد أُصيب بداء الانقسام والتجزئة في سبيل الوصول إلى
 العروش ودست الحكم وحبّ الإمارة، فخدمت في المجموعة الإسلاميّة جذوة
 الإيمان الصحيح وحرارة العقيدة، وخيم الجهل على ربوع الشرق، وتعدّد السلاطين
 والأمراء، واستعدّبوا الرقاد على أنعام وعآظهم المنافقين، وقلّ الآمرون بالمعروف
 والناهون عن المنكر.

فقطّ الرعاة والرعيّة في سبات عميق إزاء يقظة أوروبا وعجيج مخترعاتها المذهلة
 في البرّ والبحر وأرجاء الجوّ، ولقاء نشاط جماعات الاستشراق والإرساليّات التبشيريّة
 الاستعماريّة، وكان جلّ مهتمّها زعزعة عقائد الشباب العربي الإسلامي، وزرع
 الشكوك في عقيدتهم وتعاليم دينهم وفي معجزة الإسلام الخالدة القرآن الكريم .
 وبتلك الأساليب السلميّة تارة، وتارة بالقوّة والتهديد تمكّنت الدول المسيحيّة
 الاستعماريّة اجتياح الشرق الإسلامي، وعادت الحرب الصليبيّة جذعة كما أفصحت
 قوله اللورد (النبّي) حين دخل الشام، فوقف على قبر صلاح الدين الأيوبي فقال
 مخاطباً له: «الآن انتهت الحرب الصليبيّة يا صلاح الدين».

إلّا أنّ الحرب الصليبيّة لم تقتصر هذه المرّة على الميادين العسكريّة، وإنّما
 استهدفت غزو العقول والأفكار والأرواح، وهذا أخطر وسائل الفناء للأمم ومحوها من
 عالم الوجود.

وفي سبيل هذه الغايات الاستعماريّة الفكرية قام دهاقين السياسة الغربيّة وأجمعوا
 أمرهم على عقد المعاهدات السريّة، والأحلاف المقدّسة لتقسيم الأقاليم الإسلاميّة
 وتجزئة البلاد العربيّة، وإلى جانب ذلك قاموا بتنظيم قوافل المبشرين لتمهّد للحرب
 الصليبيّة الحديثة إفساد العقول والقلوب، وتشويه عقيدة الإسلام أو سلبها من صدور
 الشباب والشواوب، كما قال أحد المستشرقين الفرنسيين في إحدى مؤتمراتهم: «إننا إن
 أخفقنا في تنصير شباب المسلمين في المغرب، فحسبنا زرع بذور الشكوك في
 عقيدتهم، وإفساد قلوبهم نحو القرآن».

وهكذا فعلت المدارس الأجنبية التبشيرية في ديار الشرق الإسلامي .
ونكتفي بهذه الإشارة؛ لأنّ الخوض في هذا الموضوع خارج عن غرض هذه
المقدمة، وغاية قصدنا من هذا المدخل الوجيز هي الإشارة العابرة إلى العوامل والدوافع
والحوافز التي حفّزت كبار المصلحين المسلمين في فجر يقظة الشرق والنهضة
الإصلاحية التي عملت لإيقاظ الرقود في الشرق، وتجديد رسالة الإسلام والذود عن
حياتها وإحياء فلسفة القرآن المتطورة على كثر العصور، وتعاقب الدهور، فهي لا
شرقية ولا غربية، بل جامعة بين الروحانية والمادية، كما يفرضه قانون الحياة وسنة
الوجود الإنساني، ونواميس الكون.

لهذا سمّي الإسلام دين الفطرة، أي دين الإنسانية، فهو يحارب المادية ويطاردها
إذا هي تجرّدت من المعاني الروحية، كما ينتكّر للروحانية الصرفة إذا ما جانبت
الجوانب المادية البريئة.

وفي القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وفي أقوال وتعاليم أهل البيت عليهم السلام كثير من
الأمثلة والشواهد الرائعة الناطقة بهذه الحقيقة الكونية الأزلية، ولا مجال لذكرها
وسردها هنا.

كان في مقدمة الذين نذروا أنفسهم في صدّ التيارات التبشيرية ضدّ الإسلام ودوله،
المصلح المجاهد الشجاع المرحوم، فخر الشرق والإسلام، السيّد جمال الدين الأفغاني
وتلاميذه الأحرار، وعلى رأسهم مفتي الديار المصرية العلامة الشهرير الشيخ محمد
عبده. ومن تخرّج عليه من أفذاذ رجال العلم المفكرين كالسيّد رشيد رضا، والسيّد
عبد الرحمن الكواكبي وأضربهما من الغيارى.

ومن آثار السيّد الأفغاني في مكافحة الإلحاد كتابه المشهور في الردّ على
الدهريين، وتبعه تلميذه الشيخ محمد عبده في صدّ هجوم المستشرقين وحملاتهم على
رسول الإسلام صلى الله عليه وآله، وشرعية القرآن في كتابه الإسلام والردّ على منتقديه والإسلام
والنصرانية وغيرهما.

أمّا الكواكبي فحسبه كتابه القيم طبائع الاستبداد، وكتابه العروة الوثقى .

أما في ديار الرافدين فقد انفرد بالكفاح والنضال فقيده الشرق الإمام الحجّة نصير الإسلام الشيخ محمّد الجواد البلاغي، فجرّد قلمه البليغ، وهو أقطع بحجّته من الحسام في وجوه الملحدين والمبشّرين المستشرقين في الشرق والغرب، وقد تضمّنت مؤلّفاته الكثيرة القيّمة جهاده الطويل المبارك في الذبّ عن حقائق الإسلام، وفي مقدّماتها كتابه الهدى إلى دين المصطفى...، وكتابه الرحلة المدرسية وأنوار الهدى ونصائح الهدى وغيرها ممّا سيأتي تفصيلها.

الإمام البلاغي وملامح شخصيّته ومقوّماتها

هو غصن كريم من الدوحة «البلاغية» الباسقة في سماء الفضل والشرف، وعلم أعلامها وشهاب فضلائها وأبدالها، بل كوكب درارها الناقبة الساطعة في دياجير الأزمان الشديدة الحلّكات، وظلمات المعضلات المدلهمات.

فأسرته من أعرق الأسر العراقية، وقبيلته ربعة خير القبائل العربيّة في جاهليّتها وإسلامها، وبيته من أرفع بيوت العلم والدين والأدب، فهو عربي صليبي، وفي الذوابة من تغلب الغلباء، نزاري العمومة، هاشميّ الخؤولة، خالص المعدن في نسبه وحسبه. فنشأ في حجر الفضيلة وترعرع وفطم على حبّ المكارم والشناشن العربيّة الأصيلية، وتربّى على أسس التربية الإسلاميّة الرفيعة، وقد التزم بمحاسنها ومثلها العليا، فكان مثال العربي الصميم الصريح، ونموذج المسلم القرآني المثالي، الصحيح الإيمان، الصادق العقيدة، الكامل الإنسانيّة بمعناها الواسع، فإنّ أحبّ شيء لنفسه فعل الخير والسعي في سبيله، وأبغض الأشياء عنده بل أنكر المنكرات، سطوات الشرّ والأشرار في المجتمع الإنساني.

فكان رحمه الله تعالى داعي دعاة الفضيلة، ومؤسس المدرسة السيّارة للهداية والإرشاد وتنوير الأفكار بأصول العلم والحكمة وفلسفة الوجود، فقد أفضمت جوانحه على معارف جمّة، ووسع صدره كنوزاً من ثمرات الثقافة الإسلاميّة العالية والتربية الغالية، وقد نهل وعبّ من مشاريع المعرفة والحكمة الصافية، حتّى أصبح ملاذ

الحائرين الذين استهوتهم أهواء المنحرفين عن المحجة البيضاء، وخدعتهم ضلالات الدهريين والماديين.

كما كان الملجأ الأمين لمن رام من المستشرقين الاطمئنان بإزاحة الحُجُب عن وجه الحقيقة والحق، والوصول إلى ساحل اليقين كالمستشرق «المستر خالد شردراك» وأمثاله من أعلام الغرب الذين يهتمهم كشف المخبأ من أسرار المعارف المحمدية والحكمة المشرقية، حيث آنسوا فيه ندرة المواهب العقلية والملكات النفسية القوية والطاقات الفكرية العجيبة، وينابيعه الثرة العذبة المتفجرة من قلبه الكبير، المتدفقة على لسانه، الجارية على قلمه السيال.

ومن ملامحه ومخائله الدالة على كماله النفسي هي فطرته السليمة، وسلامة سلوكه الخلقي والاجتماعي، وحدة ذكائه وقوة فطنته، وعفة نفسه ورفعة تواضعه، وصون لسانه عن الفضول، ولين عريكته، ورقة حاشيته وخفة روحه وأدبه الجسم، وعذوبة منطقه، وفيض يده على عسره وشطف عيشه. فهذه السجايا والخصال هي أهم صفاته الكمالية، وقد ورثها - بحكم قانون الوراثة - عن آباء آبائه البلاغيين البهاليل الكرام.

ومن مقومات شخصيته العلميّة وملكنته الفلسفيّة والأدبيّة، كثرة ملازمته لأساطين الفنون العربيّة وأتمّة الفقه الإسلامي وجهاذة الفلسفة والكلام، هؤلاء الفحول الذين كانت تحتضنهم مدينة «باب مدينة العلم» النجف الأشرف، وهي أعظم جامعة إسلاميّة لشتى الفنون والعلوم القديمة.

أما العلوم المتنوّعة الحديثة فقد درسها على نفسه، بالإضافة إلى اللغة الفارسيّة والإنجليزيّة والعبريّة.

ومن أشهر شيوخه الذين ارتشف ونهل من نيرهم الصافي هم حجج الإسلام: الشيخ محمّد طه نجف، والحاج آغا رضا الهمداني، والأستاذ الأكبر الشيخ محمّد كاظم الخراساني، والميرزا محمّد تقي الشيرازي القائد الروحي للثورة العراقيّة الكبرى سنة ١٩٢٠م.

وبعد أن ارتوى من تلك الينابيع الفياضة والمناهل العذاب، نضجت مواهبه وملكنته الاجتهاديّة، فاستولى على زمام الاجتهاد والاستنباط، وصار إماماً مجتهداً بجدارة

واستحقاق، ومجاهداً مضحياً بالنفس والنفيس في خدمة الحقّ وإبطال الأباطيل ورفع راية الإسلام، حتّى أضحت داره كعبة القصاد ومدرسة النيهاء والفهماء، إذ امتازت بطابعها الخاصّ، وهو فنّ المناظرة والجدل، ودراسة قواعد الدفاع وطرق النضال العلميّة والفلسفيّة والأدبيّة في حومات المعارك الفكرية، كما كانت مدارس الاعتزال في العصر العبّاسي إزاء أصحاب الأديان والمعتقدات المتطرّفة وأهل الآراء والمذاهب المخالفة لمذهب الاعتزال.

وكانت مجاهدة الإمام البلاغي والمصابرة عليها ومصاولاته الفكرية المجهدّة في ردّ اعتراضات الملحدّين، وطعون أهل الأهواء أمثال جرجيس صال الإنكليزي، وصاحب كتاب الهداية المتكلّف الضالّ، ممّا ساعد على اشتهاار الإمام البلاغي وذيوخ صيته في الشرق والغرب، حتّى أصبحت مدرسته مناخ العقليّين الهائمين وراء الحقائق، وداره المتواضعة محطّ المسترشدين المتبصّرين من أرجاء الدنيا، بل علماء المعاهد الفلسفيّة، وأساتذة الجامعات الكبرى العلميّة.

جهاده وآثاره الخالدة

إنّ المتتبّع لسيرة عظماء الأمم وزعماء الشعوب وعباقرة الأقيام يجد أنّ سرّ خلودهم كامن في عمق إيمانهم وقوّة إرادتهم الحديديّة، وفي صدق إخلاصهم وشدّة الصبر والمصابرة على مرارة الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحقّ وإذلال سلطان الباطل، أو في سبيل الكفاح والنضال لإحياء المثل الأخلاقيّة الصحيحة وتجديد العقائد السليمة، والتراث التاريخي العتيّد الذي هو مصدر مفاخر الأمم، ومحفّزها إلى الارتقاء والتقدّم. وهكذا يعمل قادة الفكر وأئمّة الإصلاح في كلّ وسط ومجتمع، سواء منهم صاحب السيف أو القلم أو ربّ السيف والقلم معاً، أو الفيلسوف الحكيم والعالم الربّاني العالم لنصرة العقيدة الحقّة وإنقاذ المجتمع من الظلمات إلى النور، فهؤلاء القادة البررة قد خلقوا لأداء رسالته الإصلاح كلّما تردّت المجتمعات البشريّة وانظمت معالم الخير فيها، وشاعت شرور الإلحاد في صفوف أفرادها.

والمتدبر لسيرة الإمام البلاغي - رضوان الله عليه - منذ رفعت عنه تماثمه حتى لحوقه بالرفيق الأعلى، يجدها قد حفلت بألوان عجيبة باهرة بالأعمال المجيدة والمساعي الحميدة لرفع لواء الإصلاح ومنار العلم، وتجديد صرح المعرفة وكشف الحجب التي أسدلتها يد الجهالة المظلمة في عهود الانحطاط على جواهر حقائق الإسلام، وقيامه بالدفاع المشكور عن محاسن ويسر الحنيفية السمحة.

فإنه انعكف منذ عرف نفسه على الكتاب والدرس والاختلاف إلى دور العلم ومجالس العلماء، وندوات الصلحاء حتى إذا استدّ ساعده^١، ونضجت مداركه وتوسّعت معارفه، وشاع فضله وفواضله في أوساط الفضيلة والفضلاء وأندية العلم والعلماء، اتّجه بكلّيته مستضيئاً بنور عقله الوهاج، وفكره النير المتوقّد، وبقوة إيمانه وصدق إخلاصه، ومن ثمّ بغزارة معارفه وآدابه، وجولات قلمه - البلاغي - البارع إلى تخليد الغرر والدرر في بطون شتى الرسائل والكتب.

وهو من أجل قيامه بأداء رسالته وشغفه بشرف الجهاد في سبيلها، قد آثر الانزواء عن الناس، لا يغادر غرفته ومكتبته اللهم إلا في أوقات الصلاة وزيارة الحرم المقدّس، وفي خروجه للسوق لتموين عائلته بالغذاء اليومي، وكان يحمله إليهم بنفسه ويعتذر لمن يروم مساعدته بحمله عنه فيقول له: «ربّ العيال أولى بعياله».

أمّا ما سوى ذلك فلا تجده يبرح غرفته، تحيط به كتبه التي يرجع إليها في تحقيقاته الفقهيّة والأصوليّة والكلاميّة، أو في تعقيبه وتعليقه على كتاب أو على رأي من الآراء العلميّة والفلسفيّة الحديثة، فتراه دائماً مكباً معمناً نظره في تحرير الأجوبة على المسائل العويصة والمشاكل المعضلة التي ترده من أنحاء العراق والأقطار البعيدة، أو تراه منهمكاً في التأليف أو في شرح الأبحاث العقائديّة، أو في تفسير آي القرآن الحكيم.

وأسعد ساعاته هي التي يشغلها في المناقشة والمحاورة مع طلابه فيما يدقّ

١. استدّ بالسين لا بالشين، ويخطأ من يلفظها بالشين.

ويغضض عليهم من دقائق الموضوعات المنطقية والكلامية والفقهية، والفنون العربية وغيرها من أبواب المعرفة .

ومن محصول هذه العزلة والانزواء قد زوّد المكتبة العربية والغربية بآثاره الجليلة القدر، وسيأتي ذكر المطبوع وغير المطبوع منها قريباً .

وقد تتجلى للقارئ عظمة جهاده واجتهاده واتساع ثقافته، والمعاصرة الفكرية الجبارة التي عاشها وسط تلك الزعازع والأعاصير والتيارات، التي هبت على المشرق الإسلامي من قبل شيوخ الزندقة والإلحاد وأصحاب البدع والأهواء المردية، وتلك العظمة تتبئنا عنها كتبه :

١ - الرحلة المدرسية أو المدرسة السيارة .

٢ - التوحيد والتثليث .

٣ - البلاغ المبين .

٤ - أنوار الهدى .

٥ - نصائح الهدى .

٦ - الهدى إلى دين المصطفى

فأما الرحلة المدرسية، فقد دلّت على خياله الواسع الوثاب، وتفكيره العميق، وذوقه العالي، وأسلوبه الروائي الحديث المبتكر، وقد دارت بحوثه ومحاويراته على لسان جماعة من ذوي النزاهة والرجاحة؛ لتمحيص الحقائق وتنزيه العقائد من خلال الرسائل السماوية وتطورها التاريخي، وبخاصة منذ عهد التوراة والزبور والإنجيل والقرآن العظيم، وهو خاتمة الرسائل لهداية البشر، إلى فكرة التوحيد الخالص، بعد أن اجتازت البشرية عبادة الأحجار والأشجار والحيوانات والكواكب والآباء والأمهات، إلى غير ذلك من صنوف العبادات التي ما أنزل الله بها من سلطان، وإنما كانت من أثر الطفولة العقلية .

وقد حرّر الإمام البلاغي رحمته هذه الفصول الفلسفية العقائدية الدقيقة بقلم العالم النحرير المتمكّن، دون تحيّر وتعصّب وتحامل على أهل الأديان والمذاهب المخالفة،

وبلغها سهلة واضحة يفهما حتى سقيم الفهم. وختمها بخلاصة مهمة في إثبات أن دين الإسلام هو دين الفطرة وشريعة الإنسانيّة مهما تقدّمت الحياة وارتقت البشريّة أو تطوّر العلم وتجدّدت المذاهب الفلسفيّة واختلفت الأجناس، ولا قوّة للمبادئ الماديّة الإلحاديّة المظلمة على إطفاء نور الإسلام الساطع الباهر، وفي تعاليم الحنيفيّة سرّ سعادة الإنسانيّة المعذّبة.

هذه هي الخطوط الأساسيّة لكتاب الرحلة المدرسية، ونظراً لقيمتها العقائديّة الفلسفيّة ومباحثها الكلاميّة الإسلاميّة وتبسيط علل خلق الكائنات، وعجائب المخلوقات، من أجل ذلك اهتمّ بها الباحثون فترجمت لأكثر من لغة واحدة.

وهكذا تضمّنت مؤلفاته التي أشرنا إليها آنفاً وهي التوحيد والتثليث، وأنوار الهدى، والبلاغ المبين فإنّها قد عالجت فكرة التوحيد وإبطال عقيدة الثالوث، وتفنيد آراء الماديّين والدهريّين وسائر مقالات الطبيعيّين، وردّ حملات الحاقدين المغرضين واعتراضاتهم الفاسدة، وقام بتلك المجادلة والمجادلة القلميّة بأسلوبه اللين الهين مراعيّاً القاعدة المعروفة «مناظر ك نظيرك» مع الأدب الجمّ، والخلق الرفيع.

أمّا كتابه نصائح الهدى ورسائله إلى من كان مسلماً فصار بانياً، فكلّ منهما قام على الدليل القاطع والحجّة الدامغة، والحجاج المفحم المسكت، في تسفيه أحلام أصحاب الدعوة البائيّة والبهائيّة بالمعقول والمنقول، وتزييف عقيدتهم وإشهار زيفهم، ومن ثمّ بتسديد الحراب إلى صدور البهلاء والباب، وتلك الحراب هي البراهين الوضّاءة التي أقامها ﷺ على هدم دعوتهم وإبطال مزاعمهم ومفترياتهم وأوهامهم التي سطرّ دعاة الضلالة المانويّة أسطارها في الأقدس والبيان والألواح^١ وغيرها من فنون هذيان المجان وأخلاق ابن ديسان المجوسي وأضرابه من شيوخ الزندقة، الذين كانوا وما زالوا يتلونون كالحرباء في كلّ عصر ومصر بألوان براقّة خداعة وبشعار جديد يتبطّن الإباحيّة والكفر والإلحاد، كالحركة القرمطيّة بالأمس، والشيوعيّة اليوم، والغرض المشترك لتلك الحركات الهدّامة هي القضاء على معالم العروبة والإسلام.

١. هذه الكتب أهم كتب البهائيّة الضالّة المضلّة.

ومن آثار جهاد الإمام البلاغي إثارة الرأي العام ضد البهائية في الكرخ، وإقامة الدعوى في المحاكم لمنع تصرفهم في الملك الذي استولوا عليه واتخذوه كعبة لهم، وباصطلاحهم - حظيرة - لإقامة شعائر الطاغوت، وقضت المحاكم بنزعه منهم، واتخذ مسجداً إسلامياً تقام فيه الصلوات الخمس والمآتم الحسينية في ذكرى الطف والبطولات الرائعة.

وقد طبع من آثاره القلمية القيمة الخالدة:

- ١ - الهدى إلى دين المصطفى .
- ٢ - الرحلة المدرسة أو المدرسة السيارة .
- ٣ - أنوار الهدى .
- ٤ - نصائح الهدى .
- ٥ - رسالة التوحيد والتثليث .
- ٦ - أعاجيب الأكاذيب .
- ٧ - البلاغ المبين، في الإلهيات .
- ٨ - أجوبة المسائل البغدادية، في أصول الدين .
- ٩ - الرسالة الأولى في نقض فتوى الوهابيين بهدم القبور المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة .

١٠ - الرسالة الثانية في تفنيد فتواهم أيضاً .

١١ - رسالة في ضوء الإمامية وصلاتهم وصومهم، طبعت بالانجليزية .

١٢ - العقود المفصلة في المسائل المشككة .

١٣ - تعليقة على مباحث البيع من مكاسب شيخ المجتهدين الإمام الأنصاري .

١٤ - آلاء الرحمن في تفسير القرآن، طبع منه الجزء الأول والثاني، وهو آخر مؤلفاته .

١٥ - رسالة في التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام .

١٦ - رسالة في الاستدلال على صحة مذهب الإمامية عن طريق غيرهم .

١٧ - رسالة نسيمات الهدى .

١٨ - رسالة في البداء .

أما المخطوطات منها :

١ - داعي الإسلام وداعي النصرى .

٢ - رسالة في الرد على كتاب تعليم العلماء .

٣ - كتاب المصباح في إبطال مذهب القاديانية .

٤ - كتاب الشهاب في الرد على كتاب حياة المسيح .

٥ - رسالة الرد على كتاب ينابيع الكلام لبعض المسيحيين .

٦ - أجوبة المسائل التبريزية في الطلاق وتعدد الزوجات والحجاب وبعض

المسائل الأخرى .

٧ - في الأصل العربي ، وقد طبعت بالإنجليزية ، وضوء الإمامية وصلاتهم .

٨ - رسالة في القبلة وتعيين مواقع بعض البلدان المهمة في العالم من مكة المكرمة .

٩ - رسالة في مواقيت الإحرام .

١٠ - رسالة في ذبائح أهل الكتاب .

١١ - رسالة في المتمم كراً .

١٢ - رسالة في الغسالة .

١٣ - رسالة في حرمة مسّ المصحف الشريف على المحدث .

١٤ - تعليقة على كتاب الشفعة من كتاب الجواهر .

١٥ - رسالة في منجزات المريض .

١٦ - رسالة في إقرار المريض .

١٧ - رسالة في الرضاع .

١٨ - رسالة في فروع الرضاع .

١٩ - رسالة في قاعدة على اليد ما أخذت .

٢٠ - رسالة في إبطال العول والتعصيب .

٢١ - رسالة في التقليد .

٢٢ - رسالة في الأوامر .

٢٣ - رسالة في الخيارات .

٢٤ - رسالة في صلاة الجمعة لمن سافر بعد الزوال .

٢٥ - رسالة في تنجيس المتنجس إذا لوقى برطوبة .

٢٦ - رسالة في [الصلاة] في اللباس المشكوك [فيه] .

٢٧ - رسالة في حالة العلم الإجمالي مع الأصول والنظر في جملة فروع .

٢٨ - رسالة في حرمة حلق اللحية .

٢٩ - رسالة في أن من يدين بدين يلزم بمقتضى نحلته في مقام الحقوق .

٣٠ - تعليقة على العروة الوثقى .

هذا التراث الضخم من آثاره القلمية وثمراته الفكرية .

يقول فيه الأستاذ الشاعر الفحل السيد محمود الحبوبي مخاطباً المؤلف في رثائه :

دأبتَ بنشر ما سميتَ كتباً ودين الله سماها دروعا
في هذه القصيدة وصف الشاعر قلم الإمام البلاغي وقد أجاد فقال :

فتى القلم الذي إن صرَّ ألقى صليل المشرفي له الخضوعا
وإن تحمله مختضباً مداً فماذا السيف مختضباً نجيعا
وإن رضع الدواة ترى شيوخ الضلالة تتقي ذاك الرضيعا
وقد جاره في هذه الحلبة الشاعر الفصيح الأستاذ صالح الجعفري فقال :

لا يفعل السيف مكسور القراب كما قد كان يفعل إذ تستله القلم

أدبه

كان - رضوان الله عليه - من فحول الشعراء، وإن اشتهر بمؤلفاته العلمية والفلسفية، غير أن الفضلاء من كبار الأدباء والشعراء يقرّون له بمكانته الأدبية، وشاعريته المطبوعة، فهو شاعر محسن مجيد، تزخر أشعاره بالعواطف الوجدانية، والمشاعر الإنسانية والتأملات الروحية .

وأكثر شعره كان في أهل البيت عليهم السلام، أو في تهنئة خليل أو رثاء عالم جليل، أو في حالة الحنين إلى الأخلاء يحتمه عليه واجب الوفاء، وإما أن تهزه دواعي الدفاع عن رأي علمي، أو شرح فكرة فلسفية بطريق المعارضة الشعرية، كما في قصيدته العينية التي عارض فيها قصيدة الرئيس ابن سينا في النفس.

ولم يكن عليه السلام بالشاعر الفصّال^١، ولم يكن من الفقهاء المتميّزين الذين يتنكرون للشعر ونظمه، ويرونه مزرياً بالعلماء، بل كان كثير الاحترام للشعراء المناضلين في سبيل الفضيلة الأخلاقية ونصرة المثل الإسلامية المثلى، ووسيلة إذاعة فضائل أئمة أهل البيت عليهم السلام والإشارة بمحاسنهم.

بيد أنه بالرغم من سلاسة شعره، وإشراق ديباجته، ورسانة تركيبه، وفصاحة ألفاظه، ولطافة معانيه، وحلاوة أسلوبه وطلاوته، فإنّه لا يزاحم من حيث القوّه الشعرية المبدعة التي امتازت بها الطبقة الأولى من فحول شعراء عصره، كالسيد إبراهيم الطباطبائي، والسيّد موسى الطالقاني، والسيّد المجاهد العلامة الكبير والشاعر الشهير السيّد محمد سعيد الحَبّوبي، والشاعر الرقيق السيّد جعفر الحلّي، وشاعر الرثاء والحماسة المخترع السيّد حيدر الحلّي، عليهم رحمت الرحمان.

ومن شعر الإمام البلاغي الذي سارت به الركبان، قصيدته التي نظمها في الردّ على قصيدة أحد علماء بغداد المنكرين لوجود الإمام الثاني عشر المنتظر وغيبته عليه السلام ومطلعها:

أيا علماء العصر يا من لهم خبرٌ
بكلّ دقيقٍ حار في نعته الفكرُ

فأجابه الشيخ الجليل البلاغي عليه السلام بقصيدة طويلة بلغت مائة وتسعة أبيات، وهي من عيون شعره، ومستهلّها:

أطعت الهوى فيهم فعاصني الصبرُ
مباحٍ وأجفاني عليها الكرى حجرُ

وفي أواخرها يقول:

وقد جاء في الآثار عن كلّ واحدٍ
هو القائم المهدي والواتر الوترُ

١. الشاعر الفصّال: الذي يتكسّب بشعره.

ومن قصيدته العينية التي عارض فيها عينية الرئيس ابن سينا في النفس ومطلعها:
 نعمت بأن جاءت بخلق المبدع ثم السعادة أن يقول لها: (ارجعي)
 خلقت لأنفع غاية ياليتها تبعت سبيل الرشد نحو الأنفع
 الله سواها فألهمها فهل تنحو السبيل إلى المحل الأرفع
 ومنها:

فخذي هداك فتلك أعلام الهدى زهر سواطع في الطريق المهيح
 وتروحي بشذى الطريق وأملي عقبى سراك إلى الجنب الممرع
 إلى آخرها وهي طويلة وذات معاني فلسفية عالية.

وقصيدته في ثامن شوال من سنة ١٣٤٤ هـ، وهو اليوم الذي هدمت فيه قبور أئمة
 الهدى الأطهار عليهم السلام في البقيع، ومطلعها:

دهاك ثامن شوال بما دهما فحق للعين إهمال الدموع دما
 ومنها:

يوم البقيع لقد جلت مصيبته وشاركت في شجاها كربلا عظما
 وقوله من قصيدة غزلية:

مدت إلى رمل الحمى أعناقها طلاع قد شاقني ما شاقها
 تزفت زفات الظلم نافراً حيث الغرام قادها وساقها

وله عليه السلام مراسلات إخوانية، ومناظرات علمية، ومراجعات شعرية مع العلامة البحثة
 خالد الذكر السيد محسن الأمين العاملي عليه السلام، قد بسطها في موسوعته الجليلة
 الموسومة بأعيان الشيعة...، وفي ديوانه الرقيق المختوم.

وقد دلت تلك المراجعات على غزارة علم وأدب وعمق تفكير وسعة اطلاع، وقد
 جمع سيدنا العاملي في موسوعته ورحيقه أشعار البلاغي الرائقة ومختلف فنونه
 المختارة الفائقة، فراجعها.

وكان من لدات الإمام وخلصائه المجاهد العلامة الكبير والشاعر النابغة السيد محمد
 سعيد الحنوبي، وبعد وفاته رثاه الحجة بقصيدة دامعة ...

ميلاده، ووفاته، وما قيل في رثائه

اختلف في ولادته، فذهب سيدنا أبو الحسن المحسن الأمين العاملي عليه السلام، أنه ولد في سنة ١٢٨٥هـ، وتبعه بعض المترجمين.

ومنهم من ذهب أنه ولد في سنة ١٢٨٠هـ.

أما علامتنا الحجة الخريت الشيخ آغا بزرگ (أدام الله وجوده) فقد عيّن تاريخ ولادته في سنة ١٢٨٢هـ، وهذا هو القول الراجح عندي؛ لأنه من المتفق عليه أنّ الإمام البلاغي قد توفّي وعمره ٧٠ سنة، أما تاريخ وفاته فكان في عام ١٣٥٢هـ، وفي يوم ٢٢ شعبان من تلك السنة، وقد أجمع المترجمون له على ذلك، وكان قد ابتلي بداء السلّ، ولكنّ الذي قضى عليه هو مرض ذات الجنب.

وما أن نراه النعا حتى ارتجت مدينة النجف الأشرف فألقت بأفلاذها، وقذفت بسكانها على اختلاف طبقاتهم وهم يندبون فقيد الإسلام، وناغية الشرق، وقد اهتزت لفقده محافل الشرق وأندية الغرب، وبكته محاربيه وصلواته وأقلامه ودفاتره ومؤلفاته، وسار في تشييع جثمانه آلاف من الجماهير يتقدّمهم عظماء المجتهدين وأساطين العلم والأدب، وأقيمت له الفواتح والمآتم وحفلات التأبين في أنحاء الرافدين وأرجاء بلاد (الضاد) وديار الإسلام، وذكرته الجمعيات العلميّة الغربيّة بالتمجيد والتقدير، وأثنت على خدماته الجلبي وجهوده الجبّارة في نصرة الفضيلة، والدفاع عن عقيدته بما أوتي من الحكمة وفصل الخطاب.

ورثاه أكابر العلماء والأدباء بعيون الشعر الحزين الدامع، وفي طليعتهم خاله الأجلّ العلامة الفهامة سيّد شعراء عصره سيّدنا وصديقنا المرحوم السيّد رضا الهندي في قصيدته البليغة الرائعة، ومستهلّها:

إن تسمي في ظلّم اللحد موسداً فلقد أضأت بهنّ أنوار الهدى
ولئن يفاجئك الردى فلطالما حاولت إنقاذ العباد من الردى

ومنها:

قد كنتُ أهوى إنني لك سابقٌ هيهات قد سبق الجواد إلى المدى
 فليندب التوحيد يوم مماته سيفاً على التلث كان مجرداً
 وليبك دين محمدٍ لمجاهدٍ أشجت رزيتة النبي محمداً
 وليجر أدمعه اليراع لكاتبٍ أجراه في جفن الهداية مروداً

ومنها:

أخي كم نثرت يداك من الهدى بذراً فطب نفساً فزرعك أحصداً
 إلى آخرها وهي طويلة وكلها من هذا النمط العالي.

ورثاه العالم الأديب المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر في قصيدة مطلعها:

يا طرف جدّ بسواد العين أو فذرٍ ماذا انتفاعك بعد الشمس بالنظرِ

ومنها:

قد كان كالبدر في ليل الشتا ومضى كالشمس معروفة بالعين والأثرِ

وفي رثائه قال العلامة المفضل السيد مسلم الحلبي قصيدة منها هذا البيت:

إنسي أرى الموت الزؤام ممثلاً للناس فعل الصيرف النقادِ

وقال أحد معاريفه:

في ذمّة الله نفسٌ بالجهاد قضت فكان آخر شيء فارقت قلمُ

وممن رثاه العالم الجليل الشيخ محمد تقي الفقيه، أحد علماء جبل عامل

بمرثية مختارة....

ومن جملة من رثاه الأساتذة الأفاضل السيد محمود الحويبي، ومحمد صالح

الجعفري، والشيخ محمد علي اليعقوبي، وغيرهم من أكابر الشعراء وأعلام الأدب.

٥- العلامة الخزيّت الشيخ آقا بزرك الطهراني (م١٣٨٩هـ)*

الشيخ محمّد جواد البلاغي (١٢٨٢ - ١٣٥٢).

هو الشيخ محمّد جواد ابن الشيخ حسن ابن الشيخ طالب ابن الشيخ عبّاس ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ حسين ابن عبّاس بن الشيخ حسن - مؤلّف تنقيح المقال - ابن الشيخ عبّاس ابن الشيخ محمّد علي ابن محمّد البلاغي النجفي الربيعي، نسبة إلى ربيعة القبيلة المشهورة.

من مشاهير علماء الشيعة في عصره، علامة جليل، ومجاهد كبير، ومؤلّف مكثّر خبير.

آل البلاغي من أقدم بيوتات النجف وأعرقها في العلم والفضل والأدب، أنجبت هذه الأسرة عدّة من رجال العلم والدين، ذكرنا كلّاً منهم في محلّه من مجلّدات كتابنا هذا ...

والمترجم من أعلام هذا البيت المعاصرين، كان أحد مفاخر العصر علماً وعملاً، ولد - كما حدّثني به - في النجف (١٢٨٢هـ) ونشأ بها، فأخذ المقدمات عن الأعلام الأفاضل، وسافر إلى الكاظميّة في (١٣٠٦هـ)، و صاهر السيّد موسى الجزائري الكاظمي على بنته.

وعاد إلى النجف في (١٣١٢هـ) فحضر على الشيخ محمّد طه نجف، والشيخ آغا رضا الهمداني، والشيخ المولى محمّد كاظم الخراساني، والسيّد محمّد الهندي.

وهاجر إلى سامراء في (١٣٢٦هـ) فحضر معنا على شيخنا الميرزا محمد تقي الشيرازي عشرة سنين، وألف هناك عدة كتب. وغادرها إلى الكاظمية، فمكث بها سنتين مؤازراً للعلماء في الدعاية للشورة، ومحرضاً لهم على طلب الاستقلال.

ثم عاد إلى النجف وواصل السير في التأليف، وكان من أولئك الأفذاذ النادرين الذين أوقفوا حياتهم وكرسوا أوقاتهم لخدمة الدين والحقيقة، وقد وقف قبال النصارى وأمام تيار الغرب الجارف، فمثّل لهم سموّ الإسلام على جميع الملل والأديان، حتّى أصبح له الشأن العظيم والمكانة المرموقة بين علماء النصارى وفضلانها.

وقد كان من خلوص النية وإخلاص العمل بمكان حتّى أنّه كان لا يرضى أن يوضع اسمه على تأليفه عند طبعها، وكان يقول: إني لا أقصد إلاّ الدفاع عن الحقّ، لا فرق عندي بين أن يكون باسمي أو اسم غيري، ومع كلّ ذلك أصبح ناراً على علم، وبلغت شهرته أقاصي البلاد، وذلك لما عالجه من المعضلات العلميّة والمناقشات الدينيّة التي أقيم لها الوزن الراجح في عواصم أوروبا.

وقد اتّصل به أعلام «لورندرة» وغيرها وكانوا يفتزعون إليه في المسائل العويصة، ومن المستفيدين منه «المستر خالد شردراك»، فإنّه كان يعوّل على المترجم في المشاكل.

وقد ترجمت بعض مؤلفاته إلى الإنجليزيّة للاستفادة من مضامينها الراقية. وكان متواضعاً للغاية، يمارس حاجياته بنفسه، ويختلف على الأسواق بشخصه لابتياح ما يلزم له، وكان يقيم الجماعة في المسجد القريب من داره فيأتّم به أفاضل الناس وخيارهم.

وتوفي ليلة الاثنين ٢٢ شعبان (١٣٥٢هـ)، فانقلبت النجف، وشيّع تشييعاً يليق بمقامه، ودفن في الحجرة الثالثة الجنوبيّة من طرف مغرب الصحن الشريف، ومن العجيب أن مطلع إحدى قصائده في مدح الحجّة عليه السلام قوله:

حيّ شعبان فهو شهر سعودي وعد وصلي فيه وليلة عيدي

فكان كما أجراه الله على لسانه إذ وصل إلى رحمة ربّه في شعبان .
وقد فجع الإسلام بوفاته وثلّم ثلّمة لم يسدّها أحد، ولم يزل مكانه ومكان العاملين
من العلماء شاغراً، وفي الحقيقة لم يمت من خلف ما خلفه المترجم من الآثار التي
تهتدي بها الأجيال، ويحتجّ بها الأبطال، فإنّ في مؤلّفاته ثمرات ناضجة قدّمها المترجم
لرؤاد الحقيقة .

وإليك المطبوع منها:

١. الهدى إلى دين المصطفى، جزءان في الردّ على عبدة التالوث .
٢. وأنوار الهدى في إبطال بعض الشبه الإلحادية .
٣. والرحلة المدرسية أو المدرسة السيارة، ثلاثة أجزاء، في الردّ على الملل
الخاطئة، طبع مرّتين، وترجم إلى الفارسيّة، وطبع أيضاً .
٤. ونصائح الهدى، في الردّ على الباطنية .
٥. وأعاجيب الأكاذيب، في بيان مفتريات النصاري .
٦. والتوحيد والتثليث، في الردّ على النصاري أيضاً .
٧. وإبطال فتوى الوهابيين، بهدم قبور البقيع .
٨. ورسالة في إبطال فتوى الوهابيين أيضاً .
٩. والبلاغ المبين، في الإلهيات .
١٠. وأجوبة المسائل البغدادية، في أصول الدين .
١١. ورسالة في وضوء الإمامية وصلاتهم وصومهم، طبعت بالإنجليزية .
١٢. والعقود المفصلة في حلّ المسائل المشكّلة، في الفقه .
١٣. تعليقة على مباحث البيع من المكاسب للشيخ الأنصاري .
١٤. وآاء الرحمن في تفسير القرآن، طبع منه الجزءان الأوّل والثاني، وهو آخر
تأليفه، ومن أثنى التفاسير وأنسبها وأليقها بهذا العصر .
- وأما الغير مطبوع فهو كثير نذكر منه :
١٥. الشهاب، في الردّ على كتاب حياة المسيح لبعض القاديانيين .

١٦. وداعي الإسلام وداعي النصارى .
١٧. والمصابيح في الردّ على القادياني .
١٨. ورسالة في الردّ على جرجيس سيل وهاشم العربي .
١٩. ورسالة في الردّ على تعليم العلماء .
٢٠. ورسالة في الردّ على ينابيع الكلام لبعض المسيحيين .
٢١. وأجوبة المسائل التبريزية .
٢٢. ورسالة في القبلة وتعيين مواقع بعض البلدان المهمة في العالم بحسب الاختلاف في الطول والعرض .
٢٣. ومواقيت الإحرام
٢٤. وذبائح أهل الكتاب .
٢٥. ورسالة في الغسالة .
٢٦. ورسالة في حرمة مسّ المصحف على المحدث .
٢٧. ورسالة في الخيارات .
٢٨. وتعليقة على كتاب الشفعة من الجواهر .
٢٩. ورسالة في منجزات المريض .
٣٠. وأخرى في إقراره .
٣١. وأخرى في الرضاع .
٣٢. ورسالة في فروع الرضاع على مذهب الإمامية والمذاهب الأربعة .
٣٣. ورسالة في التقليد .
٣٤. ورسالة في الأوامر والنواهي .
٣٥. ورسالة في عدم تزويج أمّ كلثوم .
٣٦. ورسالة في العول والتعصيب .
٣٧. ورسالة في صلاة الجمعة .
٣٨. ورسالة في اللباس المشكوك، وغيرها .

وكان يجيد اللغة العبرانية؛ لاختلاطه بالطائفة الإسرائيلية ببغداد، كما يجيد الفارسية والإنجليزية.

وكان بالإضافة إلى عظيم مكانته في العلم وتفقهه في الدين، أديباً كبيراً، وشاعراً مبدعاً، له نظم رائق سلس متين، أكثره في مدح أهل البيت عليهم السلام وراثتهم، والبعض منه في الردود الدينية، منه قصيدة طويلة في جواب القصيدة البغدادية التي أولها (أيا علماء العصر...).

وله قصيدة في الرد على قصيدة ابن سينا العينية في النفس، وغير ذلك. ترجمه الشيخ علي آل كاشف الغطاء في الحصون المنيعة، والشيخ محمد السماوي في الطليعة، وله ترجمة في وقائع الأيام، وكتب عنه في كل من مجلة الهدى والرضوان والاعتدال وغيرها.

وبالجملة، فهو أحد نماذج السلف التي ندر وجودها في هذا الزمن رحمه الله رحمةً واسعة.

٦- الأستاذ الشيخ علي الخاقاني (م١٣٩٨هـ)*

الشيخ جواد البلاغي (المتولّد ١٢٨٢هـ، والمتوفّى ١٣٥٢هـ).

هو الشيخ جواد بن حسن بن طالب بن عباس بن إبراهيم بن حسين بن عباس بن حسن بن عباس بن محمّد علي بن محمّد البلاغي الربعي^١ النجفي، من أشهر مشاهير علماء عصره، مؤلف كبير، وشاعر مجيد.

ولد في النجف عام ١٢٨٢هـ^٢، وقيل ١٢٨٣هـ^٣، وقيل: ١٢٨٥هـ^٤ ونشأ بها، وبها أتمّ دروسه على أعلام ذلك العصر كالشيخ أغا رضا الهمداني، والشيخ محمّد طه نجف، والشيخ ملا كاظم الخراساني.

وكانت هجرته إلى سامراء على عهد الإمام ميرزا محمّد تقي الشيرازي زعيم الثورة العراقيّة، ففضى هناك عشرة أعوام مصاحباً له، وغادرها عند احتلالها من قبل الجيش الإنكليزي، فقصّد الكاظميّة ومكث بها سنتين مشاركاً في الدعاية للثورة ومسانداً أعلامها ومحزّزاً على طلب الاستقلال، ثمّ بارحها ورجع إلى مسقط رأسه، حيث واصل نشاطه في التآليف.

ذكره صاحب الحصون في ج ٩، ص ١٨٦...؛

*. في شعراء الفري ٢: ٤٣٦-٤٤٢.

١. من ربعة القبيلة المشهورة.

٢. الروض النضير: ٣٠٤.

٣. الحصون المنيعه ٩: ١٨٦.

٤. مجلّة الاعتدال، السنة الثانية، ص ١٢.

وذكره النقدي في الروض النضير، ص ٣٠٤...؛

وذكره صاحب الطليعة، ص ٦٥...؛

وذكره السيّد الأمين في ج ٤، ص ٢٥٥ - ٢٦١ من الأعيان....

والإمام البلاغي أغنتنا آثاره العلميّة عن التنويه بعظمته وعلمه الجَمِّ وآرائه الجديدة المبتكرة، فلقد سدّ شاغراً كبيراً في المكتبة العربيّة الإسلاميّة بما أسداه من فضل فيما قام به من معالجة كثير من المشاكل العلميّة والمناقشات الدينيّة وتوضيح التوحيد، ودعمه بالأراء الحكيمة قبال الثالوث الذي هدّه بآثاره وقلمه السيّال، ولو لم يكن للمترجم له إلاّ كتاب الرحلة المدرسيّة لكفاه فخراً، فقد تناول الإسلام فيه على المسيحيّة وضيق الخناق عليها فيه، ومن المستحيل أن إنساناً أوتي من التعقل والتمييز شيئاً لا يستقرّ بعد قراءته على الحقّ، ولا يعتنق الإسلام بعد هضمه له.

والمترجم له كان عظيماً في جميع سيرته، فقد ترفع عن درن المادّة وتردّى بالمثل العالية التي أوصلته في الحياة - ولا شكّ بعد الممات - أرفع الدرجات، فقد كنت أختلف عليه مع من يختلف من أصدقائه وتلامذته والمقتدين بآرائه الدينيّة، فلم أجده إلاّ وهو يجيب على سؤال، أو يحزّر رسالة يكشف فيها ما التبس على المراسل من شكّ، أو يكتب في أحد مؤلفاته.

وكان مثال الإمام المحقّ، فهو جدّي لأبعد حدّ، يمارس حاجياته بنفسه، ويختلف على السوق بشخصه لا بتبايع ما هو مضطرّ إليه، غير مبالٍ بالقشور ولا محترمٍ للأنايات والعناوين الفارغة، وقلّ من يستطيع تمييزه ممّن لا يعرفه فيتصوّره عظيماً أو زعيماً دينياً حقّاً.

وكان يصلّي جماعة في الجامع المقابل القريب من داره، يأتّم به أفاضل الناس وخيارهم، وبعد الفراغ من الصلاة كان يدرّس كتابه آلاء الرحمن في تفسير القرآن، وقد حضرت مع من حضر برهة من الزمن، فإذا به بحرّ خضمّ لا ساحل له، يستوعب الخاطرة، ويحوم حول الهدف، ويصوّر الموضوع تصويراً قوياً. والكتاب مع الأسف

لم يكمل فقد وصل فيه إلى آخر سورة النساء، وكنا كثيراً ما نصارحه بقولنا: نرجو من الله أيها الشيخ أن يطيل عمرك لإكمال هذا التفسير، وبعد ذلك لا يهمننا بقية أم لم تبقى، فيقول: أنا متشاطم في عدم إتمامي له.

ومن نظر سيرة المترجم له يجده قد تأثر بسير الأولياء الذين جاؤوا ومضوا ولم يكن لهم من قصد سوى القيام بما يجب عليهم من خدمة البشر والعقل والحق، وقد كان   مثال هذه السيرة التي تقمّصت الحق واستهدفت خدمته.

فقد تخصص للدفاع عن الإسلام لذي سما على جميع الأديان، وذبت عنه أمام تيار الغرب الجبار الذي هجم عليه، فكان يستمد الصمود من مبدئه، والشجاعة من موجدته، وقف وقفة خلّدت في قلوب خصومه النصارى فضلاً عن المسلمين، وعرفته علماءهم أكثر من معرفة أبناء وطنه له.

ابتعد عن حب الشهرة والمظاهر ابتعاداً غريباً، حتّى أنّه كان لا يقبل أن يضع اسمه على كتبه لئلا يشتم من ذلك التبجح، ولقد سئل يوماً عن سبب ذلك فقال: «المقصود من عملي إبراز الحق والدفاع عنه من أيّ طريق كان، فلا فرق بين أن يكون قد جئت به أنا أو غيري، فالغاية العمل».

هذا ما يفهمنا جلياً فهمه لواقع الحياة، وأنها شريط قصير، لا يهتم الممثل إلا أن يبدع في التمثيل، والإمام البلاغي كانت سيرته تناقض كثيراً هوة الشهرة الذين تشدقوا بالألقاب، وكالوها لأنفسهم باسم غيرهم، مع العلم أنّ الذين جاؤوا به لم يكن بجديد، إنّما هو صدى لمن سبقهم مع بعض التحوير غير المفيد، ولكن البلاغي كانت حياته مليئة بالمفاخر والخدمات الصادقة.

وكم كان اللازم على رجالنا أن يقتدوا بسيرته، وينهضوا بأعباء رسالته التي أداها، والذي مهّد لهم السبيل بالسير على ضوئها، ولكن ويا للأسف ظلّ مكانه خالياً من وجود من يقوم به، مع تطوّر دعايات القوم وتنظيمها، أمّا دعاياتنا فهي لا تزال تافهة ولأغراض شخصية لا يعود نفعها إلا لأفراد يبتغون الشهرة فقط.

وفاته

انقلب النجف يوم أن سمع نبأ وفاته، فخرج عن بكرة أبيه، وصار مشهوداً وذلك ليلة الاثنين ٢٢ شعبان من عام ١٣٥٢ هـ، ودفن في إحدى غرف الصحن من الجهة الجنوبيّة، ورثاه أعلام شعراء عصره بقصائد مؤثّرة.

وفي موت هذا العلم تعرف مقاييس مجتمعا، فهو عندما كان في دار الحياة لا يعرفه إلاّ الخواصّ، ولا يختلف عليه إلاّ نفر معدود، وعندما رحل إلى الفردوس تأثر الكبير والصغير لهذه الرحلة، كأنّما الإنسان يجب احترامه عند الموت، فإذا كان حيّاً لا قيمة له، هذا ما نأسف له لأنّه لا زال باقياً للآن.

آثاره

والمترجم له لم يكن ممّن أكثر من الأسماء وجعل لها مسميّات لا فائدة فيها، أو مكرّرات عرفها الناس، بل كان ﷺ من أولئك الأفاضل الذين عالجوا كثيراً من المسائل والمشاكل، وأوقفوا الحائرين على الهدى والحقّ.

وكان في كلّ كتاب يكمل عنده لا يستطيع طبعه وإخراجه، حتّى بلغ الحال غير مرّة أن باع أثاث بيته لطبعه ولانتفاع الناس به، في حين أنّ غيره كان يطبع دون تكلف أو مضايقة، وهذا ناموس الحياة الناقص.

وإليك أسماء كتبه المطبوعة:

- ١ - الهدى إلى دين المصطفى، في جزئين.
- ٢ - أنوار الهدى.
- ٣ - نضائح الهدى.
- ٤ - الرحلة المدرسيّة أو المدرسة السيّارة، في ثلاثة أجزاء، طبع مرّتين، وترجم إلى الفارسيّة، وطبع في النجف.
- ٥ - أعاجيب الأكاذيب.

- ٦ - التوحيد والتثليث .
- ٧ - أجوبة المسائل البغدادية .
- ٨ - إبطال فتوى الوهابيين بهدم قبور البقيع في الحرمين .
- ٩ - البلاغ المبين في الإلهيات .
- ١٠ - رسالة في وضوء الإمامية وصلاتهم وصومهم ، طبع بالإنجليزية .
- ١١ - العقود المفصلة في حل المسائل المشككة في الفقه .
- ١٢ - تعليقة على مباحث البيع من المكاسب .
- ١٣ - آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، طبع منه الأول والثاني .
أما التي لم تطبع فهي :
- ١ - الأصل العربي للرسالة المطبوعة بالإنجليزية .
- ٢ - رسالة في القبلة وتعيين مواقع بعض البلدان المهمة في العالم من مكة بحسب الاختلاف في الطول والعرض .
- ٣ - مواقيت الإحرام .
- ٤ - ذبائح أهل الكتاب .
- ٥ - إزام المتدين بأحكام دينه ، بطراز جذاب وأسلوب فريد في بابه .
- ٦ - رسالة في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام .
- ٧ - داعي الإسلام وداعي النصارى .
- ٨ - الرد على ما كتبه جرجيس سايل وهاشم العربي .
- ٩ - الرد على كتاب تعليم العلماء .
- ١٠ - المصايح في الرد على المذهب القادياني .
- ١١ - الشهاب في الرد على كتاب حياة المسيح لبعض القاديانيين .
- ١٢ - الرد على كتاب ينابيع الكلام لبعض المسيحيين .
- ١٣ - رسالة في ضبط الكفر ، فقه .
- ١٤ - رسالة في ماء الغسالة ، فقه .

- ١٥ - حرمة مسّ المصحف على المحدث.
- ١٦ - الاستدلال على صحة مذهب الإمامية ممّا جاء من الأحاديث في كتب غيرهم.
- ١٧ - تعليقة على كتاب الشفعة من الجواهر، فقه.
- ١٨ - منجزات المريض.
- ١٩ - وإقراره.
- ١٩ - رسالة في الرضاع.
- ٢٠ - العول والتعصيب.
- ٢١ - تعليقة على العروة الوثقى.
- ٢٢ - رسالة في صلاة الجمعة لمن سافر بعد الزوال.
- ٢٤ - رسالة في الخيارات.
- ٢٥ - رسالة في مسائل الرضاع.
- وهناك أجوبة لمسائل كثيرة.

شعره وشاعريّته

والمترجّم له مع كونه من زعماء الدين، إلا أنّه وجد أنّ الشعر من العناصر التي توصل كثيراً من الحقائق إلى روادها، وكما أنّه رآه أجمل وعاء يحتفظ بالخواطر العلميّة ضمن إطار فنيّ، وهو بهذا الرأي وغيره اندفع يمارس النظم منذ الصبا، واستمرّ فيه إلى آخر حياته، حيث صار يودعه كثيراً من آرائه في العدل والتوحيد، وما إلى ذلك من أسس الدين الإسلامي وفلسفته، وكان لانشغاله لم يعتنِ بمنظومه، فقد ذهب في أوراق له ذهبت خلال أسفاره وتنقلاته، ولم يبقَ منها إلا ما عثرنا عليه عن طريق بعض المجاميع والروايات وما سجّله صاحب الأعيان.

٧- الشيخ محمّد علي جعفر التميمي (١٩١٩م -...)*

آل البلاغي

النسب

«... (والبلاغيّون) ينتسبون إلى ربيعة...، من أصل عربي صميم، وهم بيت علمٍ وفضلٍ وأدب، معروفون بالفقه والأدب (قديماً وحديثاً) من عهدٍ بعيدٍ إلى اليوم... إلخ إلخ»^١.

«... وآل البلاغي بيت علمٍ وفضلٍ وأدب ونجاة، أخرج بيتهم كثيراً من العلماء والأدباء وهم عراقيّون نجفيّون، ينتسبون إلى ربيعة... جلّهم من أهل العلم والفضل والخدمة في الدين وإن اختلفت مراتبهم... إلخ إلخ»^٢.

ويوجد في مكتبات النجف؛ العامّة منها والخاصّة «ولدى أحد أفراد هذه الأسرة» جملة من مؤلّفات البلاغيّين الخطيّة؛ وبعض كتبهم الموقوفة كذلك من بعض البلاغيّين، على الذكور من أولادهم، وعليها أنّها تعود إلى فلان البلاغي الربيعي؛ وقد أعلمنا الحجّة الجليل، العلامة مؤلّف كتاب الذريعة أنّه وقف على جملة من تلك الكتب لدى الأستاذ محمّد علي البلاغي، وكفى هذه الأسرة فخراً ومجداً، بالإضافة إلى مكانتها العلميّة والدينيّة الجليلة من قديم العهود؛ أنّها تنتسب إلى ربيعة.

* مشهد الإمام: ١٧٦- ٢٢٦. ذكر التميمي أولاً ما يتعلّق بأهل هذه الأسرة وأعلامها، أمّا ترجمة العلامة محمّد جواد البلاغي فقد أخذها ممّا كتبه الحجّة الشيخ محسن المظفر.

... تفضّل علينا العلامة الجليل، والأديب البارِع؛ الأستاذ الشيخ محسن مظفر بهذه الترجمة القيّمة لحجّة الإسلام آية الله المرحوم الشيخ محمد جواد البلاغي، وهي خلاصة لرسالة لديه كتبها عن الإمام البلاغي:

الإمام البلاغي

إنّ لוחي الضمير المعزّز برغبة الأعرّاء لبلّغ أثر في نفس هذا العاجز عن إتيان ما يستحقّ الذكر، سيّما وأنّ الموحى به، المرغوب فيه، لمّا تنوّع بحمله الهمم الصغيرة، ويثقل عبأه على كاهل الضعفاء.

غير أنّ الواجب المقدّس قد يخلق من الضعف قوّة ومن القصور بلوغاً، ولكن بنسبة الدرجة ومعيّار اللياقة لا مطلقاً، لذلك أجدني منبعثاً، على غير أهبة ما إلى أن أكون عند حسن ظنّ هؤلاء تارة، وإرضاء ذاك أخرى جهد الطاقة، فإن أخفق السعي فلاشذوذ، وإن أدركت المأمول فمن توفيقه تعالى.

في ساعة متأخّرة وظرف غير تامّ المناسبة؛ والجزء الثاني من آلاء الرحمن أوفى على انتهاء الطبع، وتأكّدت الرغبة وألحّ بالطلب في شيء أحرّره عن حياة فقيد العلم والعمل، الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي عظيم الإسلام وحاميه في العصر المتأخّر؛ سلك الله بالأمة سبيله لينظّم إلى هذا السفر الجليل.

ولقد أوجزت ما حقّه الإطناب في شبه التحليل لهاتيك الحياة الباهرة؛ واختصرت ما لا تتسع له المطوّلات من أدوار جاء مرتّباً على مقدّمة في أهمّيّة الموضوع، وثمان نواحي ذات شأن:

- ١ - نسبه الكريم ٢ - ولادته ونشأته ٣ - ثقافته وأساتذته ٤ - شهرته العلميّة
- ٥ - مؤلفاته ٦ - ملكته الأدبيّة ٧ - جهوده وجهاده ٨ - سيرته وأخلاقه.

وخاتمة: هي في وفاته، ومبلغ تأثيرها في العالم الإسلامي الثاكل، وكيف حال النجف الأشرف صبيحته إلى آخر ما هناك. كلّ ذلك دائر حول محور الاختصار، أمّا خلافة؛ فالإحاطة به من خصائص واسعي الاطلاع؛ وكلّ ميسر لما عمل.

المقدمة: [الأمم برجالها، والتاريخ بعظمائه]

أثبت الاستقراء لأكثر من واقعة، وآزره المنطق الصحيح: إن السعادة كاملة، والحياة المعنوية التامة، إنما تحصل أمة منهما على نصيب؛ أو تتعلق منهما بسبب. لا لمحض كونه - أمة - تؤلف عدداً كبيراً من الأفراد. بل بفضل فردٍ كامل ينبغ فيها، أو بطلٍ جريء يغامر بحياته المادية في سبيلها.

كما أن التاريخ المجيد - بحكم الحقيقة - إنما يسمو غيره وبفضله، بما تخطه على صفحاته البيضاء، الأقلام الذهبية بأيدي أولئك الأعظم الأفاضل. فلا مؤاخذه إذن لو رددت المدارك صدى الإذعان بنسبة [الأمم برجالها، والتاريخ بعظمائه]؛ بداهة أن الأمة العقيمة عن إنتاج أحد الاثنين لخاملة الذكر؛ ضارعة الخد. البداهة التي لمسها كَفَّ العلم في منبؤ التاريخ الخامل الذي نسجت عليه عناكب الدثور فلا تقلب صفحاته يد باحث؛ ولا تقع عليه عين منقّب حقّ الخاتمة.

بهذه السنن جرت سنّة النشوء والارتقاء نحو الضلالة التي يتناشدها فلاسفة الاجتماع ورواد المثل العليا في هذا الوجود.

أجل وعلى مفارقة انعقدت أكاليل النظام الحيوي البديع في عرف مستبعي آثار الموجودات الشاعرة ومآثرها الجميلة. فعليه يتحتم - عقلاً وعادةً - على من تهّمهم الحال. وفيهم النجدة من أبناء هذه الأمة النجيبة ومدوّني أهمّ الحوادث التاريخية في الإسلام وأهله، أن يراقبوا الفرص السانحة بعيونٍ يقظة فيغتنمونها للتنويه برجالاتهم والإشادة بذكر عظمائهم - وبالأحرى - للمباهات بكنوزهم الثمينة؛ لا أن يقفوا من ذلك في حياد، أو يتكل بعضهم على آخر، شأنهم، إزاء [بطل الإسلام] في قرنه الرابع عشر الإمام البلاغي (أعلى الله كلمته) في حياته وبعدها.

ولقد أشبه تقاعدهم عن إعلان شأنه السامي وتحليل حياته القيّمة - بعد وفاته - تخاذلهم عن نصره مبادئه الحكيمية، والقيام بجانبه غبّ نضاله عن الدين الحنيف، أو عند تحفّزه إلى الدعوة للهدى والصرط المستقيم طيلة مكثه على سطح هذه الكرة

الأرضية... فيها هي الأعوام لرحلته إلى دار الخلد والخلود تمرّ، وقد انتهينا إلى واسطة عقده، ولم تعِ أذن سامع لذلك صوتاً؛ كما لم ترعَ عين ناظر لشخصه ظللاً. ولكم توهم متوهم: أنّ دعوة الأستاذ الصافي التي أرسلها إلى العالم الإسلامي، على صفحات الاعتدال الزهراء في عددها الأول من سنتها الثانية، سوف تصيب آذاناً واعية، تترجم إلى الأفكار الناضجة مغزى هاتيك الدعوة الرشيدة، لكنّها ويا لعظيم الأسف ذهبت «كصيحة في واد».

فليت شعري، لمن تدخّر المشاعر شعورها، والأقلام صريرها؟ إن هما لم يجلبيا في حلبة «ذكرى» الإمام الجواد - سبقتها - ويا ترى هل بإمكان معتذرٍ من سرة الأدب والمادة أن يبرهن على مشروعية العذر؟ كلاً فليس في البين إلا التسويف والكسل - وهما هما - الداءان الدويان اللذان نخرت لهما عظام عزتنا القديمة ومجدنا التالد. الداءان اللذان استعصيا عن العلاج فذهبت أتعاب النطاسيين جفاءً، ومن ثمة عزّ وجود المصلحين في هذه الأمة، وهبط عددهم من المئات في العصور الأولى إلى الآحاد في العصور المتأخرة. إذ لا ريب في أنّ البضاعة الكاسدة، يسير في السوق واردها. ما أدري - وليتني دريت - إلى أيّ أمد تنتهي مطية الحال الضالعة بالسير بنا؟ ذلك ما استأثر بفهمه المحكّنون. أمّا قليلو الزاد مثلي فلا يقطعون من المسافة أكثر من بلوغ مرحلة التمني.

وعلى أيّ، فإنّ الواجب يقضي على ذي الحسّ ومن كان له من الكفاءة حظّ أن ينشط من عقال التسويف إلى تحقيق آمال الأمة المعقودة بنواصي مواهبه السامية؛ ويعمل على تلافي ما فات بما هو آت، فالكرة تنفي الفرّة.

وأضّم صوتي بالأخير إلى [الداعي] الأول فأقول: خلدوا يا قوم، ذكر معيد المجد؛ مجدّد الفخر، المجاهد المجتهد الحجّة [البلاغي] قدّست نفسه، وأصحروا للأُمّ النائية بمكنون سرّه العظيم. فلسوف تجنون ما أنتم متذوّقوه من جني ثمر نتيجة غرس الجدّ الزكي.

أمّا هذا العاجز، فحسبه من شرف الخدمة، قيامه بهذا المجهود الضئيل إذ لا تكلف

نفس إلاً وسعها... والله المسدّد إلى سواء السبيل، وهو من وراء القصد.
 وإني لعلّي ثقة مؤثّرة ثابتة بأنّ الشعور الحيّ والنخوة العربيّة سوف يكتمان أفواه
 النداء والدعوة لسدّ هذه الثلمة الفاغرة. فلا تمسّ الحاجة إلى ندبة [ثالث] أو تقرّيعه.
 وكأني أنظر إلى الغيارى والندباء قد خفّوا لأداء الفرض، وهابوا لتلبية الدعوة. جمع
 هذا شوارد النظم الرائق، والنثر البديع، الذين أبّن فيهما الراحل العظيم، وتوسّع ذاك
 بدرس حياته الثمينه وتحليلها بالشكل الكامل الذي يأتلف ومكانتها السامية، وتطوّع
 آخرون لتجديد ذكره وتخليدها بالاحتفالات ونحوها... إلخ. والله سبحانه لا يضيع
 أجر العاملين.

١ - [نسبه الكريم]

لما كان للعرب قبل الإسلام وبعده، مزيد عناية بحفظ الأنساب وتدوينها، كعلم حقّق
 التاريخ الصادق نسبة وضعه إليهم، حتّى لقد وجده الباحثون ماثلاً - بين أترابه -
 للواظف في صحيفة مجد العروبة الوضّاء.

آثرت أن أجعل الحلقة الأولى من سلسلة ترجمة الحجّة البلاغي - الذهبيّة - ذكر
 نسبه السامي، رغم تحوّل بعضهم في الحديث عن هذه الناحية التي يجب أن تلاحظ
 بعناية في تقويم الأشخاص إلى الناحية المنتهج إليها عند الأغيار: من الأولى ضاع
 لديهم النسب والأنساب.

إذ كان لزاماً على كلّ من صحّت نسبه إلى [الضاد] أن يعمل جهده لإحياء مآثر
 السلف الحميدة، وحفظ آثارهم النفيسة؛ لا أن يعين على إطاحة سؤدهم من عليّ،
 ويسعد الأيدي العابثة بكرامتهم.

يتّصل نسبه الفتيّاح بأصل زكي، ثابت في بحبوحة الشرف، تنميه إليه فروع نامية.
 فهو محمّد الجواد بن الحسن بن طالب بن عبّاس بن إبراهيم بن حسين بن عبّاس بن
 حسن بن عبّاس بن محمّد علي بن محمّد البلاغي، وكلّهم فطاحل، جهابذة، وجلّهم
 أعلام في العلم، شيوخ في الأدب.

أنجبتهم أمّ المعالي «ربيعة» ذات القدح المعلى في الفخر والسؤدد على الكثير من قبائل العرب الكريمة؛ ومن هي في الجياد السابقة إلى الطهارة وطيب المحتد.

ذكر المنقبون لغالب آبائه هؤلاء الأعاظم مزايا جميلة وخلال حميدة. من أجلها تجارى في مديح جدّه الأقرب الشيخ الجليل الشيخ طالب شعراء عصره، تصدى للحكومة في تلك الحلبة الشاعر الفاروقي عبد الباقي أفندي، حيث يقول:

بلغ المدى هذا البليد بخ بمدحة الشيخ البلاغي

وقد استعرض له شيخ الطائفة الشيخ محمّد طه نجف، ذكر كرامة باهرة في رسالته بأحوال العلامة الشيخ حسين نجف رحمته. وإنّ الشيخ إبراهيم جدّ الشيخ طالب هذا، من الأعلام في الفضل والورع، وكان في طريق الرجوع من الحجّ ماراً بسورية، فانتدب إليه جمهور من صلحاء جبل عامل، التمسوا منه البقاء هناك، فقطنها للإرشاد والهداية حتّى توفي فيها رضوان الله عليه، وله لحدّ الآن فيها ذرّيّة درّيّة الذكر.

كما أنّ الشيخ عبّاس ووالده الشيخ حسن كانا من كبار المجتهدين المتبحّرين، من آثارهما الخالدة مؤلّفات نفيسة في الفقه وأصوله بعد لم تطبع. وللشيخ حسن شرح الصحيفة السجّادية بمجلّدين، وتعليقات رجاليّة، وفقهيّة، ونسب له صاحب روضات الجنّات كتاباً يسمّى منتهى المقال في علم الرجال. عليه اعتمد في ترجمة الشيخ محمّد علي البلاغي جدّه، إذ يقول: «وهو وجه من وجوه علمائنا المتأخّرين وفضلنا المتبحّرين، ثقة، عين، صحيح الحديث، واضح الطريقة، جيّد التصانيف، له تلاميذ فضلاء أجلاء علماء، وله كتب حسنة جيّدة، منها شرح أصول الكليني وشرح الإرشاد للعلامة الحلّي وحواشي على التهذيب والفتاوى وأصول المعالم... إلخ».

غيب من فيض. ما سحت الفرصة للقلم باستمداده في هذه المناسبة، أمّا توفية الموضوع حقّه واستقصاء مميّزات أولئك العباقرة الأفاضل، فليس من السهل في هذه العجالة، وربما استدعى استعداداً كاملاً.

إنّ هذه الطائفة اشتهرت بهذه النسبة في العراق العربي منذ أكثر من خمسمائة سنة، وآية ذلك ما دوّنه التاريخ الصحيح في وفيات بعض مشاهيرها كالشيخ الجليل الشيخ

محمد علي البلاغي، الذي توفي في كربلاء المقدسة ودفن فيها، على رأس الألف للهجرة كما نصّ عليه كتاب روضات الجنّات، وبعضهم في النجف الأشرف، وآخرون في الكاظمية من مدن العراق، بتواريخ قديمة محفوظة: وإنّ الدم العربيّ الذي يجري في عروق أفراد هذه الأسرة، ليحدّثنا بأفصح لهجة عن الأخلاق والعادات العربيّة الكريمة المنطبعة عليها فطرهم إنّما انتقلت إليهم بالإرث من النزاريّة المجيدة لا الحبوة.

٢ - [ولادته ونشأته]

لم تكد العصور المظلمة تجلّل الأمتة الإسلاميّة بغيابها، وعواصف الإلحاد الهوجاء تهدّد أركان العزّة، المشيّد عليها صرح الدعوة الحقّة، إلّا وقد تسرّب الوهن - من طريق التسوية - إلى عزائم أنصار الدين الحنيف، وأخذت حركة الإسلام إلى السكون المريب، وهكذا حتّى أفضت الحال بأفراد الأمتة وجماعاتها إلى السبات العميق، والخمول الفاضح، اللذين شعر بهما خصوم الحنيفيّة الألداء، وعلى ضوء من اليقظة لاعم، زحفت جحافلهم نحو بعض الثغور، فتوغّلت في البلاد وعاثت بها فساداً، حسبما شاء لها حقدتها المتوارث.

تمّ هذا - ويا للرزية - لمناوئي ديننا، وأعوانه ملتحفون أبراد الذلّة والخنوع، التي نسجت لهم أيدي التفرقة الغاشمة وفرّقتها أصابع المطامع الذاتية، طال ليلهم، ولم تعد مشاعرهم تتنبّه.

مضى على ذلك القرن، وتلاه الآخر، وسلك سبيلهما الثالث - وهكذا دواليك - حتّى بلغ الانحطاط في مستوى درجات هذه الأمتة، والتضعف في أركان مراكز الدفاع فيها، عن الطقوس الدينيّة، ونواميس شريعة القرآن، مبلغاً عميقاً من تأثيره، راجت بضاعة التضليل الأجنبيّة، في السوق التي لا عهد لها بغير الإرشاد والهداية.

أجل، وتمشّت دعوة الباطل، المرتجفة بقدّم ثابتة في سهول بلاد الحقّ وحزونها، إلى أن تفتّشت في أدمغة ضعاف الأفهام شبه الأخاديع التبشيريّة؛ ونمت بذرة الدعايات الوبيئة في ضمائر البله والسدّج في أحفاد أولئك الجدود، الذين سخرّوا بأفكارهم

العالية الأمم المتمردة لنشر راية الإيمان في أقاصي المعمورة، بأساليب جذّابة، وأسباب منطقيّة حكيمة.

لم يعد أعداء الإسلام يحسّون بحاجةٍ ما إلى إعمال السيف والسنان. بعدئذٍ تكفّل بلوغهم القصد القلم واللسان. حيث لم يصبح من همّهم إلاّ استعمار النفوس، على الأخصّ، عندما فرغوا من استعمار غالب الشعوب المسلمة.

وهب أنّهم لم يتمكّنوا من خنق الروح في مهده. أليسوا بنجاحهم هذا الأخير. قد أوقفوا نموّه؟ بلى، وإنّ العهد بتخطّي دين الحقّ رقاب الضلالات والجهالات لبعيد جدّاً.

اللهم، إلّا في الآونة المتاخمة لأزمة وفود البعثات التبشيريّة ورسل السوء، إذ قد زهر في سماء الوجود، كواكب لماعة أضاءت لذوي الأبصار والبصائر مناهج الحقّ، وكشفت أغطية الحقائق الراهنة، التي سترتها عن الأعين زماناً.

وإنّ من أشعّها نوراً وأضوّتها للسبيل ذلك الكوكب الدرّي الذي انبثق نوره من أفق النجم الأشرف حوالي السنة الخامسة والثمانين ومائتين بعد الألف للهجرة. وما برح من حين بزوغ نجمه حتّى أوليات العقد الخامس من عمره الزاهر، يتلأأ سنانه للناظر كمصباح هديّ لاح للسايرين عن كذب، ولم يكد يتجاوز ذلك إلّا وأشعته منتشرة - هنا وهناك - كالبدر المنير، أو الشمس المضيئة، على حدّ قول الشاعر [المظفر] في تأبينه متضمّناً شطر بيت لأحدهم، بتصريف يسير:

قد كان كالبدر في ليل الشتا ومضى كالشمس معروفة بالعين والأثر
من قصيدته العصماء التي مطلعها:

يا طرف جد بسواد العين أو فذر ماذا انتفاعك بعد الشمس بالنظر
ليس ذلك [النجم] الطالع سوى ذيلك الوليد الطاهر، الذي وضعته أمّ «الجواد» بفناء
أقضى الصحابة ممّا يلي باب مدينة العلم وهي غير مروعة.

فمنى النموّ الباهر، من حيث قد «أنبتة الله نباتاً حسناً» وكفله أحضان الفضيلة
وحجور العلم والورع والقداسة، ونشأ النشأة الصالحة؛ آخذاً بسيرة أسلافه الأئمة،

عن طريق التدرّج من تعلّم القراءة والكتابة، إلى درس الفنون الإسلاميّة والعلوم الإلهيّة، بجدّ لا يعرف معنى للكسل وعزّمة تخضع لها الصعاب .
ولقد كان - الطالب - الجواد - حسب ما انتهى إلينا - آتئذٍ آية في الذكاء والفتنة، لذلك لم يمضي عليه قليلٌ من الزمن إلّا وهو صاحب فضيلة، وله كعبٌ عالي في الأدب. لكنّ ذلك «الفاضل لم يقف عند هذا الحدّ من الرقيّ العلمي، بل لازم الارتقاء في معارج الثقافة العالية حتّى عاد إلى هذه الأمة إماماً يقتدى به؛ وحجّة على المؤمنين بالغة.

قضى من سنّي حياته الدراسيّة في حاضرة المعارف الزاهية النجف الأشرف، ما يناهز العشرين عاماً، أتمّها بسنوات في سرّ من رأى، إذ كان الإمام الشيرازي - الشيخ التقي - يباحث ويدرس فيها.

٣ - [ثقافته وأساتذته]

ابتدر منذ أظفاره - كما أُشير إليه آنفاً - إلى التتقّف والتفقّه، فابتدأ يدرس ما سنّه نظام التدريس في النجف الأشرف، دائرة المعارف العظمى، وعلى نفس المنهج القويم؛ سار في تلقّي علومه في الأدب والرياضيّات، وما اتّصل بهما من المعقول والمنقول؛ ممّا هو المألوف حتّى الحاضر في ثقافة النجف العالية.

فقرأ علوم العربيّة وآداب اللغة على أستاذة خصّيصين في الصناعة؛ وحضر على غيرهم من الماهرين في شتى الفنون الإسلاميّة وغيرها، وقد تخرّج في الفقه وأصوله وما إليهما على فقيه الأمة الحاجّ أغا رضا الهمداني، وشيخ الطائفة الشيخ محمّد طه نجف، وآية الله الخراساني، والحجّة الميرزا محمّد تقي الشيرازي - عظم الله مراقدهم - وكانت تلمذته على هذا الأخير في سرّ من رأى، حيث هاجر إليها قبل الحرب العامّة بأعوام، ولقد مرّت إيماءة إلى ذلك.

وبعدئذٍ قفل راجعاً إلى مسقط رأسه وموطن آبائه النجف، غير أنّه لم يجد بعد من حاجة إلى درسٍ ما؛ إذ تمّ له ما أمّل وبلغ الذروة الشاهقة، ولأنّ ما جرت العادة به في

من تحصل له ملكة الاجتهاد الجليلة، أن يستقل بنفسه، وينقطع إلى استنباط الأحكام، دون اعتماد على من سواه بنوع ما.

ويكشف عن تلك الملكة - في الأغلب - الاختبار من ذويه؛ لا محض الشهادة التي يحملها البعض، ولا مجرد الدعوى، فلا يلتفت أحياناً لهما، بل كثيراً ما يذهب الصوت أدراج الرياح؛ وتصفر الكف من إذعان الخاصة. أما شيخنا البلاغي فإنه على العكس من حال ذلك البعض، فلقد أصاح لدعواه الخبراء، واعترف لها الدني والفاضل، ومن ثمة أحاطت به طلاب العلوم، كالسوار بالمعصم، وزمّت إليه الحمول، وحثت الركائب من كلّ حدبٍ وصوب، فلم يمضِ يسير زمنٍ عليه إلا وله حوزة ممتازة. وتجلّى للملأ أن مصباح العلم المنير هو ما انتشرت أشعته الزهراء من دار العلامة البلاغي، لذلك أمّ قصدها الهداة، وحجّ إليها من استطاع سبيلاً.

لم تكن جدران تلك الدار المنيفة سوى هالةٍ تمنطقت بها فنون الثقافة، ليست هي الفقه وأصوله فحسب، بل هناك الفلسفة والكلام والتفسير وعلم الطبيعة، وطريقة الردّ على المذاهب الخاطئة، ونحوها، كلّ ذلك جاهز في هذه الكليّة بأساليب راقية، تنتشق منها الأبواب روائح المعارف الذكيّة، وتتغذى الأرواح منها ما لذّها وطاب، لكنّ الذي يؤسف له الأسف كلّهُ، هو ما صرف وجوه العامّة عن ولوج باب تلك الدار، في حين أن الجمهور يعترف لها بأنّها مشرع العلم النافع وبأنّها تفضي إلى الغرائب في الفنّ!!

وأنّ الوجه في تحوّل تلك الوجوه عنها، هو اعتراض مغناطيسيّة جذّابة يشهد لتنفيذ إرادتها ومبلغ تأثيرها المنصفون، وبديهيّة قلّة عدد أولئك الأفاضل الذين يجدون العلم فقط، غير أنّ تلك القلّة، أضف إليها قلّة ذات اليد لم تؤثر - والحقّ يقال - على سعي العامل البلاغي المتواصل وأبحاثه القيّمة وأساليبه المبتكرة في سبيل تشقيف الأفهام وشحذ الآراء. لا، بل في سبيل رفع مستوى الأمة إلى أوج الرفعة.

ولقد كان سحابة عهده الأخير، يدرس ويحاضر ويكتب ويملي، في طائفة ذات شأن من العلوم الراقية، حتّى النفس الأخيرة فدته نفوس قوم همّتهم بطونهم.

وصفوة القول: إنّ الإمام البلاغي قد أقرّنا في سفر حياته العلميّة، صحيفة العبقريّة

الفدّة، والنبوغ الفائت حدّ التصوّر، بلحاظ حال الظروف التي عاش فيها هذا الجهد، وكيف أخذت من القساوة بحظّها الأوفر؛ ومن شأنها الثابتة عليه إِبْصَاد باب المعارف تجاه متطلّبيها مهما كانت المادّة غزيرة، والاستعداد كاملاً!!

فنظرة واحدة يليقها المتدبّر على تلك الظروف العصيبة، التي تخلّص من مأزقها البطل البلاغي، ترغمه على الإقرار ببطوليّته العلميّة والعملية، وأنّه المثل الأعلى في الإحاطة المرتكزة على قاعدة التجرّد من إهاب الترف، وإطمار المادّة، لحيلولتهما في الغالب دون الظفر بمثل ذلك.

وإنّه قدّست نفسه الزكيّة، مع تفوّقه على الكثير في هذه الوجهة ما انفكّ، يبرز خبايا ليس في الناس عنها غنى، ومن الجائز عدّه مؤسساً لصناعة الردّ والنقد لما لسقته دعاة السوء بهذا الدين، وما كتّمته من عيوب دياناتها الفاضحة، فلقد عبّد الطريق للسالك إلى أخطاء غير المسلمين ومخالفات نواميس الملل الأخرى، كما أعدّ لأُمَّته عدّة الدفاع عن شريعة القرآن العظيم.

٤ - شهرته العلميّة

جرت شهرته على خطّ مستقيم من المخالفة لرغبته؛ إذ كان طيلة حياته ميّالاً إلى بالمظاهر الخلابيّة التي تقمّص وارتندي بها غيره.

شدّ أن يصادف إمّا بارح منزله في غير محفل علمي، أو منتدى أخلاقي، خلا أوقات العبادة التي استثنائها لزيارة الحرم المقدّس، أو الصلاة في المسجد، وما جرى مجراها من مجالس العزاء؛ التي تعقدها الإماميّة لذكرى ريحانة الرسول ﷺ، تلك المجالس التي يحسّ بفائدتها التامة، وإحيائها الدين من تذوّق حلاوة الإيمان، وعرف لشهيد الطفّ ﷺ تضحيتته النادرة في سبيل الحقّ.

أمّا معظم أوقاته، فقد كان يقضيه بالانزواء، ولشدّ ما كانت إرادته منحصرة في خلوص النيّة وإخلاص العمل، حتّى أنّ زماناً طويلاً مرّ على بروز عدّة من مؤلّفاته

الجليلة في عالم الوجود، يجهل جلّ الناس نسبتها إليه؛ دون عددٍ نزر من أخصّائه الأقرين، من حيث قد حضر على المطابع، التصريح باسمه المحبوب، منعها من الإشادة بذكره، الخالد رغم كلّ ذلك التكتّم.

ولعمري لم يمل به شطر هذه الناحية، إلّا اتّقاء ما يشوب بعض الأعمال من طلب الجاه ونحوه، لكنّه مع ذلك كلّه، أصبح كنار على علم، و«الشمس لا تستر بالغربال» وبلغت شهرته أقاصي المعمورة وتغنّى الحداة بمآثره الحسان.

ف عندما انتهت شهرته الحميدة من جولتها الواسعة النطاق في المشرق، عبّرت الطائر الميمون إلى المغرب، فأقيم لها الوزن الراجح في عواصم أوروبا، وكانت بعدئذٍ صلة المسترشدين، ورواد الحقائق بقداسته من أعلام «لوندرة» وغيرها متبيّنة إلى الغاية، ومن هنا تُرجم إلى اللغة الإنجليزيّة بعض مؤلفاته القيّمة، ورتلت آي ذكره المجيد بلهجة راقية في طبقة عالية هناك، منها «المستر خالد شردراك» وأضرابه، وقد فزعوا إليه - أكثر من مرّة - بعويصات المسائل وعولوا عليه بحلّ عظيمات المشاكل.

شيوخ وظهور لم يخطر على بال إنسان درس سيرة الإمام البلاغي في تسّره عن أعين الباحثين، ولم يحلم بهما خاطر مفكّر فهم تلك النفسيّة المتواضعة الهادئة. نعم، وليس ثمة يد عملت لهما، ولا لسان تحرك بهما، ولكنّها الشمس المعروفة بالعين والأثر، ففي الوقت الذي أرسلت فيه أشعتها الوضاء إلى العالم المتحسّس هبّ إلى اكتناهاها المتدبّرون، وتوصّلوا بألف سببٍ وسببٍ إلى استجلاء حقيقتها.

عندئذٍ وبعد شوطٍ بعيد قطعته الراحل العظيم في طريقي المنافحة الشديدة عن معالم الدين الحنيف؛ والمكافحة للجراثيم الفتاكة التي تسرّبت إلى جسم الأمة الصحيح من نفقي الدعاية الضالّة، والتبشير السقيم.

نصبت الصدفة المباركة المعشوقة علم الهدى، وأقامت عمود الحقّ على قارعة الطريق المؤدّبة إلى الغاية القصوى، التي من أجلها وفي طلبها ضاعت جهود بعض المجتهدين، وقد تضاعف شوقهم ولم تضعف همهم، إلى بلوغها ولكن من غير ما جدوى ولا فائدةٍ تذكر.

عبثاً كان يحاول بغاة الهدى غبّ انطماس أعلامه وأفول نجومه تحت تأثير عواصف الإلحاد وزوابع اللادينية أن يدركوا الضالة المنشودة لو لم يشمل اللطف الإلهي العميم - أخيراً - هذا المخلوق البائس، فيلقي في روعه الالتفات إلى جانب الطور الأيمن حيث أنس نار الهدى تنبعث من ناحية الوادي المقدّس في النجف الأشرف. أجل فلقد سعد الطالع بعد نحسٍ مستمرٍّ أكثر من قرن، فنفر إلى نفس الناحية الملتمسون، وقد وجدوا ما أملوا من خير محضراً، ولما تمّ لطائفةٍ منهم التفقه في الدين رجعوا إلى أهلهم وقومهم منذرين مبشرين.

وإذا قد وضح الطريق وانجلي الصبح لذي عينين، تقاطرت نحو شيخنا الجواد - بيّض الله وجهه - رسائل البحث والمجادلة؛ وانثالت عليه رزم الشبه والتشكيكات، فلا يلبث دون أن يصدر واردها رياناً من نير معارفه العذب، ويدراً عن هواجسها ما تكلّلت به من الأوهام والظنون، ويرحض عن إيرادها ما لحقها من أدران السفساف وأصباغ اللادينية الزائلة.

تلك بآية الحقّ المبين، وهذه بمظهر الحكمة أنزل رحمة للعالمين.

٥ - مؤلفاته القيمة

شهد التاريخ مؤلّفين وافري العدد ومنهم المقلّ والمكثّر، سوى أنّ جودة التأليف من حيث نفاسة الموضوع وطلاوة التعبير وما إليهما قد تربعها صفقة البعض دون الآخر، ولكنّ الكاتب البلاغي حصل في هذا الميدان على قصبه سبق، وإن كان في أسلوبه الإنشائي انحراف ما إلى القديم، لكنّه غير ضائر ما دامت مؤلفاته الغالية محافظة على مثلها العالية في الابتكار، والبلاغة المطابقة لمقتضى الحال.

فلكم جموح من المعاني، روضه قلمه الجبار فأضحى موطأ الظهر لامتطاء الأفهام السليمة، سلس القياد لصاغة الألفاظ، ذلك القلم الذي تبارى بسمته ونعته الشعراء، ولكلّ وجهة هو مؤلّيا؛ فلقد أطلّ الرضا المظفّري من نافذة فكره - على البحر - ثمّ حوّل بصره إلى حديقة المعارف الزاهية فقال:

إلى يراعيته الورد قد سكنوا والناس تسكن شاطئ البحر للدرر
كثيرة في الوري الأقلام كاتبة وإنما الشأن في الأغصان بالثمر
أما الشاعر الحنوبي الشريف المحمود فإنه بعد مغادرته ساحة الحرب العوان سكن
إلى باحة الغرائب الباهرة حيث يقول:

فتى القلم الذي إن صرّ ألقى صليل المشرفي له الخضوعا
وإن تحمله مختضبا مدادا فماذا السيف مختضبا نجيعا
وإن رضع الدواة ترى شيوخ ال ضلالة تستقي ذاك الرضيعا
إلى آخر ما أتى عليه من اجتماع المتضادات.

ولقد وجدت الأستاذ الجعفري قد صحبه بمذهبه إلى حومة الوغى فقط فخاطب
البطل البلاغي بقوله:

لا يفعل السيف مكسور القراب كما قد كان يفعل إذ تستله القلم
هذه الأسماط اللؤلؤية كنموذج لما في خزانة الأدب من دراري الوصف لذلك القلم
أظهرها ليتعرف منها الراغب قيمة الغاية التي تسابقت إليها قرائح شعراء العراق الهائجة.
لم يكن المتأمل يحس بمبالغة ما في شيء من تلك الأوصاف بل يجدها منطبقة كل
الانطباق على القلم الذي حرّر مثل ما سيمرّ على القارئ من تسجيله من مؤلفات
الإمام البلاغي في أصول الدين وفروعه وما اتصل بهما، ومنها ما فرغ من طبعه ومنها
ما لم يطبع.

فالأول هو:

١. كتاب الهدى إلى دين المصطفى، جزءان في الردّ على عبدة الثالوث.
٢. الرحلة المدرسية، ثلاثة أجزاء في دحض أباطيل الملل الخاطئة.
٣. أنوار الهدى، في إبطال شبه الحاديّة بعنوان الجواب عن مسائل.
٤. نصائح الهدى، في تزييف عقائد الباطنة.
٥. رسالة التوحيد والتثليث، في الردّ على النصارى.
٦. أعاجيب الأكاذيب، في الإصحاح بمفتريات النصارى.

٧. أجوبة المسائل البغدادية، في أصول الدين .
 ٨. البلاغ المبين، في الإلهيات .
 ٩. الرسالة الأولى في نقض فتوى الوهابيين بهدم القبور المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة .
 ١٠. الرسالة الثانية في إبطال فتواهم أيضاً .
 ١١. رسالة في وضوء الإمامية وصلاتهم وصومهم، طبعت بالإنجليزية .
 ١٢. العقود المفصلة في حل المسائل المشككة .
 ١٣. تعليقة نفيسة على مباحث البيع من مكاسب آية الله الأنصاري عليه السلام .
 ١٤. آلاء الرحمن في تفسير القرآن، طبع منه الجزء الأول والثاني، وهو آخر ما كتبه عليه السلام .
 ١٥. رسالة في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام .
 ١٦. رسالة في الاستدلال على صحة مذهب الإمامية من طريق غيرهم .
- أما القسم الثاني، فهو:**
١. داعي الإسلام وداعي النصارى .
 ٢. رسالة في الرد على ما كتبه جرجيس سايل وهاشم العربي .
 ٣. رسالة في الرد على كتاب تعليم العلماء .
 ٤. كتاب المصاييح في إبطال المذهب القادياني .
 ٥. كتاب الشهاب في الرد على كتاب حياة المسيح لبعض القاديانيين .
 ٦. رسالة في الرد على كتاب ينباع الكلام لبعض المسيحيين .
 ٧. أجوبة المسائل التبريزية في الطلاق وتعدد الزوجات والحجاب وبعض المسائل .
 ٨. الأصل العربي للرسالة المطبوعة بالإنجليزية .
 ٩. رسالة في القبلة وتعيين مواقع بعض البلدان المهمة في العالم من مكة المكرمة .
 ١٠. رسالة في مواقيت الإحرام .
 ١١. رسالة في ذبائح أهل الكتاب .

١٢. رسالة في المتمم كراً.
 ١٣. رسالة في الغسالة.
 ١٤. رسالة في حرمة مسّ المصحف الشريف على المحدث.
 ١٥. تعليقة على كتاب الشفعة من الجواهر.
 ١٦. رسالة في منجزات المريض.
 ١٧. رسالة في إقرار المريض.
 ١٨. رسالة في الرضاع.
 ١٩. رسالة في فروع الرضاع على مذهب الإمامية والمذاهب الأربعة.
 ٢٠. رسالة في قاعدة على اليد ما أخذت.
 ٢١. رسالة في إبطال العول والتعصيب.
 ٢٢. رسالة في التقليد.
 ٢٣. رسالة في الأوامر.
 ٢٤. رسالة في الخيارات.
 ٢٥. رسالة في صلاة الجمعة لمن سافر بعد الزوال.
 ٢٦. رسالة في تنجيس المتنجس إذا لوفي برطوبة.
 ٢٧. رسالة في اللباس المشكوك.
 ٢٨. رسالة في حال العلم الإجمالي مع الأصول والنظر في جملة من فروعه.
 ٢٩. رسالة في حرمة حلق اللحية.
 ٣٠. رسالة في أنّ من يدين بدين يلزم بمقتضى نحلته في مقام الحقوق.
 ٣١. تعليقة على العروة الوثقى.
- هذا العدد الكبير من الرسائل والكتب التي يقول فيها الحبّوبي الآنف الذكر مخاطباً مؤلفها:

دأبت بنشر ما سمّيت كتباً ودين الله سمّاها دروعا

هو ما وقعت عين الحصر عليه . ومن الجائز أن يكون ثمة عدد خلاه لم تلمسه كفّ

التنقيب . لما سلفت الإشارة إليه من تسترته وراء الأسماء المستعارة في غالب مؤلفاته ، الأمر الذي جرّأ بعض الأغرار على انتحال ... أفرغتها قريحته في قالب بديع الصنعة ، وقد بدر للتشهير بهذا المختلس أحد الخبراء المؤتمنين في ظرفٍ مناسب .

٦ - ملكته الأدبيّة

إنّ شيخنا البلاغي ﷺ لم يكن من أولئك المتفكّهين الذين يرون في الشعر نقصان الكامل ، بل هو ممّن تدوّقوا حلاوته واعترفوا له بإكمال النقص .

ولقد كان يحمل بين جنبيه نفساً شاعرة تروقها مناظر الكون الجميلة ، وتهيجها العواطف الثائرة ؛ وتنبعث - أحياناً - خواطره السانحة بشكلٍ من الشعر بديع يصلح لأن يعدّ غرّة في جبهة الأدب البارِع .

اهتمّ أكثر من واحد من أدباء وفضلاء العصر بجمع الشوارد وتأليف المتشّت من نظامه اللؤلؤي ، ولولا ضيق النطاق لأوردت هنا القدر الكافي من خرائد نظمه وبنات فكره ، كالنفيسة الخالدة التي لم تنزل أنشودة العارفين ومطلعها :

نعمت بأن جاءت بخلق المبدِع ثمّ السعادة أن يقول لها ارجعي
وإنّ العهد بقرضه الشعر لقریب جداً ، فلقد كان حتّى أخريات زمانه يقرظ أذان
السامعين في الفينة بعد الفينة بدراري القريض ، لكنّه وقتئذٍ لم يتعدّ حدود الحكمة
والهدى إلى الصراط السوي ، في جملة ما تجود به قريحته الفياضة ، بل إنّه من المقلّين ،
ولكنّ قليله كثير بمعانيه ، كثير بمراميه ، كثيرٌ بغير ذلك ولقد عرفت له ملكة أدبيّة نادرة
تهيمت على فنون الأدب بأسرها ، ولم يقصر نفوذها على الشعر فقط ، بل اجتازه إلى
النثر وما تعلّق به وألوى العنان برهة نحو بعض اللغات الأجنبية ففهمها من دون تعسّفٍ
ولا كدّ خاطر .

هذه العبرانيّة وكان يجيدها أيّما إجادة ، أتاحتها له اختلاط بسيط بالطائفة
الإسرائيليّة في بغداد ، أثناء ارتياده بيّهم وتوراتهم ، لاستطلاع دفائن الأسرار
والإشراف على مواطن الضعف في الكتب المقدّسة ، ويحسن اللغة الفارسيّة بصورةٍ

فائقة؛ وحدثت في التالي بأنه كان ملماً بالإنجليزية أيضاً.

ومن الظريف المستملح أن شعب إسرائيل المتيقظ الحذر، تقفوا إثره أمة الصليب لم يميّزه منهم أحد، وقد امتزج بهم امتزاج [الماء بالخمرة] ولم يستغربه عارف، وقد صاحبهم وماساهم، وهل ذلك إلا لكياسته وسياسته، الآخذتين بسبب متين من (الملكة) - المنوّه عنها آنفاً - ؟

تلك الملكة النادرة المثال، التي تستوضح منها جهة تأثير الفطرة المبهمة تجاه بعض الخاطبين، وبمقياسها الطبيعي، بوزن ارتفاع درجتها في المفعولية.

لا كما صار إليه ذلك الذهاب - شطر تعليق وجودها وتوقف حصولها على [الدرس والمطالعة] ونحوهما - المذهب المعطل للمواهب، القاضي عليها ببطلان المملّ، ذلك المذهب الذي يعارضه وجودها الثابت في أناسٍ أميين، مضافاً إلى فقدانها في جملة لا يستهان بها من المتعلمين.

لكننا مع هذا لا نمنع حصولها من تأثير ذلك في بعض الأفراد، ونمنعه بتاتاً في صورة [لزوم الاطراد] تلك الصورة، التي صورتها ريشة ذلك المذهب الخاطي.

فالملكة إذن - وهي التي يكشف عنها الشعر أحياناً - نراها تارةً وليدة قوتين مؤثرتين، هما التعلّم والفطرة، وأخرى نراها ناتجة عن هذه الأخيرة فحسب.

أما شاعريّة المترجم إن نحكم عليها بأنها من الفصيحة الثانية؛ لعروبه المحضة، وذوقه السليم، وأنه وجد في بيئة عربيّة صميّة، ومناخ أدبيّ فتيّاح، فلا أقلّ من نسبتها إلى الأولى وكلاهما يصفعان الرأي الحاكم بتفرد الممارسة والمطالعة، وما إليهما في حصول تلك - الملكة - في النابغ البلاغي.

ولقد برهن الاختبار على وجود مواهب سامية في حقيقة رسول العبقرية، أما الآثار فهي شاهد عدل، ودليل واضح على ثبوتها وبفضل شهرتها، وتحققها ففي صوت النزاع، والمجادلة فيها وفي نسبتها الأمر الذي أجرى على لسان البعض من واصفي هذه الذات السنيّة:

تحلّى به جيد الزمان وأصبحت تزان به الدنيا وتزهو الصحائف

وخضع غيره من أفاضل الأدباء لـ «إمامته، وزعامته» فأنشأ:

آليت بالذي سواك من عليٍّ وصرت بعد إماماً فيك نعتصمُ
إنَّ الزعامة حقُّ أنت صاحبه أمّا سواك ففي دعواه متهمُ

وختم الدور هذا الأديب الألمعي الذي يقول:

خير أهل العصر قد كنت ومد غابت لم يبقَ به إلا صباه
ولمّا قلبت يد القضاء المبرم صحيفة حياته الدرّيّة بدا في الأخرى رسم قول الشاعر
الجليل السيّد مسلم الحلّي:

إنّي أرى الموت الزوام ممثلاً للناس فعل الصيرف النقاد
وتلاه آخرون ربما يشطّ باليراعة الإتيان على آخر أقوالهم عن الموضوع، لذا
أرجأناه لمناسيةٍ تاليةٍ ومنه تعالى نستمدّ المعونة.

٧ - جهوده وجهاده

إنّ لبطل الإسلام، في قرنه الرابع عشر، الإمام البلاغي جهوداً جبّارة وخدمات طائفة،
في سبيل القضية الإسلاميّة عامّة والعراقيّة إبان الثورة خاصّة، لإعلاء كلمة الحقّ، فلقد
أتعب نفسه وأجهدّها وكلفها من أمر الجهاد ما لا يطيقه غيرها، مهما كان جلده،
وتحمّله وثباته، تلك النفس التي قال فيها بعض عارفيها:

في ذمّة الله نفسٌ بالجهاد قضت فكان آخر شيء فارقت قلمُ
النفس التي عناها أحد الشعراء [العاملين] بمرثيته حيث يقول:

أفנית نفسك بالجهاد وطالما بدمائها روي اليراع الظامي
حتّى ترامت في الجنان مهبطه هتف الملائكة (ادخلي بسلام)
وإنّها النفس التي تزوّدت التقوى ليوم الجزاء، وأعدّت لسفر الآخرة عدّته. ومن ثمّة
جرى على لسان الأديب وهو يخاطب الراحل العظيم:

زوّدت نفسك في حياتك زادها تقوى الإله وذاك خير الزاد
لبت دعوة - الجهاد - مذعنةً مطيعة، وأهاجها صراخ الدفاع متوتّبةً مسرعة، حتّى

إذا كادت الحرب في كلتا الجبهتين تضع أوزارها، رجعت إلى ربّها راضيةً مرضيةً. ولقد رفقت على صفحة هذا الوجود خطوطاً تملي على تاليها أحكم الخطط، التي وضعها القائد الحازم، لقوّتي الجهاد والدفاع المنصورتين، وأنّه كيف بحث ونقّب بما لا مزيد عليه عن القواعد الثابتة والأسس الرصينة، التي يجب أن يشاد عليها صرح الدعوة الحقّة مع التنويه، بكده المجهد، وكدحه المضني، عندما انتهى إلى غايته في سبيل إماطة الحجب الكثيفة عنها.

الحجب التي نسجتها أيدي التضليل الأثيمة، وحاكت مثلها للبصائر من الغشاوات القاتمة، ما حال دون التكفير بها فضلاً عن البناء عليها، لكنّه غبّ إصغارها بفضل عزته، شمّر للبناء عليها بجذّ ونشاط، يعجز القلم عن تصويرهما؛ والعقل عن تصوّرهما. ليس فينا من يجهل قيمة النتائج الثمينة؛ التي أنتجتها أتعاب ذلك العامل، لكن قليل هم الذين يقدرّون ثمن تلك الأتعاب، بل قد يخال الخليّ؛ أنّ مثل هذه الثمرات سهل الحصول، مبتذله.

ولكن أنّى للوادم المستريح، بتحمّس الرهبة والنصب، بل أنّى للمعاني السليم بالشعور بمبلغ الابتلاء والسقم. أجل، لقد نشط ذلك الفرد الكامل من عقال لتجملها جمعاء؛ فمضى في سبيله لم يشته وجلّ من عدوّ وإن كثر، ولا تعب وإن شقّ، ولا ابتلاء وإن عظم، ولا مرض وإن كان تدرّناً في الرثة.

أنار سبيل الحقائق، وحسر لثام الشبهات، ورفع عقيرته بالدعوة الحقّة، ومرّق بمقياس علمه سواد أغربة الشقاق، وصدّم التبشير العنيد بكفّ نعدته الحديدية، ودحر بشكيمة الدين القويم قوى اللادينيّة المريدة، حتّى طحن بشدّة وطأته عظام البدع والخرافات، وما إليهما. هو واضع دروس المنافحة عن كيان الدين الحنيف، على النحو المألوف حتّى اليوم، حيث قد تمّت نسبة الطريق المؤدّية إلى مساوئ الملل الأخرى إليه، وثبت له اختراع آلات ثلاثم الذوق لنصرة الحقّ، وابتكار أساليب جذّابة إلى الإيمان بشريعة منقذ البشر ﷺ.

نعم، ولقد حكم له الوجدان بأنّه مجدّد لما عطل من الأصول الثابتة، مصلح لما أفسدته النزعات الخبيثة، فاتح باب الإبطال للعقائد الفاسدة، مجاهد مجتهد، بطلّ

مجرّب، آية خارقة للعادة. إمامٌ في العلم والأدب، حجّة في الورع والإخلاص، مفخرة الجيل، منار هدى لا يضلّ من أمّ قصده.

لا غلوّ في شيء من ذلك ولا افتتات، وعلى المرتاب، أو المشكّك أن يرسل نظرة نعيمة إلى مؤلفاته الآتفة الذكر، فلسوف يبيلّ غليله ولا يحتاج إلى التذليل بأوفى منها. وإن كان هناك طائفة أخرى من البراهين الساطعة، تحقّق تحلّي تلك الذات الروحانيّة المقدّسة بهذه النعوت الفاضلة، وربما صار إلى ناحية حصرها فيه؛ من يقرأ صفحات جهوده وجهاده، من أسفار حياته الزاهرة؛ وهي مبثوقة هنا وهناك.

لقيه بعض الصلحاء يوماً من رمضان، خارجاً من كنيسة بغداد، متأبطاً إنجيلاً، فسأله عن حاله، أجابه: ما حال من تراه في شهر الطاعة خارجاً من هذا المكان يحمل كتاب ضلال، بعيداً عن حضور المشاهد المقدّسة، فقال له السائل: وهل في البين عبادة تعدل جهادك هذا؟ أروي ذلك بالمضمون، إذ العهد بسماعي القصّة بعيد.

وحسب المتأمل أن يأخذ منها مثلاً في جهوده وجهاده، وكم له فيها وفي غيرها من الأمثال، لا يتسع لها هذا المجال.

٨ - سيرته وأخلاقه

إنّ الباحث في شيء من سير الأعظم، والساير لتاريخ الأبطال في العالم، ليقف مبهوراً واجماً عندما يتوغّل في درس حياة هذا العظيم؛ وتستولي عليه الدهشة في عين الوقت الذي تقع فيه عينه على الصفحة الناصعة، التي تتضمّن نعوته السامية.

وكيف لا؟ وهو يشاهد الغرابة ماثلةً أمامه في هيكل بشري، جلّ مظهره تدلّ على السكون والدعة واللين والنسك، مع الضعف البين، قد اضطرب الشرك لحركته العنيفة؛ وانصرعت سوائم الشبه عند وثبته المريعة، وضعت صلاّد التبشير عن تحمّل وطأته الشديدة، وسمل جلاباب الضلال إزاء حلّة هداة القشبية.

قد مثل أدوار البطولة العظيمة في ميادين الكفاح والمناضلة وكيف تكون جسام الأعمال وجلال الأفعال؛ المثل العالية.

ليس في شيء من مظاهر الإمام البلاغي ما يسترعي الالتفات، فهو رجل قصير القامة، نحيف البدن، خفي الصوت، مشيته الهويناء، أكثر نظره الإطراق، تعلق به منذ عهد بعيد داء السلّ ولم يزل به حتى أسلمه إلى المنيّة؛ وكان من عاداته أن يتجرّد من كلّ ما يخلب الأنظار، فلا يحبّ خفق النعال خلفه، بل يؤثر أن يسلك سبيله وحيداً، ويندر أن يصادف في طريق ما غير قابع بعباءته، يتولّى شراء حاجياته البيتيّة غالباً بنفسه، ملابسه ليست من النوع الممتاز... إلى آخره.

ومن كانت تلك سمته وهذا شعاره، جديرٌ - بحكم العادة - ألاّ يكبر من شأنه العامّة، ولا يتعاطمه الناس، ولكنّ [الزعيم] البلاغي، رغم تخليه عن إهاب الظواهر، والتحافه برّدّة التواضع. لا تكاد عين إنسان تقع على شخصه الكريم إلّا وتمتلئ هيبةً وجلالاً، وتنثني خاشعَةً بين يدي بهائه؛ كليلَةً عن الإمعان في سنائه.

بلى لقد كان خلقه السجح سبيلاً جديداً إلى التقرب منه، والتحدّث إليه. بل هو الأداة العاملة في التشجيع على محاورته، والأخذ عنه؛ وتلقّي دروسه، أو هو السلم الذي يرفع إلى سموّه، وضياعي المنزلة، منحطيّ الدرجة.

يبدأ ملاقيه بالتحية، ويسبقه بتفقّد حاله، ويهشّ في وجه محبّيه. وما ذلك لعمر أبيه إلّا لدمائة أخلاقه، وخفظه الجناح للمؤمنين، ذلك الجناح المحلّق بصاحبه، إلى حيث يعزّ على غيره مناله؛ وتتكسّر الأجنحة دون السموّ إليه.

بيد أنّ كلّ هذا البذوخ والتعالي لم يكن ليرفعه عن النزول عند رغبة الزائر والتنزّل لإيناس الجليس، يخدم ذاك بنفسه ويروّح نفس هذا بمستمح الحديث.

يحتفي بالقادم عليه ويرحب بضيغه، يراعي حقوق الإخوان، يذكر الغائب ويزور الحاضر، يعود المريض ويشيع الجنائز، يهنيّ الفرح ويعزيّ المنوب، يجيب إلى الدعوة ويواصل الجيران.

لا يتصدّر بمجلس، ولا يزاحم متقدّماً، لا يكلف أحداً بشيء ويتكلّف بكلّ شيء نالته يد استطاعته، يعظّم أهل العلم ويحترم أهل الورع، يعطف على البؤساء ويصل الضعفاء حسب الإمكان، تؤلمه حال الطلبة الأخيرة، ويقلقه نزوح البعض منهم عن

النجم في سبيل المعيشة، بل يعدّ ذلك أفدح خسارة مني بها الإسلام في الظرف الذي يتحتّم على المسلمين فيه أن يربحوا أوفر عدد من طلاب العلوم الدينيّة، ورواد الحقائق الراهنة؛ نظراً لما أحاط بهذه الأمتّة من التدجيل وطوّقها من الفساد. وهكذا رغب أكثر من مرّة إلى مؤسري الأمتّة وبعض متسنّمي دست الزعامة فيها؛ أن يهَيّؤوا اليسير من المال، ليلين من معوزي الطلبة الأولى عجم عود استعدادهم، وسبر غور قابليّتهم، رصداً في المستقبل، وحرزاً للأمتّة من المخاوف. ولكم كانت رغبته شديدة لمتفنيّي ظلال النعمة والموادّ الخيريّة، في مساهمته العمل على تجهيز كتلة قويّة من نشيطي المتعلّمين، يتّخذ منها الدين جنّة واقية باقية، تخلفه في الذود عن حياض الحقائق بعد رحلته إلى الدار الآخرة.

لكنّه شكر الله عزّ مساعيه، فارق هذا العالم وقضى نحبّه سعيداً ليلة ٢٢ من شهر شعبان ١٣٥٢ هجريّة، وفي نفسه أيّما حسرة لتوقر آذان القوم عن سماع صوته العذب والإنصات لنغمته الشهيّة.

لم يكن في دعوته هذه، قصورٌ ما من وجهتي التأديبة والتبليغ، وإنّما هي في كليهما آية، ولكن ماذا يجدي القول وقد قرأنا قوله تعالى: ﴿وَتَعْبَهُ أُنُورٌ وَعَيْتُهُ﴾^١. نعم، ولم يكن متّهماً فيما ندب إليه، ولا مستراباً بصدق نيّته وشرف غايته. بل لقد حصل من ثقة العموم به واعتماد الجمهور عليه، ما يطرد الشبهة، وينفي الشكّ، فما عرفه أحد إلّا وعرف عنه أنّه لا يصله شيء من الحقوق - قلّ أو أكثر - إلّا وصرفه في وجوهه دون أن يحسم منه لنفسه أو لعائلته، ولو يسيراً. بل كان يؤثر حاجة غيره على حاجته، قد خصّص لتعيشه نماء ضيعة له ورثها من أبيه (رضي الله عنهما).

٨- آية الله السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي (م ١٤١١هـ)*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله بارئ النسم، وخالق اللوح والقلم، والصلاة والسلام على سيّد العرب والعجم، وكاشف الظلم في الدياتجي البهم، سيّدنا ونبينا أبي القاسم محمّد، وعلى آله سادات الأمم، وخزائن العلم والحكم، سيّما ابن عمّه أبي الحسنين أمير المؤمنين وسيّد المضطهدين المظلومين، روجي له الفداء وحشرنني الله تحت لوائه آمين آمين .

وبعد؛ لما كان علم الكلام والوقوف على أقوال المذاهب والأديان، من أهمّ ما توجّهت إليه همم الفحول، وأرباب الحجى والعقول، شمّر الذيل عن ساق الجدّ جمّ غفير وجمع كثير من أساطين الإسلام إلى التأليف والتصنيف في هذا الشأن، سيّما أصحابنا الإماميّة شيعة آل الرسول، شكر الله مساعيهم الجميلة، حيث لم يألوا الجهود، فكم جادت وسمحت أقلامهم الشريفة بكتب ورسائل وصحف ومقالات، تزيح العلل وتروي الغليل، حاسمة للشبهات دافعة سمووم الضاريات .

ومنهم العلامة الأستاذ آية الله في الإحاطة بمقالات عبّاد الصليب وأرباب البيع والكنايس، وزعماء اللادينيّة والمادّيين، خرّيت علم المناظرة، والحبر الوحيد في الجدل، إمام هذا المضمار ومقدام هذه الفسحة، أعني الشيخ محمّد الجواد البلاغي النجفي، قدّس الله لطيفه وأجزل تشريفه .

فإنّه ولعمري وربّ الراقصات، أحيى هذا الطريق في العصر الأخير، لم يدع لأمثال

* رسالة وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ. طبعت في مقدّمة الترجمة الفارسيّة للرحلة المدرسيّة

داروين ولشبلي شمّيل، ولأرباب الأديان الفاسدة شبهة، كيف لا، وهو أبو بجدة الفنّ، قسماً بالله تعالى سبحانه، رأيته مراراً يتلو العهد القديم «التوراة» العبري في نهاية السلاسة وذلاقة اللسان، بحيث أقرّ حاخام اليهود بفضله وإحاطته بدقائق اللسان العبري... وأقول مستعيناً بالله:

نسبه الكريم

هو العلامة الشيخ محمّد الجواد ابن الشيخ حسن ابن الشيخ طالب ابن الشيخ عبّاس الثاني ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ حسين ابن الشيخ عبّاس الأوّل ابن الشيخ حسن ابن الشيخ محمّد علي ابن الشيخ محمّد ابن عبد الله ابن محمّد الشاعر الربعي، من قبيلة ربيعة. ميلاده: ولد في النجف الأشرف ليلة الخميس في شهر رجب سنة ١٢٨٢ هـ. أبواه الكريمان: والده هو العلامة الشيخ حسن البلاغي النجفي، صاحب المنظومة الفقهية، وتعاليق المفيدة على بعض كتب الفقه والحديث.

وأُمّه الجلييلة الصالحة التقية، كانت من ذرّيّة العلامة الشيخ محمّد علي البلاغي، صاحب جامع الأقوال، وستأتي ترجمته.

حليلته وأُمّ أولاده: هي العلوية الشريفة الجلييلة الأصيلة التقية، بنت المغفور له العالم الجليل السيد موسى الجزائري، نزيل مشهد الإمامين الكاظمين عليه السلام.

النوابغ في أسلافه وأسرته: نبغ في بيت البلاغي - الذي هو من بيوت العلم والتقى والفضل والشرف في النجف الأشرف - عدّة رجال، هم فحول الفقه والحديث والرجال والكلام.

منهم: العلامة الفقيه المحدث الأصولي المتكلم الرجالي الشيخ محمّد علي ابن العلامة الشيخ محمّد البلاغي النجفي بن عبد الله بن محمّد الشاعر الربعي النجفي.

قال حفيده العلامة الشيخ حسن بن عبّاس بن محمّد علي هذا في كتابه تنقيح المقال ما لفظه بعد ذكر اسمه:

هو جدّي، وجه من وجوه علمائنا المجتهدين المتأخّرين وفضلنا المتبحّرين،

ثقة، عين، صحيح الحديث، واضح الطريقة، نقي الكلام، جيّد التصانيف، له تلاميذ فضلاء أجلاء علماء، وله كتب حسنة جيّدة...

وكان من تلامذة العالم العامل الشيخ محمد بن الحسن بن زين الدين العاملي، ومن تلامذة الفاضل الورع المولى أحمد بن محمد الأردبيلي توفيّ ﷺ في كربلاء على مشرفها أفضل التحية، ودفن في الحضرة المشرفة، وكان ذلك في شهر شوال سنة ألف (١٠٠٠) هجرية. انتهى ما أفاد.

أقول: ويروي عن أستاذه المذكورين، وعن العلامة الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي والد شيخنا البهائي. ورأيت إجازته له على ظهر نسخة من الفقيه، وسمعت عن الأستاذ المترجم الشيخ محمد الجواد البلاغي أنّ الشيخ محمد علي هذا أوّل من اشتهر في هذا البيت بالبلاغي. وقال حفيده في التنقيح:

إنّ من تلامذة الشيخ محمد علي هذا هو العلامة الشيخ خلف بن حروان الفطاوي النجفي المتوفى سنة ١٠٨٤ هـ المدفون في الحضرة العلوية.

ومنهم: العلامة الشيخ عباس الأوّل ابن الشيخ محمد علي المذكور.

قال ولده الشيخ حسن في كتابه تنقيح المقال ما لفظه:

والذي وأستاذه ومنّ عليه في أكثر العلوم الشرعية استنادي، ثقة، عين، صحيح الحديث، مستحضر لأكثر العلوم، له في علوم العربية والفقه وأصوله يد طولى، وله على أغلب الكتب التي في تلك العلوم حواشٍ جيّدة حسنة نقيّة، وله حاشية حسنة جيّدة مدوّنة على تهذيب الحديث من أوّله إلى آخر كتاب الحجّ.

من تلامذة المرحوم الشيخ محمد علي البلاغي، ومن تلامذة الشيخ جواد الكاظمي. أجاز لي ﷺ جميع ما رواه عن والده وعن مشايخه جزاء الله عنّي أفضل الجزاء. مات ﷺ سنة خمس وثمانين بعد الألف ١٠٨٥ هـ، في إصبهان، ونقل نعشه بعد الاندراست إلى النجف الأشرف على مشرفه أفضل التحية والسلام.

ومنهم: العلامة الشيخ حسن بن عباس الأوّل ابن الشيخ محمد علي البلاغي، كان من أغاليط عصره في فنون العلم، ومن تلاميذ المدقّق الشيرازي صاحب الحاشية على المعالم،

له كتب: منها التعليقة على الاستبصار، ومنها شرح على الصحيفة السجادية الكاملة فرغ منه في المشهد الرضوي في شهر رجب سنة ١١٠٥ هـ في مجلدين، ومنها كتاب تنقيح المقال في كيفية طريق الاستدلال آلفه على نمط كتاب كاشفة الحال عن أحوال الاستدلال للعلامة ابن أبي جمهور الأحسائي، وكلاهما من أحسن الكتب في هذا الشأن. ويروي عن جماعة: منهم: والده العلامة الشيخ عباس الأول، وعن المدقق الشيرازي، وعن الشيخ زين الدين علي حفيد الشهيد الثاني صاحب كتاب الدر المنثور، وله منه إجازة تاريخها سنة ١١٠٢ هـ، وعن العلامة مولانا المجلسي صاحب البحار وتاريخ الإجازة سنة ١١٠٥ هـ، وعن العلامة الشيخ عبد علي الخمايسي النجفي المتوفى سنة ١٠٨٤ هـ، وعن العلامة الشيخ حسين بن عبد الله الكعبي النجفي المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ، وعن العلامة الشيخ عبد العزيز الحويزي النجفي المتوفى سنة ١٠٨٨ هـ المدفون بالغري الشريف، وغيرهم.

وأخذ العلم عن والده الشيخ عباس، وعن الشيخ حسين الكعبي، وعن الشيخ خلف بن حروان الغطاوي النجفي.

ومنهم: العلامة الشيخ عباس الثاني ابن الحسن صاحب التنقيح، كان من أعظم عصره في الفقه والكلام، له كتب ورسائل:

منها رسالة في سنن النكاح وآدابه، فرغ من تأليفها سنة ١١٦١ هـ.

ومنها كتاب بغية الطالب، في الطهارة والصلاة، فرغ منه سنة ١١٧٠ هـ، وذكر شرطاً من أصول العقائد في مقدّمته على ديدن القدماء من الأصحاب.

ومنها تعليقة على القواعد، وأخرى على المفاتيح للعلامة المحدث الفيض الكاشاني. ومنهم: العلامة الشيخ إبراهيم ابن الشيخ حسين ابن الشيخ عباس الثاني المذكور بعيد هذا، سكن في إحدى قرى جبل عامل بعدما أب من زيارة الحرمين الشريفين، وذلك بإلحاح أهاليها، وعقبه بها يعرفون بآل البلاغي، وكان من أعلام عصره.

ومنهم: العلامة الشيخ محمد علي ابن الشيخ عباس الثاني، كان من أعظم تلاميذ

الوحيد البهبهاني، والفقير الأكبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء، له كتب في الفقه والرجال والحديث والدراية يربو على ثلاثين مجلداً:

منها كتاب كبير في الفقه، خرج منه أبواب الطهارة والصلاة والنكاح والطلاق والميراث والصيد والذباحة والقضاء والشهادات.

ومنها كتاب جامع الأقوال في الفقه على طريق الاستدلال، ورأيت نسخته بخطه الشريف في النجف الأشرف، وعلى ظهرها إجازة منه لبعض تلاميذه تاريخها سنة ١١١٤هـ.

ومنهم: العلامة الشيخ أحمد ابن العلامة الشيخ محمد علي البلاغي، صاحب جامع الأقوال المارّ ذكره، كان من علماء عصره، له شرح تهذيب الأصول للعلامة الحلّي، ويروي عن والده.

ومنهم: العالمة الفاضلة بنت العلامة الشيخ محمد علي صاحب الجامع، كانت من النوابع في الفضل وحسن الخطّ، تروي عن أبيها، وهي أخت الشيخ أحمد لأبويه.

ومنهم: العلامة الشيخ طالب ابن الشيخ عباس الثالث ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ حسين ابن الشيخ عباس الثاني المذكور سابقاً، كان من الفقهاء في المشهد العلوي، ومن تلاميذ فقيه الشيعة الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر، وكان ذا كرامات ومقامات، نقل بعضها لي شيخنا الأستاذ البلاغي عن العلامة الشيخ محمد طه آل نجف.

ومنهم: العلامة الشيخ حسين ابن الشيخ طالب المذكور، كان أديباً شاعراً، ومن منظوماته قصيدة غراء عصماء في تبيين العلامة المجدد الآية الشيرازي، وقصائد في مرثي الأئمة ومدحهم.

ومنهم: أخوه العلامة الشيخ حسن، والد شيخنا الأستاذ صاحب الترجمة، كان على جانب عظيم من الفضل والتقوى، وهو الذي رثاه بقصيدة رائعة أديب قريش وشاعر العلويين الكرام السيّد إبراهيم الطباطبائي ابن العلامة السيّد حسين ابن العلامة السيّد رضا ابن العلامة الباهر السيّد مهدي بحر العلوم النجفي، إلى غير ذلك من أرباب الفضل.

مشايخه في الدراية والرواية

أخذ العلم وروى عن جماعة:

منهم: العلامة الشيخ محمّد طه آل نجف النجفي .

ومنهم: العلامة المحقّق الخراساني ، صاحب كفاية الأصول .

ومنهم: العلامة المدقّق علم التقي الميرزا محمّد التقي الشيرازي ثمّ الحائري

ثمّ العسكري .

ومنهم: الفقيه المحقّق الحاج آقا رضا الهمداني ، صاحب كتاب مصباح الفقيه .

ومنهم: شيخ مشايخنا ثقة الإسلام النوري ، صاحب المستدرک .

ومنهم: العلامة الشيخ محمّد الحسن المامقاني النجفي .

ومنهم: العلامة الأستاذ أبو محمّد السيّد حسن صدر الدين الموسوي الكاظميني ،

وغيرهم . فإنّه ﷺ يروي عن أكثر هؤلاء البررة الكرام .

تلاميذه

أخذ عنه واستنار عن مشكاة فضله في علمي الكلام والمناظرة جماعةً من فطاحل

الفضل ورجالات العلم ، هم زعماء الحوزات العلميّة وأساطين الحلقات الدرسيّة :

كآية الله العلامة الحاج السيّد أبي القاسم الخوئي النجفي - أدام الباري أيام إفاداته - .

والعلامة آية الله الحاج السيّد محمّد الهادي الميلاني ، نزيل مشهد الرضا - لا زالت

أيام إفاداته - وكلاهما من مراجع الشيعة ومفاخرها .

ومن استفاد منه آية الله الحاج الشيخ علي محمّد ، نزيل بلدة بروجرد دامت بركاته .

ومنهم العلامة الآية المحقّق الشيخ مجتبي اللنكراني النجفي ، نزيل مشهد الإمامين

العسكريين والمدرّس به أطال الله عمره .

ومنهم العلامة مقdam الأدباء في عصره حجّة الإسلام والمسلمين المغفور له الميرزا

محمّد علي الأوردبادي النجفي - طيّب الله ثراه - وكان من حسنات زماننا ، فكم من

قصائد ومنظومات من بنات أفكاره في رثاء العترة النبوية الزاكية ومراثيهم ومدائحهم وفي غيرهم من العلماء والسادات .

ومنهم العلامة خطيب الأنام وناشر آثار الأئمة الكرام حجة الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ ذبيح الله المحلّاتي صاحب كتاب تاريخ سامراء وغيره، وهو اليوم نزيل بلدة طهران .

ومنهم الحقير محرّر هذه الأسطر وناسق هاتيك الدرر والآلئ، حضرتُ عنده طيلة إقامته في النجف الأشرف بعد ما هاجر إليها من سامراء وألقى عصا السير به، فكم له من حقّ عليّ في الإحاطة بمسائل الكلام والمناظرة مع أرباب الملل والنحل، والوقوف على مقالاتهم، جزاه البارئ خير ما يجزئ به المحسنين وحشره الله تحت لواء جدّي أمير المؤمنين سلام الله عليه .

الراوون عنه

يروى عنه جماعة :

منهم العبد الحقير، فإنّه ﷺ أجاز لي جميع مروياته ومسموعاته عن شيخه العلامة ثقة الإسلام النوري بطرقه التي أودعها في كتابه المستدرك .
ومنهم العالم الفاضل الميرزا محمد علي الطهراني .
ومنهم العالم الثقة الجليل الميرزا محمد علي صاحب الريحانة وغيرهم .

تصانيفه القيمة وتآليفه الخالدة

لا تسأل أيّها القارئ الكريم عن آثار رجل أنهك البدن وبذل النفس والنفيس بقلمه السيال ويراعه المعجز في الذبّ عن حريم الدين وكتاب الله المبين، ودفع شبهة عبّاد الصليب وزمر المادّيين، فهناك أسماء بعضها :

١ - الهدى إلى دين المصطفى، جزءان في الردّ على المسيحيين، طبع في بلدة صيدا مرّة في سنة ١٣٣٠ هـ، وأخرى في سنة ١٣٣١ هـ .

- ٢ - آلاء الرحمن في تفسير القرآن، طبع منه جزءان، وهو من أحسن التفاسير، تصدىّ ﷺ لدفع شبهة المعاندين وحلّ عوائص الآيات ومعاضلها، واستخرج منها لآلئ النكات ودقائق العلم.
- ٣ - أعاجيب الأكاذيب، في ذكر مفتريات النصارى، طبع.
- ٤ - العقود المفصلة في حلّ المسائل المشكّلة الفقهية، وهو مع التعليقة^١ على مسائل البيع من كتاب المتاجر لشيخنا العلامة الأنصاري، طبع في الغري الشريف.
- ٥ - التوحيد والتثليث، في الردّ على النصارى، طبع في بلدة صيدا سنة ١٣٣٢ هـ.
- ٦ - أنوار الهدى، في الردّ على المادّيين، طبع.
- ٧ - البلاغ المبين، في إثبات المبدأ والمعاد، طبع.
- ٨ - داعي الإسلام، في الردّ على النصارى.
- ٩ - في النقض على مفتريات غلام أحمد قدوة القاديانيين في كتابه تعليم العلماء.
- ١٠ - الردّ على الوهابيين، في إبطال فتواهم بهدم قبور الأئمّة ﷺ.
- ١١ - الرسالة في وضوء الإمامية وصلاتهم وصومهم، ترجمت باللغتين الإنجليزيّة والأردويّة.
- ١٢ - رسالة في الخيارات، أنواعها وأحكامها.
- ١٣ - رسالة في طهارة الغسالة.
- ١٤ - رسالة في مواقيت الحجّ.
- ١٥ - رسالة في قبلة البلاد ومقادير انحرافها وأطوالها وعروضها.
- ١٦ - أجوبة المسائل البغدادية، في أصول العقائد.
- ١٧ - أجوبة المسائل الحليّة.
- ١٨ - أجوبة المسائل التبريزية.
- ١٩ - الشهاب، في الردّ على كتاب حياة المسيح لغلام أحمد القادياني.

١. في المطبوع: «وهو تعليق» وهو خطأ مطبعي.

- ٢٠ - تعليقة على كتاب الشفعة من كتاب جواهر الكلام.
- ٢١ - رسالة في مسائل الرضاع وفروعه على المذاهب الخمسة في الإسلام.
- ٢٢ - رسالة في نفي تزويج أم كلثوم من الرجل، بنت الإمام سيّد المهضومين أمير المؤمنين رُوحِي لتراب نعله الفداء.
- ٢٣ - رسالة في بطلان العول والتعصيب، اللدّين ذهب إليهما العامّة.
- ٢٤ - رسالة [في الصلاة] في اللباس المشكوك فيه.
- ٢٥ - رسالة في حكم صلاة الجمعة في زمن الغيبة.
- ٢٦ - رسالة في حكم ذبائح أهل الكتاب.
- ٢٧ - رسالة في منجزات المريض، وأنها تخرج من الأصل أو الثلث.
- ٢٨ - رسالة في مسائل الاجتهاد والتقليد.
- ٢٩ - رسالة في مسائل الأوامر... من أصول الفقه.
- ٣٠ - أجوبة المسائل العامليّة، في دفع بعض الشبه الموردة على القرآن الكريم.
- ٣١ - رسالة في الردّ على القسّين: جرجيس سايل وهاشم العربي.
- ٣٢ - كتاب نصائح الهدى في الردّ على البهائيّة.
- ٣٣ - كتاب الرحلة المدرسيّة أو المدرسة السيّارة، في ثلاثة أجزاء، من أحسن ما ظهر في العصر الأخير في مقام الردّ، طبع ثلاث مرّات. وترجم إلى اللّغة الأردويّة وطبع مرّتين، وإلى الفارسيّة وطبع مرّتين ...

كلمات العلماء في حقّه

لا تسأل عن هذا الشأن فإنّك لا ترى ترجمته في كتاب إلّا وقد أطرى مؤلّفه في الثناء البليغ عليه، فراجع - لتبيّن الحال وصدق المقال - إلى كتاب ربحانة الأدب للعلامة المدرّس، وكتاب أعيان الشيعة لآية الله السيّد محسن الأمين الشامي، وكتاب الحصون المنيعه للعلامة الشيخ علي بن محمّد الرضا آل كاشف الغطاء من مشايخنا في الرواية، وكتاب الطليعة من الشعراء الشيعة لعلامة الأدب وفخر الأفاضل صديقنا المغفور له

الشيخ محمد السماوي النجفي، وكتاب علماء معاصرين للعلامة الحاج ملا علي الخياباني التبريزي، وطبقات أعلام الشيعة للعلامة الشيخ محمد محسن الطهراني، وكتاب التراجم للعلامة حجة الإسلام والمسلمين الحاج السيد عباس الحسيني الكاشاني الحائري، وهو من أحسن ما أُلّف في هذا الموضوع ومن حسنات الزمان، وكتاب التراجم للعالم الفاضل الجليل الحاج ميرزا حسين عماد الدين الإصفهاني الطهراني، إلى غير ذلك

شعره ونظمه

سمحت قريحته الوقادة بعدة منظومات فائقة وقصائد رائعة مذكورة في المجاميع.

وفاته

مضى إلى رحمة الله تعالى ليلة الاثنين ثمان بقين في شعبان ١٣٥٢ هـ، ودفن في البقعة الثالثة الجنوبية في طرف المغرب، وكان فقده ثلثة في الإسلام لا يسدها شيء، أثر في قلوب المسلمين على اختلاف فرقهم، وأقيمت له المآتم ونوادي التآبين في بلدان شتى، وأنشدت في رثائه القصائد في المراثي، ومن جياذ ما قيل: قصيدة العلامة المغفور له حجة الإسلام الميرزا محمد علي الأوردبادي النجفي، الأديب الفاضل الشهير. وأقام العلامة الأستاذ آية الله العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي مأتماً في المدرسة الفيضية ببلدة قم، ثم أقيمت له مجلسين أداءً لحقه العلمي عليّ، جزاه الله عني خير الجزاء.

هذا ما أتاحتها الفرص والظروف بتأليف هذه الرسالة، وقد فرغت عن تسويدها أصيل يوم السبت لثلاث عشر خلون من شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٨٣ هـ ببلدة قم المشرفة حرم الأئمة الأطهار وعش آل محمد حامداً مصلياً مستغفراً.

٩- المولى علي الخياباني التبريزي (١٢٨٢- ١٣٦٧)*

آية الله العلامة آقا شيخ جواد البلاغي النجفي دامت بركاته

حضرة العالم المحقق الذكي صديقنا الأكرم الوفي آقا ميرزا محمد علي الأوردبادي الغروي دامت إفاضاته [قال في مجموعته الرجالية]:

آية الله العلامة الشيخ محمد جواد بن الشيخ حسن بن الشيخ طالب البلاغي، ولد في حدود سنة ١٢٨٠، وتخرج على الشيخ محمد طه نجف والحاج آقا رضا الهمداني والآخوند الخراساني في النجف، ثم هاجر إلى سامراء فقطنها عشرة من الأعوام على عهد آية الله ميرزا محمد تقي الشيرازي، ثم غادرها لما احتلها الجيش البريطاني، فجاور الكاظمين عليه السلام سنتين، ثم قفل إلى النجف له:

- (١) كتاب الهدى إلى دين المصطفى جزءان في (٦٩٧ ص) ردّ على النصارى.
- (٢) الرحلة المدرسية ٣ أجزاء، الأولان منها في (٤١٢ ص) مباحثة مع الأديان كلّها.
- (٣) رسالة التوحيد والتثليث في (٥٦ ص).
- (٤) البلاغ المبين في إثبات الصانع، روائي في (٤٧ ص).
- (٥) نوائح الهدى، ردّ على الباطنية في (١٥٦ ص).
- (٦) أنوار الهدى، ردّ على الماديين.
- (٧) أعاجيب الأكاذيب.
- (٨) المصباح في الردّ على القاديانيين، أتباع غلام أحمد القادياني في لاهور الهند.

- (٩) أجوبة المسائل البغدادية في أصول العقائد .
- (١٠) تعليقة على كتاب البيع للشيخ الأنصاري إلى أول بيع الوقف، ومعها :
- (١١) رسالة في اللباس المشكوك فيه .
- (١٢) رسالة في تنجيس المنتجس .
- (١٣) رسالة في قاعدة على اليد .
- (١٤) رسالة في بعض فروع العلم الإجمالي .
- هذه كتبه المطبوعة إلى الآن في النجف وبغداد والعمارة والهند و سوريا، وطبع
ترجمة أعاجيب الأكاذيب فارسية بالنجف الأشرف، وطبع بها شطر يقرب من
النصف من ترجمة الرحلة المدرسية في ٣ جزءاً، وتطبع لها ترجمة أخرى تباعاً
في أعداد مجلة دعوت اسلامي بكرمانشاه، وترجمة أخرى بلغة أوردو في لكهنو
الهند في مجلة الواعظ .
- وأما كتبه الغير المطبوعة :
- (١٥) أجوبة المسائل الحلية .
- (١٦) أجوبة المسائل التبريزية .
- (١٧) رسالة في حرمة مس المصحف على المحدث .
- (١٨) رسالة في منجزات المريض .
- (١٩) رسالة في إقرار المريض .
- (٢٠) رسالة في الرضاع .
- (٢١) رسالة في قولهم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ « الزموم بما ألزموا به أنفسهم » وكثير من فروع في
أبواب الفقه .
- (٢٢) رسالة في الغسالة .
- (٢٣) رسالة في المنتم كراً .
- (٢٤) رسالة في التقليد .
- (٢٥) رسالة في صلاة الجمعة لمن سافر بعد الزوال .
- (٢٦) رسالة في حرمة حلق اللحي .

(٢٧) رسالة في الأوامر.

(٢٨) يسير في الخيارات.

(٢٩) رسالة في ذبائح أهل الكتاب.

(٣٠) رسالة في إبطال العول والتعصيب.

(٣١) رسالة في الرضاع على مذهب الإمامية والمذاهب الأربعة.

(٣٢) كتاب في الاحتجاج لكلّ ما انفرد به الإمامية من أحاديث أهل السنة في أبواب الفقه من المسند والصحاح، برز إلى البياض إلى أواخر كتاب الصلاة.

(٣٣) حاشية على شفعة الجواهر.

(٣٤) تعليقات علمية على العروة الوثقى.

وطبع بذة من شعره مع تعليقة على البيع، منها قصيدة الرائية الكبيرة في الحجّة المنتظر عجل الله فرجه ردّاً على ابن الآلوسي في قصيدته الرائية المعروفة، وأخرى في مولده دالية، وأخرى عينية في النفس يناضل قصيدة ابن سينا فيها، ويوجد من شعره في ديوان السيّد محسن العاملي وغيره، لكنّه مبنوث لم يجمعه دفتاً ديوان.

تقريظ و توصيف له

فهو العلم الفرد العلامة المجاهد آية الله، وجه فلاسفة الشرق، وصدّر من صدور علماء الإسلام. فقيه أصولي حكيم متكلم محدث محقق فيلسوف بارع، وكتبه الدينية هي التي أبهجت الشرق وزلزلت الغرب وأقامت عمد الدين الحنيف، فهو حامية الإسلام وداعية القرآن. رجل البحث والتنقيب، والبطل المناضل، والشهم الحكيم.

وأما أخلاقه الكريمة فليس في وسع البليغ وصفها، فما عسى أن يقول المتشدّق في وصف خلقه غير أن يقول: إنّه دمت سجع، حسن حميد مرضي، لكنّ الرجل فوق ذلك كلّه، فلنضرب عنه صفحاً.

وأما بسط يده فهو الذي:

علّم الغيث كيف يهيم ومنه علّم البحر أنّ فيه نضوبا

وقلت للكتابة على رسمه الميمون :

ما أن يقم دين الهدى مائلاً
فليهنَّ شرع المصطفى أنَّ منه
فإنَّ وتوا عنه فمستلماً
إلا وهذا عرقه النابض
في فناه أسد رابض
يصول هذا البطل الناهض

[ومن مؤلفات هذا العالم، التفسير الذي يشتغل اليوم بتأليفه، وقد كتب عنه إلى العالم الجليل الأديب ميرزا محمد علي الأوردبادي، ما هذا نصّه:]

وأعرض لحضرتك: إني بتوفيق الله ولطفه وعونه شرعت من ذي الحجة يعني من سنة ١٣٤٩ في كتابة تفسير للقرآن الكريم على أصول العلم ومذهب الشيعة: لأنني رأيت أهمّ التفاسير عندنا كالتبيان ومجمع البيان قد أكثرا في اللغة وتصاريف الكلمة من تفسير أسكن إلى سكّان السفينة ونحو ذلك وتكثر في القراءات وتفسير أمثال عطا ومجاهد ومقاتل وعكرمة وأشباههم، وتفسير البرهان للسيد هاشم يسرد الأحاديث من دون تحقيق فيها ولا في مزايا القرآن الشريف. فكتبت مقدّمة فيها فصول:

الأول: - ٢٤ صحيفة - في وجه دلالة المعجز وحكمة تنوّعه وكونه لرسول الله ﷺ القرآن، أي المعجز العامّ، وامتيازه عن سائر المعجزات، وجهات تفوّقه عليها، وجهات إعجازه.

الثاني: - ٢٠ ص - في تواتره وجمعه وفساد ما في روايات العامة من النقصان والتعرّض للحاجّ النوري فيما كتبه في فصل الخطاب وردّ ما حشده من الروايات سنداً، وذكر الروايات الكثيرة المعتبرة الدالّة والكاشفة عن أنّ رواياته لا تدلّ على التحريف بل على المراد من اللفظ عند النزول، ولذلك من الروايات شواهد صريحة. الثالث: - ٦ ص - في قراءته وبيان المتواتر والمتسالم عليه، والذي بالقراءة على نهجه إنّما هو المرسوم في المصاحف. وأمّا القراءات السبع أو العشر فإنّما هي روايات آحاد ضعيفة متعارضة لا يسلم رواة قراءة منها عن الجرح عند العامة فضلاً عن طريقتنا.

الرابع: - ٢٤ ص - في شؤون تفسيره وما ينبغي فيه وبيان أغلاط اللغويين والمفسرين من الجمهور من حيث العربية واضطرابهم في المعنى وأنّ منهم من يفسر القصص بما يأخذه سطحياً من أفواه اليهود والنصارى، وبيان جرح المفسرين من كتب الجمهور وأنّ الذي ينبغي الاعتماد عليه في المعنى في غير ما يدلّ عليه اللفظ هو الرجوع إلى المعلوم من حديث الرسول أو من حديث من جعلهم الرسول في حديث الثقلين عدل القرآن في الهداية وهم العترة أهل البيت، وأشرنا إلى تواتر الحديث وذكرنا من أسماء الصحابة الذين يروونه عن الرسول بأسانيد مختلفة نحو أربعين وأشرنا إلى محالّ رواياتهم، وفي آخر هذا الفصل بيان أنّ مقتضى التشريح والذي يناسبه أن يكون الإدراك والتعقل ونحو ذلك هو القلب دون الدماغ على ما يقول الجديديون وإعجاز القرآن حجة على ذلك أيضاً. التفسير: تفسير سورة الفاتحة ١٨ ص، فيه تحقيقات منها في معنى العبادة وفي الاستعانة والشفاعة وبقاء النفس، وفي ذلك مباحثات للوهّابيين.

ومن أوّل سورة البقرة إلى قريب الجزء الأوّل منها نحو ٦٠ صفحة، وربما نذكر من روايات أهل السنّة خصوص ما يوافق رواياتنا.

وأسأل الله أن يوفّقني للإتمام وييسره لي ويعينني ويسدّني فيه. انتهى.

قد ختم باسم الجواد، يا جواد يا كريم، تقبل منّا وتفضّل علينا بحرمة وجهك الكريم، وبحقّ محمّد وآله الطاهرين صلواتك عليهم أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

١٠ - السيد حسن الحسيني اللواساني النجفي (١٣٠٨ - ١٤٠٠هـ)*

هذا بلاغٌ للناس^١

بسم الله تعالى ، وله الحمد على عظيم نعمائه الخارجة عن الحد والإحصاء ، ونشكره على جزيل آلائه التي لا يمكن حصرها بالاستقصاء .
ونصلّي ونسلم على مَنْ خَصّه من خلقه بالاصطفاء والاجتهاد ، وعلى آله وعترته المخصوصين بجزيل الحياء .

وبعد ، فإنّ مِنْ منن الله على خلقه أن بيّن لهم بعض آلائه ليشكروه ويحمدوه ، وأبان لهم شيئاً من نعمه ليعظّموه ويوقّروه ، ووفق بعض عباده المخلصين لبيان ما خفي عنهم من ألطافه ليكبّروه ويسبّحوه . وإنّ من أجلى تلك النعم التي لا تضاهى ، وأوضح تلك المنن التي لا تكافئ ، ظهور هذه الآلاء العظيمة وخروج هذه الدرر الثمينة - بعونه تعالى وقوّته - من بحار العلوم ، فخر الأوائل والأواخر ، وغرّة ناصية العلماء الأكابر ، المدمّر - بقلمه السامي - كلّ ناصبٍ وكافر ، والمدحض بساطع برهانه وواضح بيانه في

* هو العلامة البارع ، والفقير الجامع الحاج السيّد حسن الحسيني اللواساني النجفي ابن العالم الجليل السيّد محمّد الحسيني اللواساني (م ١٣١٧هـ) . وصاحب التاليفات الثمينة : نور الأفهام في علم الكلام : تاريخ النبي أحمد ﷺ : تواريخ الأنبياء : الدروس البهية في مختصر أحوال النبي ﷺ والأئمّة ﷺ وغيرها .
ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٠٨هـ ، وتوفّي في طهران في ٢٥ جمادى الآخرة عام ١٤٠٠هـ . ونقل جثمانه إلى مشهد المقدّسة ، ودفن في دار الزهد في الروضة الرضوية . راجع ترجمته في مقدّمة كتاب نور الأفهام ، ج ١ ، المطبوع سنة ١٤٢٥هـ بقم المقدّسة ، مؤسسة النشر الإسلامي . وهو الذي تولّى الطبعة الأولى والثانية لكتاب آلاء الرحمن في تفسير القرآن .

١ . كتبها على ظهر الجزء الأوّل من آلاء الرحمن ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٥٢هـ .

كتبه العديدة ومؤلفاته الشريفة خرافات كلّ جاحد ومكابّر. وهو شيخنا ومولانا وملاذنا حجة الإسلام والمسلمين كهف الأيتام والمساكين، برهان الملة والدين حضرة الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي متّع الله الإسلام والمسلمين بإدامه أيامه وطول حياته، ومنّ عليهم ببقاء صحّته وتكميل عافيته؛ ونسأله سبحانه من فضله أن يتمّ علينا وعلى كافة أهل القبلة نعمه وآلاءه بتوفيق هذا العالم العليم واليّم الخضمّ، لتكميل بقية أجزاء هذا التفسير المطابق اسمه (آلاء الرحمن) لسمّاه، فإنّ هذا هو الجزء الأوّل منه، وسيلحقه بقية أجزاءه بعونه جلّ وعلا قريباً إن شاء الله تعالى.

وقد تمّ ذلك - والله المنة وله كلّ الحمد وتمام الشكر - مقابلةً وتصحيحاً على يد العبد الفقير إلى رحمة ربّه الغنيّ، الراجي أجره ووعدّه الوفيّ، حسن الحسيني اللواساني النجفي، عفا الله تعالى عن جرائمه وآثامه في اليوم العاشر من شهر صفر الخير من السنة الثانية والخمسين بعد الألف والثلاثمائة من الهجرة المباركة النبويّة، على مهاجرها والأطيبين من آله وعترته آلاف سلامٍ وتحيّة، ١٣٥٢.

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^١

قد انقطع - بالرغم منّا ومن المسلمين - سلك هذا السفر العظيم والكتاب الكريم، قبل اختتامه، وانقضت عروته الوثقى قبل انتهائه، وفُجع الإسلام والمسلمون بمفاجأة الأجل لعبيدهم وعماده، أعني الناظم لهذه الدرر المنثورة، والجامع لشتات هذه اللآلئ المنشورة. هو الذي عقلت النساء في هذه الأعصار أن يلدن له من مثل، وهيّهات أن يرينا الدهر لمثله من نظير.

الذي لا غاية لأمد جهاده، ولا منتهى لدى إصلاحه.
والذي تمثّل مناضلاً عن الدين، ومدافعاً عن شريعة سيّد المرسلين.
والذي كان المزبر سادس أنامله، والقرطاس أليف نهاره وسمير ليله.

١. كتبها في آخر الجزء الثاني من آلاء الرحمن. الطبعة الثانية. سنة ١٣٥٥ هـ.

والذي كان في حرّ النجف القاظ و برده القارس جليس غرفته لا همّ له إلاّ الأخذ بناصر الدين، والنظر في صالح المسلمين بتأليفٍ أو بيان. ألا وهو الإمام المجاهد بطل العلم والعمل، حجة الإسلام والمسلمين، برهان الملة والدين. آية الله البلاغي الشيخ محمد جواد ابن الشيخ حسن النجفي طيب الله ثراه وأحسن مثواه. ولم يزل ﷺ مكتباً على التصنيف والتأليف بكلّ جدّ وسعي، حتّى تضاءلت قواه، وضعفت باصرته على شيخوخةٍ من عمره، لكن في جدّة من شباب عزمته. حتّى أنّه ﷺ أنهى أواخر هذا التفسير بالقائه على التلاميذ والكتبة المحتفّين به على ما هو عليه من شدّة المرض وغاية الضعف، مطروحاً في فراش الموت. فجزاه الله تعالى عن الإسلام والمسلمين خير جزاء المحسنين، وكان له ﷺ من العمر ما يقرب من السبعين. وكانت ولادته في النجف الأشرف من العراق في نيّف و ١٢٨٠ هـ، وبها كان نشوؤه وارتقاؤه ومبادئ تحصيله.

وأتمّ دروسه العالية لدى أعلام عصره الفطاحل آيات الله على الأنام الحاجّ آقا رضا الهمداني، والشيخ محمّد طه نجف، والمولى محمّد كاظم الخراساني قدس الله تعالى أسرارهم.

ثمّ كانت هجرته إلى سامراء على عهد الإمام المقدم آية الله الميرزا محمّد تقي الشيرازي طاب ثراه، وطوى هنالك عشراً من الأعوام، وبها ألّف بعض كتبه كالهدى وغيره. ثمّ غادرها لما احتلّها الحشد البريطاني وهاجر من كان بها إلى الكاظميّة، ومنهم المترجم ﷺ ومكث فيها عامين له فيهما مساعيه المشكورة مع العلماء الأعلام حول القضية العراقيّة، وطلب الاستقلال وتسجيله، وفيها ألّف رسالته في تنجيس المتنجس. ثمّ بارحها معرّجاً على النجف الأشرف ثانياً، وأقام بها إلى أن صار أحد أعلامها الهداة والحجج والآيات.

ثمّ أتاه الأجل المحتوم، وقضى نحبّه سعيداً ليلة ٢٢ من شهر شعبان سنة ١٣٥٢ هـ، وكان لوفاته ﷺ أثرٌ كبير في نفوس عظماء الدين كافة، وأقيمت له الفواتح في جميع البلاد العراقيّة، وتشادق الأدباء في رثائه وتأيينه، وطار نبأ فجيعة شرقاً وغرباً،

فنسأل الله تعالى أن يُعلي في الخلد مقامه، ويرفع أعلامه.
وكان تمام طبع الأوراق الأخيرة على يد الأحقر الراجي حسن الحسيني اللواساني
النجفي عفي عنه، في الثامن من شهر رجب الأصب سنة ١٣٥٥ هـ.

فهرست مصنفات المفسر^١

المطبوع منها:

١ - في التفسير هذا الجزء الأول [آلاء الرحمن].

وفي الفقه:

٢ - تعليقه على مباحث البيع من مكاسب المرحوم آية الله الأنصاري.

٣ - بعض العقود المفصلة في حلّ المسائل المشكّلة، ومنها عقد في العلم الإجمالي
وحاله مع الأصول.

وفي الدين وقمع الأهواء:

٤ - كتاب الهدى إلى دين المصطفى، جزءان.

٥ - أنوار الهدى.

٦ - نضائح الهدى.

٧ - الرحلة المدرسية والمدرسة السيّارة، ثلاثة أجزاء، وترجمة بعضها بالفارسيّة
ثلاثة أجزاء أيضاً.

٨ - أعاجيب الأكاذيب، وترجمته بالفارسيّة.

٩ - رسالة التوحيد والتثليث.

١٠ - أجوبة المسائل البغدادية.

١١ - الرسالة الأولى في نقد الفتوى بهدم القبور الشريفة في الحرمين.

١٢ - الثانية أيضاً في هذا الموضوع.

١. كتبها في آخر الجزء الأول من آلاء الرحمن، الطبعة الأولى، ص ٣٨٤.

- ١٣ - البلاغ المبين، في الإلهية.
- ١٤ - المصاييح في بعض من أبداع الدين في القرن الثالث عشر.
- ١٥ - مختصر بالإنكليزية في أن وضوء الإمامية وصلاتهم وصومهم هي بحسب أدلة الإسلام تكون على الوجه الأحوط والأقرب إلى اليقين بالبراءة من سائر أقوال المسلمين.
- وأما كتبه التي لم تطبع حتى الآن فهي في الفقه:
- ١٦ - الأصل العربي لهذا المترجم بالإنكليزية.
- ١٧ - تعليقة بحثية علمية على الجزء الأول من العروه الوثقى.
- ١٨ - في التقليد، لم يتم.
- ١٩ - في صلاة الجمعة لمن سافر بعد الزوال.
- ٢٠ - في الخيارات، لم يتم.
- ٢١ - رسالة فتوائية في مسائل الرضاع على مذهب الإمامية والمذاهب الأربعة لأهل السنة.
- ٢٢ - في المتمم كراً.
- ٢٣ - في الغسالة.
- ٢٤ - في حرمة مس القرآن على المحدث.
- ٢٥ - في ذكر ما يدل على مذهب الإمامية في الأحكام الشرعية زيادة على أدلتهم القيمة وذلك مما جاء في أحاديث أهل السنة، كتب منه مباحث الطهارة وكثير من مباحث الصلاة ثم انشغل عنه بما هو أهم في نظره.
- ٢٦ - في القبلة وفي مواقع البلدان في المسكونة بالنسبة إلى مكة المعظمة بحسب الاختلاف في الطول والعرض. وأوضح أثناء ذلك بعض الخطأ في الاعتماد على التقويم القديم، وعاقه فقدان بعض الآلات عن إتمام الكتاب ببيان الانحراف لكل من البلدان عن مكة ومقداره.
- ٢٧ - في مواقيت الإحرام ومحاذاتها من الطرق إلى مكة براً وبحراً مع تشكيل الطرق المذكورة وموازين مسافتها وتعيين مواضع المحاذاة للميقات.
- ٢٨ - في منجزات المريض.

٢٩ - في إقراره .

٣٠ - في الرضاع .

٣١ - تعليق على كتاب الشفعة من جواهر الكلام .

٣٢ - في العول والتعصيب ، كتبه في شبابه .

٣٣ - في ذبائح أهل الكتاب .

٣٤ - في حرمة حلق اللحية .

٣٥ - في إلزام المتدينين بما عليه في أحكام دينه ، بتحرير وجمع وتفريع لم يسبق إليه .

في أصول الفقه :

٣٦ - رسالة في الأوامر .

كتبه المتنوعة في غير الفقه :

٣٧ - رسالة في شأن التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام .

٣٨ - داعي الإسلام وداعي النصارى .

٣٩ - في الرد على جرجيس سابل وهاشم العربي .

٤٠ - في الرد على كتاب تعليم العلماء ، لأحمد القادياني .

٤١ - الشهاب في الرد على كتاب حياة المسيح لبعض القاديانيين .

٤٢ - في الرد على كتاب ينابيع الإسلام لبعض النصارى .

وله رسائل كثيرة متنوعة تبلغ مجموعها مجلداً ضخماً ، وهي في أجوبة المسائل الواردة إليه من البلدان في ما يعود إلى أصول الدين في الإلهيات ، والنبوة والمعراج ، والإمامة والمهدي عليه السلام وما يتعلّق بذلك ، وفي الرد لشبهات بعض النصارى .

وقد كان ملتزماً بأن لا يكتب اسمه في مطبوعات كتبه لبعض الأمور ، وحذراً من أن يختلسه الرياء ونخوة التبجح ، ولكن بعض الأمور ألجأته بعد ذلك إلى كتابة اسمه .



وقد تمّ ما اخترناه ممّا كتبه مترجموه عنه . والله الحمد ومنه التوفيق وعليه التوكّل .

فهرس المصادر

١. الإفتان في علوم القرآن. لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ - ٩١١). تحقيق محمد سالم هاشم. الطبعة الأولى، مجلدان، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٢. إتمام الأعلام. لخير الدين بن محمود الزركلي (١٣١٠ - ١٣٩٦). تحقيق نزار إياظة ومحمد رياض المالح. الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر، ١٩٩٩م.
٣. الإجازة الكبيرة. للسيد شهاب الدين المرعشي النجفي (١٣١٥ - ١٤١١). إعداد محمد السماوي الحائري. الطبعة الأولى، قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤١٤هـ.
٤. أجوبة المسائل الدينيّة. السيد أحمد الحسيني.
٥. الاحتجاج. لأبي منصور أحمد بن عليّ الطبرسي (ق ٦). تحقيق إبراهيم البهادري ومحمد هادي به. الطبعة الأولى، مجلدان، قم، انتشارات الأسوة، ١٤١٣هـ.
٦. الآداب الماسونيّة. لشاهين مكاريس.
٧. أدب الطّف (شعراء الحسين عليه السلام). للسيد جواد شبر. الطبعة الأولى، ١٠ مجلدات، بيروت، دارالمرتضى، ١٩٨٨م.
٨. أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث. لستيفن همسلي لونكريك. ترجمة جعفر الخياط، بغداد، ١٩٦٢م.
٩. إرشاد الأذهان. للعلامة الحسن بن يوسف بن المطهر الحلّي (٦٤٨ - ٧٢٦). تحقيق فارس الحسون. الطبعة الأولى، مجلدان، قم، مؤسسه النشر الإسلامي، ١٤١٠هـ.

١٠. الاستبصار. لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠). إعداد السيد حسن الموسوي الخرسان، الطبعة الثالثة، ٤ مجلدات، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
١١. أسرار الحركة الماسونية. عمان، مجلة الشريعة، ١٩٦٤م.
١٢. الإسلام والإرساليات *Islam and Missions*. لورانس براون. إصدار خالد مصطفى، ١٩٤٤م.
١٣. أعاجيب الأكاذيب. للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ - ١٣٥٢). الطبعة الأولى، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٤٥هـ. وتحقيق السيد محمد علي الحكيم. قم، دار الإمام السجّاد عليه السلام، ١٤١٢هـ. وبيروت، دار المرتضى، ١٤١٣هـ.
- اعتقادات الصدوق ← مصنفات الشيخ المفيد / ج ٥
١٤. الأعلام. لخير الدين الزركلي (١٣١٠ - ١٣٩٦). ٨ مجلدات، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٢م.
١٥. أعيان الشيعة. للسيد محسن الأمين الحسيني العاملي (١٢٨٤ - ١٣٧١). إعداد السيد حسن الأمين. الطبعة الخامسة، ١٠ مجلدات + الفهرس، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٣هـ.
١٦. آلاء الرحمن في تفسير القرآن. للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ - ١٣٥٢). الطبعة الأولى والثانية، صيدا، مطبعة العرفان، ١٣٥٢هـ و ١٣٥٥هـ. وقم، مكتبة الوجداني، وتحقيق ونشر: مؤسسة البعثة، ١٤٢٠هـ.
١٧. آل البلاغي. للسيد موسى الموسوي. نجل العلامة السيد صادق الموسوي الهندي (مخطوط).
١٨. إيزام غير الإمامي بأحكام نحلته. للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ - ١٣٥٢). تصحيح علي أكبر الغفاري. الطبعة الأولى، ١٣٧٨هـ.
١٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. لأبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (م ٦٨٥). الطبعة الأولى، ٤ مجلدات، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٠هـ / ١٩٨٧م.
٢٠. أنوار الهدى. للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ - ١٣٥٢). الطبعة الأولى، النجف الأشرف، المطبعة العلوية، ١٣٤٠هـ.

٢١. إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد. لفخر المحققين محمد بن الحسن بن يوسف الحلبي (٦٨٢ - ٧٧١). تحقيق السيد حسين الموسوي الكرماني. الطبعة الأولى، ٤ مجلدات، قم، المطبعة العلمية، ١٣٨٧هـ.
٢٢. البايون والبهاتيون في حاضرهم وماضيهم. للسيد عبد الرزاق الحسيني. الطبعة الرابعة، بغداد، مكتبة البيقظة العربية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
٢٣. البحث عن الدين الحق. لمونسنيور كولي. طبع ١٩٢٨م.
٢٤. البلاغ المبين. للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ - ١٣٥٢). تصحيح السيد عبدالمطلب الحسيني الهاشمي. الطبعة الأولى، بغداد، مطبعة الآداب، ١٣٤٨هـ.
٢٥. بهاء الله والعصر الجديد. لأسلمنت.
٢٦. البيان في تفسير القرآن. للسيد أبي القاسم الموسوي الخوئي (١٣١٧ - ١٤١٣). الطبعة الثامنة، إيران، أنوار الهدى، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
٢٧. بيدارگران أقاليم قبله. لمحمد رضا الحكيمي. طهران، دفتر نشر فرهنگ.
٢٨. تاج العروس من جواهر القاموس. للسيد محمد بن محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥). تحقيق علي شيري. ٢٠ مجلداً، بيروت، دار الفكر.
٢٩. التاريخ الحديث للشعوب الإسلامية. للدكتور عبد العزيز سليمان نوار. بيروت، دار النهضة، ١٩٧٣م.
٣٠. تاريخ الحلة. ليوسف كركوش الحلبي. النجف، ١٩٦٥م.
٣١. التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية. لمصطفى عبد القادر النجار. القاهرة، ١٩٧١م.
٣٢. تاريخ العراق بين احتلالين. لعباس العزاوي. بغداد، ١٩٤٩م.
٣٣. تاريخ فرنسا. لجوليمين.
٣٤. تاريخ نجد وتاريخ الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفي. لعبد الله فيليبي. ترجمة عمر الدراوي، بيروت.
٣٥. التبشير والاستعمار. للدكتور عمر فروخ والدكتور مصطفى خالدي. الطبعة الرابعة، بيروت وصيدا، المكتبة العصرية، ١٩٧٠م.

٣٦. التبيان في تفسير القرآن. لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠). تحقيق أحمد حبيب قصير العالمي. ١٠ مجلدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٣٧. تنمّة الأعلام. لمحمد خير رمضان يوسف. بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٨ هـ.
٣٨. تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية. للعلامة الحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي (٦٤٨ - ٧٢٦). تحقيق الشيخ إبراهيم البهادري. الطبعة الأولى، ٤ مجلدات، قم، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام. ١٤٢٠ - ١٤٢١ هـ.
٣٩. تذكرة الفقهاء. للعلامة الحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي (٦٤٨ - ٧٢٦). مجلدان، طهران، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ١٣٨٨ هـ. وتحقيق ونشر: مؤسسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، صدر منه حتى الآن ١٣ مجلداً، قم، ١٤١٤ - ١٤٢٣ هـ.
٤٠. تراث الشيخ الأعظم. للشيخ مرتضى الأنصاري (١٢١٤ - ١٢٨١). إعداد لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم. الطبعة الأولى، ٢٩ مجلداً، قم، المؤتمر العالمي للذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأنصاري، ١٤١٥ هـ.
٤١. التراجم - مجموعة الأوردبادي -. للعلامة محمد علي الأوردبادي الغروي (١٣١٢ - ١٣٨٠). مخطوط.
٤٢. تعليقة على بيع المكاسب. للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ - ١٣٥٢). - المطبوع مع العقود المفصلة - الطبعة الأولى، النجف الأشرف، المكتبة المرتضوية، ١٣٤٣ هـ.
٤٣. تعليقة الوحيد البهبهاني على منهج المقال (المطبوع مع منهج المقال). للمولى محمد باقر بن محمد أكمل (١١١٧ - ١٢٠٥). الطبعة الحجرية، ١٣٠٦ هـ.
- تفسير ابن كثير ← تفسير القرآن العظيم
٤٤. تفسير أبي السعود. لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (م ٩٥١). ٩ أجزاء في ٥ مجلدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- تفسير البيضاوي ← أنوار التنزيل وأسرار التأويل
٤٥. تفسير الخازن. لعلاء الدين علي بن محمد الخازن البغدادي (م ٧٤١). ٤ مجلدات، [بالأوفست عن طبعة مكتبة المثنى، بغداد].

- تفسير الطبري ← جامع البيان في تأويل القرآن
- تفسير القرطبي ← الجامع لأحكام القرآن
٤٦. التفسير الكبير. لمحمد بن عمر الخطيب فخر الدين الرازي (٥٤٤ - ٦٠٦). الطبعة الثالثة، ٣٢ جزءاً في ١٦ مجلداً، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٤٧. تفسير المنار. لمحمد رشيد رضا. الطبعة الثانية، ١٢ مجلداً، بيروت، دار المعرفة.
٤٨. تفسير النسفي (المطبوع بهامش تفسير الخازن). لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (م ٧٠١). ٤ مجلّدات، بغداد، مطبعة المثنى [بالأوفست عن طبعة مصر، دار الكتب العربية الكبرى].
٤٩. التفسير والمفسرون. لمحمد حسين الذهبي. الطبعة الثانية، مجلّدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
٥٠. التفسير والمفسرون. للشيخ محمد هادي معرفت (م ١٤٢٧). الطبعة الأولى، مجلّدان، مشهد، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، ١٤١٩هـ / ١٣٧٧ش.
٥١. تكملة أمل الآمل. للسيد حسن الصدر (١٢٧٢ - ١٣٥٤). تحقيق السيد أحمد الحسيني. الطبعة الأولى، قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٦هـ.
٥٢. تكملة معجم المؤلفين. لمحمد خير رمضان يوسف. الطبعة الأولى، بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
٥٣. التنقيح الرائع لمختصر الشرائع. لجمال الدين المقداد بن عبد الله السيوري الحلبي (م ٨٢٦). تحقيق السيد عبد اللطيف الكوهكمري. الطبعة الأولى، ٤ مجلّدات، قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٤هـ.
٥٤. التوحيد والتثليث. للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ - ١٣٥٢). صيدا، مطبعة العرفان، ١٣٣٢هـ. والطبعة الثانية، تصحيح السيد محمد علي الحكيم، قم، مؤسسة قائم آل محمد «عج»، ١٤١١هـ. وبيروت، دار المؤرّخ العربي، ١٤١٢هـ.
٥٥. تهذيب الأحكام. لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠). إعداد السيد حسن الموسوي الخرسان. الطبعة الثالثة، ١٠ مجلّدات، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦هـ.

٥٦. ثورة الخامس عشر من شعبان « ثورة العشرين ». لعباس محمد كاظم. الطبعة الأولى، العراق، ١٤٠٤ هـ.
٥٧. جامع البيان في تأويل القرآن. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠). الطبعة الثالثة، ١٢ مجلداً + الفهرس، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ هـ / ١٩٨٩ م.
٥٨. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٥٨٠ - ٦٧١). ٢٠ جزءاً في ١٠ مجلدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي [بالأوفست عن طبعة القاهرة، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م].
٥٩. الجامع للشرائع. ليحيى بن أحمد بن سعيد الحلبي الهذلي (٦٠١ - ٦٨٩). تحقيق جمع من الفضلاء. الطبعة الأولى، قم، مؤسسة سيّد الشهداء عليه السلام العلمية، ١٤٠٥ هـ.
٦٠. جامع المقاصد في شرح القواعد. للمحقق الثاني علي بن الحسين بن عبدالعالي الكركي (٨٦٨ - ٩٤٠). تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأولى، ١٣ مجلداً، قم، ١٤٠٨ - ١٤١١ هـ.
٦١. جريدة البلد البغدادية. عددها الصادر في ١٢ كانون الأول ١٩٦٥ م.
٦٢. جريدة الثورة البغدادية. عددها الصادر في ٢٠ كانون الثاني ١٩٧٢ م.
٦٣. جمال الدين الأفغاني. لحسن حنفي. القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر التوزيع، ١٩٩٨ م.
٦٤. جمهرة الأمثال. لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ق ٤). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش. الطبعة الثانية، ٣ مجلدات، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م. وتحقيق أحمد عبد السلام. الطبعة الأولى، مجلدان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
٦٥. جوامع الجامع. لأبي علي أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي (حوالي ٤٧٠ - ٥٤٨). تحقيق أبو القاسم الكُرْجِي. الطبعة الثانية، صدر منه مجلدان حتى الآن، قم، مديرية الحوزة العلمية، ١٤٠٩ هـ / ١٣٦٧ ش.
٦٦. جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام. للشيخ محمد حسن بن باقر النجفي (م ١٢٦٦). إعداد عدّة من الفضلاء. الطبعة السابعة، ٤٣ مجلداً، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٦٧. الحدائق الناضرة (في أحكام العترة الطاهرة). للشيخ يوسف البحراني (١١٠٧ - ١١٨٦).
الطبعة الأولى، ٢٥ مجلداً، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٩ هـ.
٦٨. الحصون المنيعه. للعلامة الشيخ عليّ كاشف الغطاء (م ١٣٥٠ هـ). ج ٩، مخطوط.
٦٩. الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ١٩٢٠ ونتائجها. فريق المزهّر آل فرعون. الطبعة الأولى،
بغداد، مطبعة النجاح، ١٣٧١ هـ.
٧٠. خلاصة الأقوال في معرفة الرجال. للعلامة الحسن بن يوسف بن المطهر الحليّ (٦٤٨ -
٧٢٦). تحقيق الشيخ جواد القتيومي. الطبعة الأولى، قم، مؤسسة نشر الفقاهة، ١٤١٧ هـ
وإعداد السيّد محمّد صادق بحر العلوم. قم، الرضي، ١٤٠٢ هـ.
٧١. داود باشا والي بغداد. لعبد العزيز سليمان نوار، القاهرة، ١٩٦٨ م.
٧٢. دراسة عن الإسلام في أفريقيا السوداء. لفيليب فونداسي.
٧٣. الدرّ المكنون. لياسين العمري.
٧٤. الدرّ المنشور في التفسير المأثور. لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ -
٩١١). الطبعة الأولى، ٨ مجلّات، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
٧٥. الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي. لجعفر عبد الرزاق، ٢٠٠٠ م.
٧٦. دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى. للعلامة الشيخ محمّد جواد البلاغي (١٢٨٢ -
١٣٥٢). الطبعة الأولى، النجف الأشرف، ١٣٤٤ هـ. وتحقيق السيّد محمّد عبد الحكيم
الموسوي الصافي. الطبعة الثانية، بيروت، دار المحجّة البيضاء، ١٤٢٠ هـ.
٧٧. دلائل النبوة. لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨). ٧ مجلّات، بيروت،
دار الكتب العلميّة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
٧٨. دوحه الوزراء. لرسول الكركوكلي. بيروت.
٧٩. ديوان الجعفري. لصالح بن عبد الكريم بن كاشف الغطاء. جمعه وحقّقه عليّ جواد طاهر.
الطبعة الأولى، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٥ م.
٨٠. ديوان السيّد رضا الموسوي الهندي. جمعه السيّد موسى الموسوي. بيروت، دار الأضواء،
١٤٠٩ هـ.

٨١. ديوان المتنبي. لأبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي. بيروت، دار صادر.
٨٢. الذريعة إلى تصانيف الشيعة. للشيخ محمد محسن آقا بزرك الطهراني (١٢٩٣ - ١٣٨٩). الطبعة الثانية، ٢٦ جزءاً في ٢٩ مجلداً (الجزء ٩ في ٤ مجلدات). بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
٨٣. رجال الطوسي. لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠). تحقيق جواد القيومي الإصفهاني. الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٥ هـ.
٨٤. رجال النجاشي (فهرست أسماء مصنفی الشيعة). لأبي العباس أحمد بن علي بن أحمد النجاشي (٣٧٢ - ٤٥٠). تحقيق السيد موسى الشبيري الزنجاني. الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٧ هـ.
٨٥. رحلات في آسيا وأوروبا وأفريقيا. لأبي طالب خان، لندن، ١٨١٠ م.
٨٦. الرحلة المدرسية. للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ - ١٣٥٢). الطبعة الأولى والثانية، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٤٢ هـ و١٣٤٧ هـ. والطبعة الثالثة، كربلاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات الحديثة، ١٣٨٣ هـ. والطبعة الرابعة، بيروت، دار الزهراء، ١٤١٤ هـ.
٨٧. الرد على الوهابية. للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ - ١٣٥٢). الطبعة الأولى، النجف الأشرف، ١٣٤٥ هـ. والمطبوع في مجلة تراثنا، العدد ٣٥ - ٣٦، رمضان المبارك ١٤١٤ هـ.
٨٨. الرسائل الأربعة عشر. جمع من العلماء الأعلام. الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٥ هـ.
٨٩. رسالة حرمة حلق اللحية. للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ - ١٣٥٢). تصحيح آية الله الشيخ رضا الأستاذي. الطبعة الأولى، قم، ١٣٩٤ هـ. وطبعت ضمن الرسائل الأربعة عشر.
٩٠. رسالة حول التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام. للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ - ١٣٥٢). تحقيق آية الله الشيخ رضا الأستاذي. طبعت في مجلة نور علم، قم، ١٤٠٦ هـ. وطبعت ضمن الرسائل الأربعة عشر.

- ٩١ . روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات. للسيد محمد باقر الخوانساري الإصفهاني (١٢٢٦ - ١٣١٣). إعداد أسد الله إسماعيليان . ٨ مجلّدات. قم، إسماعيليان، ١٣٩٠ هـ.
- ٩٢ . الروض النضير في شعراء القرن المتأخّر والأخير. للشيخ جعفر النقدي (م ١٣٧٠).
- ٩٣ . ربحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب. للميرزا محمد علي بن محمد طاهر المدرّس التبريزي (١٢٩٦ - ١٣٧٣). الطبعة الثالثة، ٨ مجلّدات. تبريز، مكتبة خيام.
- ٩٤ . زبدة البيان في أحكام القرآن. للمقدّس الأردبيلي أحمد بن محمد (م ٩٩٣). تحقيق محمد باقر اليهودي. طهران، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ١٣٨٦ هـ.
- ٩٥ . السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي. لمحمد بن منصور بن أحمد بن إدريس العجلي الحلبي (٥٤٣ - ٥٩٨). إعداد ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي. الطبعة الأولى، ٣ مجلّدات. قم، ١٤١٠ - ١٤١١ هـ.
- ٩٦ . سنن أبي داود. لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ٤ مجلّدات، دار إحياء السنّة النبوية.
- ٩٧ . سنن الترمذي (الجامع الصحيح). لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩ - ٢٧٩). تحقيق أحمد محمد شاكر. ٥ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ٩٨ . سنن النسائي. لأبي عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي (٢١٥ - ٣٠٣). الطبعة الأولى، ٨ أجزاء في ٤ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار الفكر ودار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
- ٩٩ . السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون (إنسان العيون). لعلي بن برهان الدين الحلبي (٩٧٥ - ١٠٤٤). ٣ مجلّدات، بيروت، دار المعرفة.
- ١٠٠ . السيرة النبوية. لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (م ٢١٣ أو ٢١٨). تحقيق عدّة من الفضلاء. ٤ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ١٠١ . السيرة النبوية (المطبوعة بهامش السيرة الحلبية). للسيد أحمد زيني دحلان (١٢٣٢ - ١٣٠٤). ٣ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي [بالأوفست عن طبعة المكتبة الإسلامية، بيروت].

١٠٢. شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام. لأبي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الهذلي (٦٠٢ - ٦٧٦). إعداد عبد الحسين محمد عليّ البقال. الطبعة الثانية، ٤ أجزاء في مجلدين، قم، إسماعيليان، ١٤٠٨ هـ.
١٠٣. شرح حماسة أبي تمام. ليوسف بن سليمان النحوي الشنمري. تحقيق عليّ المفضل حمودان. بيروت، دار الفكر، ١٤١٣ هـ.
١٠٤. شرح صحيح مسلم للنووي. لمحيي الدين أبي زكريّا يحيى بن شرف النووي الشافعي (٦٣١ - ٧٧٦). تحقيق لجنة من العلماء. الطبعة الأولى، ١٨ جزءاً في ٩ مجلدات + الفهارس، بيروت، دار القلم، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
١٠٥. شعب الإيمان. لأبي بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨). تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسبوني زغلول. الطبعة الأولى، ٧ مجلدات + الفهارس، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
١٠٦. شعراء الغرّي (النجفيّات). لعليّ الخاقاني (م ١٣٩٨). ١٢ مجلداً، قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٨ هـ. [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف].
١٠٧. الصحاح. لإسماعيل بن حمّاد الجوهري (م ٣٩٣). تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. الطبعة الثالثة، ٦ مجلدات، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
١٠٨. صحيح مسلم. لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١). تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. الطبعة الثانية، ٥ مجلدات، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.
١٠٩. الطليعة من شعراء الشيعة. للشيخ محمد السماوي (١٢٩٢ - ١٣٧٠). تحقيق كامل سلمان الجبوري. الطبعة الأولى، مجلّدان، بيروت، دار المؤرّخ العربي، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.
١١٠. العقود المفضّلة. للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ - ١٣٥٢). الطبعة الأولى، النجف الأشرف، المكتبة المرتضويّة، ١٣٤٣ هـ.
١١١. علماء معاصرين. للملاّ عليّ الواعظ الخياباني التبريزي (١٢٨٢ - ١٣٦٧). الطبعة الحجرية، طهران، المطبعة الإسلامية، ١٣٦٦ هـ.

١١٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام. للشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي (م ٣٨١). تصحيح الشيخ حسين الأعلمي. الطبعة الأولى، مجلّدان، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

١١٣. غرر الحكم ودرر الكلم. لعبد الواحد الأمدي التيمي (ق ٥). تحقيق الشيخ حسين الأعلمي. الطبعة الأولى، مجلّدان، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

□ الفقيه ← من لا يحضره الفقيه

١١٤. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. لمحمد البهي. الطبعة السادسة، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٣م.

١١٥. الفهرست. لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠). تحقيق الشيخ جواد القيومي الإصفهاني. الطبعة الأولى، قم، مؤسسة نشر الفقه، ١٤١٧هـ.

١١٦. فهرست كتابهای چاپی عربی (فهرس الكتب العربية المطبوعة). لخانبابا مشار. الطبعة الأولى، طهران، أنجمن كتاب، ١٣٤٤ش.

□ فهرست مشار ← فهرست كتابهای چاپی عربی

١١٧. القاموس المحيط. لأبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٧٢٩ - ٨١٧). ٤ مجلّدات، بيروت، دار الجيل.

١١٨. قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام. للعلامة الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (٦٤٨ - ٧٢٦). تحقيق و نشر: مؤسسة النشر الإسلامي. الطبعة الأولى، ٣ مجلّدات، قم، ١٤١٣ - ١٤١٩هـ.

١١٩. الكافي. لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي (م ٣٢٩). تحقيق علي أكبر الغفاري. الطبعة الرابعة، ٨ مجلّدات، بيروت، دار صعب ودار التعارف، ١٤٠١هـ.

□ كتاب المكاسب ← تراث الشيخ الأعظم

١٢٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨). تصحيح مصطفى حسين أحمد. ٤ مجلّدات، بيروت، دار الكتاب العربي.

١٢١. كفاية الأحكام (كفاية الفقه). للمحقّق المولى محمد باقر السبزواري (١٠١٧ - ١٠٩٠).
الطبعة الحجرية، إيران، ١٣٦٩ هـ. وتحقيق مرتضى الواعظي الأراكي. الطبعة الأولى،
مجلّدان، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٣ هـ.
١٢٢. كنز العرفان في فقه القرآن. لجمال الدين المقداد بن عبد الله السيوري المعروف بالفاضل
المقداد (م ٨٢٦). تحقيق الشيخ محمد باقر البهودي. الطبعة الثالثة، جزءان في مجلّد
واحد، طهران، المكتبة المرتضوية، ١٣٨٤ هـ / ١٣٤٣ ش.
١٢٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. لعلاء الدين عليّ المتقي الهندي (٨٨٨ - ٩٧٥). إعداد
بكري حياياني وصفوة السقا. الطبعة الخامسة، ١٨ مجلّدًا، بيروت، مؤسسة الرسالة،
١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
١٢٤. الكنى والألقاب. للشيخ عباس بن محمد رضا القميّ (١٢٩٤ - ١٣٥٩). الطبعة الخامسة،
٣ مجلّدات، طهران، مكتبة الصدر، ١٣٦٨ ش.
١٢٥. لسان العرب. لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (٦٣٠ - ٧١١). ١٥
مجلّدًا، قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥ هـ.
١٢٦. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث. للدكتور عليّ الوردى. الطبعة الثانية، لندن،
داركوخان، ١٩٩١ م.
١٢٧. ماضي النجف وحاضرها. لشيخ جعفر باقر آل محبوبة (حوالي ١٣١٤ - ١٣٧٧). الطبعة
الثانية، ٣ مجلّدات، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
١٢٨. مباحث عراقية. ليعقوب سرقيس، بغداد، ١٩٤٨ م.
١٢٩. المبسوط. لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠). تعليق محمد تقي
الكشفي. الطبعة الثانية، ٤ مجلّدات، طهران، المكتبة المرتضوية، ١٣٨٧ هـ.
١٣٠. مجلّة الاعتدال. العدد ١، السنة الثانية، ربيع الأول ١٣٥٣.
١٣١. مجلّة الرضوان. السنة الأولى، العدد العاشر.
١٣٢. مجلّة الشريعة، أسرار الحركة الماسونية. عمّان، ١٩٦٤ م.
١٣٣. مجلّة العالم الإسلاميّ الإنجليزيتية. عدد يونية، سنة ١٩٣٠ م.

- ١٣٤ . مجلّة العرفان . المجلّد ٣٥ . الجزء ٨ ، ص ١٢٤٧ - ١٢٥٠ . والمجلّد ٣٦ . الجزء ٧ . ص ٧٦٤ - ٧٦٧ .
- ١٣٥ . مجلّة الفكر المعاصر .
- ١٣٦ . مجلّة الموسم . العدد ١٩ . السنة ١٤١٤ هـ . والعدد ٢٠ . السنة ١٤١٥ هـ .
- ١٣٧ . مجلّة الهدى العمارة العراقية . السنة الثانية ، ١٣٤٨ هـ .
- ١٣٨ . مجمع الأمثال . لأحمد بن محمد النيسابوري الميداني (م ٥١٨) . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . الطبعة الثانية ، ٤ مجلّدات ، بيروت ، دار الجيل ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- ١٣٩ . مجمع البيان في تفسير القرآن . لأبي عليّ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي (حوالى ٤٧٠ - ٥٤٨) . تحقيق لجنة من العلماء . الطبعة الأولى ، ١٠ مجلّدات ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .
- ١٤٠ . مجمع الفائدة والبرهان . للمحقّق الأردبيلي أحمد بن محمد (م ٩٩٣) . تحقيق عدّة من العلماء . الطبعة الأولى ، ١٤ مجلّداً ، قم ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤٠٢ - ١٤١٦ هـ .
- ١٤١ . مدرسه سيار (ترجمة الرحلة المدرسيّة أو المدرسة السيّارة بالفارسيّة) . للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ - ١٣٥٢) . مترجم: محمد عليّ العلامة الوحيددي الكرمانشاهي ، الطبعة الثالثة ، طهران ، مؤسسة نصر ، ١٣٨٣ هـ .
- ١٤٢ . مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام . للشهيد الثاني زين الدين بن عليّ (٩١١ - ٩٦٥) . تحقيق مؤسسة المعارف الإسلاميّة . الطبعة الأولى ، ١٥ مجلّداً ، قم ، مؤسسة المعارف الإسلاميّة ، ١٤١٣ - ١٤١٩ هـ .
- ١٤٣ . مسألة في البداء . للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ - ١٣٥٢) . الطبعة الأولى ، بغداد ، ١٣٧٤ هـ . وتحقيق السيّد محمد عليّ الحكيم . قم ، ١٤١٤ هـ .
- ١٤٤ . مستدركات أعيان الشيعة . للسيّد حسن بن السيّد محسن الأمين العاملي . الطبعة الأولى ، ٦ مجلّدات ، بيروت ، دار التعارف للمطبوعات ، ١٤٠٨ - ١٤١٥ هـ / ١٩٨٧ - ١٩٩٥ م .
- ١٤٥ . المستقصى في أمثال العرب . لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨) . الطبعة الثانية ، مجلّدان ، بيروت ، دار الكتب العلميّة ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

١٤٦. مسند أحمد. لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (١٦٤ - ٢٤١). ٦ مجلدات، بيروت، دار الفكر و دار صادر.
١٤٧. مشهد الإمام أو مدينة النجف. لمحمد عليّ جعفر التميمي (١٩١٩ م - ...). النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م. و قم، أوفست الشريف الرضي، ١٤١٤ هـ / ١٣٧٢ ش.
١٤٨. مصباح المتهجد. لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠). تصحيح الشيخ إسماعيل الأنصاري الزنجاني، الطبعة الحجرية. وإعداد عليّ أصغر مرواريد. الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة فقه الشيعة، ١٤١١ هـ.
١٤٩. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. لأحمد بن محمد بن عليّ الفيومي (م حوالي ٧٧٠). الطبعة الأولى، جزاءن في مجلد واحد، قم، دار الهجرة، ١٤٠٥ هـ.
١٥٠. المصون في شيعة الفرمسون. لويس شيخو. بغداد ١٩٦٦ م.
١٥١. مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود. عثمان بن سند البصري. اختصار أمين الحلواني، القاهرة ١٣٧١ هـ.
١٥٢. معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء. للشيخ محمد حرز الدين النجفي (١٢٧٣ - ١٣٦٥). تعليق محمد حسين حرز الدين. الطبعة الأولى، ٣ مجلدات، قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٥ هـ.
١٥٣. معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام. للشيخ محمد هادي الأميني (م ١٤٢١ هـ). الطبعة الثانية، ٣ مجلدات، ١٤١٣ هـ.
١٥٤. معجم المطبوعات العربية والمعربة. ليوسف إلبان سركيس (١٢٧٢ - ١٣٥١). مجلدان، قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤١٠ هـ.
١٥٥. معجم مؤلفي الشيعة. لعليّ الفاضل القائيني النجفي. الطبعة الأولى، طهران، منشورات مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي، ١٤٠٥ هـ.
١٥٦. معجم المؤلفين العراقيين. لكوركيس عواد. الطبعة الأولى، ٣ مجلدات، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٩ م.

١٥٧. مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة. للسيد محمد جواد الحسيني العاملي (م ١٢٢٨).
الطبعة الثانية. ١٠ مجلدات، قم، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث.
١٥٨. مقابس الأنوار. للشيخ أسد الله بن إسماعيل التستري الكاظمي (م ١٢٣٧). قم، مؤسسة
آل البيت عليه السلام لإحياء التراث. [بالأوفست عن طبعته الحجرية. ١٣٢٢هـ].
١٥٩. مقالة سائح في البائية والبهائية.
١٦٠. من لا يحضره الفقيه. للشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه (م ٣٨١هـ). إعداد السيد
حسن الموسوي الخرسان. الطبعة السادسة، ٤ مجلدات، دار الأضواء، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
١٦١. منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال (الرجال الكبير). للميرزا محمد بن علي الأسترآبادي
(م ١٠٢٨). الطبعة الحجرية، ١٣٠٦هـ. وتحقيق و نشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء
التراث، الطبعة الأولى، صدر منه حتى الآن ٣ مجلدات، قم، ١٤٢٢هـ.
١٦٢. موسوعة الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين. إعداد وتحقيق مركز العلوم والثقافة
الإسلامية - قسم إحياء التراث الإسلامي بقم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٠ مجلدات +
المدخل، بيروت، دار المؤرخ العربي، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
١٦٣. الموسوعة السياسية. مجلة فصلية ثقافية سياسية تصدر في مصر.
١٦٤. المهذب. للقاضي عبد العزيز بن البراج الطرابلسي (حوالي ٤٠٠ - ٤٨١). إعداد عدة من
الفضلاء. الطبعة الأولى، مجلدان، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٦هـ.
١٦٥. ميزان الاعتدال في نقد الرجال. لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨). تحقيق
علي محمد معوض وآخرين. ٤ مجلدات، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ.
١٦٦. نسائم الهدى ونفحات المهدي. للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ - ١٣٥٢).
المطبوع في مجلة عرفان، لبنان، المجلد ١٨، ربيع الأول، ١٣٤٨هـ. وتحقيق السيد
محمد علي الحكيم. مجلة تراننا، قم، العدد ٦٥، ١٤٢٢هـ.
١٦٧. نسيم الرياض في شرح الشفا. لأحمد شهاب الدين الخفاجي المصري (٩٧٧ - ١٠٦٩).
٤ مجلدات، القاهرة، دار الفكر.
١٦٨. نصاب الهدى. للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ - ١٣٥٢). الطبعة الأولى،
بغداد، مطبعة دار السلام، ١٣٣٩هـ. وتحقيق السيد محمد علي الحكيم. قم، ١٤٢٣هـ.

١٦٩. نصرة المظلوم. للشيخ إبراهيم المظفر (م بعد ١٣٤٥). النجف الأشرف، المطبعة العلوية، ١٣٤٥ هـ.

١٧٠. تقباء البشر (ضمن طبقات أعلام الشيعة). للشيخ محمد محسن آقابزرگ الطهراني (١٢٩٣ - ١٣٨٩). بتعليق السيّد عبدالعزيز الطباطبائي. الطبعة الثانية، مشهد، دار المرتضى للنشر، ١٤٠٤ هـ.

١٧١. نقد الرجال. للعلامة السيّد مصطفى بن حسين الحسيني التفرشي (كان حياً في ١٠٤٤). قم، انتشارات الرسول المصطفى ﷺ.

١٧٢. نور الأفهام في علم الكلام. للسيّد حسن الحسيني اللواساني النجفي (١٣٠٨ - ١٤٠٠). تحقيق السيّد إبراهيم اللواساني. الطبعة الأولى، مجلّدان، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤٢٥ هـ.

١٧٣. النهاية في غريب الحديث والأثر. لأبي السعادات مجد الدين المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري (٥٤٤ - ٦٠٦). تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي. ٥ مجلّدات، بيروت، المكتبة العلميّة.

١٧٤. هكذا عرفتهم. لجعفر الخليلي. الطبعة الأولى، ٦ أجزاء في ٣ مجلّدات، قم، الشريف الرضي، ١٤١٢ هـ / ١٣٧٠ ش [بالأوفست عن طبعة بيروت، ١٩٦٣ م].

١٧٥. الوجيزة في الرجال. للعلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (١٠٣٧ - ١١١٠). تصحيح محمد كاظم رحمان ستايش. طهران، مؤسّسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٣٧٨ ش.

١٧٦. وسائل الشيعة. للشيخ الحرّ محمد بن الحسن العاملي (١٠٣٣ - ١١٠٤). تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث. الطبعة الأولى، ٣٠ مجلّداً، قم، ١٤٠٩ - ١٤١٢ هـ.

١٧٧. وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ. لآية الله السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي (م ١٤١١). المطبوع في مقدّمة الترجمة الفارسيّة لكتاب الرحلة المدرسيّة (مدرسة سيّار). طهران، مؤسّسة النصر للطباعة، ١٣٨٣ هـ.

١٧٨. وقائع الأيام (رمضان المبارك). لملا عليّ الخياباني التبريزي (١٢٨٢ - ١٣٦٧). تصحيح أديب. تبريز، المكتبة القرشي، ١٣٨٥ هـ.

فهرس الموضوعات

٥	دليل الموسوعة
٧	تصدير

عصر العلامة البلاغي

١٣	تمهيد
١٣	١ - تحديد عصر البلاغي
١٣	٢ - مميزات عصر البلاغي
١٥	٣ - الموقع المتميز للعالم الإسلامي
١٨	الفصل الأول: الاستشراق والتبشير والاستعمار في عصر البلاغي
٢١	تصوير المبشرين للإسلام والمسلمين
٢٢	وسائل الاستعمار لإضعاف المسلمين
٢٦	أساليب التبشير وأدواته
٢٧	اهتمامات استشراقية وتبشيرية خطيرة
٣٠	الفصل الثاني: الدولة العثمانية والماسونية في عصر البلاغي
٣٠	الجدور التاريخية لتسرّب الماسونية إلى البلاد الإسلامية
٣٢	تسرّب الحضارة الغربية إلى العالم الإسلامي
٣٨	تقييم وضع الدولة العثمانية

- ٤٤ الحركة الماسونية: النشأة، والخصائص، والتطورات.
- ٤٤ كيف بدأت الماسونية؟
- ٥٠ الماسونية في العراق.
- ٥١ الماسونية في مصر.
- ٥٢ الماسونية في الأردن.
- ٥٣ الماسونية في سوريا.
- ٥٤ الماسونية في لبنان.
- ٥٦ الفصل الثالث: البابية والبهائية في إيران والعراق في عصر البلاغي.
- ٥٧ العراق وظهور البابية واستفحالها.
- ٦٧ الفصل الرابع: الحركة الدستورية في العراق وثورة العشرين في عصر البلاغي.
- ٦٧ العراق والإمبراطورية العثمانية.
- ٧١ الفصل الخامس: الحركة الوهابية واستفحالها وموقف البلاغي منها.
- ٧٣ أثر الدعوة في العراق.
- ٧٤ بداية العداء مع الدولة.
- ٧٦ حملة الأحساء.
- ٧٧ عودة النزاع.
- ٧٨ واقعة كربلاء.
- ٧٩ الغارة على النجف.
- ٨٠ عودة الوهابيين.
- ٨١ الغارة الأخرى على النجف.
- ٨٢ غارات الوهابيين.

حياة العلامة البلاغي

- ٨٩ الباب الأول: حياته الشخصية والاجتماعية.

٩١	الفصل الأول: اسمه ونسبه وألقابه
٩٣	الفصل الثاني: ولادته
٩٥	الفصل الثالث: أسرته
١٠٦	الفصل الرابع: نشأته ومراحل حياته
١١٧	الفصل الخامس: ملامح شخصيته ومقوماتها
١٢٤	الفصل السادس: حياته الاجتماعية
١٢٥	موقفه من الوهابية في هدم القبور
١٢٧	موقفه من الباطنية
١٣٢	موقفه من السيد محسن الأمين ورسالته «التنزيه»
١٣٨	موقفه من ثورة العشرين العراقية
١٤٤	مشاهداته

١٥١	الباب الثاني: حياته العلمية
١٥٣	الفصل الأول: دراسته وأساتذته ومشايخه
١٥٨	الفصل الثاني: تدريسه وتلامذته والراون عنه
١٦٧	الفصل الثالث: مقومات شخصيته العلمية
١٦٧	الأولى: تعلّمه اللغات الأجنبية
١٦٩	الثانية: دراسته للعلوم الحديثة
١٧٠	الثالثة: ملازمته لكبار العلماء
١٧١	الرابعة: استغلاله للوقت
١٧٢	الخامسة: عدم المجاملة في المسائل العلمية
١٧٣	السادسة: أدبه الرفيع في المباحثة
١٧٤	الفصل الرابع: منهجه في البحث العلمي
١٧٤	المنهج العام

- ١٨٣ منهجه التفسيري
- ١٩٦ منهجه في ردّ النصارى
- ٢٠٩ منهجه في ردّ الفرق الضالّة
- ٢١٤ منهجه الفقهي
- ٢٢٥ الفصل الخامس: مؤلفاته
- ٢٣٢ المؤلفات المطبوعة
- ٢٣٢ (١) آلاء الرحمن في تفسير القرآن
- ٢٣٦ (٢) أعاجيب الأكاذيب
- ٢٣٨ (٣) أنوار الهدى
- ٢٤٠ (٤) البداء
- ٢٤١ (٥) البلاغ المبين
- ٢٤٣ (٦) تعليقة على بيع المكاسب للشيخ الأنصاري
- ٢٤٤ (٧) رسالة في شأن التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام
- ٢٤٨ (٨) رسالة التوحيد والتثليث
- ٢٤٩ (٩) رسالة حرمة حلق اللحية
- ٢٥١ (١٠) دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى
- ٢٥٣ (١١) الرحلة المدرسيّة والمدرسة السيّارة
- ٢٥٧ (١٢) الردّ على الوهابيّة
- ٢٥٩ (١٣) العقود المفصّلة
- ٢٦٨ (١٤) نسيمات الهدى ونفحات المهدي
- ٢٧٠ (١٥) نصائح الهدى
- ٢٧٣ (١٦) الهدى إلى دين المصطفى
- ٢٧٧ المؤلفات غير المطبوعة

- (١) أجوبة المسائل البغدادية..... ٢٧٧
- (٢) أجوبة المسائل التبريزية..... ٢٧٧
- (٣) أجوبة المسائل الحلية..... ٢٧٨
- (٤) الاحتجاج لكل ما انفردت به الإمامية من أحاديث أهل السنة..... ٢٧٨
- (٥) رسالة في الأوامر..... ٢٧٨
- (٦) رسالة في إبطال العول والتعصيب..... ٢٧٩
- (٧) تعليقة على الشفعة من كتاب جواهر الكلام..... ٢٧٩
- (٨) تعليقة على العروة الوثقى..... ٢٧٩
- (٩) رسالة في التقليد..... ٢٨٠
- (١٠) رسالة في الخيارات..... ٢٨٠
- (١١) داعي الإسلام وداعي النصارى..... ٢٨٠
- (١٢) الرد على جرجيس سايل وهاشم العربي..... ٢٨١
- (١٣) الرد على كتاب «تعليم العلماء»..... ٢٨١
- (١٤) الرد على الدهرية..... ٢٨١
- (١٥) الرد على كتاب ينابيع الإسلام..... ٢٨٢
- (١٦) رسالة في الرضاع..... ٢٨٢
- (١٧) الشهاب، في الرد على كتاب حياة المسيح..... ٢٨٢
- (١٨) صلاة الجمعة لمن يسافر بعد الزوال..... ٢٨٢
- (١٩) عدم تزويج أم كلثوم..... ٢٨٣
- (٢٠) المسيح والأنجيل..... ٢٨٣
- (٢١) المصاييح = مصاييح الهدى..... ٢٨٣
- (٢٢) نور الهدى..... ٢٨٣
- (٢٣) وضوء الإمامية وصلاتهم وصومهم..... ٢٨٤

- مراسلاته ٢٨٦
- شعره ٢٨٩
- الفصل السادس: مدحه وإطراؤه ٢٩٢
- الباب الثالث: رحيل العلامة البلاغي ٣٠٣
- الفصل الأول: وفاته ومدفنه ٣٠٥
- الفصل الثاني: صدى نبأ وفاته في المجتمع ٣٠٧
- الفصل الثالث: ما رُئي به ٣١٠
- (١) قصيدة للشاعر الكبير السيد رضا الهندي ٣١٠
- (٢) قصيدة أيضاً للشاعر الكبير السيد رضا الهندي ٣١٢
- (٣) قصيدة للخطيب الشيخ محمد عليّ يعقوبي ٣١٣
- (٤) وقد رثاه أحد الأدباء بقصيدة ٣١٦
- (٥) ورثاه السيد مسلم الحلّي بقصيدة ٣١٦
- (٦) قصيدة الشيخ محمد رضا المظفر ٣١٦
- (٧) أرّخ الشاعر السيد محمد الحلّي وفاته ٣١٨
- (٨) ورثاه الشاعر السيد محمود الحَبّوبي ٣١٨
- (٩) ورثاه أحد الشعراء البارعين بقصيدة ٣١٩
- (١٠) قصيدة العلامة الشيخ محمد عليّ الأوردبادي ٣١٩
- (١١) قصيدة للشاعر الأستاذ صالح الجعفري ٣٢٢
- (١٢) قصيدة للشاعر الشيخ محمد تقي الفقيه ٣٢٤
- (١٣) قصيدة للعلامة السيد عليّ نقى النقوي الهندي ٣٢٥
- (١٤) وقال أيضاً العلامة النقوي في تاريخ سنة وفاته ﷺ ٣٢٧
- السرّد التاريخي لحياة ونشاط العلامة البلاغي ٣٢٨

الخاتمة

٣٣٣ المترجمون للعلامة البلاغي
٣٣٧ مختارات من ترجمته
٣٣٩	١ - العلامة السيد محسن الأمين (م ١٣٧١هـ).....
٣٤٤	٢ - الشيخ جعفر الشيخ باقر آل محبوبة (م ١٣٧٧هـ).....
٣٤٩	٣ - العلامة الميرزا محمد علي الأوردبادي الغروي (١٣١٢ - ١٣٨٠هـ).....
٣٦٢	٤ - الأستاذ توفيق الفكيكي المحامي (م ١٣٨٧هـ).....
٣٧٨	٥ - العلامة الخريت الشيخ آقا بزرگ الطهراني (م ١٣٨٩هـ).....
٣٨٣	٦ - الشيخ علي الخاقاني (م ١٣٩٨هـ).....
٣٨٩	٧ - الشيخ محمد علي جعفر التميمي (١٩١٩م - ...)
٤١٢	٨ - آية الله السيد شهاب الدين المرعشي النجفي (م ١٤١١هـ).....
٤٢٢	٩ - المولى علي الخياباني التبريزي (١٢٨٢ - ١٣٦٧هـ).....
٤٢٧	١٠ - السيد حسن الحسيني اللواساني النجفي (١٣٠٨ - ١٤٠٠هـ).....
٤٣٣ فهرس المصادر
٤٤٩ فهرس الموضوعات